وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي آفلو

تنوير

للبحوث الانسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 08 ديسمبر 2018

ISSN2571-9793

الهيئة العلمية

أ د/ حسين بوداود. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ د/ بن طاهر تيجاني. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ د/ عبد الحكيم الغزاوي الجامعة اللبنانية (لبنان)

أ د/طارق الجوازنة جامعة اليرموك الأردن

أ د/ عبد العظيم بشير خالقي جامعة طرابلس ليبيا

أد/ عبد الغني عماد الجامعة اللبنانية (لبنان)

د/ داودي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بوفاتح محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ عمومن رمضان. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ عون علي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن سعد أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ صخري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ نوري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ حران العربي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن عون البودالي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بكاي رشيد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ سعودي أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن جلول هزرشي. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ سعد عبد السلام. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ طحطاح مبروك. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ محيوز كريمة جامعة الجزائر 02

د/ صباح نوري هادي العبيدي جامعة ديالى العراق.

د/ سالم محمد القرعان جامعة اليرموك الأردن

د/ بلبكاي جمال المدرسة العليا للأساتذة سكيكدة

د/ عميره عليه الصغير جامعة منوبة تونس

د/ حلمى محمد حلمى عبد العزيز جامعة الإسكندرية

د/ نصرة عبد العال منصور جامعة القاهرة مصر

د/ علة مختار جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د / خيالي بلقاسم. المركز الجامعي آفلو

د/ سعداوي مريم. المركز الجامعي آفلو

د/ ميلق عبد القادر. المركز الجامعي آفلو

د / قاسم سعاد. المركزالجامعي آفلو

د / زروقي ثامر. المركز الجامعي آفلو

د/ جلالي ناصر. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ ناجم مولاي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ/ رماضنية أحمد المدرسة العليا للأساتذة الأغواط

أ/ صافي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ / عياط لمين. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ/ قروج بولفعة. المركز الجامعي آفلو

أ / قريبي مشري. المركز الجامعي آفلو

أ / تمير بولرباح. المركز الجامعي آفلو

أ / مهدي محمد. المركز الجامعي آفلو

أ / مايدي كمال. المركز الجامعي آفلو

أ / يزير جمال. المركز الجامعي آفلو

أ / بن سعيد جمال. المركز الجامعي آفلو

أ / شتوح بختة. المركز الجامعي آفلو

أ / بلحماري بشير. المركز الجامعي آفلو

قواعد النشر

1. تنشر المجلة البحوث العليمة للأساتذة في التخصصات التالية (علم النفس وعلوم التربية، التاريخ، فلسفة، علم الاجتماع).
2. تقدم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني : revu.tanwir2017@gmail.com
3. يرفق البحث بملخص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخص ثان باللغة الفرنسية أوالإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخص للسيرة الذاتية للباحث.
4. أن لا يكون البحث منشورا من قبل، أو مقدما للنشر في جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدا مكتوبا بذلك.
5. أن لا يكون البحث فصلا من رسالة جامعية.
6. أن لا تقل صفحات البحث عن 12 صفحة، وأن لا تزيد عن 25 صفحة.
7. أن تكتب البحوث العربية باستخدام خط simplified Arabic بحجم 14، والبحوث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية باستخدام خط Taime New Romans
8. أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.
9. في التوثيق يمكن اعتماد منهجية (**APA**)أو التهميش أسفل الصفحة ـ استعمال التهميش الآلي ـ هنا يكون في أسفل كل صفحة وبترقيم متسلسل، كما يجب أن تجمع المراجع في نهاية البحث وترتب ألفبائيا.
10. أن يرفق بالبحث أدوات البحث المستخدمة إن وجدت.
11. البحوث التي تخل بأي ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.
12. تخضع البحوث و المقالات لرأي محكمين من مختلف الجامعات الوطنية والدولية.
13. ترتيب البحوث لا يخضع لأهمية البحث و لا لمكانة الباحث.
14. البحوث التي تقدم للمجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بأبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، و لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أوالمركز الجامعي. كما لا تتحمل المجلة مسؤولية الإخلال بقواعد الملكية الفكرية.

فهرس الموضوعات

الأسلحة النارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني. د/ سمية خدران ـ جامعة الجزائر2 .	01
التراث العمراني الجزائري القديم "مدينة تيبازة أنموذجا" د/ بصال مالية ـ المركز الجامعي مرسلي عبد الله ـ تيبازة ـ الجزائر.	16
الرعية في الآداب السياسية بالغرب الإسلامي. أ/ أحمد محمد محمد عوض الله مشالي ـ جامعة الزقازيق ـ مصر.	36
مدينة بجاية خلال العهد الحمادي دراسة عمرانية (460-547هـ/1067-1152م . الباحث/ زهير بن عمير ـ جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ الجزائر.	65
الأبناء، من وصايا لقمان إلى وصايا الفيسبوك. أ.د/ ميلود بكاي.... د/ عمر بن شريك.... جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.	95
الأسباب السياسية للتطرف الديني والإرهاب في المجتمع العراقي ـ دراسة انثروبولوجية ـ د/ سرمد جاسم محمد الخزرجي ـ جامعة تكريت ـ العراق.	110
الخلفية المعرفية للمجتمع المدني وأهم الاتجاهات النظرية. د/ بوسالمي عامر ـ جامعة خنشلة ـ الجزائر.... د/ مونيس احمد ـ جامعة البليدة -02- الجزائر.	139
دور الإعلام الرقمي الجديد في تعزيز الثقافة الشعبية رؤية إستراتيجية. د/ عبد الحكيم خليل سيد أحمد ـ معهد العالي للفنون الشعبية ـ أكاديمية الفنون ـ مصر .	153
تخطيط المسار الوظيفي وأثره على الولاء التنظيمي للعامل بالمؤسسة الجزائرية دراسة ميدانية لعينة من العاملين بشركة بناء الهياكل المعدنية المصنعة ـ أم البواقي. أ/العمري سليمة..... د/ شريفة معدن .... جامعة العربي بن مهيدي . أم البواقي ـ الجزائر.	176
واقع الخدمات الاجتماعية المقدمة لفئة المعاقين بمراكز الرعاية الاجتماعية : تجربة عمل. الباحثة/ كوندة سلمى ـ جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2- الجزائر.	191
دور التعلم بالملاحظة و النمذجة في رصد الوعي المروري لدى الطفل (دراسة ميدانية). د/ أيت مولود يسمينة.... د/ بعلي إكردوشن زاهية ـ جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ الجزائر.	209
تدريس الثقافة الشعبية"شعر الملحون " انموذجا. الباحث / عبد الخالق صديقي ـ جامعة محمد الخامس الرباط ـ المغرب.	224
تقدير الذات وعلاقته بالاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي ـ دراسة ميدانية مقارنة ـ الباحث/ عمر حسيني ـ جامعة الجزائر 2 ....الباحثة/ أسماء خلاف ـ جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2-	240
صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الرياضية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية. د/ علي لطفي علي قشمر ـ جامعة الاستقلال ـ أريحا ـ فلسطين.	265
معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر التدريسيين. صاحب أسعد ويس الشمري ـ جامعة سامراء / العراق.	299

317	دور الوسيلة التعليمية في إثراء الموقف التعليمي. د/ حورية بوراس... الباحثة/ مليكة بن العربي....الباحث/ صدام حسين بن يحي ـ جامعة الأغواط ـ الجزائر.
333	الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالالتزام التنظيمي لدى عمال مراكز التكوين المهني بالأغواط الباحث/ محمد زعيلق....الباحث/ طاهر بوجمل....الباحث/ بشير حبيش ـ جامعة الأغواط ـ الجزائر.
354	المشكلات السلوكية عند الاطفال أسبابها و سبل علاجها. د/ هلايلي يسمينة ـ جامعة باتنة 1 ـ الجزائر.
371	الأخلاق في اليهودية والمسيحية "قضايا ونماذج". د/ للا عائشة عدنان ـ جامعة سيدي محمد بن عبد الله ـ فاس ـ المغرب.
394	التأويل الفلسفي والإيديولوجي للاعقلانية عند جورج لوكاتش. أ/ إسماعيل عكاك ـ جامعة خميس مليانة ـ الجزائر.
414	مداخل في الرمزية واشتغالاتها عند السيميائيين. الباحثة/ رباب بن عياش ـ جامعة الجزائر3
435	العقل السياسي العربي و" نظرية المؤمرة " د/ طيفوري رحماني بوزينة أحمد ـ جامعة علي لونيسي ـ البليدة 2 ـ الجزائر.
447	سيكولوجية النمو والابستمولوجيا المعرفية عند بياجيه. أ.د/ يوسف حديد ..... أ/ نعيم بوعموشة ـ جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل ـ الجزائر.
463	**Are they Grievance-rooted or Greed-kindled? Ethnic Conflicts across the Globe.** **Dr/ DJALAL Mansour - Mila University Centre – Algeria.**
475	**METHODOLOGIE DE LA RECHERCHE QUALITATIVE EN SCIENCE DE L'INFORMATION ET DE LA COMMUNICATION : QUALITE, PRINCIPES ET PRATIQUES** **Chercheur/ Berkoune kahina - Université Abderrahmane Mira – Bejaia.**

الأسلحة النارية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

د/ سمية خدران ـ جامعة الجزائر2 .

الملخص:

كانت الأسلحة النارية في الجزائر خلال العهد العثماني تصنع في الترسانات، ولقد انقسمت الأسلحة النارية إلى نوعين هما: أسلحة نارية ثقيلة، وأخرى خفيفة.

سنتطرق في هذا المقال لدراسة الأسلحة النارية في الجزائر خلال العهد العثماني، وذلك بالحديث عن مفهوم السلاح بصفة عامة، ثم التطرق إلى ذكر أنواع الأسلحة النارية: الثقيلة منها والخفيفة التي كانت تصنع في الجزائر خلال تلك الفترة من تاريخها. كما سنقوم بسرد لأهم مراكز صناعة هذه الأنواع من الأسلحة.

الكلمات الدالة: الأسلحة النارية الثقيلة، الأسلحة النارية الخفيفة، الجزائر في العهد العثماني، مراكز الصناعة.

Résumé:

Pendant la période Ottoman, les armes sont produites dans les arsenals. On peut les divisées en deux genres: leurdes et armes légères.

Dans cet article on parle des armes en Algérie pendant la période Ottoman, a définition en générale et ses genres.

On cite aussi les centres principales de production.

Les mots clefs: Les armes – lourdes/ légères, L'Algérie, La période Ottoman, Centres de production.

مقدمة:

السلاح أداة تستعمل أثناء القتال لغرض الدفاع، التهديد والهجوم. أو بتعبير آخر: هو العتاد الذي يضيفه المرء ليزيد من قدراته العضلية والفكرية في الدفاع عن نفسه ضد تحديات الطبيعة والبشر. فقد كان في كل زمان، أداة استعملها الإنسان لضمان أمنه والدفاع عن نفسه وتجنب الأخطار التي قد تؤدي بحياته. وقد اختلفت وتطورت أنواع الأسلحة مع مرور الزمن، حسب الظروف والحاجة. كما تنوعت مصادر اكتساب الإنسان لهذه الأسلحة، إما عن طريق الاستيراد أو غنائم الحروب. ولقد عرفت العرب أنواعا مختلفة من الأسلحة وبرعوا في استخدامها، لأنها كانت عدّتهم في الدفاع عن النفس ومواجهة

العدو. ولم يقفوا عند حد معرفة استخدامها بل عملوا على توفيرها وتطويرها وفقا لمتطلبات المعارك. واستمر ذلك عبر العصور الإسلامية المتوالية، وصولا إلى العهد العثماني.

حيث عرفت الجزائر خلال هذا العهد – العثماني– نشاطا صناعيا مزدهرا غطى جميع المجالات، ومنها قطاع الصناعة الحربية، وخاصة صناعة الأسلحة النارية والتي ظلت مزدهرة إلى أواخر الفترة العثمانية.

1 ـ تعريف السلاح:

هو أداة من أدوات القتال. وهو بالتحديد، الأداة القتالية وذخائرها ووسائط حملها, ومجمل الأجهزة العضوية اللازمة لتشغيلها. بشكل يؤمن سرعة التعامل مع الهدف, ودقة الإصابة, وتحقيق المردود الأقصى.[1]

ظهر السلاح مع بداية ظهور الإنسان الأول, وإحساسه بالحاجة إلى حماية نفسه ضد الحيوانات, وضد أقرانه. ولهذا انصب جهده على مواجهتهم من أجل تحقيق الأمن الغذائي بالبحث عن الغذاء, وتأمين الحماية النفسية تحت تأثير غريزة حب البقاء. وباعتبار هذه الأمور أساسية لا غنى عنها, تحتم على الإنسان أن يقوم باختراع أدوات ومعدات دفاعية وهجومية, صخر لها الإنسان بذكائه وقدراته الفكرية والعضلية لصناعتها بطرق وأساليب وتقنيات, اجتهد في ابتكارها وتطويرها, وذلك حسب التطور البشري والفكري الذي أوصلته أليه الحاجة.

ولقد تعددت استعمالات الأسلحة, فمنها ما يستخدم للاعتداء على الآخرين من أجل سلبهم ما يملكون بالقوة. إذ يمكن أن يؤدي ذلك للقتل, فهو في أصل صنعته موجه إلى شل أو جرح وحتّى قتل كائن حي (حيوان أو إنسان) مفردا كان أو جماعة. كما يتم استخدامه في الدفاع عن النفس, وعن الممتلكات والأرض أو الوطن ...إلى غير ذلك. ويمكن أيضا أن يستخدم لإنسان السلاح في عمليات الصيد.[2]

ففي العصور الحجرية, كان السلاح عبارة عن أداة بسيطة مثل: الهراوة الحجرية أو الخشبية. واستمر الصانع في التفنن في تطويره لوسائل دفاعية أخرى كالمقالع والقذائف الحجرية ...وهكذا. وبتطور التفكير عند الإنسان, في إيجاد سبل أخرى لحماية نفسه, أخذ يطور هذه الأسلحة. وبمرور الزمن أصبحت تصنع من مواد مختلفة: كعظام الحيوانات, أغصان الأشجار, وتزود بأحجار مصقولة. مع ابتكاره لأسلحة دفاعية

---

[1]– الموسوعة العسكرية, ج4, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط2, 1990م, ص268.

[2]– محمد الطاهر العدواني, الحروب والأسلحة في عصر ما قبل التاريخ وفجر التاريخ إلى 1000 ق.م,سلسلة الموسوعة التاريخية للشباب, مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث,منشورات وزارة الثقافة والسياحة, الجزائر, 1985م, ص19, 24, 25, 28.

تقيه من الضربات منها: الدروع المصنوعة من الجلود والعظام.[1] وبعد اكتشافه لمعدني الحديد والنحاس، تقدم الإنسان في عملية التسلح. حيث صنع الفؤوس والسيوف والهراوات والسهام والرماح. إضافة إلى ذلك, فقد صنع عدة وسائل حربية مثل عربات القتال.[2]

أما إذا تحدثنا عن السلاح عند العرب, فقد عرف العرب أنواعا مختلفة من الأسلحة وبرعوا في استخدامها لأنها كانت عدّتهم في الدفاع عن النفس, ومواجهة العدو. وعملاً بقوله تعالى: *«وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُم»*.[3] لم يقفوا عند معرفة استخدامها, بل أنهم عملوا على توفيرها وتطويرها, وفقا لمتطلبات المعارك. وكانت أبرز الأسلحة التي استعملت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي: السيف والرمح والقوس والدرع, والخوذة.[4]بالإضافة إلى ذلك فإنهم قاموا بتطوير هذه الأسلحة. فظهرت منها القوس العربية التي ترمي عدة سهام دفعة واحدة.[5]

أما الأسلحة النارية في العصر الإسلامي فإن المصادر التاريخية تقول بأن أول استعمال لها كان أثناء حصار الطائف سنة 8هـ/630م.[6] كما استخدم خلال حصار المسلمين للقسطنطينية سنة 54هـ/680م, أي في العهد الأموي. حيث استعمل من طرف البيزنطيين, لفك هذا الحصار وسمي بالنار اليونانية "الإغريقية".

وتزودنا المصادر العربية بنصوص عديدة, حول استخدام السلاح الناري في العهد العباسي, إذ كان الجيش يولي اهتماما كبيرا بهذا السلاح. وقد استخدم من طرف هارون الرشيد في حصاره لمدينة هرقل سنة 178هـ/ 806م.[7] ونفس الاهتمام يستمر في عهد الزيريين والفاطميين. فبظهور هذه القوة الجديدة "الفاطمية" أجبرت الخلافة الأموية بالأندلس على الاهتمام أكثر بهذا السلاح. وبقي هذا الاهتمام مستمرا حتى في عصر ملوك الطوائف وبعده.

---

[1]– الموسوعة العسكرية, ج4, ص268.

[2]– ليلى مرابط, "بارودیتان محفوظتان بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية", حوليات المتحف الوطني للآثار, مجلة أثرية محكمة, العدد15, 1426هـ/ 2005م,عدد الصفحات 14, ص125.

[3]– القرآن الكريم، سورة الأنفال, الآية 61.

[4]– خالد جاسم الجنابي, تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي, وزارة الثقافة والإعلام, العراق, 1984م, ص149.

[5]– لخضر درياس, المدفعية الجزائرية في العهد العثماني, ط1, دار الحضارة للطباعة والنشر, الجزائر, 2007م, ص9.

[6]– سهيل زكار, المدفعية عند العرب, دار الفكر, لبنان, 1983م, ص335.

[7]– لخضر درياس, المرجع السابق, ص11.

ومهما كانت درجة الاعتماد على الأسلحة النارية أيام الأمويين والعباسيين والفاطميين, فإنها تبقى أقل شأنا من الوضع أيام الحروب الصليبية. ذلك أن العرب سجلوا في هذه الحروب تقدما عسكريا رائعا, غطى ميادين القتال وتصنيع السلاح وتطويره.[1]

أما فيما يخص الفترة العثمانية, فقد كانت صناعة الأسلحة الخفيفة تصمم من طرف الرابطات النقابية المختلفة. وتتمثل صناعتها في الأسلحة الخفيفة منها: الأسلحة البيضاء كالسيوف والدروع والرماح والخناجر. ومنها الأسلحة النارية كالبنادق والمسدسات. بينما الأسلحة النارية الثقيلة, والتي كانت تصنع في الترسانات (دور صناعة الأسلحة للدولة). علاوة على هذا, كانت الدولة العثمانية تستورد كميات معتبرة من العتاد الأوروبي. وكان أهم ممونيها في السلاح خلال القرنين 10. 11هـ / 16. 17م : الإنجليز والهولنديون. إضافة إلى هذا, كان الجيش العثماني يعيد استعمال الأسلحة التي يغتنمها من أعدائه أثناء الحروب.

2 ـ أنواع الأسلحة النارية :

هناك أنواع من الأسلحة النارية التي تعود إلى الفترة العثمانية في الجزائر, حيث نجد الأسلحة النارية الثقيلة كالمدافع بمختلف أنواعها وأحجامها. كما نجد الأسلحة النارية الخفيفة ومنها البنادق والمسدسات (الغدارات).

2 . 1 . المدافع:(الشكل 1)

لقد زودت تحصينات مدينة الجزائر كلها بمدافع مختلفة الأنواع والأشكال, منها ما هو بسيط، ومنها ما هو غاية في الروعة والجمال.[2] بحيث أن الأتراك العثمانيون قد أقاموا تحصينات بأنظمة دفاعية قوية حول مدينة الجزائر، مجهزة بالقطع المدفعية المختلفة الأحجام والأنواع تحيط بالمدينة، وخاصة من جانب البحر على الشريط الساحلي.[3] أما فيما يخص المناطق القريبة من الأيالة فإن المدن الأخرى كانت بنفس التحصينات ولكن بأحجام وكثافة أقل. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اهتمام الحكام بتزويد الجزائر

---

[1]– سهيل زكار, المرجع السابق, ص340.

[2]– علي خلاصي، المرجع السابق،ص31.

[3]– Le Tourneau R, La régence d'Alger et le monde turc, syndicat national des instituteur, Alger, 1953-1954, p 87.

بأحدث وأفضل أنواع الأسلحة، من أجل ضمان الدفاع عن السواحل ضد الحملات الخارجية والأوروبية خاصة.[1]

من هنا فإن المدفع هو عبارة عن أنبوب يقذف بمقدوفاته بقوة البارود.[2] أو هو عبارة عن ماسورة "جعبة" كبيرة مصنوعة من معدن الحديد، أو البرونز مسدودة من الخلف، مقسمة إلى ثلاثة أجزاء: الخلفي يساوي 6\2 من طول المدفع، والجزء الأوسط يعادل 6\1 من طول المدفع.[3]

ولهذه الماسورة أذنان يعادلان7/3 من طول المدفع.[4] وفائدتها التحكم في توازن المدفع فوق السرير، والمساعدة على حمله. والأجزاء الثلاثة للماسورة مفرغة من الداخل، تتخللها من الخارج نتوءات على شكل حلقات لتقوية القطعة، ويختلف عددها من مدفع لآخر. أما المسافة المحصورة بين هذه البروزات أو النتوءات تزخرف عادة بزخارف كتابية ونباتية أو حيوانية، ويتم تنفيذها على القالب أثناء تحضيره حتى إذا صب المدفع تبدو الزخارف بارزة على هيكله، والفراغ الداخلي للجعبة يعرف باسم "جوف المدفع"، بينما يسمى الخط الأوسط الوهمي الذي يتم عن طريقه بسديد القطعة أثناء الرمي "بمحور الجوف". في حين يعرف الجزء الخلفي للجوف "بالمغلاق". أما الثقب الذي يستخدم للإشعال فيسمى "بفتحة الإشعال" أو "فتحة الضوء"، وينتهي الجزء الأمامي في نهايته بجزء يعرف "بخافي اللهب".[5]

أن أول من أتقن استخدام المدافع في العهد الإسلامي هي الدولة العثمانية. وبها استعانوا على فتح القسطنطينية سنة 856هـ/ 1453م، وفي كثير من الفتوحات والحروب.[6]

. أنواع المدافع:

إن أولى المعلومات التي تفيدنا في معرفة بعض أنواع المدافع نجدها في كتاب الغزوات وفي التقرير السري الأسباني عن قوة الجزائر خلال سنة 939هـ/ 1533م، إذ يشير هذا التقرير إلى المدفعية التي

---

[1]– سعاد الحداد، دراسة مجموعة الأسلحة الخفيفة للفترة العثمانية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة، دراسة أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، 2010.2011م, ص 44– 45.

[2]– موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ص 175.

[3]- Jobe J. La chouque(H), Cheator(Phe) Reichel(D) Histoire Illstrée De L'artillerie Italie 1984, p38.

[4]– ابن أحمد غانم الأندلسي، العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1115، ص 34.

[5]– لخضر درياس، المرجع السابق، ص 200. 201.

[6]– موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 175.

تتكون من مدافع الحجارة "pierriers" بقسميها الكبيرة والصغيرة، والمدافع الطويلة المعروفة "بالقلبرنية" "coulevrine"، ومدافع البازية "fauconneaux" و"الجعب" "canons" وغيرها.[1]

أما عن هايدو فيصفها حسب عياراتها، وأحيانا يذكر معدنها سواء الحديد أو البرونز.[2] في حين يزودنا ابن غانم الأندلسي في القرن 11هـ/ 17م، بمعلومات مهمة حول أنواع المدافع التي كانت منتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط. وبالأخص دول الشمال الأفريقي، حيث صنفها إلى أربعة أصناف رئيسية هي:

1 ـ المدافع الطويلة (الطوال):

المعروفة بالقلبرنية، وسماها كذلك لكونها أطول المدافع وأمتنها من كثرة المعدن. تستعمل في الحصون والقلاع، وكذا في الرمي البعيد لغرض هدم الأسوار، ولهذا النوع من المدافع أجزاء كنصف القلبرانية، وربع القلبرانية التي تنقسم بدورها إلى ستة أنواع أهمها:

. الزربطان: وكرته تزن من خمسة إلى ستة أرطال.

. المنيون: وكرته تزن رطلين.

. الباز: ويرمي كرة تزن خمسة أرطال.

. نصف الباز: ويرمي كرة من ثلاثة أرطال، وهذه تستعمل في السفن لأنها قصيرة وخفيفة، سهلة الحركة.[3]

2 ـ المدافع الوسطى:

وهي المعروفة بالجعب "canon"، ولها أجزاء كنصف الجعبة وربع الجعبة، وأكثر استعمالاتها في هدم الحصون والأسوار ولا تحتاج من البارود قدر المدافع الطويلة. وتستعمل كذلك في السفن، حتى أنها أحيانا تسمى بمدافع "مؤخرة السفينة".

وينقسم هذا النوع إلى عدة مدافع أهمها: العمي والمتين والرهيف والناقوس، والمخزني. كما ينتمي لها أيضا مدافع أخرى تعرف "بالسلطانيات"، تستعمل في هدم الحصون. والزنميات التي تشبه في طولها مدافع القلبرانية. بالإضافة إلى نوع آخر من أهم الأنواع ويعرف "بالقتال بالنظر"، ويرمي كرة تزن مائة وخمسين رطلا.[4]

---

[1]– أحمد تويق المدني، المرجع السابق، ص 277.

[2]- Haédo D, Op. Cit, p 425.

[3]– ابن أحمد غانم الأندلسي، المصدر السابق، ص 11.

[4]– ابن أحمد غانم الأندلسي، المصدر السابق، ص11.

3 ـ مدافع الحجارة:

وهي مدافع قصيرة في طولها، وذات فوهة متسعة، وقد تعد أحسن المدافع التي استعملت في السفن الجزائرية خلال القرن العاشر والحادي عشر هجري/ السادس عشر والسابع عشر ميلادي. نظرا لضخامة الكور التي ترميها، إذ يصل وزن كورها أحيانا إلى القنطارين. تستخدم كذلك في هدم الأسوار والقلاع. ومن مميزاتها أنها أخف وزنا مقارنة بالأنواع الأخرى، ولا تحتاج من البارود قدر باقي المدافع. وهي الأخرى بأنواع مختلفة من حيث الطول والوزن ونسبة البارود المستعملة، فهناك المدافع المفرغة على النصف وتكون نسبة البارود المستعملة في الرمي مساوية لنصف الكرة.

والمفرغة على الثلث، وتكون نسبة البارود المستعملة مساوية لثلث الكرة. والنوع الثالث تكون عمارته من البارود مساوية لوزن كرته.[1]

4 ـ المهاريس:(الشكل2)

بدأ استعمالها في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.وكانت تستعمل في السفن، وهذا في الأسوار والقلاع. وبدأت تحتل محل مدافع الحجارة في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، رفقة نوع آخر من المدافع يعرف " بالقدافات". ويقال بأن هذا النوع تطور من مدافع الحجارة نفسها، ويعد من أثقل المدافع، وقذائفه عبارة عن قنابل مملوءة بالبارود تعرف "بالرمانات" (Grenades) حتى أنه يسمى بمدفع الرمانات.

2 . 2 ـ البنادق والمسدسات:

على عكس الأسلحة النارية الثقيلة تعد البنادق والمسدسات من الأسلحة النارية الخفيفة، ذات وزن خفيف وعيار صغير، تستعمل من طرف شخص واحد يقوم بحملها واستخدامها في مختلف أوضاع الرماية. وهي عموما مكونة من ثلاثة أجزاء هي:

***الماسورة:**

أو السبطانة، أو كما تعرف محليا "بالجعبة" وهي عبارة عن أنبوب مصنوع من معدن الحديد، جدارها الداخلي به خطوط حلزونية وظيفة هذه الخطوط توجيه مقذوف البندقية عن طريق الدوران السريع حول محوره، فيخرج من فوهة الماسورة في خط مستقيم. بعد الماسورة مباشرة حجرة الانتفاخ، حيث يجري أطلاقها. يقابل الحجرة في جدار الماسورة ثقب صغير مضاعف الوظيفة.[2] الأولى: عملية الإشعال

---

[1]– نفسه، ص 55.

[2]– ونترنغهام و بلاشفورد، الأسلحة والتكتيكات، ترجمة حسن بسام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ص 42.

للشحنة فهو ثقب الإشعال. والثانية: تسريب قسط من الدخان الناتج عن احتراق البارود، فهو يقوم بعمل المدخنة ويعرف باسمه. [1]

***الجسم:**

وهو يضم كتلة الأجزاء المعدنية المتحركة، ومجموعة الزناد، وشعيرة التوجيه الخلفية، ولوحة مسافات الرمي وقبضة خشبية في أسفله.[2]

***الأخمص:**

ويعرف أيضا باسم "القدم"، وكذلك باسم "القوذان".[3] شكله مثلث تقريبا، وغالبا ما يحتوي في مؤخرته على قطعة حديدية تعرف "بالطبان"، كان يصنع من مادة الخشب وخاصة خشب الجوز. وقد يستبدل أو يغطى بهيكل معدني.[4]

1 ـ البندقية: (الشكل 3)

إن الاسم الشائع للبندقية في الجزائر هو "المكاحل" جمع "مكحلة"، أو البواريد جمع بارودة، وهي إحدى أنواع الأسلحة النارية الخفيفة. تتميز بماسورتها الملساء الجوف والطويلة، ظهرت خلال القرن 8هـ/ 14م، واستمرت حتى مطلع القرن 13هـ/ 19م.[5]

وقد مرت البندقية بمراحل تطور عديدة حتى اكتسبت شكلها ومميزاتها الحديثة منذ ظهورها أول مرة،[6] وسرعان ما أخذ هذا السلاح الناري يتطور فأصبح من السهل السيطرة عليه خاصة بعد تخفيف وزن البندقية وتحسين تصميمها، فظهر الزناد الفتيلي ثم الزناد الدولابي، إلى أن توصلوا إلى اختراع الزناد الصواني في منتصف القرن 10هـ/ 16م، لتصبح البندقية أقل تعقيدا وتكلفة، ويمكن تعميم استعمالها.[7]

ولقد رافق هذا التطور تطور سبطانة البندقية من حيث الطول، وحفر الأخاديد الداخلية للتمكن من أطلاق عدد كبير من الطلقات بين فترات تنظيف وصيانة سبطانة البندقية. والتطور الثاني في سبطانة البندقية يتعلق بآلية تلقيمها بالطلقات، حيث أن تلقيمها كان يتم من فوهة السبطانة الأمامية. ولقد جرت محاولات

---

[1]– يخرج 75 ٪ من الغازات والأبخرة من الفوهة، و25 ٪ من هذه الغازات الأبخرة يخرج من المدخنة (cheminée).

[2]– الموسوعة العسكرية، ج 1، المرجع السابق، ص 200.

[3]– القوذان crosse، أصل هذه الكلمة تركي، وتعرف كذلك باسم "قندق"، أنظر:

-Bulletin de crrospondance Africaine, 5éme année, 1886, Fasciculese, I, II, Alger, p 45.

[4]– الموسوعة العسكرية، ج 1، المرجع السابق، ص 201.

[5]– ونترنغهام و بلاشفورد، المرجع السابق، ص112.

[6]– الموسوعة العسكرية، ج 1، المرجع السابق، ص 201.

[7]– نفسه، ص 204.

عديدة لتطوير آلية يمكن بواسطتها تلقيم البندقية من مؤخرة السبطانة (الماسورة)، مع إمكانية استخدام هذه الآلية في أطلاق طلقات متعددة بشكل متتالي من غير أن يعاد حشوها:

والأكيد أن هذا السلاح لم يثبت على آلية معينة، إذ ظل يتطور وفقا للاحتياجات المنوطة به، إلى أن وصل إلى الشكل المعروف في عصرنا الحالي.[1]

2 ـ المسدس: (الشكل 4)

أو "البشطولة" وتعرف كذلك باسم "الطبنجة". تعتمد نفس التقنيات والآليات المستعملة في البارودة، وكذلك الخمص (القدم) الذي صنع بشكل يمكن لليد الواحدة أن تحمله، وتستخدم بكل سهولة.[2]

كانت المسدسات في منتصف القرن 10هـ/ 16م يطلق بربط حبل محترق أو ثقاب كبريت بطرف حامل على شكل حرف "S". وباختراع المسدس الدولابي لم تعد هنالك حاجة لحمل اللهب لإشعال البارود في المسدس.[3]

مرّ تطور المسدسات بنفس المراحل التي مرت بها البنادق بما في ذلك مسدس الزناد الصواني، حيث أدخل عليها نظام القدح. وكانت مسدسات نظام القدح تحشى من الفوهة، وعندما صممت مسدسات ذات كبسولة القدح أصبحت تحشى من الترباس.[4]

ولقد وجدنا من خلال المصادر التاريخية التي بحثنا فيها حول الموضوع أنها أوردت ثلاثة أنواع من الأسلحة النارية الخفيفة (البنادق والمسدسات) وهي:

2 . 1 ـ الأركبوز(Arquebuse):

أو ما يعرف " بالقرابينة " وهو سلاح ناري ذو طراز قديم.[5] تعد هذه البندقية أول سلاح ناري محمول، وقد استخدم في فرنسا نهاية القرن 9هـ/ 15م إلى غاية القرن 10هـ/ 16م. وذكر هايدو بأن الجيش الإنكشاري كان يتسلح بهذا النوع من البنادق، وبأن فئة من الأندلسيين كانوا متخصصين في صنع بنادق الأركبوز.[6]

---

[1]– أمال رمادلية، الأسلحة المحفوظة بمتاحف الجزائر، دراسة أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، 2011-2012م، ص 8.

[2]– ونترنغهام و بلاشفورد، المرجع السابق، ص112.

[3]– كانت المسدسات أو الغدارات عند معظم الجنود، بل قد نجد عند البعض مسدسين كانت توضع تحت الحزام في شكل محكم. أنظر: علي خلاصي، المرجع السابق، ص 31.

[4]– أمال رمادلية، المرجع السابق، ص 69.

[5]– عبد النور جبور وسهيل إدريسي، المنهل، قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، ط 39، بيروت، لبنان، 2008م،ص 68.

[6]- Haédo D, Op. Cit, p 77.

2 . 2 ـ الأسكوبيت(Escopette):

هي بندقية ذات فوهة واسعة،[1] استعملت منذ القرن9هـ/ 15م إلى غاية القرن 12هـ/ 18م، وخاصة خلال القرن 11هـ/ 17م. وكان الأتراك يحملون في تنقلاتهم الأسلحة البيضاء إلى جانب بنادق الأسكوبيت على الظهر داخل حمالة.[2]

2 . 3 ـ الموسكي(Mousquet):

أو ما يسمى ببندقية الفتيل، وهي بندقية من النوع القديم كانت تطلق بفتيلة ملتهبة.[3] وهي سلاح ناري استعمل خلال القرنين 10هـ/ 16م و 11هـ/ 17م. كما أن هذا النوع من البنادق ذات الفتيل كانت تصنع في مدينة الجزائر، وكانت ترصع بالفضة والعاج أو العظم.[4]

3 ـ أهم مراكز صناعة الأسلحة النارية:

كانت مراكز صناعة الأسلحة توجد بالمدن الكبرى كقلعة بني راشد وقسنطينة والجزائر، ففي مدينة الجزائر كان يوجد مصنع لصنع المدافع وتشكيل القنابل مقام خارج المدينة بضاحية باب الوادي ويعرف لدى السكان " بدار النحاس " تحول مع بداية القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي، إلى مصنع لصناعة المدافع وتشكيل القنابل من مادة الحديد فقط، كما تشير إلى ذلك وثيقة مؤرخة في عام 1118هـ /1706م، ومع نهاية القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي أصبح الأوربيون يتولون الإشراف عليها، هذا وقد توقف هذا المصنع عن الإنتاج عام 1223هـ/1808م بسبب قدم تجهيزاته، وقد بقيت البناية الضخمة والفرن العالي، يشهد على مساهمته الفعالة في تجهيز الجزائر بما تحتاج إليه من سلاح لرد الهجمات الأوربية المتكررة.

هذا بالإضافة إلى الورشات العديدة التي كانت تصنع بها البنادق بمناطق بني راشد، وجرجرة والقرقور والحضنة والزيبان وميزاب.

ومن أهم مراكز صنع الأسلحة النارية بهذه المناطق: قلعة بني راشد التي حافظت العائلات الأندلسية والتركية بها على صناعة البنادق منذ القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، وقلعة بني عباس،

---

[1]– عبد النور جبور وسهيل ادريسي، المرجع السابق، ص 406.

[2]– سعاد الحداد، المرجع السابق، ص 71.70.

[3]– عبد النور جبور و سهيل ادريسي، المرجع السابق، ص 686.

[4]– سعاد الحداد، المرجع السابق، ص 70.

وقرى فليسة حيث كانت تصنع البنادق الجيدة المرصعة بالفضة والمرجان[1]، والتي تفننوا في صنعها وزخرفتها، فهي تعد بالفعل من أجمل التحف المعدنية وقتذاك، وأضف إلى ذلك البنادق الطويلة التي صنعها ونقشها سلاحيو القبائل، فتلك البنادق والمسدسات المصنوعة بكيفية رفيعة، كانت بمثابة أسلحة الأبهة الخاصة بالقادة الجزائريين، وكانت أحيانا تعد من أجمل الهدايا الثمينة التي كان يهديها باشا الجزائر إلى السلطان بأسطنبول[2]. وكذلك قرى وادي ميزاب، ومدينة تقرت وبوسعادة التي اختصت بها عشر محلات في صنع الأسلحة النارية.[3]

الخاتمة:

مما سبق خرجنا بجملة من النقاط أهمها:

-اهتم الحكام الأتراك خلال العهد العثماني في الجزائر بتزويد المدينة بأحدث وأفضل أنواع الأسلحة والتحصينات من أجل ضمان حماية السواحل خاصة.

-كانت الأسلحة النارية في الجزائر خلال فترة الحكم العثماني تصمم من طرف الرابطات النقابية، وكانت تصنع في الترسانات (دور صناعة الأسلحة للدولة).

-انقسمت الأسلحة النارية إل نوعين: أسلحة نارية ثقيلة كالدافع وأنواعها. وأسلحة نارية خفيفة كالبنادق والمسدسات بأنواعها.

-صنفت المدافع إلى أربعة أنواع: - المدافع الطويلة،- المدافع الوسطى،- مدافع الحجارة، - المهاريس. تعد البندقية (البارودة) والمسدس (البشطولة) من أهم أنواع الأسلحة النارية الخفيفة في الجزائر أثناء العهد العثماني.

-من أهم مراكز صناعة الأسلحة النارية هي المدن الكبرى: الجزائر، قسنطينة، قلعة بني راشد، قلعة بني عباس، وكذلك ورشات القرى كقرى فليسة، بلاد القبائل، قرى وادي ميزاب، مدينتي تقرت وبوسعادة.

-أهم مصنع كان موجودا في مدينة الجزائر مخصص لصناعة الأسلحة وخاصة صناعة المدافع يسمى " دار النحاس ".

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ بوعبدلي، المرجع السابق، ص66.

[2]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ بوعبدلي، المرجع السابق، ص61..

[3] - نفسه، ص66.

الملاحق:

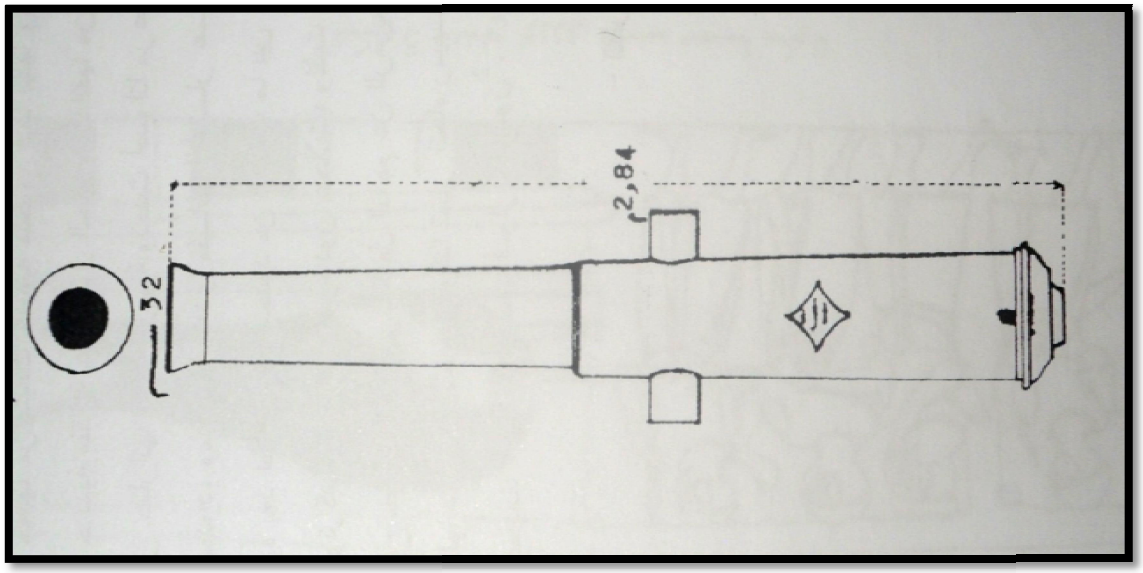

أ: مخطط عام للمدفع

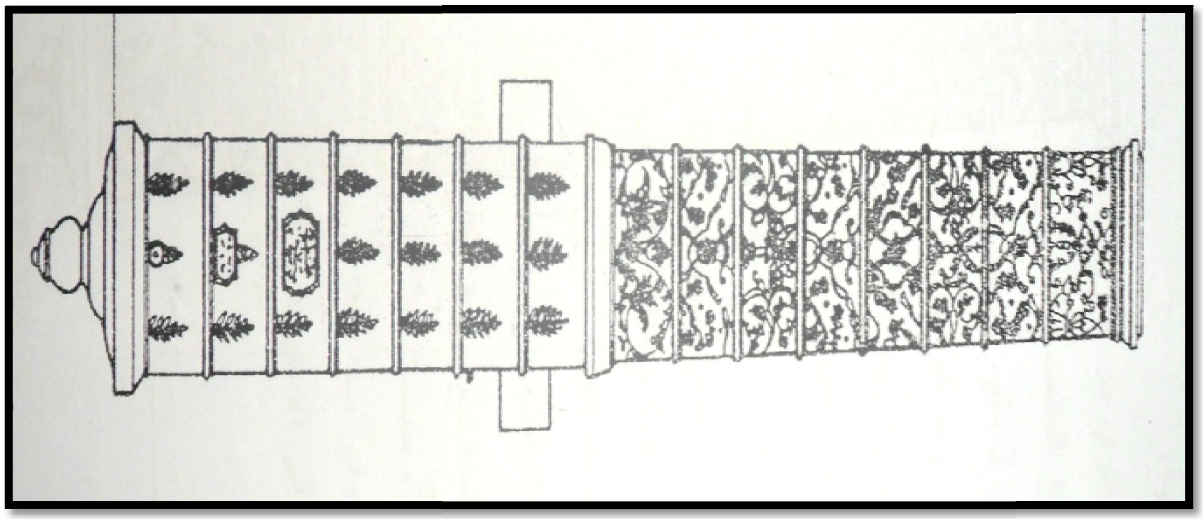

ب: مدفع محلى بزخارف متنوعة

الشكل رقم 1:الشكل العام للمدفع الجزائري خلال العهد العثماني.

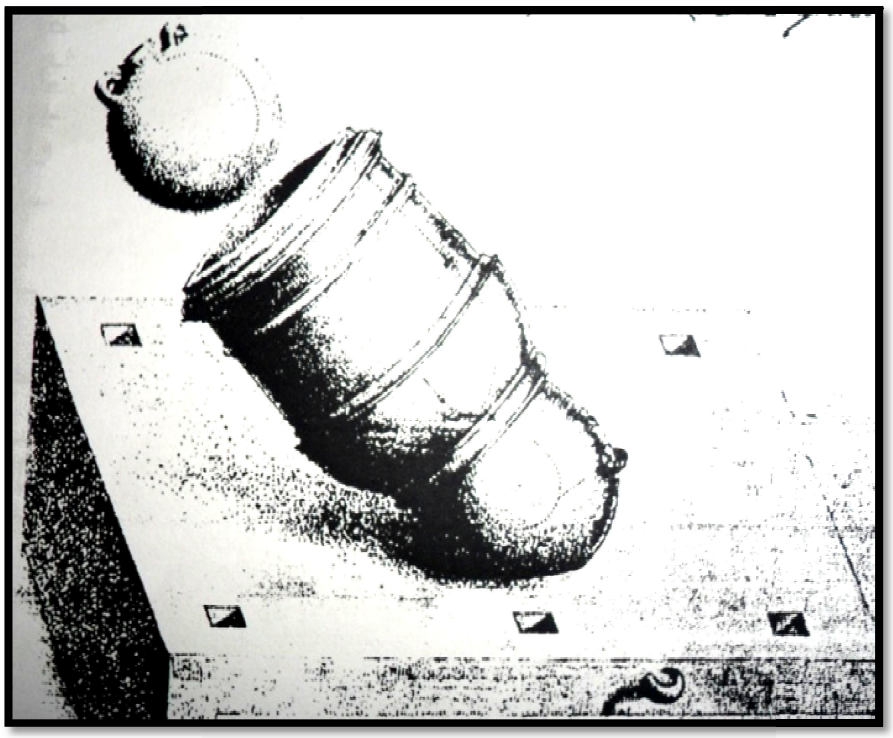

الشكل رقم2: يمثل مهراس مع قنبلته

عن: درياس

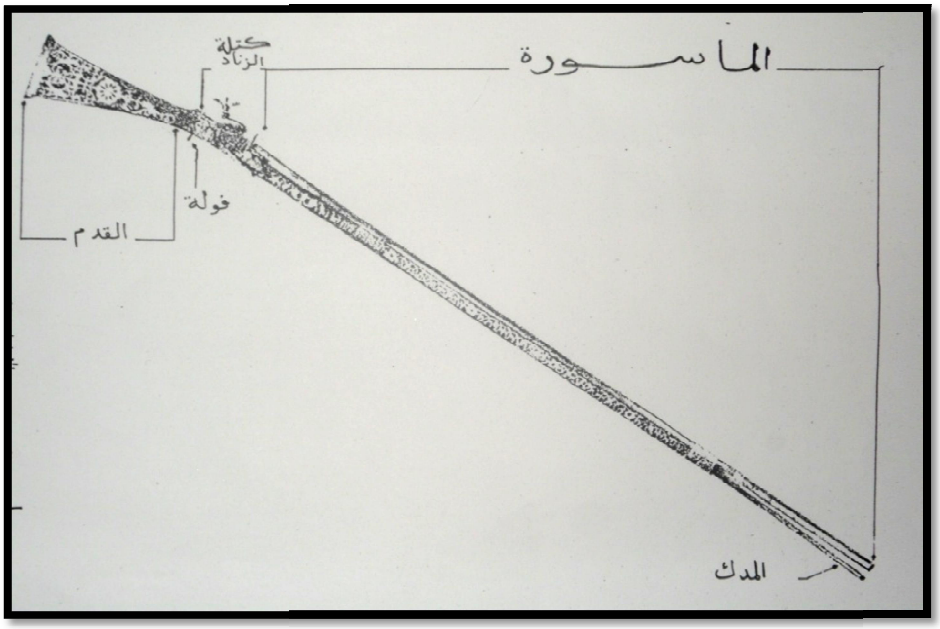

أ: مخطط عام للبندقية

ب:شكال توضيحي لتطور البندقية

عن: SHMIDT

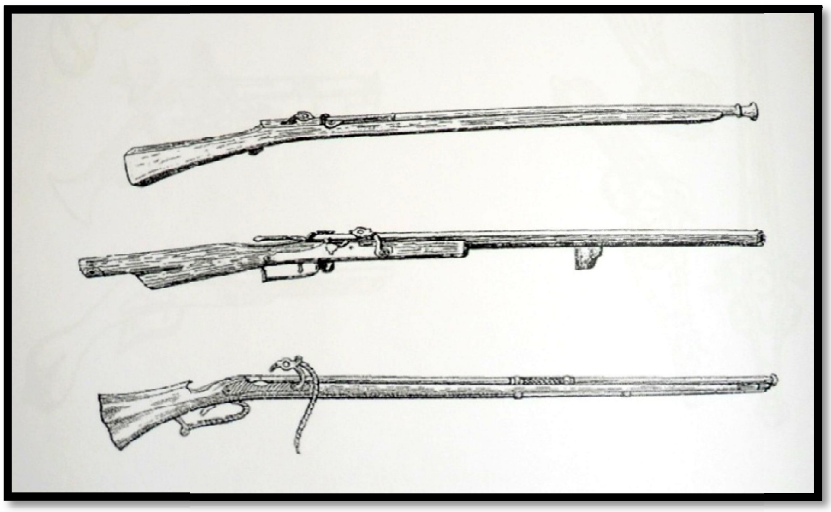

الشكل رقم 3: شكل البندقية الجزائرية خلال العهد العثماني

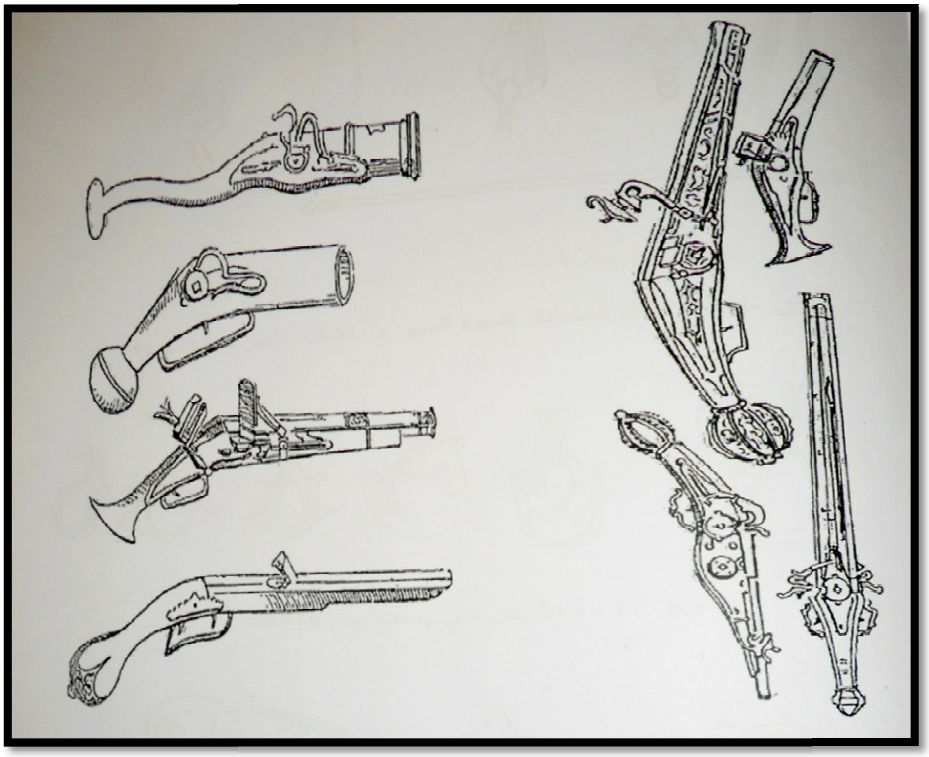

الشكل رقم 4: أشكال توضيحية لتطور المسدس

عن: DEMMIN

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع باللغة العربية:

-القرآن الكريم.

-ابن أحمد غانم الأندلسي: العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1115.

-أحمد توفيق المدني: حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492.1792م، دار البصائر، الجزائر، 2008م.

-أمال رمادلية: الأسلحة المحفوظة بمتاحف الجزائر، دراسة أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، 2011 . 2012م.

-خالد جاسم الجنابي: تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي, وزارة الثقافة والإعلام, العراق, 1984م.

-سعاد الحداد: دراسة مجموعة الأسلحة الخفيفة للفترة العثمانية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة، دراسة أثرية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، 2010 . 2011م.

-سهيل زكار: المدفعية عند العرب, دار الفكر, لبنان, 1983م.

-عبد النور جبور وسهيل إدريسي: المنهل، قاموس فرنسي عربي، دار الآداب، ط 39، بيروت، لبنان، 2008م.

-علي خلاصي: العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، سلسلة الفرسان الجزائريين، وزارة الدفاع الوطني، المتحف المركزي للجيش، 1985م.

-لخضر درياس: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني, ط1, دار الحضارة للطباعة والنشر, الجزائر, 2007م.

-ليلى مرابط: "بارودیتان محفوظتان بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية", حوليات المتحف الوطني للآثار, مجلة أثرية محكمة, العدد15, 1426هـ/ 2005م.

-محمد الطاهر العدواني: الحروب والأسلحة في عصر ما قبل التاريخ وفجر التاريخ إلى 1000 ق.م, سلسلة الموسوعة التاريخية للشباب, مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث, منشورات وزارة الثقافة والسياحة, الجزائر, 1985م.

-موسوعة الحضارة العربية الإسلامية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.

-الموسوعة العسكرية: ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط2.

-الموسوعة العسكرية: ج4, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط2, 1990م.

-ناصر الدين سعيدوني والمهدي الشيخ بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

-ونترنغهام و بلاشفورد: الأسلحة والتكتيكات، (ترجمة حسن بسام)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م.

المراجع بالأجنبية:

-Bulletin de crrospondance Africaine, 5éme année, 1886, Fasciculese, I, II, Alger.

-Haédo D: Topographie et histoire générale d'Alger, imprimé A Valladolid in 1612, Traduit Alger, 1953- 1954.

-Jobe J. La chouque(H): Cheator(Phe) Reichel(D) Histoire Illstrée De L'artillerie Italie 1984.

- Le Tourneau R: La régence d'Alger et le monde turc, syndicat national des instituteur, de l'espagnol par: MM. le Dr, MONNEAU et A. BERBRUGGER en 1870.

التراث العمراني الجزائري القديم "مدينة تيبازة أنموذجا"

د/ بصال مالية ـ المركز الجامعي مرسلي عبد الله ـ تيبازة ـ الجزائر.

ملخص:

يشكل التراث آثار وقيم وأفكار ومعتقدات وعادات وتقاليد الشعوب، ويعد امتدادا للماضي في جزئياته وتفاصيله، مشكلا بذلك السمة المميزة لكل أمة عن غيرها، ومدينة تيبازة من المدن الجزائرية الساحلية الثرية بالمعالم الأثرية، والتي تعود إلى مختلف الحقب التاريخية، وهي شاهد حي على عراقة المدينة. ولأن التراث بمفهومه الواسع يمثل هوية الأمة، كان لابد من التمسك بأصالته والمحافظة عليه، وهنا تبرز الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهميته وحالته، لكونه أحد المقومات الأساسية لكشف العمق الحضاري لأي أمة من الأمم.

الكلمات المفتاحية: التراث، تيبازة، الآثار، التراث المادي، العمران القديم.

Summary :

Heritage represents the effects, values, ideas, beliefs, customs and traditions of the people, and is an extension of the past in its particulars and details, thus forming the distinctive feature of each nation. And- the city of Tipaza of the Algerian coastal cities rich archaeological sites, which belong to the various historical periods of the old, a living witness to the heritage of the city, because heritage in its broad sense represents the identity of the nation, it was necessary to stick to his message and maintain it, and here highlights the urgent need to assess the importance and condition, Because it is one of the basic elements for revealing the cultural depth of any nation.

Keywords: Heritage, Tipaza, Archeology, Physical heritage, Ancient architecture.

مقدمة:

الأمة في حاضرها هي حصيلة تطورها عبر العصور بحيث يتراكم في شخصيتها نسيج الماضي المكون من المؤثرات الثقافية المختلفة، التي توالت عليها فشكلت هويتها المتميزة حاضرا، والجزائر من المواطن التي تعاقبت عليها الشعوب والحضارات، منذ أزمنة ضاربة في عمق التاريخ، منها من كان غازيا، ومنها من كان فاتحا، إلى أن تشكلّت معالم الدولة الجزائرية التي نعرفها في العصر الحديث. وكانت كلّ محطة حضارية في تاريخ الجزائر ترسّخ بصمة ثقافية واضحة، لتشكّل فيما بعد موروثا تاريخيا، يصنع أحد معالم الهويّة الوطنية. ولعلّ الشواهد الأثرية التي لازالت شامخة، والتي تعّد جزء من

ذلك التراث، وأكبر شاهد على ذلك، والذي يستوجب الحفاظ عليه في ظل ما نعايشه من العولمة وانفتاح الثقافات.

وولاية تيبازة من المدن التاريخية والأثرية القديمة، المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وهي تحوي اليوم آثار قديمة وهي شاهد حي على عراقة المدينة، فالإشكالية التي يطرحها البحث، والتي تظهر من خلال عنوانه، كمحاولة للإحاطة بالتراث العمراني القديم لمدينة تيبازة والتي تتضمن التساؤلات التالية: ما هو التراث العمراني القديم لمدينة تيبازة؟ ما هو أهمية هذا التراث ؟ كيف يمكن الحفاظ على التراث؟ وما هي الآفاق المستقبلية لاستغلاله؟

إن محاولة البحث في التراث هي سعي إلى كشف هذه الميزات التي تشكل وديعة غالية تزداد قيمتها بمرور الوقت، فالتواصل التاريخي والتفاعل الحضاري بين الحقبات الزمنية في الجزائر، أكسبها ثراءا ثقافيا يعّد الحفاظ عليه والتمسّك به رهانا في ظل التحدّيات المعاصرة، هو موضوع حسّاس وهام، لهذا جاءت المداخلة بعنوان: "**التراث العمراني الجزائري القديم مدينة تيبازة أنموذجا**"

1/ مفهوم التراث الثقافي: في الحقيقة إن كلمة تراث في اللغة مشتق من كلمة ورث " وتعني ما يرثه الابن عن أبيه من مال وحسب[1]. وقد ورد لفظ **التراث** على أنه :" كل المواقع ذات الأهمية العلمية أو التاريخية، والآثار الوطنية، والحياة البرية، والمباني والمنشآت التاريخية، والأعمال الفنية، والتراث الشفهي والمكتوب، والمتاحف وتوثيق كل ذلك، والذي يخلق قاعدة لإبداع ثقافي وفني مشترك.

و**التراث الثقافي** حسب ما جاءت به اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي التي أقرها المؤتمر العام في دورته السابع عشر بباريس نوفمبر 1972 م، فإن مفهوم التراث الثقافي حسب ما جاءت في المادة الأولى : يشمل العديد من العناصر المكونة للآثار كالأعمال المعمارية، وأعمال النحت والتصوير على المباني والعناصر أو التكاوين ذات الصفة الأثرية والنقوش والكهوف ومجموعات المعالم التي لها جميعا قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم[2] .

كما يطلق لفظ **التراث** على مجموع نتائج الحضارات السابقة التي يتم وراثتها من السلف إلى الخلف، وهي نتاج تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه سواء كانت في ميادين العلم أو الفكر أو اللغة أو الأدب،

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ورث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج2، ص227.

[2]- بوجمعة خلف الله، عمروش تومية، **السياحة الثقافية في الجزائر الإمكانيات والاستراتيجيات**، المقال متواجد على الموقع الإلكتروني: Www.academia.ed ، تاريخ الاطلاع: 30/06/ 2014.

وليس ذلك فقط بل يمتد ليشمل جميع النواحي المادية والوجدانية للمجتمع من فلسفة ودين وفن وعمران وتراث فلكلوري، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب[1].

كما يعرف بأنه جميع الممتلكات الثقافية الثابتة منها والمنقولة التي ورثها الجيل الحالي عن الأسلاف ولها قيمة ثقافية حضارية غير عادية ولا يمكن تعويضها إن فقدت أو أتلفت[2]، فالتراث بمعناه العام يشمل كل ما خلفته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الدينية والفكرية والأدبية والتاريخية والأثرية والمعمارية...وآثار ذلك في أخلاق أمة ما وأنماط عيشها وسلوكها بقطع النظر عن اختلاف الأديان والمذاهب، أما معناه الخاص فإنه يطلق على نتاج الفكر البشري الذي سبقنا، الإنتاج المعاصر يصبح هو بدوره من التراث بعد فترة قصيرة[3].

هو مجموع ما خلفته قرائح الأقدمين وصفوة الأسلاف من فكر وعلم وفن ونمط عيش وفنون حضارة مما يمكن للجيل الحالي الإفادة منه، والاستعانة به على حل ما يواجه من المشكلات والتحديات[4].

والتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة، فكلما غاصت وتفرعت الجذور كانت الشجرة أقوى وأثبت وأقدر على مواجهة تقلبات الزمان. ومن الناحية العلمية هو علم ثقافي قائم بذاته يختص بقطاع معين من الثقافة (الثقافة التقليدية أو الشعبية) ويلقي الضوء عليها من زوايا تأريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية.

2/ أنواع التراث: ينقسم التراث إلى ثلاث أقسام كبرى يحتوي كل قسم منها على فروع عدة لا يمكن التطرق إليها كلها يكفي الإشارة إلى البعض منها:

---

[1]- محمد ر ياض وتار، **توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة**، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002 م، ص.21

[2]– شنيتي محمد البشير، **التراث الحضاري ودور البحث في تثمينه**، مجلة أثار يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، العدد 5، ص 15–16.

[3]– سعد غراب، **كيف نهتم بالتراث**، سلسلة تصدر بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام، الدار التونسية للنشر، 1990 ، ص 13.

[4]- أسماء محمد مصطفى، **الموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق وأهمية حمايته (الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل)**، نص المحاضرة ألقي في الدورتين الخاصتين بمشروع التدريب العالي المستوى لحماية وتعزيز الموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق ، والذي تنفذه دار الكتب والوثائق الوطنية ، المقال منشور على موقع : www.azzaman.com، تاريخ الإطلاع 20–08–2018.

أولا/ التراث المادي الثابت (Patrimoine immobilier): ينطوي تحت هذا العنصر المباني القديمة ذات الطابع التاريخي سواء مدنية كانت أو دينية أو عسكرية، وكذا المدن التاريخية والمواقع الأثرية والكهوف والمغارات المهيأة[1].

إذن فالتراث المادي الثابت يتمثل في المواقع الأثرية مدنية كانت أم ريفية والمعالم والصروح التاريخية التي أنشأها الإنسان ولها قيمة تاريخية أو فنية أو ثقافية أو أدبية أو دينية تستوجب الحماية والتثمين[2]. كما يشمل أيضا كل ما يتعلق بالمباني من نقوش وزخارف معمارية ويكون ثابتا، وكذا النقوش والرسوم على الصخور في الجبال وكذا المراكز التاريخية والمتاحف والمكتبات وما يتعلق بها، والرموز الوطنية الثابتة ذات

الأهمية للتراث والتي تقرر الدولة أهميتها[3].

ثانيا/ التراث المادي المنقول (Patrimoine mobilier): يشمل كل الأدوات الأثرية مهما كان نوعها أو حجمها كالأدوات الحجرية من حجارة مصقولة أو رؤوس سهام ومسكوكات وقطع خزفية وفخارية، فضلا عن التماثيل وأبواب المساجد والمنابر، إذن فهو كل ما يمكن نقله من مكان إلى آخر نذكر منها:

- ✓ الصور واللوحات والرسوم المصنوعة كليا باليد أيا كانت المواد التي رسمت عليها أو استخدمت في رسمها.
- ✓ المنحوتات الأصلية المتحركة أيا كانت المواد التي استخدمت في صنعها.
- ✓ الصور الأصلية المنقوشة أو المطبوعة على حجر منقول.
- ✓ المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة في عهد الطباعة الأول، والكتب والوثائق والمطبوعات القديمة ذات الأهمية الخاصة من الناحية التاريخية أو العلمية أو الأدبية...الخ
- ✓ طوابع البريد والطوابع المالية وما يماثلها.
- ✓ المحفوظات بما فيها المحفوظات الصوتية والفوتوغرافية والسينمائية[1].

---

[1]– بويحياوي عز الدين، المرجع السابق، ص 17.

[2]– شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 17.

[3]– الزهراني عبد الناصر عبد الرحمان، **تجربة جامعة الملك سعود في إدارة التراث**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، أعمال المؤتمرات، الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي بحوث وأوراق أعمال، ندوة الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي المنعقد في مراكش المملكة المغربية، أوت 2008 ، ص.272

✓ قطع الأثاث والآلات الموسيقية القديمة[2].

ثالثا/ التراث اللامادي(Patrimoine immatériel): يمثل كل ما هو سهل وسريع التلف ونقصد بذلك العادات والتقاليد لما تحمله هاتان الكلمتان من معان سامية تحضنها التقاليد الشفوية من حكم وأمثال من شعر ملحون وموشحات ومن طبوع موسيقية غير مكتوبة وعادات اجتماعية وأخلاقية، يتعلق الأمر كذلك بالمعارف المرتبطة بالمهن القديمة ولما لا الألعاب القديمة[3].

فالتراث اللامادي هو كل ما يتصل بالتنظيمات والممارسات الشعبية الغير المكتوبة والغير المقننة، والتي لا تستمد خاصية الجبر والإلزام من قوة القانون والدستور الرسمي للدولة أو السلطة السياسية وأجهزتها التنفيذية المباشرة، سواء ما يتصل منها بالعادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات المتوارثة، أو ما قد تفرضه الظروف والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية المتغيرة، وهي نماذج جديدة لمظاهر السلوك الشعبي بمختلف أشكاله[4].

3/ الجذور التاريخية للموروث الثقافي الجزائري: تتميز الجزائر بالعديد من المزايا الأثرية بفضل ما تحتويه من مناطق يعود تاريخ نشأتها إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث تبين البقايا المكتشفة في تيغنيف (بالغرب الجزائري)، إلى أن تواجد الإنسان بالجزائر يعود إلى حوالي ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، في حين أرخت الرسوم الصخرية المتواجدة بالطاسلي إلى 5000 سنة ق.م، التي تعتبر أكبر متحف على الهواء الطلق والذي صنف من طرف اليونسكو كتراث ثقافي عالمي لما يحتويه من رسومات جدارية نحتت على الحجر، وهذا العمق في التاريخ والحضارات المتعاقبة خلفت آثار مختلفة فعلى السواحل والسهول والهضاب الشمالية وهضاب الأطلس الشمالي فنجد آثار تعود إلى عهد الفينيقيين والرومان والعرب والمسلمين[5]. ومدينة تيبازة هي إحدى أهم المدن التي تحتوي إرثا حضاريا متنوعا لمختلف الحقبات التي توالت عليها.

---

[1]– الزهراني عبد الناصر بن عبد الرحمن، المرجع السابق ، ص274

[2]– الاتفاقيات والتوجيهات التي أقرها اليونسكو بشأن حماية التراث الثقافي، 1985 م، ص–ص 64–65.

[3]– بويحاوي عز الدين، المرجع السابق، ص 19.

[4]– ألعوري حمودة، **التراث الشعبي و علاقته بالتنمية في البلاد النامية**، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني، عالم الكتاب للنشر جامعة، صنعاء، اليمن، ط2، 1981، ص 88–89.

[5]– سميرة عميش، **الإدارة الإستراتيجية لمواجهة الأزمات دراسة حالة أزمات القطاع السياحي**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة محمد بوضياف بمسيلة 2005/ 2006، ص121.

4/ تعريف مدينة تيبازة: تقع مدينة تيبازة على بعد 65 كلم غرب مدية العاصمة، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال الغربي شرشال، أما من الشرق توجد مدينة عين تقورايت، ومن الجنوب الشرقي سيدي راشد، ومن الجنوب حجوط، ومن الجنوب الغربي البليدة. تحتل موقعا جغرافيا هاما في الإقليم الشمالي الأوسط للجزائر[1].

5/ أصل التسمية: لعبت مدينة تيبازة خلال الفترات السابقة دورا بارزا ومتميزا في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتعكس لنا أثارها الممتدة عن مئات الأمتار على الساحل مدى أهميتها[2]، فقد عرفت خلالها المدينة العديد من التسميات، أولها يعود إلى العهد الفينيقي حيث أطلق عليها اسم تيباسا (Tepasa) ومعناه مكان العبور أو الممر، والاسم ينطبق على موضع المدينة، حيث كانت آنذاك عبارة عن مرفأ يلجا إليه الفينيقيون ليلا لرسوا سفنهم[3]، وقد أطلقت هذه التسمية على مدن أخرى في شمال إفريقيا من بينها منابع مجردة وجزيرة جربة بتونس[4].

ومن الأسماء التي عرفتها المدينة أيضا خلال الفترات اللاحقة اسم تافزة (Tafsa) ومعناه الحجر الرملي، واسم تيفاسد (Tifased) ، وخلال الفترة الإسلامية تجمع المصادر التاريخية والجغرافية على مر التاريخ بذكرها باسم تيفاش (Tifach). وبعد مجيء الفرنسيين أعادوا التسمية القديمة تيبازة، والذي بقي متداول إلى يومنا هذا [5]. .

6/ نبذة تاريخية عن مدينة تيبازة: تمثل مدينة تيبازة شهادة حية لمختلف مراحل التاريخ، وغيرها من المدن الساحلية الجزائرية التي شهدت تعاقب حضارات عدة عليها تاركة وراءها موروثا حضاريا هام، حيث شهدت المدينة فترات تحول بدأت بمرحلة ما قبل التاريخ، حيث تعاقبت على مدينة تيبازة عدة شعوب وحضارات، أصبحت تشكل في وقتنا الحاضر آثارا تاريخية وثقافية.

أولا: فترة ما قبل التاريخ: كان لموقع المدينة الاستراتيجي المتمثل في خصوبة الأراضي، وتوفر المياه دورا بارزا وهاما في استقرار الإنسان بها منذ فجر التاريخ، وقد ترك إنسان تلك الفترة العديد من الشواهد الأثرية التي تأكد تواجده بالمنطقة، ومن بين الشواهد الأثرية لفترة ما قبل التاريخ، سكين عثر عليه في جبل شنوة بالقرب من كهف راسل، وعلى حجارة ذي الوجهين بالقرب من الضريح الملكي الموريطاني،

---

[1] -ministère de la culture, **Algérie les sites du patrimoines mondial**, une année de l'Algérie en France, 2005, p28.
[2] -Gsell (S), **Atlas Archéologie Algérie,** Feuille 04, Réimpression de l'édition Alger, Paris, 1911, p 09.
[3]- **De Maurétanie**, Alger, 1990, p 08. Lancel (S) et Bouchnaki (M), **Tipasa**
[4] -Gsell (S), **Tipasa ville De Maurétanie Césarienne**, M. E.F. R. A, T4, 1894, p p 291-293.
[5] -Gsell(S), **Inscription de la L'Algérie**, t 1, 1922, p 177.

وعلى أصداف الحيوانات البحرية وأدوات حجرية في عين تقورايت(Bérard)[1]. كما تم العثور في موقع سيدي السعيد الذي يقع على ساحل المقبرة الشرقية من المدينة الأثرية تيبازة على أدوات حجرية تعود للحضارة الموسترية والحضارة العاترية[2].

ثانيا: الفترة البونية: ترجع أقدم المعالم والمواقع بمنطقة تيبازة إلى الفترة البونية، حيث ينتسب تعمير ثلاث مدن إلى بحارة فينيقيين وتشمل هذه المدن كل من تيبازة وشرشال(ايول) وقوراية (جونوجو)، كانت هذه المدن في بداية الأمر في شكل مرافئ بحرية لرسو سفن التجار الفينيقيين، قبل أن تصبح نواة مدن عمرت عصورا طويلة، وقد أجريت حفريات بهذه المدن، وتم العثور على بقايا بونية عديدة، ففي مدينة تيبازة عثر على فخاريات وأنصاب تؤرخ بالقرن الأول والثاني ميلادي، كما عثر على مقبرة بونية بالقرب من الميناء، وكانت قبور تنحت في الصخر، وعلى حسب البقايا الأثرية المكتشفة يرجح التواجد الفينيقي بمدينة تيبازة إلى القرن السادس ق م[3].

ثالثا: الفترة النوميدية: بعد نهاية الحرب البونية الثانية(218-201 ق م) وانهزام قرطاجة أمام الرومان، استغل ماسينيسا الوضع وضم مملكة الماسيسيل التي كانت تسيطر على الغرب الجزائري و عاصمتها سيقا إلى مملكة الماسيل التي كانت عاصمتها سيرتا مشكلا المملكة النوميدية الموحدة، ثم صارت منطقة تيبازة تابعة لمملكته[4] .

حسب ستيفان قزال يحتمل أن منطقة تيبازة صارت تابعة لمملكة موريطانيا منذ نهاية الملك النوميدي يوغرطة سنة 105 ق م[5]. وإلى الفترة النوميدية يرجع الضريح المعروف باسم "الضريح الملكي الموريطاني" الذي يقع على بعد 15 كلم جنوب شرق مدينة تيبازة على الطريق الرابط بين تيبازة والجزائر العاصمة. وإلى جانب هذا الضريح تم العثور بموقع تيبازة الأثري على عدة قبور تؤرخ بالفترة النوميدية، وعلى بقايا فخارية ترجع إلى ما بين القرنين الرابع والثاني ق م[6].

---

[1] -Lancel (S) et Bouchnaki (M), op cit, p 08

[2] -Betrouni(M) , **Les grottes préhistorique de plateau littoral de Tipasa** : Contexte géomorphologique et chono stratigraphique IN° : Libyca, T.XXXV, 1998, pp 23-55

[3] - Cintas (P), **fouilles puniques a Tipasa**, IN Syria, V° 30 ,N 1, 1953, p175 ; Lancel (S) et Bouchnaki (M), op cit, p8-9

[4]- السليماني أحمد، **تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة**، دار القصبة للنشر، 2007، ص 101.

[5]- اكصيل استيفان، **تاريخ شمال إفريقيا**، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط، 2007، ج6، ص 237- 238 ; Lancel (S) et Bouchnaki (M), op cit, p 8-9;

Cintas (P), **fouilles puniques a Tipasa**, IN Syria, V° 30, N 1, 1953, p175.

[6] - Lancel . G, **L'Algérie antique de Massinissa à Saint Augustin**, Paris, 2008, p51.

رابعا: الفترة الرومانية: بعد وفاة الملك الموريطاني بوكوس من دون أن يكون له وريث يخلفه في الحكم، قام الإمبراطور الروماني أغسطس بتعين يوبا الثاني ملكا لموريطانيا بداية من سنة 25 ق.م واتخذ هذا الأخير شرشال عاصمة لمملكته هذه، فقام بتجديد وتوسيع بناياتها وأطلق عليها اسم موريطانيا القيصرية نسبة إلى يوليوس قيصر الذي رباه، واستمر في الحكم إلى غاية وفاته سنة 23 م، ثم خلفه ابنه بطليموس واستمرت في عهده مدينة شرشال عاصمة لمملكة موريطانيا القيصرية إلى غاية 40 م، حين غدر الرومان بالملك بطليموس وتمكنوا من قتله، وبذلك قضوا على آخر الملوك النوميديين وضموا المنطقة بشكل نهائي إلى الإمبراطورية الرومانية[1] .

وفي سنة 46 م منح الأمبراطور كلوديوس تيبازة القانون البلدي والحق اللاتيني، وبعد مرور قرن من ذلك أي بين 145 و150 م تعززت مكانة تيبازة بإعطاء كل مزايا المواطنة الرومانية لسكانها، لتصبح مستعمرة رومانية (Colonia Aeolia Tipasensis) ابتدءا من تلك الفترة عرفت المدينة نموا عمرانيا ملحوظا حيث شيد كل من المسرح والمعابد والفوروم والمساكن وفيلا فراسك[2].

خامسا: الفترة الوندالية والبيزنطية: بعد دخول الوندال إلى شمال إفريقيا في سنة 429 م و تمكنهم من إزاحة الرومان منها دخلت منطقة تيبازة في حكمهم منذ حوالي سنة 430 م، وخلال هذه الفترة تعرض سكان المنطقة إلى اضطهاد ديني من قبل الإمبراطور هينريك (484_477م) مما دفعهم بالهجرة إلى إسبانيا[3]، ولم يرجعوا إلى موطنهم إلا بعد أن تمكن البيزنطيين من إزاحتهم عن شمال إفريقيا وبسط سيطرتهم على المنطقة سنة 534 م، وفي عهدهم كانت شرشال لا تزال عاصمة لمقاطعة موريطانيا القيصرية إلا أن تغلب القبائل المورية واشتداد مقاومتهم دفع الإمبراطور موريس في سنة 582م من حذف اسم مقاطعة موريطانيا القيصرية من أقاليمه، ومن ثم ألحقت مدينة شرشال بموريطانيا السطايفية[4].

وترجع إلى الفترة الرومانية وما تلاه إلى الفترات الوندالية والبيزنطية العديد من المعالم والمواقع الأثرية بولاية تيبازة، إن كانت أهمها بمدينتي تيبازة وشرشال، وقد كشفت الأبحاث الأثرية عن معالم كثيرة

---

[1]– اكصيل استيفان، المرجع السابق، ج8، ص– ص 179–249.

[2] -Lancel (S) et Bouchnaki (M), op cit, p 10.

[3]– قداش محفوظ، **الجزائر في العصور القديمة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 240.

[4]– بوطبة محفوظ، **دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر 02، 2007–2008، ص 21–22.

من أهمها الفوروم والمسرح والمعابد، البازليكا الكبيرة، بازليكا القديسة سان صالصا، والمقبرة الغربية والشرقية والحمامات[1].

7/ المعالم الأثرية لمدينة تيبازة: ولعل من أهم المعالم الأثرية الموجودة بالمدينة الميناء والآثار الرومانية المصنفة كتراث ثقافي من طرف اليونسكو سنة 1982.

أولا/ الضريح الملكي المورطاني: يقع على بعد 15 كلم شرقي تيبازة، وحوالي 60كلم غربي الجزائر العاصمة، شيد في مكان يرتفع حوالي 261متر فوق سطح البحر، وهو مطل على سهل متيجة جنوبا وتيبازة غربا، ويمكن رؤيته من مرتفعات الجزائر العاصمة باتجاه تيبازة، ويعتبر إلى جانب الأضرحة الأخرى أهم معلم يحتفظ بذكرى الملوك النوميد، ويمثل ضريح تيبازة الملكي أرقى ما توصلت إليه العمارة الجنائزية المحلية من حيث الشكل الهندسي والفخامة[2]. أنظر صورة رقم (1)

صورة رقم (1): الضريح الملكي المورطاني أو قبر الرومية

تصوير الباحثة 12-04-2018

[1] -Gsell (S), **Tipasa ville De Maurétanie Césarienne, op cit, p 291-450**

[2]- العربي عقون، **ضريح تيبازة الملكي مقاربة في تاريخ وهوية هذا المعلم** ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التراث التاريخي والأثري لولاية تيبازة، تنظيم المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، 8- 9 ماي 2013، ص 93.

ثانيا/ الميناء: يشكل مرجعا تاريخيا ثقافيا هاما، يرجع تاريخ إنشائه إلى الفترة الفينيقية، إذ أن أوّل ما بناه الفينيقيون في المدينة المرفأ أو الميناء لترسوا سفنهم به، ليتمكنوا من إيصال سلعهم وتبادلاتهم التجارية مع سكان المنطقة الأصليين[1].

ثالثا/ الآثار الرومانية: تتكون من حظيرتين أثريتين، غربية وشرقية أنظر الخريطة الموالية

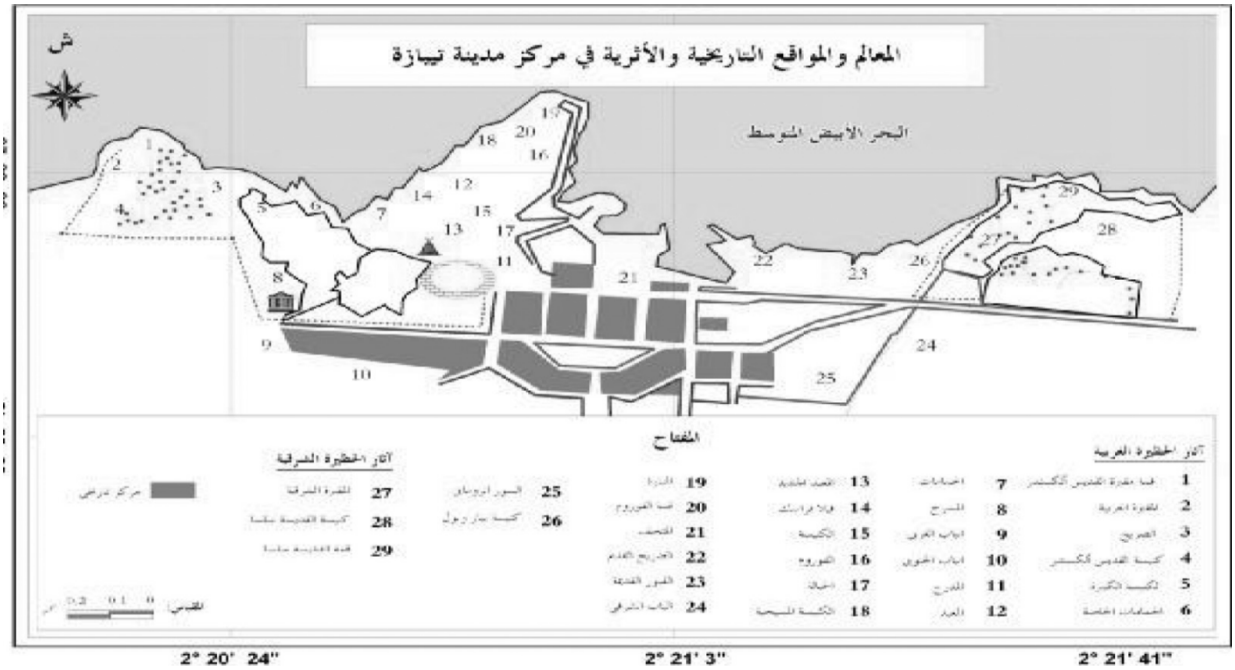

خريطة رقم (1): المعالم التاريخية والأثرية في الحظيرة الأثرية لتيبازة

عن: رزار محمد عبد الصمد، (ص 80.)

أ/ **الحظيرة الغربية:** تسمى رأس العيش تحتل موقعا متميزا يتمتع بثروة أثرية بمساحة تقدر 60 هكتار تشغل موقع الهضبة الوسطى، أين توجد المنارة، وتحتوي الحظيرة على معالم أثرية هامة هي:

*/ **المدرج:** يعتبر أهم معلم في هذه الحظيرة، طوله حوالي 80 مترا، يمتلك حلبة وحلقة إهليجية الشكل، تحيط بها الجدران العالية، ويجلس المتفرجين في جوانبها، وبها أبواب لدخول المتفرجين وخروجهم. أنظر صورة الموالية.

[1] - خيار كلثوم أمال ومشماش إلهام، **الإنتاج العمراني واقع المعالم التاريخية والأثرية**، حالة مدينة تيبازة، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، فرع تهيئة حضارية، جامعة هواري بومدين، باب الزوار (الجزائر)، كلية علوم الأرض، قسم الجغرافيا والتهيئة القطرية، 2000، ص 41.

صورة رقم(2): المدرج الروماني بتيبازة

من تصوير الباحث 07-04-2018

*/ **المسرح:** يقع بالقرب من بوابة سيزاري (شرشال) وهو لا يزال يحتفظ بشكله المعماري بحلبة مستطيلة الشكل، تتصل أطرافها بساحة نصف دائرية، و يعد هذا المسرح الوحيد بعد مسرح مادور(Madaure) الذي يستوعب ألفين إلى ثلاثة آلاف مشاهد[1] .(أنظر الصورة الموالية)

[1]- رزار محمد عبد الصمد، **التراث العمراني ودوره في صناعة السياحة الساحلية المستدامة وتنمية وتنمية الاقتصاد المحلي نموذج مدينة تيبازة**، المجلة المصرية للتغير البيئي، العدد الثالث، 2011، ص81.

صورة رقم(3): المسرح الروماني بتيبازة

من تصوير الباحث 07-04-2018

*/ **الفوروم:** أو الساحة العمومية، تقوم على مرتفع صخري، وتعدُ القلب النابض للمدينة، مازالت أرضيها مبلطة من العهد الروماني حتى الآن[1].

*/ **متحف الحوريات:** اعتبر المبنى الوحيد الذي احتفظ بعلوه، يقع على جانب الديكيمانوس، بين المسرح والمدرج، طوله 21.34م يحيط به سور وأعمدة منصوبة، وفي مركزه ينبع الماء بجانبه ثلاثة أحواض[2].

*/**الديكيمانوس والكاردو:(Dicemanos et Crado)** الديكيمانوس هو جزء من الطريق الساحلي الكبير الذي يمتد من قيصرية غربا إلى العاصمة شرقا، اكتشف سنة 1949م، أما الكاردو فكان فيما مضى محورا تجاريا كبيرا يصل حتى فيلا فراسك، وهو مكان التقاء المدينة بالبحر، تحده أعمدة منصوبة على كامل الأرض. (أنظر الصورة الموالية)

[1] -Direction du tourisme de la wilaya de Tipaza, (2007), « Tipaza trésor archéologique rare », copyright d'ouvrage (c), p10.

[2]- رزار محمد عبد الصمد، المرجع السابق، ص82.

صورة رقم (4): الكاردو

تصوير الباحثة: 07-04-2018

*/ **المعابد:(tomples) هي** بنايات دينية وتتمثل في المعبد المجهول، وهو عند تقاطع الكاردو مع الديكيمانوس، والمعبد الجديد الثابت (Le Capitol)، وهو يقع بجانب الفوروم، وهذا العدد من المعابد دليل على مدى اهتمام الشعب الروماني بمعتقداته الدينية.(أنظر الصورة الموالية)

صورة رقم (5): المعبد الجديد

*/ **مجلس الشيوخ(Sénat):** يوجد بجانب الفورروم، هو يطل عليه، وفيه يعقد أعضاء المجلس اجتماعاتهم ويتخذون قراراتهم.

*/ **البازليكا القضائية(La Basilique Judiciaire):** هي الأخرى تقع بالقرب من الفوروم أو الساحة المقابلة لمجلس الشيوخ، وفيها تتم إجراءات التقاضي[1].

[1]- . رزار محمد عبد الصمد، المرجع السابق، ص 83.

*/**الحمامات:** تحتوي المنطقة الغربية على أربعة حمامات اثنان منها خاصة، وهي تقع مقابل شاطئ البحر، وشمال المدرج، والثالثة تقع إلى الغرب من الأولى وهي تسمى حمامات باتي ستار (Thermes Batisteres) ، وهي تطل مباشرة على البحر، الرابعة تقع شرق المدرج وهي تتميز بثلاث عناصر، القاعة الباردة (Frigidarium) والقاعة الساخنة (Camadarium) وحجرة الثياب.(Apodyterium)[1].

*/ **البازليكا المسيحية الكبرى: (La Grande Basilique Judiciaire)** تقع البازليكا المسيحية الكبرى إلى أقصى المنطقة الغربية مباشرة قبل الصور الذي يحيط بالمدينة، وهي تعد أكبر مبنى من هذا النوع أكتشف لحد الآن. أنظر الصورة الموالية.

صورة رقم (6): البازيليكا الكبيرة

تصوير الباحثة 07-04-2018.

*/ **فيلا فراسك: (Villa des Fresques)** وهي عبارة عن سكن فاخر، معروف بفيلا الرسوم الجدارية، وهي تتربع على مساحة تقدر بألف متر مربع، وهي محاذية للبحر عند التقاء الكاردو بالبحر، وقد عثر في هذه الفيلا التي بنيت في القرن الثاني للميلاد على بعض القطع من الجدران الرسومية، ويظهر أنها لأحد أثرياء المنطقة، بالإضافة إلى هذه الفيلا يوجد بالمنطقة الغربية مجموعة من المساكن[2].

*/ **بازليكا بيار وبول(La Basilique Pierre et Paul)** تقع في أقصى شرق المنطقة الغربية قبل السور الذي يحيط بالمدينة من الناحية الشرقية.كما تسمى كذلك بازليكة بطرس و بولس

[1] -Baradez(J), op cit, p40
[2] -Baradez(J), op cit, p40

*/ **السور**: كانت المدينة الأثرية تيبازة سابقا محاطة بسور، وهو يمتد من غرب البازليكا المسيحية الكبرى غربا، إلى الشرق كنيسة بيار وبول، يمتد جنوبا إلى جنوب مقر بلدية تيبازة الحالي[1]. يوجد بالسور ثلاثة بوابات، البوابة الشرقية (أو بوابة إيكوزيوم) ومنها تتجه نحو الجزائر(ايكوزيوم)، والبوابة الجنوبية ، والبوابة الغربية(بوابة سيزاري) ومنها تتجه إلى شرشال (قيصرية).

*/ **بازليكا ومقابر القديس ألكسندر أو الغرب(La Basilique et cimetières de saint Alexander)** وهي توجد غرب السور الذي يحيط بالمدينة على قمة تطل على البحر، وتحمل اسم القديس ألكسندر، وهي تعتبر امتدادا للمدينة الرومانية خارج أسوارها.

*/**المدفن والمقبرة البونية(Caveau et cimetière punique)**: يقع المدفن البوني وسط ميناء مدينة تيبازة، يقف مائلا فوق صخرة وسط ميناء مدينة تيبازة، وهو عبارة عن صخرة كبيرة محفورة ومفتوحة من أعلى ويوضع فيها جثمان الميت وتغطى بقطع صخرية والمقبرة البونية التي نجدها على الضفة الشرقية للميناء، وتعتبر بالإضافة إلى الميناء المعلمان الوحيدان الذين يشهدان على الحقبة البونية فيها.

ب/ الحظيرة الشرقية: موجودة في المكان المسمى كدية زارور، وهي تشمل قمة سان صالصا، وتعتبر أقل ثراء من تلك الموجودة في الجهة الغربية ومن أهم المعالم الأثرية الموجودة هي:

*/ **بازليكا القديسة صالصا**: تقع في أقصى شرق الموقع الأثري لمدينة تيبازة، خارج الحدود الشرقية للسور الروماني الذي يحيط بالمدينة، وقد بنيت فوق هضبة تطل على البحر.

*/ **المقابر الشرقية**: توجد هذه المقابر بالقرب من بازليكا القديسة سان صالصا، فوق قمة سان صالصا.

8/ أهمية التراث الثقافي: يشكل التراث الثقافي ثروة حضارية تمثل قيم وأفكار ومعتقدات وعادات وتقاليد الشعوب، ويعد امتدادا للماضي في جزئياته وتفاصيله، مشكلا بذلك السمة المميزة لكل أمة عن غيرها، ويعتبر التراث الأثري الشاهد الأساسي على مجمل النشاطات الفكرية والتاريخية والعلمية، أو قيم روحية التي حدثت في حقبة من زمن ما، ولأن التراث بمفهومه الواسع يمثل هوية الأمة، كان لابد من التمسك بأصالته والمحافظة عليه، وهنا تبرز الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهميته وحالته، لكونه أحد المقومات الأساسية لكشف العمق الحضاري لأي أمة من الأمم.

---

[1]– دزار محمد عبد الصمد، المرجع السابق، ص 84.

إن هذا التصور للتراث قد تمت صياغته بناءا على التنظيم المحكم للموارد التراثية المادية منها واللامادية، حيث توليه الدول الكبرى اهتماما وعناية خاصة في محاولة استثماره في صناعة السياحة التي شكلت ومنذ العصور القديمة أحد أهم وجوه النشاط الإنساني، بحركات التنقل الوقتية والظرفية التي عرفتها البشرية من مكان إلى آخر، ومن هذا المنطلق يبرز بشكل جلي دور السياحة في التنمية وتطوير الجوانب الثقافية والاقتصادية للدولة.

وبالنسبة إلينا كجزائريين فإن وطننا غني بتراث ثقافي شديد التنوع بالغ الثرى إلى درجة أن بعضهم وصف الجزائر بأنها متحف في الهواء الطلق، كناية على كثافة المواقع والمعالم والشواهد الأثرية التي لا يخلو منها مكان، سواء في الشمال أو التل أو الصحراء، غير أن هذه الثروة الثمينة لم تحظ بالاهتمام المناسب لأسباب يطول شرحها وأغلبها معروف لدى الجميع، ومعروف كذلك أن تراثنا الأثري يشكل من مخلفات متنوعة الهوية الحضارية ويغطي أحقابا ضاربة في القدم.

ومن ثم فالنظرة العلمية إلى هذا الميراث يجب أن تؤسس على قناعة واضحة وهي أن ملكية الأمة الجزائرية لهذا التراث الحضاري هي في مرتبة ملكيتها للثروات الباطنية في أرضها، وأنه على الجيل الحاضر حماية هذا الإرث الثقافي وتبليغه باعتباره أمانة ورسالة من الماضي إلى جميع الأجيال المتعاقبة[1].

9/ التراث الثقافي الجزائري والآفاق المستقبلية:

يعتبر الموروث الثقافي كنز الأمة به تفرض وجودها وتثبت ذاتها، وتحقق طموحاتها، وانطلاقا من القيمة الجليلة المنوطة بالتراث الثقافي على اختلاف أشكاله فإن الدولة الجزائرية سعت للحفاظ عليه والتشبث به، ومحاولة إحيائه، وبعثه من جديد، خاصة في ظل أخطار العولمة الجارفة التي باتت تهدد كيانها ووجودها، إضافة إلى محاولات بعض أعداء الوطن لمسخ هويتها وتشتيت شملها، فانطلاقا من هذا الوضع المربك دقّ ناقوس الخطر.

لذلك اتخذت الدولة الجزائرية احتياطاتها الممكنة بوضع أساليب وطرق مستقبلية مدروسة بإحكام في سبيل تثمين موروثها الثقافي والاستثمار فيه لخدمة المجتمع والأجيال القادمة، فخصصت ميزانية لدعم كل المحاولات الجادة التي تسعى إلى المحافظة على الأشكال المختلفة للتراث، كما رسمت ضمن

[1]- شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 48.

برنامجها الثقافي ضرورة إقامة تظاهرات ثقافية في مناسبات معينة، بغرض إحياء تراث الأجداد وتذكير الأبناء بتاريخهم وهويتهم الثقافية حتى لا ينسوها وينغمسوا في ثقافة الآخر، كما سعت الدولة أيضا إلى فتح ورشات عمل تهتم بالصناعات التقليدية والفخارية والنحاسية والجلدية وغيرها من الصناعات اليدوية.

ولكن رغم المجهودات التي بذلتها الدولة الجزائرية من محاولة بعث الروح في تراثها الثقافي الذي كاد أن يمحى في الفترات الحرجة من تاريخ الوطن، إلا أن هذه المجهودات تبقى محتشمة بالمقارنة مع الدول الأخرى، كما أن السياسة التي اتبعتها في تثمين هذا الموروث مكنتها من أن تستثمر فيه وتنمي اقتصادها المحلي والوطني حتى لو كان ذلك بنسبة ضئيلة، ولكن إذا ما تضافرت الجهود في ظل مشاريع مدروسة من طرف مختصين سوف ينتعش التراث ويبقى حيا ما بقيت إرادة تثمينه والحفاظ عليه حية.

10/ ضرورة حماية التراث الثقافي، وكذا المحافظة عليه:

إن مفهوم التراث لا يكتمل دون أن يقترن بمفهوم الحِفاظ والإحياء، وهو لا يكون تراثاً إلا إذا أحس وارثوه بضرورة التعرف عليه والكشف عنه وحمايته وإحيائه، والإفادة من قوته الكامنة التي لن تبرز إلاّ على قدر وعيهم بذلك التراث، وحرصهم على امتلاك وتحقيق الذات من خلال تواصل الإبداع فيه، وتحمل مسئولية نقله إلى الأجيال القادمة.

إن تأمين التراث الثقافي والحث على العناية به هو دعوة إلى إنعاش الذاكرة الجماعية للأمة، وتذكير أفراد المجتمع بمسؤوليتهم إزاء ما ورثوه عن أسلافهم من قيم مادية ومعنوية فيها دروس وعبر لهم ولمن يأتي بعدهم[1]. وقديما قال أحد مشاهير السياسة والأدب اللاتيني شيشرون أن : " من لا يفهم تاريخه يبقى جاهلا إلى الأبد، وهل من سبيل إلى فهم التاريخ من غير مساءلة شواهده " [2].

موروثنا الحضاري هو قضية وطنية لأنه جزء من واقعنا ونحن مسؤوليون عنه، فالتراث حضارة تحمل في طياتها كل شيء، ومسؤولية التراث تشعرنا بالانتماء وبأننا جزء منه إذ أنه يعطي لثقافتنا الوطنية وحدتها وتجانسها المفقود، هذا يعني أن تراثنا هو فخرنا وعزنا، وتراث الآباء والأجداد[3]، ولئن كان هذا التراث يكسبنا الشعور بالاعتزاز والافتخار، فإن هذا الشعور يحملنا مسؤولية حمايته والحفاظ عليه بشتى الوسائل والطرق وتوجيه الباحثين إلى الاهتمام به[4]، وأن ننظر إليه على أنه حصيلة ضخمة من

---

[1]- شنيتي محمد البشير، المرجع السابق، ص 17

[2]- نفسه، ص 16.

[3]- حنفي حسن، **التراث والتجديد**، دار الفجر للنشر ولتوزيع الطبعة الأولى، مصر 2000، ص 23- 25.

[4]- عبد الوهاب أبو النور، **مقترحات مجمع لتراث العربي**، مجلة الثقافة العربية، العدد 4، 1976، ص 217.

التجارب والممارسات بأشكالها المختلفة، وميادينها المتعددة بل هو الذي يميز أمة من غيرها من الأمم، كما يربط شخصية المجتمع بماضيه.[1]

والاهتمام بالتراث هو مسؤولية يشترك فيها الجميع كل حسب تخصصه وإمكانياته، وهذا العمل ضروري لتطور المجتمع، وهو لا يمكن له أن يسير إلى الأمام بقدم راسخة وثابتة إلا إذا وعى هذا المجتمع جذوره وقيمته في تراثه ثم ربط ذالك بحاضره ليتطلع إلى المستقبل[2].

وباعتبار التراث قضية وطنية تتعلق بالمساهمة المنتظرة من البحث الأثري في ميدان الكشف عن معطيات تاريخية تخص فترات هامة من تاريخها الوطني، وتدور حول صيانته وتوظفيه في التنمية المستدامة[3]، وتغيير نظراتنا القديمة إلى الآثار بكونها مخلفات الاحتلال معزولة عن المحيط العام الذي نشأت فيه نظرة ضيقة، تستدعي إعادة النظر في الإجراءات القانونية والإدارية والعملية التي يتطلب العمل من أجل تصنيف وترميم وترقية التراث باعتباره جزءا من مقوماتنا الوطنية، وهذا ما يجب أن نسعى إليه.

خاتمة:

وكل هذا في ضل اللاوعي بأهمية التراث الثقافي الكبير الذي تتميز به الجزائر، وأمام الوضع الذي ينبأ باندثار الموروث الحضاري خاصة المعماري نتيجة اللامبالات النابعة من سلوكيات بعض الأشخاص البعيدين كل البعد عن العلم والمعرفة، والتعدي على الثقافة والتقاليد الوطنية وقلة وعيهم بالقيمة التراثية والتاريخية لهذه الآثار. من هذا المنطلق لم تعد الحماية والحفاظ على الموارد الحضارية والثقافية أمراً كافياً، بل يتجه التفكير إلى تحقيق استدامة هذه الموارد على المدى البعيد والاستفادة منها من الناحية الاقتصادية كذلك، لأنها تشكل ثروة وطنية لجميع الأجيال الحالية واللاحقة، وهي ملك لهم جميعاً، وتقع عليهم مسؤولية حمايتها والحفاظ عليها.

المراجع:

1- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ورث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج2.

2- الاتفاقيات والتوجيهات التي أقرها اليونسكو بشأن حماية التراث الثقافي، 1985 م.

---

[1]- لدرع كمال، **منهج علمي للإحياء التراث الإسلامي**، مجلة المعيار، دورية علمية تختص بالدراسات الإسلامية الاجتماعية ، جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية ، قسنطينة، العدد15 ، 2006، ص 120 .

[2]- نفسه، ص 122.

[3]- نفسه، ص 19.

3- أسماء محمد مصطفى، **الموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق وأهمية حمايته (الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل)**، نص المحاضرة ألقي في الدورتين الخاصتين بمشروع التدريب العالي المستوى لحماية وتعزيز الموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق ، والذي تنفذه دار الكتب والوثائق الوطنية ، المقال منشور على موقع : www.azzaman.com، تاريخ الإطلاع 20-08-2018.

4- اكصيل استيفان، **تاريخ شمال إفريقيا**، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط، 2007، ج6.

5- ألعوري حمودة، **التراث الشعبي و علاقته بالتنمية في البلاد النامية**، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني، عالم الكتاب للنشر جامعة، صنعاء، اليمن، ط2، 1981.

6- بوجمعة خلف الله، عمروش تومية، **السياحة الثقافية في الجزائر الإمكانيات والاستراتيجيات**، المقال متواجد على الموقع الإلكتروني: Www.academia.ed ، تاريخ الاطلاع: 30/06/ 2014.

7- بوطبة محفوظ، **دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر 02، 2007-2008.

8- حنفي حسن، **التراث والتجديد**، دار الفجر للنشر ولتوزيع الطبعة الأولى، مصر 2000.

9- خيار كلثوم أمال ومشماش إلهام، **الإنتاج العمراني واقع المعالم التاريخية والأثرية**، حالة مدينة تيبازة، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، فرع تهيئة حضارية، جامعة هواري بومدين، باب الزوار(الجزائر)، كلية علوم الأرض، قسم الجغرافيا والتهيئة القطرية، 2000.

10- رزار محمد عبد الصمد، **التراث العمراني ودوره في صناعة السياحة الساحلية المستدامة وتنمية وتنمية الاقتصاد المحلي نموذج مدينة تيبازة**، المجلة المصرية للتغير البيئي، العدد الثالث، 2011.

11- الزهراني عبد الناصر عبد الرحمان، **تجربة جامعة الملك سعود في إدارة التراث**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، أعمال المؤتمرات، الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي بحوث وأوراق أعمال، ندوة الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي المنعقد في مراكش المملكة المغربية، أوت 2008 .

12- سعد غراب، **كيف نهتم بالتراث**، سلسلة تصدر بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام، الدار التونسية للنشر، 1990 .

13- السليماني أحمد، **تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة**، دار القصبة للنشر، 2007.

14- سميرة عميش، **الإدارة الإستراتجية لمواجهة الأزمات دراسة حالة أزمات القطاع السياحي**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة محمد بوضياف بمسيلة 2005/ 2006.

15- شنيتي محمد البشير، **التراث الحضاري ودور البحث في تثمينه**، مجلة أثار يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، العدد5 .

16- عبد الوهاب أبو النور، **مقترحات مجمع لتراث العربي**، مجلة الثقافة العربية، العدد 4، 1976.

17- العربي عقون، **ضريح تيبازة الملكي مقاربة في تاريخ وهوية هذا المعلم** ، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التراث التاريخي والأثري لولاية تيبازة، تنظيم المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، 8- 9 ماي 2013.

18- قداش محفوظ، **الجزائر في العصور القديمة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

19- لدرع كمال، **منهج علمي للإحياء التراث الإسلامي**، مجلة المعيار، دورية علمية تختص بالدراسات الإسلامية الاجتماعية ، جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية ، قسنطينة، العدد15 ، 2006.

20- محمد ر ياض وتار، **توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة**، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002م.

المراجع الأجنبية:

1- Betrouni(M) , **Les grottes préhistorique de plateau littoral de Tipasa** : Contexte géomorphologique et chono stratigraphique IN° : Libyca, T.XXXV, 1998,
2-Cintas (P), **fouilles puniques a Tipasa**, IN Syria, V° 30 ,N 1, 1953
3- Cintas (P), **fouilles puniques a Tipasa**, IN Syria, V° 30, N 1, 1953.
4-Direction du tourisme de la wilaya de Tipaza, (2007), « Tipaza trésor archéologique rare », copyright d'ouvrage (c).
5-Gsell (S), **Atlas Archéologie Algérie,** Feuille 04, Réimpression de l'édition Alger, Paris, 1911.
6-Gsell (S), **Tipasa ville De Maurétanie Césarienne**, M. E.F. R. A, T4, 1894.
7-Gsell(S), **Inscription de la L'Algérie**, t 1, 1922.
ministère de la culture, **Algérie les sites du patrimoines mondial**, une année de l'Algérie en France, 2005
8-Lancel (S) et Bouchnaki (M), **Tipasa De Maurétanie**, Alger, 1990.
9-Lancel . G, **L'Algérie antique de Massinissa à Saint Augustin**, Paris, 2008.

الرعية في الآداب السياسية بالغرب الإسلامي.

أ/ أحمد محمد محمد عوض الله مشالي ـ جامعة الزقازيق ـ مصر.

ملخص:

يشغل موضوع الرعية في الآداب السياسية وعلاقتها بالحاكم مساحة متباينة داخل أدبيات الغرب الإسلامي أفرزه الواقع التاريخي الذي نشأ فيه ذلك النوع من التفكير السياسي الموجه للسلطان بهدف ديمومة حكمه، وبقاء سلطته ؛ ولهذا وضعت قواعد لتعامل السلطان مع رعيته حسب تصنيفهم الطبقي، وبما يخدم مصالح الخاصة على حساب العامة، ويضمن في الوقت نفسه عدم الخروج على طاعته حتى ولو جار؛ مما كرس للاستبداد السياسي .

الكلمات المفتاحية: الرعية – العامة – الآداب السياسية – الآداب السلطانية – الفكر السياسي

Abstract :

The subject of the parish in political literature and its relationship with the ruler takes a different place within the literature of the Islamic West. The historical reality, in which this type of political thinking was directed towards the Sultan, was created for the purpose of perpetuating his rule and the survival of his authority. The account of the public, and at the same time ensures not to go out on his obedience even if he was not fair , Which was devoted to political despotism.

key words: Parish - General - Political Arts - Royal Arts - Political Thought

مقدمة:

نناقش في هذا المقال قضية مهمة من قضايا الفكر السياسي الإسلامي عموماً ، وفي الغرب الإسلامي منه على وجه الخصوص، وهي قضية " الرعية في الآداب السياسية " وعلاقتها بالحاكم عبر أدبيات السياسة من القرن الخامس إلى التاسع الهجري بدءاً من المرادي(ت 489هـ) حتى ابن الأزرق (ت 896هـ)، مروراً بكتابات الطرطوشي (ت520هـ) ، وابن الخطيب (ت776هـ)، وابن رضوان المالقي (ت 783هـ)، وأبو حمو موسى الزياني (ت 791هـ) ، وتكمن أهمية طرح هذه القضية ، وخاصة كما عالجتها تلك الأدبيات في عدة أسباب أهمها :

1- أن مفهوم الرعية من المفاهيم المحورية التي تحدد المجال السياسي الإسلامي ، وإحدى النقاط الحساسة الملازمة بشكل ظاهريّ ، أو ضمنيّ لكل باحث يروم التنقيب داخل هذا المجال .

2- ندرة النصوص المصدرية حول إشكالية الرعية ، وعناية الباحثين ، قدامى ومحدثين ، بالحاكم والدولة السياسية على حساب الرعية أو " الشعب " [1].

3- أن الصورة التي تعامل بها أدباء السياسة مع الرعية في مشاريعهم السياسية تكاد تكون مجرد آليات أو تقنيات حُكم تبين طريقة ضبط الملوك للرعية ، وأنماط سلوكهم ؛ بغية تحقيق هدف أساسي يتبلور في دعم السلطة ، وديمومة الحُكم ، وتبرير وجوبه [2]، والعلة تكمن في طبيعة خطابهم السياسي الموجه إلى " السلطان " محور الآداب السياسية[3].

وبالرغم من تنوع الدراسات الحديثة التي تناولت الآداب السياسية ، وسلكت أغوارها وفق مقاربات فلسفية ، وتاريخية ، وفكرية وغيرها بما يشهد لأربابها بالأصالة ، والجدية في تأصيل علاقة الحاكم بالرعية إلا أن موضوع " الرعية " لا يزال مجال أكثر رحابة ، ويحتاج إلى إعادة ترتيب ، وتنويع للقراءات ولمّ شتات الأفكار وبناءها في سياقها التاريخي بما تحمله من إشكاليات وتصورات مترسبة في النصوص السياسية في الغرب الإسلامي والتي أفرزها الواقع التاريخي الذي عايش كتّاب الآداب السياسية من خلال علاقة جدلية جعلت موضوع " الرعية " يشغل حيزاً متبايناً في أدبيات السياسة سمح له بالظهور في كتابات الطرطوشي ، وابن الخطيب ، وابن رضوان ، وابن الأزرق(ت :896هـ) ، وغيرهم ، وبالخفوت في " إشارة " المرادي ، و" واسطة " أبي حمو موسى الزياني وغيرهما ، ومع تباين النصوص السياسية التي تحدثت عن الرعية بما لا يتيح للباحث الوصول إلى أجوبة شافية لتساؤلاته ، فضلاً عن طابعها النظري ، والكيفي بديلاً عن الواقع ، وما هو كائن بالفعل ، ومع ذلك نبدأ في هذا السبيل الملغز ، ونحاول الخروج بأجوبة عن أسئلة رئيسية أربع وهي :

-ما مفهوم الرعية ، وأهميتها في تصورات أدباء السياسة ؟

-ما أقسام الرعية ، وطرق سياستها ، وأثر المرجعيات الناظمة على هذا التقسيم ؟

-كيف وظفت الآداب السياسية مبدأ الطاعة للحاكم، وحذرت من الخروج عليه؟

-ما موقف الرعية تجاه الاستبداد السلطاني ، وردّ فعل الدولة في الغرب الإسلامي ؟

---

[1] العلام ، الآداب السلطانية (دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي) ،عالم المعرفة ، الكويت ، ط1 ، 2006م، ص182.

[2] العلام ، النصيحة السياسية (دراسة مقارنة بين آداب الملوك الإسلامية ومرايا الأمراء المسيحية) ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، الرباط ، 2017م ، ص180؛ نجاح محسن ، فلاسفة الحكم والإدارة في العصر الإسلامي الوسيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،ط1 ، 2013م ،ص220.

[3] العلام ، النصيحة السياسية ، ص179.

أولاً : مفهوم الرعية وأهميتها في تصورات أدباء السياسة .

استعمل الأديب السياسي العديد من المفردات الدالة على الرعية منها : العبيد والسوقة [1]، والسوائم [2]، والأتباع [3]، والغوغاء ، والأخسّاء ، والرمادية ، والأدنياء [4]، والعامة والدهماء [5]، والرعاع ، والسوقة ، والسفلة ، والفُسَّاق ، والمفسدين إلى جانب النعوت التي تشير إلى مواطن الضعف ، والعجز ، والقصور ، مقابل صفات القدرة والعزة للسلطان [6]، وكل هؤلاء يشكلون قطاعات واسعة مما ندعوه اليوم بـ " الشعب " أو " الجماهير الشعبية "[7] ، ورغم الأهمية الكبيرة لموضوع الرعية لا نجد غير القدر اليسير من النصوص السياسية التي تتحدث عنها بشكل محوري ، أو تضع لها مفهوماً ، وما كان هذا ليشغل بالها ، فتعاملت معه كمعطى مسلم به ، وأمر بديهي لا يحتاج إلى توضيح[8] ، فالخطاب السياسي في هذه الآداب ليس موجهاً للرعية ، ولا يتعامل معها ككيان قائم بذاته يستحق خطاباً مستقلاً بقدر ما هي مرتبطة على الدوام بذات السلطان ، والغالب في تناول موضوعها يتأتى في جانب خضوعها للسلطان ، وكيفية " تدجين " الرعية ، وقواعد التعامل معها بحسب أصنافها ، ومعدل الظهور أمامها والاحتجاب عنها ، وآلية جمع المال منها وفق قدرتها الجبائية ، ودونما الوصول بها إلى " الثورة " أو الخروج عليه ، وأساليب ترهيبها وترغيبها....الخ[9].

لا تقتصر عناية أدباء السياسة بموضوع الرعية على النصوص الواردة في عناوين الفصول والأبواب المخصصة لها بعبارات صريحة ، وإنما جاءت تصوراتهم مبثوثة في مواضيع أُخر تخص العفو والعقاب ، والعدل ، والمال ، والجند ، والعمارة ، ومجالس المظالم ، والمراتب السلطانية ، وغيرها من

---

[1] المرادي ، الإشارة إلى أدب الإمارة ، تحقيق رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1981م ، 114 ، 143.

[2] الطرطوشي ، سراج الملوك ، تقديم شوقي ضيف ، وتحقيق محمد فتحي أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1994م ، 1ص181.

[3] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص319.

[4] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص331.

[5] أبو حمو ، واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تحقيق محمود بو ترعة ، دار الشيماء للنشر والتوزيع ، ودار النعمان للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2012م ، ص152.

[6] أحمد محمد سالم، دولة السلطان (جذور التسلط والاستبداد في التجربة الإسلامية) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2011م ، ص187.

[7] محمد أركون ، الإسلام " الأخلاق والسياسة " ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، 1990م،ص116.

[8] العلام ، الآداب السلطانية ، ص193.

[9] العلام ، ملاحظات حول الرعية في الأدب السلطاني ، مجلة الاجتهاد ، ع22 ، شتاء 1994م، ص20.

الموضوعات التي تشكل نقاط التماس مع الرعية[1]، وتجدر الإشارة إلى أن الملك أو الراعي المعنيَّ بخطاب الآداب السياسية لا تكون له قيمة بدون الرعية ؛ لأنها بمثابة مادة المُلك ، ووعاء السلطة ، وبها تتحقق جميع الصفات الملكية في الممارسة السياسية بشكل واقعي [2]، ولذلك وضع ابن الخطيب(ت776هـ) [3] الرعية في مقدمة أقسام السياسة ، ولا يخفى ما بين " الراعي " ، و " الرعية " ، و " السائس " و " المسوس " من علاقة جدلية تظهر أهميتها في الفكر السياسي باعتبارها من الأسماء الإضافية التي لا بقاء لأحدهما دون الآخر ، فحاجة الراعي إلى الرعية لا تقل عن حاجتها إليه[4] ، مع حفظ تراتبية الراعي ، ومنزلته من الرعية – حسب الصورة التي رسمتها هذه الآداب – بمثابة الروح من الجسد [5]، فالسلطان هو الرأس أو الروح ، والرعية هي الجسد ، وهو الغيث النافع ، ورياح الرحمة ، والرعية الأرض[6]، إلى غير ذلك من الاستعارات والصور التي تبين بجلاء استعلاء ، وتميز السلطان ، وتساميه عن الرعية[7].

تباينت المساحة التي أفردها أدباء السياسة لموضوع " الرعية " تبعاً للظروف التاريخية التي كُتبت فيها الآداب السياسية، فالمرادي(ت 489هـ) لم يخصص للرعية سوى بضع صفحات في كتابه " الإشارة "[8] مما يبين المكانة الهامشية التي تحتلها في تفكيره السياسي[9]، وإذا كانت الأفكار وليدة البيئة والمجتمع، والحكمة تقول : " المرء يكتب عندما ينقصه شيء " فإلى أي مدى تنطبق هذه المقولة على المرادي ؟، وهل اتسمت العلاقة بين دولة المرابطين، التي كتب لها، والرعية بالتوافق، فحققت السلطة السياسية " العدالة الاجتماعية " المنشودة ؛ فانتفت الدواعي، والأسباب كي يسترسل، أو يخصص أبواباً وفصولاً للحديث عنها، وبالتالي تقلصت مساحة " الرعية " في " إشارته "؟! أم هو سبيل انتهجه معظم كتّاب

---

[1] العلام ، الآداب السلطانية ، ص182.

[2] أحمد سالم ، دولة السلطان ، ص185.

[3] مقامة السياسة ، تحقيق محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004م، ص86.

[4] أحمد سالم ، دولة السلطان ، ص186.

[5] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1ص155.

[6] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1ص153 ، 154.

[7] حول الرموز والصور التي نعت بها أدباء السياسة السلطان والرعية راجع (العلام ، ملاحظات حول الرعية في الأدب السلطاني ، ص24).

[8] أشار المرادي إلى " الرعية " في الباب الرابع عشر بعنوان " في أقسام الناس وما تقابل به طبقاتهم " ، والباب الخامس عشر بعنوان " الأدلة التي يستدل بها على أهل الفضل والنقيصة والتوسط " (الإشارة ، ص113 ، 114) وفي إشارات باهتة للرعية وردت خلال عرض الأخلاق السلطانية كالحلم ، والصبر ، والغضب ، والرضى ، والتجبر ، والخضوع ، والتحبب ، والمواصلة ...الخ.

[9] العلام ، الفكر السياسي السلطاني (نماذج مغربية) دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 (ب.ت)، ص27.

الآداب السياسية في ازدراء هذه الفئة ، وتحالف الفقهاء ، وهو واحد منهم ، مع السلاطين ضد الرعية ؟![1].

أشاد المؤرخون [2]بدولة المرابطين ، وتوافقوا على تمسكهم بالعدل بين الرعية ، وخاصة في طورها التأسيسي الذي عاصره ، وكتب له المرادي (ت 489هـ) ، حتى عُرف يوسف بن تاشفين بالتقوى ، والعدل في سياسة الرعية ، وتفقد أحوالهم بنفسه ، وتقصي أحوال قضاته ، وعماله تجاه الرعية [3]، وعلى نفس النهج سار ابنه عليّ بن يوسف ، وتثبت الرسائل التي بعثها إلى ولاته عنايته بتطبيق " العدالة الاجتماعية " ومما كتبه إلى أحد ولاته : " فاتخذ الحق إمامك ، وملك يده زمامك ، وأجر عليه في القوي ، والضعيف أحكامك ، وارفع لدعوة المظلوم حجابك" [4]، وأمر نائبه بعزل كل عامل اهتضم حقوق الرعية ، " أو أخذ لنفسه منها درهماً ظلماً " [5]وراقب الولاة ، وتتبع أخبارهم ، وجلس للمظالم يوم الجمعة [6]، ولم ينج من هذه المراقبة أحد من ولاته حتى ابنه عمر بن يناله سجنه ، وصادر كل ما استولى عليه من حقوق الرعية [7]، وفي رسالة بعث بها تاشفين بن علي إلى أهل بلنسية يلزم عاملها " بالرفق بالرعية والحكم بالتسوية "[8].

كتب المرادي (ت 489هـ) في ظل هذه الظرفية التاريخية كتابه في " السياسية " ، والدولة المرابطية في طور التأسيس ؛ وروح البداوة غالبة على أمرها من تقشف في النفقات العامة ، والتمسك بالتقاليد القبلية " الديموقراطية " ، وعلاقة الدولة بالرعية تقوم على المشاركة ، والمساهمة ، والرفق ،

---

[1] حول هذا التحالف راجع (محمود إسماعيل عبد الرازق ، الفقهاء والسلاطين تحالف ضد الرعية ، مجلة العصور الجديدة ، ع7 مارس 2000م ،ص110 –129.

[2] مجهول ، مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2005م ، ص92؛ إبراهيم القادري بوتشيش ، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي " مساهمة في استحضار أسباب تراجع الغرب الإسلامي " ، مجلة أمل – المغرب ، مج7 ، ع21 ، 2000م ، ص128.

[3] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، ط1 ، 1972م ،ص152.

[4] ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج. س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1983م ، 4ص63 –64 .

[5] ابن خاقان ، قلائد العقيان ، طبعة مصر ، 1284هـ / 1866م ، ص113.

[6] ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1975م ، 1ص450.

[7] ابن عذاري ، البيان المغرب ، 4ص77.

[8] حسين مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مج1 ،ع3 ، 1955م ، ص112.

والتسامح ، وغيرها من الخلال الحميدة التي هي نتاج البداوة[1] ، واستناد الدولة على ما يعرف بـ " اقتصاد المغازي " ، أو " الاقتصاد الحربي " ، وهو ما تدره الغنائم ،وعائدات الحرب من فائض إلى بيت المال[2]، ولذا سعت الدولة في هذا الطور إلى " كسب القلوب " فقامت بإلغاء الضرائب " غير الشرعية " ، والتخفيف على الناس حتى انتصف حكم علي بن يوسف ، وبدأ الشطر الثاني ترافقه الأزمات الاقتصادية ودخول الدولة مرحلة " الترف " وما تتطلبه من تبذير وإسراف ، أدى في النهاية إلى انفصام الدولة عن المجتمع ، فأهمل علي بن يوسف " أمور الدولة غاية الإهمال "[3] واستبدت السلطة المرابطية ، وتحولت علاقتها بالرعية من قاعدة " كسب القلوب " إلى " الانفراد بالمجد "[4].

انفرد الطرطوشي (ت520هـ) عن غيره من كتّاب الأدب السياسي في المساحة التي أعدها للرعية في " سراجه "وخصها بعدة أبواب في علاقتها بالسلطان[5]، مع تبيان علوّ قدره ، وخطورة منصبه ، ومهامه الجسام التي لا يجني من وراء نَصَبِها طائل ؛ فهو" مغبون غير غابن ، وخاسر غير رابح "[6]، وحاله مع رعيته " كالطبّاخ مع الأكلة، له العناء ، ولهم الهناء ، وله الحار ، ولهم القارّ "[7] ، وغير ذلك من الأساليب الإطرائية التي تسمو بمرتبته ، وتوضح أولويته على الرعية ، وتبين له أسباب سخطها عليه[8]، والوسائل التي بها يصلح رعيته ، وفي مقدمتها " إصلاحه هو لنفسه حتى يكون الناس تبعاً له "[9]، والسير

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش ، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي ، ص129.

[2] ابن خلدون ، المقدمة بتحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للنشر ، ط7 ، 2014م، 2ص493؛الحسين بولقطيف ، أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق " حالة المغرب الوسيط " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجديدة ، ع2 ، 1995م، ص73-91.

[3] المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1426هـ /2006م ، ص135.

[4] بوتشيش ، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي ، ص125.

[5] من هذه الأبواب : الباب السادس " في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح " ، والباب التاسع : " في منزلة السلطان من الرعية " ، والباب الثامن والثلاثين : " في بيان الخصلة الموجبة لذم الرعية للسلطان " ، والباب الأربعون : "فيما يجب على الرعية إذا جار السلطان " ، والباب الواحد والأربعون : " في كما تكونوا يول عليكم " ، والباب الثاني والأربعون : " في بيان الخصلة التي بها تصلح الرعية " ، والباب الثالث والأربعون : " فيما يملك السلطان من الرعية " .

[6] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1ص147.

[7] الطرطوشي ،سراج الملوك ، 1ص148.

[8] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص320.

[9] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص329.

بهم على جادة الحق بإقامة العدل فيهم ، وباللين والرأفة يتألف قلوبهم [1]، ويؤكد على الرعية بضرورة التحلي بالصبر ، ولزوم الطاعة ، ولو كان السلطان جائراً [2].

أتى ذكر الرعية بقوة خارج الأبواب المعدة لها في " السراج " ، سيما عند نصائحه المعنية بجباية الخراج ، والإنفاق ، وفرض الأرزاق ، وفي موضوع الظلم ، والقصاص ؛ بما تعكس مرارة الظلم الذي تعرض له الطرطوشي(ت520هـ) من طغيان الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي (487-515هـ) فكان باعثاً له على تأليف كتابه للنظام السياسي الجديد متمثلاً في الوزير " المأمون البطائحي " ؛ فبيّن للملوك ما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذي به صلاح حياة الرعية ، والسياسة الرشيدة ، وقواعدها السديدة في تنظيم الدواوين ، ومعاملة الجند ، وفي الأجور ، والأرزاق ، ومراقبة سيرة الولاة والعمال ، والرفق ، والعدل في جباية الأموال[3].

أهمل أبو حمو موسى الزياني (ت 791هـ) موضوع الرعية من الناحية الفكرية التنظيرية ؛ فلم يتسع لها كتابه بباب أو بفصل على غرار المرادي ، والطرطوشي ، ولا يعني هذا تجاهل للدور الذي تلعبه الرعية في العملية السياسية ، بل جاء ذكرها في موضوعات تتعلق بذات السلطان ، وما يتبعها من سلوكيات ، وأخلاق ، وفي عرضه لقاعدة السياسة حث ولي عهده " بإنزال الناس منازلهم ، وأن يرتبهم على حسب أقدارهم ، ومناصبهم ، وطبقاتهم "[4] ، وأن يراعي أحوال الناس ، وظروفهم المعيشية ، وطبائعهم ، وطبقاتهم ، فيكون " كالطبيب الماهر الذي يعرف الأعراض فيعطي الأدوية على حسب الأمراض "[5] ، ووصى ولده أن يكون كريماً مع نفسه ، ورعيته[6]، وحليماً مع خاصته ، ورعيته دون استثناء وذلك في صغائر الأمور بينما " يقتص منهم في العظائم "[7] ، ويعفو عمن يستحق العفو ، ويعاقب من يستحق العقوبة [8]، فجعل الرعية موضوعاً لعدل السلطان ، وللمال من خلال طرق الجباية، والإنفاق [9] ،

---

[1] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص333 ، 334.

[2] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص323-325.

[3] شوقي ضيف ، مقدمة تحقيق سراج الملوك ، ص 6 ، 7.

[4] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص146-151.

[5] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص151.

[6] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص218.

[7] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص221.

[8] أبو حمو، واسطة السلوك ، ص223.

[9] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص196-208 ؛ العلام ، الفكر السياسي (نماذج مغربية) ، ص59 .

وإذا جاءت الرعية عند أبي حمو بشكل عرَضيّ في " واسطته " ؛ فإنه أسس لها بشكل عمليٍّ ، وهو ما تشهد به سياسته في إدارة دولة بني عبد الواد الزيانية [1].

تعكس صورة الرعية في كتاب " الشهب اللامعة " لابن رضوان المالقي العنف الذي مارسته الدولة في تاريخ المغرب الوسيط بشتى صوره على مجموع الرعية، وهو ما أثبته عدد من الدارسين [2]، ولا غرو إذا نظرنا إلى ما ورد في " الشهب " من نصائح للسلطان على أنها من نوع " الخطاب المقلوب " الذي تتبدى فيه مظاهر الاستبداد والعنف المريني على الرعية ؛ وذلك من خلال الأبواب الأربعة التي خصّها ابن رضوان للرعية[3]، وما أسداه للسلطان من وصايا بحقها، والدعوة إلى إنصافها والإحسان إليها، والتلطف في معاملتها فـ " الإنسان عبد الإحسان "[4]، والرفق بها ، وصون مالها ، وفي مجال العقاب يحث السلطان على " تأخير العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن ، والتزام الأناة والتثبت"[5]، والتعفف عن سفك الدماء، والعقاب بالحدود التي سنتها الشريعة على قدر الذنب والجريمة [6]، ويعكس تخصيصه باباً لموضوع السجون رغم كونه موضوعاً مهملاً في الآداب السياسية الحالة المزرية التي وصلت إليها السجون، ووضعية السجناء في الغرب الإسلامي عموماً، وفي الدولة المرينية على وجه الخصوص[7]، حيث أشار ابن رضوان[8] إلى هذه الوضعية حين قال : "... فقد حدث من ذلك في بعض المدن ما يهول سماعه، ويعظم على الدين وقوعه، نسأل الله العافية من بيع آخرة الملوك بدنيا المساجين".

---

[1] حول سياسة السلطان أبي حمو مع رعيته في إدارة الدولة راجع (أحمد عوض الله مشالي ، النظام الإداري في دولة بني عبد الواد الزيانية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، 2014م ، ص41 ، 42) ؛ سمير مزرعي ، مكانة النظرية السياسية عند أبي حمو موسى الثاني (723-791هـ/1323-1389م) – دورية كان التاريخية – ع24 ، يونيو 2014م ، ص54.

[2] حميد تيتاو ، الدولة والعنف في تاريخ المغرب الوسيط : دراسة حالة ، مجلة أمل ،المغرب ، مج 15 ، ع33 ، 2008م ، ص81-101 ؛ نور الدين أمعيط ، العنف في السياسة الجبائية المرينية من خلال كتاب المسند لابن مرزوق التلمساني ، مجلة أمل – المغرب ، مج 23 ، ع44 ، 2015م ، ص75-92.

[3] خصص ابن رضوان المالقي للحديث عن الرعية في كتابه الباب الخامس عشر بعنوان : " في تودد الملك إلى رعيته ، وتبسّطه ، وتواضعه في علوه ، وذمّ الكبر " (الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ، ط1 ، 1984م ، ص216-266) ، والباب الثامن عشر بعنوان : " الرفق بالرعية وسياستها وتأمين السبل وما يلحق بذلك " (الشهب ، ص311-316) ، والباب العشرون في موضوع : " مراتب العقوبات " وفي الباب الواحد والعشرون عن : " ذكر السجون وأحوالها وتفقد أهلها وما يلحق بذلك " (الشهب ، ص359-364).

[4] ابن رضوا ن ، الشهب ، ص264.

[5] ابن رضوان ، الشهب ، ص348.

[6] ابن رضوان ، الشهب ، ص347-350.

[7] ف.روزنتال ، مفهوم الحرية في الإسلام ، ترجمة ، وتقديم معن زيادة ، ورضوان السيد ، معهد الإنماء العربي ،1978م ، ص59 ، 60.

[8] الشهب ، ص359.

دعا ابن رضوان(ت 783هـ) [1]سلطانه إلى تفقد أحوال المساجين ، و" أن يتعهدهم بالطعام واللباس ، وتنظيف المكان ، وتسهيل سبل العبادات ، والصون من شدة البرد ، والحر بإصلاح المبنى حيث استقرارهم ، وتفقد الأمناء المكلفين بهم " ، وهي حقوق تكتسي أهميتها حينما نعلم الوضعية السيئة للسجون ؛ عندما كان ابن زهر[2] بسجن مراكش على عهد علي بن يوسف وشاهد السجناء " يتطارحون على أعشاب كانت ما تزال من السقوف ويأكلونها وأن مما كانوا يأكلون نوعاً من اليتوع وغير ذلك لألم الجوع" ، وفي أثناء حصار الموحدين لمراكش المرابطية سادت أزمة غذائية قاسية حتى " أكل أهل السجن بعضهم بعضاً "[3]، ويلجأ الأديب السياسي في حديثه عن السجون إلى النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الحكماء التي تحث على العفو ، والحلم ، والتسامح ، وقبول الشفاعة كأنه يلتمس من السلطان أن يكون رحيماً بنزلاء هذه الأماكن ، والتي تنعتها الآداب السياسية بـ " قبور الأحياء "[4].

وقف ابن الخطيب من خلال خبراته السياسية على أهمية الرعية ، ودورها في بقاء الحكم واستقراره ؛ فبدأ بها مقامته ، ولم يبدأها بالحاشية السلطانية كالوزير ، والعمال ؛ إدراكاً لخطورتها ؛ فإنه وإن كانت بسيطة فإنها قوية باطشة ، وخاصة عندما يجتمع أفرادها على أمر ما [5]، واعتبرها ودائع الله قبل الملك ، ومسؤول عنها ، ومرآة يظهر فيها عدل السلطان وإحسانه[6]، وحرص على التنويه بحسن التعامل مع كل طبقة اجتماعية بإعطاء ما لها ، وأداء ما عليها ، وتحذير السلطان من الفتن ، والقلاقل التي قد تثيرها الرعية ، ووضع له الطرق الكفيلة بردعها بداية من تعاهدها بالموعظة والإرشاد ، ومنعها من تأويل الشريعة ، والانشغال بشبهات الدين ، ودفعها إلى العمل ، وترك البطر ، والبطالة [7]، حتى إذا ثارت عليه ؛ فإن عليه أن يتحصّن ، ويثبت بقوة ضدهم ، ويحاورهم بالحسنى حتى يرتدوا ، فإن أبوا ،

---

[1] الشهب ، ص359.

[2] كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984م ، ص456.

[3] مجهول ، الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل ذكار – عبد القادر زمامه ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء1399هـ/1979م، ص138؛ مصطفى نشاط ، السجن والسجناء (نماذج من تاريخ المغرب الوسيط) المجلس الوطني لحقوق الإنسان ، 2012م ، ص86.

[4] ابن رضوان ، الشهب ، ص359 ؛ العلام ، الآداب السلطانية ، ص204.

[5] وداد القاضي ، جوانب من الفكر السياسي للسان الدين ابن الخطيب ،مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء ، لبنان ، مج 3 ، ع23 ، نوفمبر 1981م ، ص184.

[6] ابن الخطيب ، مقامة السياسة ، ص86.

[7] ابن الخطيب ، مقامة السياسة ، ص87.

فعليه أن يبطش بهم بلا رحمة أو شفقة " واجعلهم لما بين أيديهم ، وما خلفهم نكالاً ، ولا تترك لهم على حِلْمك اتكالاً "[1].

انتهج ابن الخطيب (ت776هـ) موقف العداء تجاه الرعية بسبب صعوبة إرضائهم ، وقدم أمثلة عديدة على ذلك في كتابه " أعمال الأعلام " ومنها موقف الرعية من بناء " هشام المؤيد " للقنطرة العظمى من ماله الخاص ، وسخط الرعية منها ، وقولهم بناها للهوه وصيده ، " ولو لم يبنها لم يسلم من حملهم لأجل تركها "[2]، ولا غرو أن ينتقد الرعية في أهوائها المتقلبة ، وما يرتكبه " الرعاع " و " الدهماء " أوقات الفتن من أعمال الشغب والنهب والسلب ، وقد عاين ذلك بنفسه ، وما حل به ، وبأمواله وممتلكاته قُبيل نزوحه الأول إلى المغرب ، وهو رجل السلطة ، الحريص على استتباب الأمن والنظام ، فأدرك من واقع تجاربه تقلب أهواء العامة وصعوبة نيل رضاها تجاه أصحاب السلطة[3]، خاصة ، وأن الأوضاع في غرناطة إبّان هذه الفترة تتطلب الحزم مع الفتن الداخلية ؛ لتجنب سقوط المملكة بيد النصارى ، ما استوجب التعامل معهم بالقسوة والحزم ، وربما يكون هذا أسلوبه المتبع مع الرعية ، وهو الوزير المستبد ، فقام بالتنظير للبطش ، والقهر في التعامل مع الرعية [4].

أقسام الرعية وطرق سياستها

يأخذ تصنيف الرعية في الآداب السياسية بعداً معيارياً يتمحور حول الذات السلطانية، ويتجاوز أيّ تقسيم ، أو تحليل " سوسيولوجيٍّ" موضوعيٍّ يحدد مدلولها ومفهومها ، ولعل ما يُرتجى من هذا التصنيف السياسي " القيمة الاستعمالية " بين أدباء السياسة ؛ فلكل صنف سياسة معينة على السلطان اتباعها وفق رؤية كل أديب سياسي ، وتحديد المدلول منوط بالوظيفة التي تقوم على تنظيم " البيت السلطاني " ، و ترتيب أمور الرعية ، وهذه أمور تتوافق مع أهداف الأدب السياسي [5]، ومن نافلة القول أن مبدأ " التراتبية " أو تصنيف الرعية في هذه الآداب يعود في أصوله إلى الفكر الشرقي عموماً ، وإلى

---

[1] المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1968م ، 6ص433 ، 434 ؛ الإحاطة ، 4ص616 ، 617.

[2] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، لبنان (ب.ت) ،ص 12.

[3] أحمد توفيق الطيبي ، لسان الدين بن الخطيب : مؤرخ ثبت لفترة ملوك الطوائف بالأندلس (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي) ، مجلة كلية الآداب بتطوان ، السنة 2 ، ع2 ، 1987 ، ص 185-208 ، 202.

[4] نعيمة طبابي ، الفكر السياسي والأخلاق من خلال مقامة في السياسة لابن الخطيب الأندلسي ، أعمال المؤتمر الدولي الرابع : السياسي في البلاد الإسلامية – الفكر والأنماط والأماكن – مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية بالمتوسط ، جامعة منوبة ، تونس ، أكتوبر 2015 م ، ص73.

[5] العلام ، الآداب السلطانية ، ص193 ؛ ملاحظات حول الرعية ، ص31.

المرجعية الفارسية ، وبصماتها العديدة في الفكر السياسي الإسلامي على وجه الخصوص، ولذلك كثيراً ما ترد مقولة كسرى أنوشروان : " الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات ، طبقة من خاصة الأبرار نسوسهم بالعطف واللين والإحسان ، وطبقة من خاصة الأشرار نسوسهم بالغلظة والشدة ، وطبقة بين هؤلاء وهؤلاء نسوسهم بالغلظة مرة وباللين مرة لئلا تخرجهم الغلظة ولا يبطرهم اللين "[1].

لم تقف التصورات الفارسية عند حد التقسيم الفئوي للمجتمع ؛ بل تذهب إلى الدعوة بتخصيص لباسٍ معينٍ ، ولون محددٍ لكل فئة حتى يمكن التعرف عليها ، وتصنيفه تبعاً لتراتبيته ، وخوفاً من " انتقال صنف من هذه الأصناف إلى غير رتبته "[2] ، وهذا مؤذن بخراب المملكة ، وبالتالي نحن أمام نظام طبقي صارم ، ومغلق وجد فيه الأديب السياسي ضالته ، وتعامل معه استجابة لحاجة اجتماعية ، وسياسية خاصة بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، دونما اهتمام بتناقضه مع الروح الإسلامية ، ولا غرو ؛ فالآداب السياسية ترافقت مع النظم البدوية الإقطاعية العسكرية منتصف القرن الخامس الهجري [3]، واتبعت هذه المؤلفات طريقتين في تصنيف الرعية ، وتم تداولها بشكل كبير ، الأولى سلكت التقسيم الثلاثي ، والثانية ثنائياً.

أولاً : التقسيم الثلاثي للرعية

اتخذت الأدبيات السياسية معيار الأخلاق – كعادتها –لتصنيف الرعية ؛ إذ " الناس طبقات في الطبائع والأخلاق "[4] ؛ وهم لدى المرادي [5]" ثلاثة أجناس : كريم فاضل ، ولئيم سافل ، ومتوسط بينهما " ، وهو التقسيم ذاته الذي أورده ابن رضوان[6] ، وابن الأزرق[7] ، ووقف عليه ابن الخطيب[8] بكلمات أخرى من قبيل : " العلية ، أو العلّيون ، والأوساط ، والسفلة " ، ويعد هذا التقسيم هو الأكثر شيوعاً بين كتّاب الأدب السياسي ربما تتغير بعض الألفاظ من " كرام " و " أفاضل " و " أخيار " و " أبرار " و" علية القوم" ، ومن " أشرار " و " سفلة " و " لئام " ، ويبقى المدلول واحد ؛ فالناس تدور بين الحسن ، والقبيح ،

---

[1] ابن الحداد ، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، تحقيق ودراسة رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1983م ، ص89.

[2] أردشير ، عهد أردشير ،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1967م، ص63 ، 64.

[3] محمود إسماعيل عبد الرازق ، دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي سينا للنشر، القاهرة ، 1994م ،ص30 .

[4] المرادي ، الإشارة ، ص114.

[5] المرادي ، الإشارة ، ص113.

[6] الشهب ، ص318.

[7] بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، دار السلام للطباعة والنشر ، والترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2008م ، 2ص36.

[8] مقامة السياسة ، ص87.

وما بينهما تماماً مثل الأخلاق[1]، ويبدو أن التقسيم الأخلاقي للرعية يطوي في أبعاده الكثير من التساؤلات التي طرحها أحد الدارسين [2]، لعل أهمها : كيف نحدد الفاضل من اللئيم ، أو الخيّر من الشرير ؟ ومن بيده المعيار الفاصل ؟ ، وما الغاية من اختيار الأخلاق كمعيار أساسي لتقسيم الرعية ؟

يرى بعض الدارسين [3] أن رؤية كتّاب الأدب السياسي للعلاقات الحقوقية تنطلق من أساس طبقيٍّ ماديٍّ ثاوٍ خلف الأقنعة الأخلاقية ؛ فالكريم يرمز لطبقة الخاصة ، واللئيم السافل يرمز لطبقة العامة ، والمتوسط من ينتمي إلى الطبقة الوسطى من التجار ، وأرباب الصناعات ، والحرف ، وبالرغم من تعدد التساؤلات ، وتباين التفسيرات حول اختيار المعايير الأخلاقية في هذا التقسيم ؛ فإن أهداف الأديب السياسي هي بيان أن لكل فئة من الرعية نوعاً من السياسة السلطانية تناسبه[4]؛ فـ " الأكارم " يُساسون بالإكرام ، والإنصاف ، و " اللئيم السافل " يُساس بالرهبة ،والانتصاف ، و " الأوساط " يمزج لهم السلطان الرغبة مع الرهبة [5] ، وينوه المرادي أميره على ضرورة " معاملة كل إنسان بما يحمله خُلقه ، ولا يُنكره طبعه "[6] مع مراعاة أن " الناس تختلف أحوالهم باختلاف طبائعهم " [7]، ولا يفوته أن يحذره من المتملقين ممن " هم خلاف منازلهم التي هم في الحقيقة عليها " [8]، وألا تتجاوز رعايا كل صنفٍ طبقتها[9] ؛ حتى يتمكن السلطان من معاملة كل فئةٍ حسب " الدليل العملي " الذي صاغه الأديب السياسي.

ثانياً : التقسيم الثنائي (الخاصة – العامة).

تداولت الأدبيات السياسية مصطلحي " الخاصة " و " العامة " بكثرة ، وفي الغالب يتم استعمالهما كأمر بديهي لا يحتاج إلى تحديد ؛ فهل نرى في " الأفاضل " و " الأخيار " و " الكرماء " فئة الخاصة ، ونرى في " السفلة " و " الأشرار " و " اللئام" فئة العامة ؟ ، وهل الخاصة ، والعامة بدورهما تقسيمات أخلاقية لا أساس اجتماعي لها ؟ ، وهل يمكن القول بتطابق القيمة الأخلاقية مع الطبقة الاجتماعية ؟

---

[1] العلام ، الآداب السلطانية ، ص194.

[2] العلام ، الآداب السلطانية ، ص195.

[3] العلام ، السلطة والسياسة في الأدب السلطاني ، ص174 ؛ بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص62.

[4] أحمد سالم ، دولة السلطان ، ص190.

[5] المرادي ، الإشارة ، ص113.

[6] الإشارة ، ص114.

[7] الإشارة ، ص98.

[8] الإشارة ، ص97.

[9] في هذا المعنى يقول ابن الخطيب : " وحظر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها ، أو تخالف دورها ، أو تجاوز بأمر طاعتك فورها " (راجع : مقامة السياسة ، ص87).

يرى الجابري [1] أن الرعية في دولة الخلفاء الراشدين كانت هي الجند ، أو " القبائل المجندة " ، ثم تغير الوضع مع قدوم الأمويين ، وانفصل الجند ، وهم القبائل المناصرة لمعاوية ، عن الرعية ، وهي المجموعات التي قاتلته ، ومن مميزات الانتقال إلى الدولة العباسية ظهور " الخاصة" كوسيط بين الخليفة والعامة ، وهي شرائح مختلفة تلتف حول الأمير وتقوم على خدمته ، وتعيش من عطائه ، وكان ابن المقفع الأب الروحي للآداب السياسية هو منظر هذه الفئة الجديدة " فئة الكتّاب " ، وهؤلاء حاولوا أن يطبقوا الناس إلى طبقات ، ويرتبوا مراتبهم ، وينزلونهم على منازلهم ، وإن كانت هذه المسألة بدأت مع عمر بن الخطاب لما دوّن الديوان ، ونادى " اكتبوا الناس على منازلهم .."[2] ، وكانت هذه الفكرة في منظور العصر الإسلامي الوسيط من مظاهر العدل الاجتماعي والسياسي[3].

قام الكتّاب وروّجوا أدباً سياسياً فارسي المرجع [4]، وقسّموا الناس بالنظر إلى أنفسهم إلى قسمين : خاصة تتشكل من شرائح هم على رأسها باعتبارهم " الصحابة " والمميزين بالقدرات العقلية والصفات المعنوية لدى الأمير ، وبالتالي فهم بعض خاصته، ولا غرو أن يقول المأمون : " السوقيون سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء ، والكتّاب ملوك على الناس" [5]ومن ثم بدأت تتحدد العلاقة بين الأمير ، والخاصة ، والعامة ، وما يخرج عن دائرة الخواص ينتمي حتماً إلى العامة ، مما جعل الخاصة ، والعامة منذ بداية العصر العباسي كمصطلحين يحملان تركيباً جديداً ومعايير متداخلة لها أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية[6].

حصر الأديب السياسي معنى الخاصة في خَدَمَة السلطان ، سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي، أو بشخص السلطان نفسه، فتارة يقصد بها المقربين من الملك ، ويستعملها مرادفة " لخلطائه وأصحابه "[7] أو " لبطانة الملك وخواصه وجلسائه "[8]، أو يربط بينها ، وبين مشورة الملك من نصحائه ومستشاريه[1]،

---

[1] العقل السياسي العربي (محدداته وتجلياته) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط7 ، 2010م ، ص352-365.

[2] الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق سمير مصطفى رباب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2000م ، 2ص419-422.

[3] الجابري ، العقل العربي ص332.

[4] علي أومليل ، السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1996م ، ص145.

[5] ابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة ليدن ، 1885م ، ص1.

[6] دلال لواتي ، ثنائية الخاصة والعامة في المجتمع العربي : قراءة في أدبيات العصر الإسلامي الوسيط ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، الجزائر ، ع33 ، عام 2014م ، ص337-338.

[7] المرادي ، الإشارة ، ص77-81 (الباب السادس)

[8] ابن رضوان ، الشهب ، ص164-180 (الباب الثامن)

ويوسع كلاً من الطرطوشي[2] ، وأبي حمو الزياني[3] من دائرة الخاصة ؛ فتشمل وجهاء القبائل ، ورؤساء العشائر ، وحملة القرآن والعلم ، والأشراف ، وأشياخ البلد ، والأمناء ، مع اختلاف في الترتيب بين هذه العناصر لديهما ؛ حيث يضع السلطان أبو حمو الزياني الأشراف في مقدمة الخاصة ؛ نظراً لشرفهم في الحسب ،أو بسبب ادعاءه النسب الشريف ، ويعود ذلك إلى الظروف الصعبة التي مرت بها الدولة الزيانية ؛ فاضطر إلى ترويج هذه الفكرة من أجل جمع الرعية حوله ، وللتصدي لأعدائه[4]، وينصح أدباء السياسة في الغرب الإسلامي السلطان بأن تكون له سياسة محددة في تعامله مع الخاصة والعامة حتى يؤدي كل صنف دوره المنوط به على أكمل وجه ؛ فيحتاج " من العامة إلى محبة من غير جرأة وهيبة من غير ضغينة ، ومن الخاصة إلى العلم والنصيحة "[5] ، ويحملهما على حكم الشرع بالتساوي[6] ، و" ينزل كل جماعة منزلتها ، ويرتبها في طبقتها"[7].

راعى الأديب السياسي مصالح الخاصة على حساب العامة ، ودعا السلطان إلى الحفاظ على هذه التراتبية حتى لا تختل الأمور و يصبح الرأس ذنباً ، والذنب رأساً"[8] مع العناية بمصالح الخاصة ، ومكافأتها وتفقد أحوالها ؛ حيث يذكر ابن رضوان[9] ما يجب على السلطان من تعظيم أهل الخير ، وعن أصحاب الرأي والمشورة ، وعن إكرام أهل الوفاء في سعي لانتزاع اعتراف من السلطان بمكانة وقيمة فئة الخاصة ، وهو واحد منهم ، التي تملك السلطة الثقافية القادرة على توجيه النصيحة ، وتملك السلطة الاجتماعية القادرة على التحكم في أتباعها ؛ فهل تبطن الدعوة خطاباً " مطوياً " يعكس في أحد أبعاده مخاطر صحبة السلطان ، أو الدعوة إلى مكافأة هذه الفئة التي لا نظام " شرعي " يضمنها ، ولا سند اجتماعي يحميها في مغامراتها بصحبة شخص مثل البحر ، والزمان ، والنار لا أمان له؟ أم أنه خطاب

---

[1] راجع الباب الثالث من كتاب الإشارة للمرادي بعنوان " في الاستشارة وصفة المستشار "ص61-66 ؛ والطرطوشي ، الباب السابع والعشرين " في المشاورة والنصيحة " ، 1ص232 -239 ؛ ابن رضوان ، الباب السادس " في ذكر الجلساء والنصحاء وذكر النصيحة " ص 141 -148.

[2] سراج الملوك ، 2ص319.

[3] واسطة السلوك ، ص143.

[4] حول ادعاء أبو حمو الزياني النسب الشريف للأدارسة وأثره على تدعيم سلطته (راجع : أحمد عوض الله مشالي ، النظام الإداري في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ص40-45).

[5] ابن رضوان ، الشهب ، ص265.

[6] ابن الخطيب ، الإشارة إلى أدب الإمارة، ص64.

[7] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص152.

[8] عهد أردشير ، ص63.

[9] راجع الشهب ، الأبواب (الثاني ، والسادس ، والسابع ، والرابع عشر).

يعكس المنافع ، والحاجة المتبادلة بين سلطان يرى في الخاصة قنوات سلطته ، وخاصة ترهن مصيرها بمصير السلطان ؟ أليس للأديب السياسي رغبة ، وهو من عناصر الخاصة ، أو طموح في امتلاك نصيب من ثمار السلطة وريعها؟[1].

السلطان أو الفوضى

قامت الآداب السياسية من أجل وظيفة أيديولوجية محددة ، هي النظر إلى السلطة القائمة باعتبارها السلطة التاريخية المتطابقة لتاريخ الجماعة الإسلامية ، وتبرير قهرها بمنعها الفتنة والهرج[2] ، وتحذير الرعية من مغبة انتقاد السلطة ، أو الخروج عليها ، وفي توطيد هذه الأيديولوجية نشرت أخلاق الطاعة ، والصبر من أجل الحفاظ على النظام ، وتجنب آتون الفتن التي تُزهق فيها الأرواح ، وتُبتلى الرسالة التي تحملها الأمة ، وترعاها الدولة[3]، ومن منطلق أن الطاعة هي الأداة الوحيدة لتمكين السلطان من المُلك ، وسبيل الرعية في نيل حقوقها ، ومنحها نعمة الاستقرار [4] .

نظرت الآداب السياسية إلى الرعية بعينٍ رأت فيها بأنها أساس السلطة ، وبأخرى رأت أنها رأس الفتنة ، وما يفسر هذه الرؤية الثنائية أن بطاعتها للسلطان تستقر الأمور ، وبخروجها عليه تعمُّ الفتن ، ويستحيل النظام إلى فوضى ، فالمرادي[5] يرى الرعية " عبيد السلطان " ما داموا في حاجة إليه ، وأعداؤه إذا ما استغنوا عنه ، وينعتهم بالتملق ، والخداع[6] ، ويحذر أميره من العداوة ، والبغضاء التي في صدورهم تجاهه على الرغم من محبته ، وعدله بينهم[7] ، وهي الصورة القاتمة التي رسمها أبو حمو موسى(ت 791هـ) لولي عهده عن الرعية ، ويقصد فئة العامة بأنها مجبولة على الفساد ، ويغلب على طباعها إثارة الفوضى ، والهرج ، ويوصيه " بتكميم أفواه المعارضين " لسلطته ؛ لأن العامة إذا قدرت أن تقول قدرت أن تصول ، ونقل عن أرسطو مقولته : " اتقوا العامة فإنها إن قامت لم ترفد ، وإن طلبت لم تجد "[8]

---

[1] العلام ، الآداب السلطانية ، ص197.

[2] كمال عبد اللطيف ، في تشريح أصول الاستبداد (قراءة في نظام الآداب السلطانية) ، دار الطليعة ، بيروت 1999م ، ص264.

[3] كمال عبد اللطيف ، في تشريح أصول الاستبداد ، ص266 ، 276.

[4] زهير فريد مبارك ، أصول الاستبداد العربي ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط1 ، 2010م ، ص246.

[5] الإشارة ، ص114.

[6] الإشارة ، ص97.

[7] الإشارة ، ص109.

[8] أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص152 ، ونقل عنه ابن رضوان " الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل ، فاجهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل " (الشهب ، ص261) .

وينصح ابن الخطيب[1] الملك بإنشاء الحصون ، والقلاع ؛ لأن الغالب على الرعية الثورة ، والخروج عن الطاعة.

تكررت دعوات الأديب السياسي نحو إصلاح الرعية ، ولأن الخطاب السياسي في هذه الآداب يدور حول السلطان ، فالبداية تكون بإصلاح السلطان من نفسه ، فالصلاح ، والفساد للبلاد ، والعباد مقترن بذاته[2] ، وتجنبه مواطن الشبهات ، والترفع عن مصاحبة أهل الفسق ، والمجون ، واللهو واللعب[3]، وإلى ضرورة استعمال خاصة من رعيته لإصلاح أمور الناس[4] في إشارة للدور الذي يلعبه الأديب السياسي ، وتنويه بأهميته في استقرار الدولة ، ويدخل أمر إصلاح الرعية من جملة الواجبات التي يتعين على السلطان إقامتها ، ويعوّل على مبدأ الوقاية خير من العلاج ؛ فينصح أميره بإصلاح رعيته بدلاً من تعبئة الجنود لقمعها ، وتأديبها ؛ " فإن السلطان إذا قوّى جنده بإضعاف رعيته ، فإنه مُضْعِفٌ لجنده ومتلف لمُلكه لا محالة "[5] وينصح الطرطوشي [6]الملك ألا يكون همه من الرعية جمع المال ؛ فتكون عليه " بلاء وفتنة " ، وإنما يتخذهم أهلاً وإخواناً فتكون له " جنداً وأعواناً " ، وتجدر الإشارة إلى أن هذه النصوص السياسية وسمت الرعية بالعجز ، وعدم القدرة على إصلاح نفسها ، والوحيد القادر على إصلاحها هو الملك ، وليس العكس[7].

وجوب طاعة الحاكم وأبعادها

يرى أحد الدارسين[8] أن طاعة الحاكم هو الموضوع الوحيد الذي خاطبت به الآداب السياسية الرعية بشكل مباشر، وهدفهم الأساسي تمجيد طاعة السلطان ، وترسيخ المبدأ في ذهنية الناس ، واستعانت بجملة من النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والروايات التاريخية ، وأقوال ، وحكم مستلةٍ من التراث اليوناني ، والفارسي تم حشدها في أبواب ، وفصول هذه الأدبيات السياسية[9] ، واستحالت في

---

[1] مقامة السياسة ، ص87.

[2] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1ص151.

[3] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص328.

[4] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص330 ؛ وحول هذا المعنى أشار ابن الخطيب في مقامة السياسة ، ص86 ، 87.

[5] المرادي ، الإشارة ، ص93.

[6] سراج الملوك ، 2ص320.

[7] أحمد محمد سالم ، دولة السلطان ، ص187.

[8] بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص54.

[9] من ذلك ما ورد عند الطرطوشي في الباب الخامس عشر وعنوانه " فيما يعز به السلطان وهي الطاعة " (سراج الملوك ، 1ص180، 181) ، وابن رضوان في الفصل الأول من الباب الأول " في وجوب طاعة الملك ، وذكر ما له من الثواب " (الشهب ، ص66-70).

مضمونها إلى دليل سياسي لوجوب الطاعة ، وإبرازها كفضيلة ، وقيمة أخلاقية[1] ، وفي هذا الصدد استعان أدباء السياسة باستراتيجيات متعددة الجوانب ، والأبعاد ، منها البعد الديني ، والنفسي ، والقرابي ، والتربوي ، وعلى مجال الطبيعة في استعمال صور ذات بعد إيحائي تؤكد على ضرورة السلطان ، ووجوب طاعته[2].

وضعت الآداب السياسية مسألة الطاعة في مرتبة الأمر " الواجب " في الفقه ، والمشبع بحمولة دينية لا يمكن تجاوزها بسبب الطابع المقدس ، والمنعكس من النصوص الدينية الآمرة التي استطاع الأديب السياسي توظيفها بما يتوافق مع التيارات المذهبية المنتمية إلى أهل السنة والجماعة في تكريس مبدأ الطاعة[3]، وإعادة إنتاجها بما يتواءم مع نظام الاستبداد السياسي بهدف تقويته ، أو التخفيف من سطوته ، والتعايش معه [4] ، ومن نافلة القول أن " مبدأ الطاعة " في النصوص السياسية الإسلامية مستمد من القيم الفارسية ، ووصايا الملك " أردشير " ، واعتمده كتّاب الأدبيات السياسية على أنه الأنموذج المناسب للتدبير السياسي لمجتمع منظم ، ومستقر قائم على سموّ المُلك ، وتبرير استبداد السلطة من خلال قوة السلطان المستمدة من نسبه الإلهي[5].

تماهت الطاعة كواجب شرعي في أدبيات الغرب الإسلامي مع مبدأ المماثلة بين " الإله" و " السلطان " بجامع الطاعة بينهما ، وفي حفظ الدين ، والدنيا ، يقول الطرطوشي[6] :" الطاعة تؤلف شمل الدين ، وتنظم أمور المسلمين " ، ويكتسي " وجوب الطاعة " في مخيال أدباء السياسة أهميته الدينية من المعادلة المؤسسة على أن معصية السلطان تساوي طاعة الشيطان ، وبما يؤدي إلى الخروج من رحمة الله ، وفي هذا الصدد يقول ابن رضوان [7]: " فمن عصى السلطان ، فقد أطاع الشيطان "، " وعصيان الأئمة تهدم أركان الملة ، والطاعة ملاك الدين "[8] ، ما يعني تقييد حرية الفرد في نقد ، أو معارضة السلطة التي أصبحت من المحرمات ، وانتقل الفعل السياسي من المجال البشري إلى فضاء المقدس

---

[1] بوتشيش ، نصائح الآداب السلطانية كآلية استباقية لتجنب العنف بمغرب العصر الوسيط ، ضمن كتاب " العنف في تاريخ المغرب " من أشغال الأيام الوطنية الحادية والعشرين للجمعية المغربية للبحث التاريخي (14-16 نوفمبر 2013م) الرباط : منشورات ملتقى الطرق ،2015م ، ص97.

[2] أحمد محمد سالم ، دولة السلطان ، ص203 ؛ بوتشيش ، نصائح الآداب السلطانية ، ص98.

[3] رضوان السيد ، رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام ، مجلة الاجتهاد ، بيروت ، ع13 ، 1991م ، ص96.

[4] بوتشيش ، نصائح الآداب السلطانية ، ص54.

[5] زهير فريد مبارك ، أصول الاستبداد ، ص246 ، كمال عبد اللطيف ، في تشريح أصول الاستبداد ، ص264.

[6] سراج الملوك ، 1ص180 ؛ ويقول : " بالطاعة تقوم الحدود ، وتؤدى الفرائض ، وتحقن الدماء ، وتؤمّن السبل " (1ص181) .

[7] الشهب ، ص152.

[8] سراج الملوك ، 1ص180.

الديني[1] ، وفي هذا الإطار يؤسس الخطاب السياسي السلطاني للطاعة بوصفها قيمة أخلاقية ، ونفسية ، وتربوية على أنها الطريقة المثلى في علاقة الحاكم برعيته لتحقيق السعادة من خلال ذيوع الأمن ، والطمأنينة ، والاستقرار ، والخير ، والنماء ؛ فـ" سعادة الرعية في طاعة الملوك "[2].

رسمت الآداب السياسية صورة نمطية للسلطان على أنه أبٌ للرعية في سبيل ترسيخ فكرة وجوب الطاعة ، والربط بينها ، وبين بر الوالدين بما يجمع بينهما من الفريضة ، والثواب ،وواجب الخضوع الذي هو فضيلة عند المرادي [3]" لا يحسن إلا للعالم ، والوالدين ، والسلطان العدل " ، ونسجت الأدبيات بين الراعي، والرعية علاقة قرابى وسع دائرتها الطرطوشي[4] وجعل الرعية ثلاثة أنفس : كبير، وصغير ، ووسط، ودعا السلطان أن يجعل كبيرهم أباً، وأوسطهم أخاً، وصغيرهم ابناً، فالأب يحتاج إلى بر ابنه ، والأخ إلى كرم أخيه، والابن إلى رحمة يحظى بها من أبيه ، ويحث " صاحب السلطان " من أجل سلامته على الخضوع فقال : " إذا جَعَلَكَ السلطان أخاً ، فاجعله أباً "[5].

كرّسَت هذه الآداب مجموعة من الصور تجعل من طاعة السلطان جزءاً من نواميس الكون ، وقوانين الطبيعة التي يخضع ، ويسلِّم لها البشر، فالسلطان بمثابة الرأس ، والروح ، والغيث ، والشمس ، والقمر ، والريح ، والمطر ، والأرض ، والموت [6]، وغيرها من الإيحاءات الرمزية من مفاهيم الحقل الطبيعي لأجل تقريب معنى الخضوع الواقعي للطبيعة إلى الخضوع ، والطاعة المراد تحقيقها للسلطان بامتلاكه المهارات الفطرية في سياسة دولته ، ورعيته ، وباعتبارها فضيلة ، وقيمة سامية تعكس روح " المواطن " الصالح[7]، وبما أن خضوع الرعية للحاكم غالباً ما يكون قهراً ، وشوكة ، وعصبية ؛ فالآداب السياسية تدعو السلطان إلى قبول ظاهر الطاعة دون التنقيب في قلوب الناس لمعرفة ما تطويه الصدور، وهذا ما نوّه إليه ابن رضوان[8] فقال : " من حق الرعية على المَلك حُسْن القبول لظاهر طاعتها ، وإضرابه

---

[1] بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص55.

[2] ابن رضوان ، الشهب ، ص65.

[3] الإشارة ، ص131.

[4] سراج الملوك ، 1ص160.

[5] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص339.

[6] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 2ص523.

[7] أحمد محمد سالم ، دولة السلطان ، ص203 ؛ بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص54.

[8] الشهب ، ص317.

صفحاً عن مُكاشفتها"، فضلاً عن أن الرياء ، والتصنع من آليات " المقاومة السلبية " التي تواجه بها الرعية جور السلطان[1].

التحذير من الخروج على الحاكم ، والطاعة في العدل والجور.

أثار موضوع طاعة الحاكم خلافاً في الأدبيات السياسية تحول إلى جدل فكري تقاسم أدباء السياسة أطرافه ما بين القول بطاعة مشروطة ، وأخرى مطلقة ، إلى جانب التناقض الذي يعتري المؤلف داخل النص السياسي الواحد في محاولة للبحث عن رابط بين الاستبداد المطلق ، والطاعة المطلقة دون إيجاد القرائن الكافية[2]؛ فاشترط المرادي ، وأبو حمو موسى الزياني ، وابن الخطيب طاعة السلطان بتطبيقه العدل ، والوفاء بالعهد ، والرحمة ، وإقراره الأمن [3]، وإذا كان العدل بمفهومه الواسع هو الذي يعطي المبرر لطاعة الرعية للحاكم وفق عقد ضمني ؛ فاستعمال هذه النصوص لصورة العدل ، وحث السلاطين عليها لعرض صورة أخرى في المقابل حتى تستسيغها الرعية ، وهي الصبر على الظلم ، وعدم الخروج على الحاكم خوف الوقوع في الفتن ، والفوضى ، ووفقاً لعقيدة أهل السنة بأن " الظلم أو الفسق ليس من مسوغات الخروج على الحاكم"[4] يرى الطرطوشي ، وابن رضوان أن طاعة السلطان مطلقة ، وغير مقيدة بشروط " فإذا عدل السلطان كان له الأجر ، وعلى الرعية الشكر ، وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر"[5] ، وتطبيقه للعدل هبة من السلطان ، وممارسته للظلم حسب رغباته ، وأهوائه[6].

ناقض ابن رضوان[7] نفسه ، وتدارك في موضع آخر من كتابه موقفه في نصرة الإمام الظالم ، وساق حديثاً رفعه إلى ابن طاووس ينص على أن : " من أعان سلطاناً ظالماً ، ولو بخط قلم ، لم تعار قدماه بين يديّ الرحمن حتي يؤم به إلى النار "، ويرجّح أحد الدارسين [8] أن مثل هذه " التناقضات "

---

[1] قال الطرطوشي : " إذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية ، وإذا جار لم يملك منهم إلا الرياء والتصنع" (راجع : سراج الملوك ، 2ص333).

[2] بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص56 ، 57.

[3] المرادي ، الإشارة ، ص107 ؛ أبو حمو ، واسطة السلوك ، ص152 ؛ ابن الخطيب ، مقامة السياسة ، ص86 ، 87.

[4] أجمع فقهاء أهل السنة على وجوب طاعة الحاكم في غير معصية ، ومشروعية الصبر على أذاه ، ووجوب نصحه ، والإنكار عليه ، وعدم الخروج عليه بالسيف ، وأما عزله من غير فتنة فهو محل نظر بينهم (راجع : عبد الله الطريقي ، طاعة أولي الأمر ، القسم الثاني ، مفهوم الطاعة والعصيان ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض 1995م ، ص76 ، 77).

[5] ابن رضوان ، الشهب ، ص61.

[6] أحمد محمد سالم ، دولة السلطان ، ص198.

[7] الشهب ، ص80.

[8] بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص57 ،58.

الفكرية نوع من المغامرة ، والهروب إلى الأمام ، فأنصار الصبر على الطغيان ، والجور السلطاني يرون أنه تنازل مشروع من جانب الرعية لغاية حراسة الدين ، وتجنب الفتنة ، والدفاع عن وحدة " الجماعة " تحت مقولة : " سلطان غشوم خير من فتنة تدوم" [1]، وهو ما تردد صداها في الأدبيات السياسية خوف وقوع " حرب أهلية " [2]، وأدى في الأخير إلى تصاعد وتيرة الاستبداد السياسي في الغرب الإسلامي سيما وأن الطرطوشي يرى أن المُلك وضع للحيلولة دون ذلك ، وأن علاقة السلطان برعيته وفق ميثاق بين الله وبين السلطان يلزم معاملة الرعية بالعدل والإنصاف والإحسان ، وليس بينه وبين الرعية ، ومن ثم لا يحق لها المطالبة بعزله ، أو الخروج عليه[3]؛ فإذا قال أحد من الرعية : أن الملوك ليسوا كمن مضى من الملوك ، يقال له : بأن الرعية ليست كمن مضى من الرعية ، وأنه بدلاً من ذم السلطان ، الأولى أن يذمّ السلطان رعيته[4].

لا يبدو ثمة فارق بين القائلين بطاعة مطلقة ، وأخرى مشروطة فكلاهما مُسخريْن لأجل هدف واحد ، وغاية أساسية تتمثل في حمل الرعية على طاعة السلطان[5]، ولا داعي للسؤال الذي طرحه الطرطوشي[6] " عمَّ يجب على الرعية إذا جار السلطان ؟ " فالإجابة معلومة سلفاً ، وليس لهم إلا الصبر سيما ، وقد حشد في الباب مجموعة من الروايات ، والأقوال ، والأحاديث النبوية تحث كلها على تحمّل مضار السلطان الجائر ، وظلمه[7]، وتحذر من مغبة الخروج عليه ، وإذا كان التراث الفكري في الإسلام انقسم حول " مسألة الخروج على الحاكم" ما بين مجموعتين رأت الأولى عدم جواز الخروج تحت أي ظرفٍ ، وعدّوا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر إذا احتاج إلى حمل السلاح " فتنة " ، ومن أبرز أصحاب هذا الرأي بعض أهل الحديث ، والمرجئة ، والجبرية ، والشيعة الإمامية[8]، ومجموعة أخرى رأت الخروج عليه ، وهم الخوارج ، والمعتزلة ، وبعض فرق الشيعة كالكيسانية ، والزيدية ، والاسماعيلية ،

---

[1] الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1ص161.

[2] أولريك هارمان ، سلطان غشوم خير من فتنة تدوم ، نظرات مقارنة في الفكرين السياسيين الوسيطيين الإسلامي والأوروبي ، مجلة الاجتهاد ، ع13 ، خريف 1991م ، ص99 .

[3] لامبتون ، "الفكر السياسي عند المسلمين" في : كليفورد بوزورث وحسن نافعة ، تراث الإسلام ، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمدة ، مراجعة فؤاد زكريا ، عالم المعرفة 12، ج2 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978م ، ص114.

[4] الطرطوشي ، سراج الملوك ،2ص323.

[5] بوتشيش ، خطاب العدالة ، ص58.

[6] سراج الملوك ، 2ص462.

[7] العلام ، ملاحظات حول الرعية في الأدب السلطاني ، ص34.

[8] جمال الحسيني أبو فرحة ، الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2004م ، ص61.

وبعض أهل السنة كابن حزم الأندلسي[1]؛ فإن موقف كتّاب الآداب السياسية لا يُجيز ، ولا يُبرر الخروج على الحاكم الظالم ، وهذا ما كرّس للاستبداد والطغيان ، وأصبح بقاء السلطة " الغاشمة " له عندهم ما يبرره[2].

موقف الرعية تجاه الاستبداد السلطاني ، ورد فعل الدولة.

واجهت العامة في الغرب الإسلامي خطاب الآداب السياسية – الذي يشرعن ما هو كائن من الاستبداد ، والظلم ، وتبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلطان في التصدي للعامة إذا ما حاولت الخروج ، أو الثورة على سلطاته – وأفرزت خطاباً سياسياً يأخذ شكل المقاومة الفكرية لهذا النوع من التفكير السياسي يعبر عن مظالم الرعية ، ويكشف عن مواقفهم إزاء ما يدور حولهم اقتصادياً ، أو اجتماعياً ، أو سياسياً ، أو دينياً في إطار لغة واصفة تتوسل أساليب للتعبير عنها مثل : الحكاية ، أو المثل ، أو الشعر ، أو الزجل...الخ[3] ، صحيح أنه يختلف من الجوانب الشكلية " المورفولوجية " ، عن الآداب السياسية التي هي خطاب سياسي لا يتقنه إلا من يمتلك نواصي الكتابة ، أو تَسِمُهُم تلك الأدبيات بأهل القلم [4] مما يجعل خطابهم ذا بنية نظرية على درجة من التماسك مستمدة من أيديولوجية معينة تسوغ الأخطاء والإخفاقات إن وجدت ، وتبرر الاستبداد ، والجور بما يغاير خطاب العامة شكلاً ، ومضموناً[5].

تزعم المتصوفة هذا النوع من التفكير السياسي المضاد ؛ لشعورهم بكونهم لسان العامة ، أو المغبونين المستضعفين [6] الذين أرهقتهم الحروب بين الكيانات السياسية في الغرب الإسلامي ، والسياسات التوسعية التي خلقت للعامة متاعب اقتصادية ، واجتماعية ، ونفسية ؛ وهو ما عبر عنه بعض الصلحاء في مراحل مختلفة من مغرب العصر الوسيط أثناء تدخلهم لمنع بعض الحملات العسكرية ؛ فورد في

---

[1] جمال الحسيني أبو فرحة ، الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي ، ص69 ، 70.

[2] أحمد محمد سالم ، دولة السلطان ، ص199.

[3] شقور عبد السلام ، الشعر المغربي في العصر المريني ، قضاياه وظواهره ، دار الأمل للطباعة والنشر ، 2014م ص89 ؛ محمد المنوني ، ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، سلسلة بحوث ودراسات رقم 20 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1996م ، ص324 .

[4] ابن خلون ، المقدمة ، ص318.

[5] حميد تيتاو ، الخطاب السياسي لدى العامة في مغرب العصر المريني ، ملعبة الكفيف الزرهوني نموذجاً هيسبريس تمودا ، العدد 2014م ، ص14.

[6] محمد مفتاح ، التيار الصوفي والمجتمع المغربي أثناء القرن 8 هـ / 14م ، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب 1980–1981م ، ج1ص195.

بعض تراجم " التشوف [1]" أن أحد المتصوفة اعترض طريق تاشفين بن علي المرابطي لمنع حركته إلى وهران وقال له : " أين تذهب بهذا الخلق تهلك عباد الله " ، وما ورد في ترجمة لأحد أولياء المغرب الأوسط أنه اعترض سبيل أمير حفصي تحرك إلى تلمسان لمهاجمة دولة بني عبد الواد فقال له : " آش تسأل لهذا الناس ، تخرب بلاد الإسلام "[2]، إلى جانب حضور الصوفية المهم في محاولة وقف الحرب ومنع اندلاعها[3].

اعترض الكفيف الزرهوني على سياسة أبي الحسن المريني التوسعية في " ملعبته " وهي تمثل نوعاً من الزجل السياسي ، ولم يختلف موقفه كثيراً عن موقف المتصوفة ، وغيرهم من الناطقين بأحوال العامة وهمومها ، وكل الذين شغلتهم نتائج هذه الحملات العسكرية ، واعتقدوا بعدم جدواها ، وإن تميز بنظرة واسعة عن المتصوفة الذين اهتموا بحماية من تقصدهم الحملات بالحرب أو الحصار فحسب ، بينما أشفق الزرهوني ، كذلك على من دفع بهم السلاطين في هذه الحملات من جنود وغيرهم ممن خلفوهم في بلاد المغرب من نساء وأطفال ؛ مما يعطي لخطابه السياسي بعداً خاصاً يعكس وعياً شعبياً عميقاً ، ونضجاً سياسياً عالياً حول دواعي رفض التوسع المريني في اتجاه الشرق عامة ، وحركة

---

[1] ابن الزيات التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف ، نشر وتصحيح أودلف فور ، مطبوعات إفريقيا الشمالية ، الرباط ، 1958م ص116.

[2] ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ، المطبعة الثعالبية ، 1908م ، ص137.

[3] يمكن هنا الاستشهاد بموقف الشيخ عبد الرحمن أبي زيد الهزميري الذي شق عليه ما تكبده أهل تلمسان من معاناة جراء الحصار الطويل الذي ضربه أبو يعقوب يوسف ، ف " رحل من بلده أغمات لقضاء الحاجة من أمير المؤمنين ... ونيته باطناً صرفه عن ذلك الحصار ، ويكف عن حصره عليهم لشدته حتى بلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير ذهباً للقوت لا للدواء ، والفأر ثمن معتبر فلم يقبل منه ، فرجع إلى فاس ونزل بجامع الصفارين ... فبعد أيام قتل السلطان أبو يعقوب ورجع جيشه " وهي كرامة تحيل إلى دعوة مستجابة للولي في السلطان بعد رفض وساطته في فك الحصار وتحيل إلى عقاب أنزله الولي لصالح المتضرر منه (راجع : أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989م ، ص242 ؛ التنسي ، تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان ، تحقيق وتعليق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1405هـ / 1985م ، ص133 ؛ ابن قنفذ ، أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق محمد الفاسى ، وأدولف فور ، مطبعة أكدال الرباط 1965م ، ص70) وهناك كرامة أخرى مرتبطة بفك هذا الحصار ، وتتعلق بما أورده ابن مريم في تفسير الرؤيا أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق مع غيره من أهل تلمسان أيام حصره لها ، فرأفي منامه أبا جمعة علي الجرائحي منهم كأنه قائم على سانية دائرة وجميع أقداحها وأقواسها تصب في نقير في وسطها ، فجاء يشرب فاغترف الماء فإذا فيه فرث ودم ، فأرسله واغترف فإذا هو كذلك ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل إلى خصة ماء فجاء وشرب منها ثم استيقظ وهو في النهار فأخبره فقال : إن صدقت الرؤيا فنحن خارجون عن قريب من هذا السجن ، قال كيف ؟ قال ، السانية الزمان ، والنقير السلطان ، وأنت الجرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا لا نحتاج معه إلى دليل ، فلم يكن إلا ضحوة الغد فإذا النداء عليه فخرج فوجد السلطان مطعوناً بخنجر ، فأدخل يده في جوفه فناله الفرث والدم فخاط جراحته ، وخرج فرأى خصة ماء فغسل يده وشرب ، فلم يلبث السلطان أن توفي وسرح المسجونون " (راجع : ابن مريم ، البستان ، ص160 ؛ أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص424).

السلطان إلى إفريقية خاصة [1]، وبرز دور المتصوفة في التصدي لجور الولاة ، وتعسف الجباة في جمع الضرائب ، وفرض أنواعاً عديدة منها ، وهو ما تضمنته رسائل ابن عباد الرندي التي يطالب فيها بـ" إلغاء مظلمة الرتب " ويدعو السلطان المريني أبا فارس عبد العزيز بن أبي الحسن إلى " تفقد العمال " [2]، بالإضافة إلى رسالته الأخرى في نصح وزيره[3].

تعاملت الدولة خلال العصر الوسيط مع الخصوم والمناوئين لسلطتها وفق مبدأ التكفير؛ فالدولة لا ترى في أعدائها مجرد خصوم سياسيين فحسب، وإنما كفارًا يجوز؛ بل يجب قتالهم قتال العدو الكافر [4]، ومصيرهم بعد القتال يرتبط بما تحدده المنظومة الفقهية في التعامل مع أهل الكفر من القتل أو الاسترقاق وما يتبع ذلك من نزع لملكية النفس والأرض والمال ، وما ساعد على تكريس هذا المبدأ إسهامات بعض الفقهاء في مجال الآداب السياسية ، وتقديم أنجع السبل للحفاظ على السلطة ، والطريقة المثلى التي ينبغي للأمير أن يسوس بها رعيته لكسب ولائها ، أو كشف تآمرها وكيفية ردعها إن أعلنت العصيان والخروج على طاعته حتى انتهى الأمر بفقه السياسة إلى الاعتراف بأن الحكم إنما يتم بالغلبة والشوكة وفق مقولة " من اشتدت وطأته وجبت طاعته "[5] .

نصح المرادي[6] أميره بتبني أسلوب الحيلة والكياسة في معاملة الرعية لأن " أكيس القوم من لم يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غيره سبيلاً ، ولأن الحرب ينفق فيها من الأعمار وغيرها ينفق فيها من الأموال " بيد أنه لم يتردد في الاعتراف بسلطان الجور الذي " تلزمه فنون من التدبير يستعطف بها القلوب ... وأن تكون سياسته على قوانين مألوفة ولا يكثر من تغييرها ، فإن الظلم المألوف تصبر عليه النفوس أكثر من صبرها على الظلم المتغير"[7] ، وانتظم القول في الآداب السياسية على اعتبار السلطان ظل الله في أرضه ، وتجسيداً لحكمه عليها ، وأضفى عليه صفة " المقدس " وصار موضوعاً للتميز

---

[1] الكفيف الزرهوني ، ملعبة ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1407هـ /1987م ، مقدمة المحقق ص23، حميد تيتاو ، الخطاب السياسي لدى العامة في مغرب العصر المريني ، ملعبة الكفيف الزرهوني نموذجاً ، ص15-19.

[2] راجع نص الرسالة في" رسائل ابن عباد " تقديم رشيد السلامي " ضمن كتاب " متنوعات محمد حجي " ، دار الغرب الإسلامي ، 1981م ، ص511.

[3] رسائل ابن عباد ، ص528، 529.

[4] عبد الإله بنمليح ، الرق في المغرب والأندلس خلال القرنين 5 و 6 هـ ، أطروحة دكتوراة ، كلية الآداب سيدي محمد بن عبد الله ، فاس 1999م /2000م ، ص111.

[5] محمد عابد الجابري ، من أجل إعادة بناء الفكر السياسي في الإسلام ، مقالة 44 ضمن سلسلة مواقف ، ع28 ، ط1 يونيو 2004م ، ص27.

[6] كتاب السياسة ، أو الإشارة في تدبير الإمارة ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1981م ، ص149

[7] المرادي ، كتاب السياسة ص108.

والاستثناء ، والتسامي والخروج عن المألوف ، ومجسداً للشرع بوصفه انكشاف لإرادة الله ، وتعبيراً عن سنة رسوله ، وبالتالي أضحى بإمكان السلطان أن يمارس عنفه " الشرعي " على رعاياه بكل الطرق كي تتوحد الأمة ، وتتجسد الإرادة الإلهية : " إن الله ليزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن "[1]، وهذا ما اتسمت به الدولة في الغرب الإسلامي تجاه رعاياها[2].

الخاتمة:

يبدو من خلال ما سبق أن خطاب الآداب السياسية في الغرب الإسلامي سعى نحو تحقيق عدة أهداف لعل أهمها : تدجين الرعية التي تئن تحت وطأة الطغيان ، وتحذيرها من مآل الخروج على السلطان ، وتشديدها على لزوم طاعته حتى ولو جار ، وفي الوقت ذاته وضعت قواعد لتعامل السلطان مع الرعية إذا حاولت الخروج على سلطته ، وحددت أساليب ، وسياسات لأصناف الرعية راعى فيها الأديب السياسي مصالح الخاصة على حساب العامة ، وإن كانت بعض أدبيات السياسة حاولت استجداء حقوق الرعية عبر دعوة السلطان إلى العدل ، والرحمة ، والشفقة ، فإن البعض الآخر قام بتقنين الظلم السلطاني ، وعمل على تنظيمه بما لا يجعل الرعية تشعر بسطوته ؛ فالسلطان أو الفوضى مما أعطى للدولة الغطاء التبريري كي تمارس سياساتها القمعية إزاء خصومها السياسيين وفق مبدأ التكفير لمعارضي سلطتها ، وما يلحقه من أحكام فقهية ، ويبقى الهدف الأسمى للآداب السياسية ، وهو المحافظة على ديمومة السلطة القائمة عبر آليات وتقنيات كرّست في النهاية للاستبداد السياسي.

المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر

-ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ت:741هـ /1339م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، ط1 ، 1972م .

-ابن الأزرق ، محمد بن علي بن محمد الأصبحي ،(ت :896هـ /1491م)، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، دار السلام للطباعة والنشر ، والترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2008م .

-ابن الحداد (محمد بن منصور بن حبيش الموصلي ، كان حياً 673هـ / 1274م)، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، تحقيق ودراسة رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت 1983م.

[1] عبد السلام حيمر ، المغرب: الإسلام والحداثة ، مطبعة سندي ، مكناس 1997م، ص8 ، 9.

[2] حول العنف الذي مارسته الدول في الغرب الإسلامي راجع (حميد تيتاو ، الدولة والعنف في تاريخ المغرب الوسيط ، دراسة حالة ، مجلة أمل ، المغرب ،مج15 ،ع33 عام 2008م ،ص81 -101).

-ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله ، ت :776هـ /1374م) ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، لبنان (ب.ت).

-.(ـــــــــــــ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1975م.

-(ـــــــــــــ) ، مقامة السياسة ، تحقيق محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004م.

-ابن الزيات التادلي (يوسف بن يحيى المعروف بابن الزيات ، ت :617هـ /1220م) التشوف إلى رجال التصوف ، نشر وتصحيح أودلف فور ، مطبوعات إفريقيا الشمالية ، الرباط ، 1958م.

-ابن الفقيه الهمذاني ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت 365هـ/975م) ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة ليدن ، 1885م.

-ابن خاقان، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد (ت: 247هـ /861 م) ، قلائد العقيان ، طبعة مصر ، 1284هـ / 1866م .

-ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ / 1405م)، المقدمة بتحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للنشر ، ط7 ، 2014م.

-(ـــــــــــــ) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق خليل شحاذة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2001م .

-ابن رضوان المالقي (عبد الله بن يوسف ، ت : 783هـ /1383م) ، الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ، ط1 ، 1984م .

-ابن زهر ، أبو مروان عبد الملك (ت 557هـ /1162م) ، كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984م .

-ابن عباد الرندي (ت : 792هـ /1390م)، " رسائل ابن عباد " وتقديم رشيد السلامي " ضمن كتاب " متنوعات محمد حجي " ، دار الغرب الإسلامي ، 1981م .

-ابن عذاري (أبو الحسن أحمد المراكشي ، ق8هـ/14م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج. س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1983م .

-ابن قنفذ ، أبو العباس أحمد بن الحسن (ت810هـ/ 1407م)، أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق محمد الفاسي ، وأدولف فور ، مطبعة أكدال الرباط 1965م .

-ابن مريم ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتى المديونى (كان حياً سنة 1011هـ /1602م) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ، المطبعة الثعالبية ، 1908م .

-أبو حمو الزياني، موسى بن يوسف (ت 791هـ /1389م) واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تحقيق محمود بو ترعة ، دار الشيماء للنشر والتوزيع ، ودار النعمان للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2012م.

-أردشير (بن بابك بن ساسان ، ق3 م)، عهد أردشير ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1967م.

-التنبكتي ، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد (ت 1036هـ /1627م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989م.

-التنسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل (ت 899هـ/1494م) تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بنى زيان ، تحقيق وتعليق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1405هـ / 1985م.

-الطرطوشي ،أبو بكر محمد (ت: 520هـ /1126م) سراج الملوك ، تقديم شوقي ضيف ، وتحقيق محمد فتحي أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1994م .

-الكفيف الزرهوني ، ملعبة ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1407هـ /1987م .

-الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ،(ت : 450هـ /1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق سمير مصطفى رباب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2000م.

-مجهول ، مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2005م .

-مجهول ،(مؤلف أندلسي توفى خلال ق8هـ /14م) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل ذكار عبد القادر زمامه ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء1399هـ/1979م.

-المرادي ،أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي (ت :489هـ /1098م) الإشارة إلى أدب الإمارة ، تحقيق رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1981م .

-(ـــــــــــــ) كتاب السياسة ، أو الإشارة في تدبير الإمارة ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1981م.

-المراكشي ،محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ،(ت: 703هـ /1303م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1426هـ /2006م .

-المقري ، أحمد بن محمد التلمساني ،(ت1041هـ /1631م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1968م .

المراجع:

-أبو فرحة (جمال الحسيني) ، الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2004م.

-أركون (محمد)، الإسلام " الأخلاق والسياسة " ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، 1990م.

-أومليل (علي)، السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1996م.

-بوزورث ، (كليفورد) وحسن نافعة ، تراث الإسلام ، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمدة ، مراجعة فؤاد زكريا ، عالم المعرفة 12، ج2 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978م .

-الجابري(محمد عابد) ، العقل السياسي العربي (محدداته وتجلياته) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط7 ، 2010م .

-حيمر(عبد السلام) ، المغرب: الإسلام والحداثة ، مطبعة سندي ، مكناس 1997م.

-روزنتال (فرانز) ، مفهوم الحرية في الإسلام ، ترجمة ، وتقديم معن زيادة ، ورضوان السيد ، معهد الإنماء العربي ،1978م .

-سالم (أحمد محمد)، دولة السلطان (جذور التسلط والاستبداد في التجربة الإسلامية) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2011م .

-الطريقي (عبد الله) ، طاعة أولي الأمر ، القسم الثاني ، مفهوم الطاعة والعصيان ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض 1995م .

-عبد الرازق (محمود إسماعيل)، دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي سينا للنشر ، القاهرة، 1994م .

-عبد السلام ،(شقور) ، الشعر المغربي في العصر المريني ، قضاياه وظواهره ، دار الأمل للطباعة والنشر ، 2014م

-عبد اللطيف (كمال) ، في تشريح أصول الاستبداد (قراءة في نظام الآداب السلطانية) ، دار الطليعة ، بيروت 1999م

-العلام (عز الدين)، الفكر السياسي السلطاني (نماذج مغربية) دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 (ب.ت).

-(ـــــــــــ) ، الآداب السلطانية (دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي) ،عالم المعرفة ، الكويت ، ط1 ، 2006م.

-مبارك ، (زهير فريد) ، أصول الاستبداد العربي ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط1 ، 2010م.

المجلات والدوريات:

-أمعيط (نور الدين) ، العنف في السياسة الجبائية المرينية من خلال كتاب المسند لابن مرزوق التلمساني ، مجلة أمل – المغرب ، مج 23 ، ع44 ، 2015م .

-بوتشيش (إبراهيم القادري) ، نصائح الآداب السلطانية كآلية استباقية لتجنب العنف بمغرب العصر الوسيط ، ضمن كتاب " العنف في تاريخ المغرب " من أشغال الأيام الوطنية الحادية والعشرين للجمعية المغربية للبحث التاريخي (14-16 نوفمبر 2013م) الرباط : منشورات ملتقى الطرق ،2015م.

-(ـــــــــــــــ) ، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي " مساهمة في استحضار أسباب تراجع الغرب الإسلامي" ، مجلة أمل – المغرب ، مج7 ، ع21 ، 2000م.

-بولقطيف (الحسين) ، أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق " حالة المغرب الوسيط " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجديدة ، ع2 ، 1995م.

-تيتاو (حميد) ، الخطاب السياسي لدى العامة في مغرب العصر المريني ، ملعبة الكفيف الزرهوني نموذجاً هيسبريس تمودا ، العددXLIX 2014م .

-(ـــــــــــــ) ، الدولة والعنف في تاريخ المغرب الوسيط : دراسة حالة ، مجلة أمل ،المغرب ، مج 15 ، ع33 ، 2008م .

-الجابري (محمد عابد) ، من أجل إعادة بناء الفكر السياسي في الإسلام ، مقالة 44 ضمن سلسلة مواقف ، ع28 ، ط1 يونيو 2004م.

-السيد (رضوان) ، رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام ، مجلة الاجتهاد ، بيروت ، ع13 ، 1991م .

-طبابي (نعيمة) ، الفكر السياسي والأخلاق من خلال مقامة في السياسة لابن الخطيب الأندلسي ، أعمال المؤتمر الدولي الرابع : السياسي في البلاد الإسلامية – الفكر والأنماط والأماكن – مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية بالمتوسط ، جامعة منوبة ، تونس ، أكتوبر 2015 م .

-الطيبي (أحمد توفيق) ، لسان الدين بن الخطيب : مؤرخ ثبت لفترة ملوك الطوائف بالأندلس (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي) ، مجلة كلية الآداب بتطوان ، السنة 2 ، ع2 ، 1987 .

-عبد الرازق (محمود إسماعيل) ، الفقهاء والسلاطين تحالف ضد الرعية ، مجلة العصور الجديدة ، ع7 مارس 2000م

-العلام(عز الدين)، النصيحة السياسية (دراسة مقارنة بين آداب الملوك الإسلامية ومرايا الأمراء المسيحية) ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، الرباط ، 2017م .

-(ـــــــــــ)، ملاحظات حول الرعية في الأدب السلطاني ، مجلة الاجتهاد ، ع22 ، شتاء 1994م.

القاضي (وداد) ، جوانب من الفكر السياسي للسان الدين ابن الخطيب ،مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء ، لبنان ، مج 3 ، ع23 ، نوفمبر 1981م .

-لواتي (دلال) ، ثنائية الخاصة والعامة في المجتمع العربي : قراءة في أدبيات العصر الإسلامي الوسيط ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، الجزائر ، ع33 ، عام 2014م.

-محسن (نجاح) ، فلاسفة الحكم والإدارة في العصر الإسلامي الوسيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،ط1 ، 2013م .

-مزرعي (سمير)، مكانة النظرية السياسية عند أبي حمو موسى الثاني (723-791هـ/1323-1389م) – دورية كان التاريخية – ع24 ، يونيو 2014م .

-المنوني (محمد)، ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، سلسلة بحوث ودراسات رقم 20 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1996م .

-مؤنس (حسين) ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مج1 ،ع3 ، 1955م .

-نشاط (مصطفى) ، السجن والسجناء (نماذج من تاريخ المغرب الوسيط) المجلس الوطني لحقوق الإنسان ، 2012م.

-هارمان (أولريك) ، سلطان غشوم خير من فتنة تدوم ، نظرات مقارنة في الفكرين السياسيين الوسيطيين الإسلامي والأوروبي ، مجلة الاجتهاد ، ع13،خريف 1991م .

الرسائل الجامعية:

-بنمليح (عبد الإله) ، الرق في المغرب والأندلس خلال القرنين 5 و 6 هـ ، أطروحة دكتوراة ، كلية الآداب سيدي محمد بن عبد الله ، فاس 1999م /2000م .

-مشالي (أحمد عوض الله) ، النظام الإداري في دولة بني عبد الواد الزيانية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، 2014م.

-مفتاح (محمد) ، التيار الصوفي والمجتمع المغربي أثناء القرن 8 هـ / 14م ، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب 1980-1981م.

مدينة بجاية خلال العهد الحمادي دراسة عمرانية (460-547هـ/1067-1152م .

الباحث/ زهـير بن عـمير ـ جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ الجزائر.

الملخص :

إن الازدهار والتوسع العمراني الذي مس مدينة بجاية معمارياً و فنياًما خلال العهد الحمادي سواءً الجانب العمراني الديني، المدني والعسكري بالإضافة إلى الموقع الطبيعي زاد المدينة رونقاً وجمالاً ، فأصبحت مدينة بجاية مركز إشعاع حضاري تستهوي العلماء والفقهاء وطلبة العلم وغيرها من فئات المجتمع، كل حدث في ظرف قياسي فانتقلت من ميناء صغير به مجموعة من التجار إلى مدينة تحتوي على مختلف المرافق الضرورية للحياة ،وأهلها أن تكون عاصمةً للمغرب الأوسط وصحبه تطوراً في جميع مجالات ما جعل بجاية حاضرةً إسلامية تضاهي حواضر العالم الإسلامي في العصر الوسيط .

كلمات مفتاحية : بجاية، العمران، الناصر بن علناس، تحصينات دفاعية، الحماديين ،مسجد.

Abstract :

The prosperity and urban expansion that touched the city of Bejaia architecturally and artistically during the era of Hammadi, both urban, religious, civil and military, in addition to the natural location, the city has increased its splendor and beauty. The city of Bejaia became a center of cultural enlightenment that attracts scholars, scholars, students and other categories. The community, each event in a standard circumstance, moved from a small port with a group of merchants to a city containing various facilities necessary for life, and its people to be the capital of the Middle East and accompanied by development in all areas of what made Bejaia an Islamic city comparable to the Islamic world in the Middle Ages

Keywords: Bejaia, Al-Nasser Bin Alnas, defensive fortifications, Hammadin. Mosque

مقدمة :

لقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي ، قيام العديد من الدول الإسلامية و التي صنعت تاريخه بل وكانت جزءاً منه، حيث عرفت هذه الدول تطوراً سياسياً و حضاريا ، خاصة منها الجانب العمراني و من بين هاته الدول الدولة الحمادية ،التي حكمت إقليم المغرب الأوسط تقريباً ،بالخصوص بعد خروج الفاطميين و انتقالهم إلى مصر و تركوا في مكانهم بنو زيري، الذين خلفوا الدولة الفاطمية مدة من الزمن. وحكمت المغرب الأوسط و الأدنى على حد سواء لكن سرعان ما انشق الحماديين عن أبناء عمومتهم الزيريين و أعلنوا انفصالهم و رجع حماد بن بلكين عن الدعوة للفاطميين الشيعة الإسماعلية و أعلن

المذهب المالكي هو مذهب الدولة أي مذهب أهل السنة و الجماعة وأعلن دعوته للعباسين، ثم من بعده بني زيري الشيء الذي دفع الفاطميين إلى الانتقام بإرسال العرب الهلالية لتخريب ملك صنهاجة في بلاد المغرب ، ولعدة ظروف و اعتبارات سياسية و أخرى عسكرية ، تم اختيار بجاية عاصمة للحماديين خصوصاً بعد تزايد الخطر الهلالي على بلاد المغرب الأوسط ، بعدما كانت عاصمتهم الأولى هي مدينة " القلعة "و الهزيمة التي تعرض لها الناصر بن علناس في معركة" سبيبة" سنة457هـ ضد العرب الهلالية

مما حتم على الحماديين الانتقال إلى بجاية و أمر الناصر بن علناس بالبناء ساعة انتقاله إلى المنطقة و لمعاينة الموقع و واصل البناء و التشييد من بعده ابنه المنصور ، بعدها عرفت بجاية تطوراً حضارياً خاصة في الجانب العمراني و المعماري صحبه تطور حاصل في مجالات شتى بعدما وفد السكان عليها .

وفي موضوع هذه الدراسة تناولنا فيها الحاضرة بجاية ، دراسةً عمرانية من خلال ذكر المباني المدنية ، الدينية والعسكرية التي كانت منتشرةً في المدينة خلال العهد الحمادي في العصر الوسيط ، والتي عرفت تطوراً بارزاً في هذا المجال الذي يعكس مدى التطور والرقي الحضاري الذي بلغته المدينة .

والإشكال المطروح: ما هي المظاهر العمرانية لمدينة بجاية خلال العهد الحمادي ؟

- فيما تمثلت المنشئات العمرانية المدنية والدينية لمدينة بجاية الحمادية ؟
- فيما تمثلت المنشئات العسكرية و التحصينات الدفاعية لمدينة بجاية خلال الحماديين؟
- هل كان للازدهار العمراني لمدينة بجاية ، أثر على الوضع الحضاري و الثقافي على الدولة الحمادية بالخصوص مرحلة بجاية ؟

موقع مدينة بجاية :

يعد موقع بجاية موقعاً بحرياً حصيناً ومرفأً طبيعياً و تحيط بها الجبال من كل الجهات، هذا الموقع الهام والإستراتيجي أهلها أن تكون محل أنضار الوافدين عليها، سواءً الفينيقيين كتجار أو محتلين كالرومان و غيرهم. و ازدادت أهميتها أكثر في العهد الحمادي ، فتعود نشأة مدينة بجاية إلى العصر القديم ، حيث نشأ في موقع المدينة ميناء من طرف الفينيقيين أطلق عليه " اسم صلداي SALDAE وتعود نشأته إلى العهد الفينيقي حيث استقر مجموعة من الفينيقيين بالمنطقة " وسميت" (بصلدي).[1]

[1] صالح بعيزيق ، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية و اجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية ، جامعة تونس، 2006. ص34.

فتعد مدينة بجاية مرفأً بحرياً حصيناً وطبيعياً ، فمن جهة الشمال تطل على البحر الأبيض المتوسط في شكل اهليليجي من جهته الغربية سهل الرمال الناعمة. كما يمتد في أسفل المدينة حيث يوجد وادي الساحل، ثم يبدأ التقوس شرقاً وينتهي غرباً عند منحدر جبل أمسيون، ويتميز سطح التضاريس لمدينة بجاية بامتداد التلال والمنخفضات الشديـدة والمتوســطة الارتفاع عموما و في هذه المنطقة بنية مدينة بجاية .[1] ومدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حجر، لها من جهة الشمال جبل "ميسون" وهو جبل سامي العلو وصعب المرتقى ، هي معلقة بجبل عظيم مطل عليها وقد احتوى سورها المبني على جميع الجبل المذكور طولاً وعرضاً وأمامها في جهة الجنوب أرض سهلة الانفراج .[2]

ويضيف الإدريسي أن مدينة بجاية هي مدينة المغرب الأوسط (أي في وقته) وعين بلاد بني حماد ويحدد بدقة المدن القريبة من مدينة بجاية فيقول :«...ومدينة بجاية قطب لكثيرين من البلاد وذلك من بجاية إلى ايكجان يوم وبعض اليوم، ومن بجاية إلى بلزمة مرحلتان، بعض من بجاية إلى سطيف يومان ومن بجاية إلى باغاية ثمانية أيام، كما يضيف قائلا وبين بجاية و قلعة بشر خمسة أيام وهي بن عمالة بسكرة وبين بجاية وتيفاش ست مراحل وبين بجاية و قالمة ثمانية مراحل، وبين بجاية و تبسة ستة مراحل وبين دور مدين و بجاية إحدى عشرة مرحلة، وبين بجاية والقصرين ستة أيام وبين بجاية و طبنة سبع مراحل .[3]

لقد عرفت مدينة بجاية عدة تسميات عبر الحقب والأزمنة التي تعاقبت عليها ،فقد كان يطلق عليها اسم "صلدة" في العهد الفينيقي ثم الروماني بعد احتلالهم للمنطقة فأبقوا على التسمية ، وحرفت إلى "صالداي"[4]. ثم العهد الوندالي و بعده العهد البيزنطي ، فالعهد الإسلامي حيث أطلق عليها اسم بجاية واسم مدينة بجاية حسب قول ابن خلدون في كتابه العبر هو اسم لقبيلة بربرية كانت تقطن بالمنطقة وسميت المنطقة نسبةً إلى هاته القبيلة "فقايث" بالأمازيغية ثم عربت إلى بجاية .[5] كما حملت اسم مؤسسها الناصر بن علناس فيما بعد وأصبحت تعرف باسم الناصرية .أسست مدينة بجاية على أنقاض

---

[1] إسماعيل العربي، مرجع السابق ، ص ص 184-185.

[2] الإدريسي ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تح محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، حيدرة الجزائر ، 1983 ،ص 115

[3] الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج 1 ،مكتبة الثقافة الدينية ، د. ط، د. ت. ص260.

[4] عبد الكريم عزوق ، الآثار الإسلامية ببجاية إحصاء جرد و تحليل ، مؤسسة الضحى، ط1 ، الجزائر 1434-2013 م ،ص36.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج6 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،د.ط، بيروت لبنان ، 1421هـ/2000م ،ص ص 232.231.

المدينة الرومانية القديمة "صلداي" في عهد الدولة الحمادية في القرن 5هـ /11م سنة 461 هـ وعلى يد الناصر ابن علناس.[1] و ذكرها الإدريسي فقال : «...ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد».[2] فاسم كلمة صلداي الفينيقي التي لطالما ارتبط بهجرة بشرية استقر سكانها بالمنطقة المحصنة طبيعيا في سواحلها ومن بعدهم الشعوب المستعمرة للمنطقة كالرومان و الوندال ، والبيزنطيين ، إلى أن أسست المدينة على يد الناصر بن علناس وأطلق عليها اسم الناصرية ولكن هاته الأسماء زالت مع مرور الوقت و الزمان على هذه المدينة وبقيت تحافظ على اسم مدينة بجاية إلى يومنا هذا. [3] كما تحدث ابن حوقل عن مدينة بجاية والذي توفي سنة 371هـ/981 م فذكرها من بين المراسي التي تقع بين بونة وجزائر بني مزغناي ، مرسى بجاية دون أن يميزها[4] من بين المراسي التي كانت منتشرةً حينها في المغرب الأوسط .

وتحدث عنها البكري الذي أنهى كتابه " المسالك و الممالك " سنة 460هـ /1068 م .أي عام قبل تأسيس المدينة على يد الناصر بن علناس الحمادي ، كما ذكر بأنها مرسى مأمون و مدينة عامرة بأهل الأندلس وكما اعتبرها البكري ميناء قلعة بني حماد ، حيث قال : « مرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل ...»[5].

تأسيس مدينة بجاية على يد الناصر بن علناس :

بجاية عاصمةً للحماديين بعد القلعة :

لقد كان لموقع بجاية الساحلي الحصين ، ومرفأها الطبيعي أثر في ظهور عدة حضارات مختلفة ، جعل من موقعها ذات أهمية إستراتيجية كبيرة و هذا منذ أقدم العصور.أما بخصوص هذه المرحلة وهي مرحلة تأسيس المدينة من قبل الناصر بن علناس ، حيث جاء التأسيس على يد الناصر بن علناس سنة 460هـ/ 1067 م وذلك قبل رحيل الحماديين من القلعة حيث قام بإحاطة المدينة بسور و بنى بها قصوراً منها قصر اللؤلؤة وجعل لها أبواب وشيد بها مباني ضخمة وأطلق عليها اسم الناصرية [6].

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص ،232.231.

[2] الإدريسي ،المصدر نفسه ، مج 1، د.ط، ص 260.

[3] عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق، ص 37.

[4] أبو القاسم ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1996.ص77.

[5] أبو عبيد البكري : المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، د.ت ، القاهرة ، ص 82.

[6] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 231-232. و جورج مارسيه، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى،تر محمود عبد الصمد هيكل،توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية،الإسكندرية،1991،ص ص228-229.

ويذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ، أن وزيره (وزير الناصر بن علناس) أبي بكر بن أبي الفتوح أرسل رسولاً إلى تميم بن المعز في افريقية بعد انهزامه في معركة سبيبة سنة 457 هـ /1064م، في مواجهة القبائل العربية الهلالية ، فقبل تميم فكرة الصلح و أرسل إليه وزيره محمد بن البعبع [1]. وعند انتقال الوزير من افريقية عبر البحر نزل في ميناء بجاية ومر بها في طريقه إلى القلعة لملاقاة الناصر بن علناس ، وعند وصول إلى قلعة بني حماد و لقائه مع الناصر أشار عليه ببناء مدينة بجاية، و أن يتخذها عاصمة له وليسهل عليه الاستيلاء على المهدية عبر البحر [2] . وهو ما تم بعد انتقال الناصر إلى الموقع وأمر بالبناء ساعته، وكان ابن البعبع هذا يكن الحقد و العداء إلى تميم ابن المعز، واعتبرت هذه خيانة وهو ما تم بالفعل، وكُشف أمره وقتله تميم لاتصالاته الشخصية مع الناصر بن علناس[3]

وكذلك كما ذكر البكري بالنسبة لموقع مدينة بجاية فقال : «... ثم مرسى مدينة بجاية أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة ، وهو مرسى مأمون شتاءً قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس، ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل»[4]. وهنا اختيار الموقع يعود إلى الأهمية الاقتصادية لمدينة بجاية، زيادة على الاعتبار السياسي والعسكري أي نقل العاصمة إلى بجاية ولسهولة الإغارة على المهدية من قبل الناصر بن علناس ،بصفتها كانت ميناء بني حماد ، وزيادة على قول البكري و تأكيدا للأهمية الاقتصادية لمدينة بجاية ما ذكره لنا الإدريسي و أن مدينة بجاية على جرف البحر، ولها من جهة الشمال جبل "أمسيون" و هو جبل سامي العلو صعب المرتقى بإضافة إلى وجود النباتات الطبية بالمناطق الجبلية المحيطة بمدينة بجاية[5]. فالإدريسي ركز أيضاً على الأهمية الاقتصادية لموقع مدينة بجاية ، ساحل البحر وذلك لانتعاش التجارة البحرية مع باقي الدول المجاورة ،المسيحيين والأندلس وكذلك الإسكندرية، و الشام كما ذكر بأن السفن تقلع إليها محملة بالبضائع و السلع وأهلها مياسير يجالسون تجار المغرب الأقصى والسودان وغيرها.فبالإضافة إلى الحصانة الطبيعية فموقع مدينة

---

[1] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مج8 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان 1407هـ –1987 م ،ص 373.

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق ، مج8 ، ص ص ، 374–375.

[3] عبد الكريم عزوق ،الآثار الإسلامية ببجاية،ص39. و علاوة عمارة،دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي

ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون ،الجزائر،2008 ،ص18.

[4] البكري ، المسالك والممالك ،ص 82.

[5] الإدريسي ، نزهة المشتاق ، مج1 ، د.ط، ص260.

بجاية الحصين جعل من بني حماد يختاروها كعاصمة لهم[1] و سهولة الدفاع عنها عند إغارة الأعداء خصوصا وتزايد الخطر الهلالي على القلعة خصوصاً بعد هزيمة الحماديين في معركة سبيبة سنة 457هـ/1064[2]. بالإضافة إلى العامل الاجتماعي، العصبية القبلية و هو أن بني حماد من صنهاجة وسكان مدينة بجاية ينتمون إلى قبيلة صنهاجة ومختلف فروعها في الشمال من قبيلة زواوة [3] و قبيلة بجاية[4] وكتامة غيرها ، فحاول الناصر بن علناس أن يلتف حوله سكان بجاية من البربر لمحاولة الدفاع على دولته عند مواجهة أي خطر محتمل قد يهدد كيان الدولة .

مرحلة التشييد العمراني بالمدينة :

العمارة الدينية :

يعد العمران دليلاً واضحاً وشاهداً على نمو وتطور المدن عبر التاريخ فمدينة بجاية يطلق عليها اسم لؤلؤة المغرب الأوسط ، حيث شهدت تنوعاً كبيراً وحركة كبيرة في المجال العمراني ، يعجب لها القريب و البعيد فالازدهار العمراني الذي شهدتهٌ في العهد الحمادي هو دليل على الازدهار الذي عرفته خلال هذه الحقبة التاريخية ومن بين ما شهدته مدينة بجاية في المجال العمراني ، منها العمارة الدينية.

1- المساجد:

استخدم المسجد ، منذ الوهلة الأولى لعملية الفتح بعد بناء الرباطات والمساجد لتثبيت الإسلام في بلاد المغرب ، و كمركز للتعليم اللغة العربية وأصول الدين الإسلامي لتثبيت الإسلام ، حيث كانت تعقد فيه مجالس العلم وحلقات الدراسة ، فمدينة بجاية هي الأخرى احتوت مجموعة من المساجد وكغيرها من المدن الإسلامية فكان يشرع في بناء المسجد أولاً المسجد الجامع ثم قربه دار الإمارة ومن حوله البيوت و المنازل[5] .

---

[1] إسماعيل العربي ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 169.و دومنيك فاليرين ، بجاية ميناء مغاربي 1067-1510 ، ج1 ، تر،عمار علاوة ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،2014 ، ص 56.

[2] دومنيك فاليرين ، المرجع السابق ، ص57.و حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس،دار الرشاد منشورات مكتبة الأسرة، د.ط،2004،ص174.

[3] أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة ،مراجعة وتعليق سهيل الخالدي ،ط1 ، منشورات وزارة الثقافة،الجزائر،2005،ص90

[4] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 231.

[5] محمد شريف سيدي موسى ، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني 6هـ-10هـ/12-16م ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 1430-1431هـ /2009-2010م ، ص172.

أ- المسجد الأعظم :

ويسمى أيضاً الجامع المنصوري وبناه الأمير الحمادي المنصور بن الناصر (481هـ-498هـ/1088م-1104م). وهو بالقرب من قصر اللؤلؤة [1].لم يبقى شيء من مساجد بجاية الحمادية مثل الجامع الأعظم ، مسجد الريحانة ومسجد النطاعين ، فالمسجد الأعظم أو المسجد الجامع يعد من أهم المساجد الحمادية فهو يقع في وسط المدينة قرب دار الإمارة أو قصر اللؤلؤة ، حيث كان يبلغ طول هذا المسجد 220 ذراعاً وعرضه 150 ذراعاً وله واجهةً مزينة بسبعة عشر عقداً و باب كبير وعلى يمينه ويساره ألواح رخامية[2].هاته الألواح رخامية مزينة بكتابات رائعة الشكل وبجانب الباب الرئيسي كان للمسجد 22 باباً أخرى أحدهما يؤدي إلى بيت الصلاة المخصصة للنساء وكان يحرصه شيخ كبير مسن. و داخل المسجد نجد 32 ساريةً من الرخام وقبةً عظيمة وكانت أرض المسجد مفروشةً بالرخام وجدرانه مغطاة بالزليج وعليها كتابات قرآنية ، وكان ارتفاع مئذنة هذا المسجد 60 ذراعاً وضلع قاعدته المربعة 20 ذراعاً[3].وكان لهذه المئذنة بابان أحدهما من جهة الشرق والأخرى من جهة الجنوب ، وكانت المئذنة قوائمها منقوشة من الرخام[4].

واشترى المنصور العمود الأخضر بمبلغ كبير و وضعه في المسجد وكان المحراب وما يحيط به من الرخام الأبيض وفي وسطه عصابة مستديرة نقش عليها آيات من القرآن الكريم وكانت جدران المسجد مزينة بنقوش وصور رائعة الجمال من أسفلها إلى أعلاها، من بينها كتابات تقرأ بسهولة وكانت الأعمدة مزخرفة هي الأخرى[5] .وقد ورد أن المنصور أنفق ستة وثمانين ألف مثقال من الذهب لإتمام بناء المسجد كما شيد فيه قبة كبيرة ، كانت هذه القبة موضوعة على 32 عموداً تشكل دائرة ،أهداها له صاحب جنوة إلى المنصور بن الناصر الحمادي واصحبها بإحدى عشر رجلا من الصُناع[6].كان قد طلبهم منه الأمير الحمادي بعد اتفاق وقع بينهما ، وكانت هذه الأعمدة من الرخام النادر ومزخرفة بكتابات رائعة في الجمال

---

[1] محمد شريف سيدي موسى ، المرجع السابق ،ص 173،هاشمي مريم،العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان و بجاية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م،رسالة ماجستير، قسم التاريخ ،جامعة تلمسان،1431-1432هـ/2010-2011م ص17.

[2] رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1397هـ-1977م ، ص 208.

[3] رشيد بورويبة ، دولة السابق ، ص208.

[4] رشيد بورويبة ، المرجع نفسه . ص209.و محمد الطمار ،المغرب الأوسط في ضل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر ، 2010 ، ص 222.

[5] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص209.

[6] رشيد بورويبة ، المرجع نفسه ، ص209.

أبهرت كل من رآها[1]. كان الصحن مفرشاً على حوالي خمسة عشر ذراعاً وكان للمسجد أثني عشر باباً وقاعةً لصلاة خاصة بالنساء موجودة شرقي المسجد ومفصولة عنه بجدار ، كما كانت عيون يسل منها الماء على جدار المسجد[2].

ويذكر العبدري في رحلته واصفاً هذا المسجد ، فيقول ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة ، وهو مشرف على برها وبحرها موضوع بين سحرها ونحرها فهو غاية في الفرجة و الأنس فيشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس وأهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة رعاية ولهم في القيام به تهمم وعناية فهو مأهول عامر يتخلل أنسه مسكٌ الأرواحٌ ويخامر[3].

ب- مسجد الريحانة :

ويعود تواجد هذا المسجد إلى العهد الحمادي ، حيث يعد هذا المسجد منعرجاً حاسماً في قيام الدولة الموحدية ،حيث التقى المهدي بن تومرت بعبد المؤمن بن علي بإحدى مساجدها ، وكان ذلك بعد أن حل المهدي بن تومرت بمدينة بجاية ونزل في مسجد الريحانة[4] حيث بدأ من هناك دعوته خاصة و أنه أنكر بعض المظاهر التي لا علاقة لها بالإسلام والشبهات الاجتماعية والأخلاقية [5] التي كانت منتشرةً في المجتمع علماً أن بجاية كانت أنذاك مدينة كبيرة ، وحاضرةً من حواضر الغرب الإسلامي في المغرب الأوسط كغيرها من الحواضر خاصة في العهد الحمادي.ونظراً لتشدد المهدي بن تومرت ،أمره حاكم بجاية أنذاك بمغادرة المدينة، وما كان عليه سوى المغادرة وانتقل واستقر بقرية خارج المدينة و هي قرية ملالة[6].

ج- مسجد ملالة :

لقد ذكر لنا البيذق في مدينة بجاية وفي قرية قريبة من المدينة مسجد ملالة "...أن أبناء العزيز لما رأوا ابن تومرت بملالة ، فقالوا له :« ... يا فقيه نريد أن نبني لك مسجداً هنا فقال لهم رضي الله عنه

---

[1] رشيد بورويبة ، نفسه، ص 210.

[2] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص210

[3] أبو عبيد الله العبدري ، رحلة العبدري ، تح ، علي إبراهيم كردي ، ط2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر و التوزيع ، دمشق ، 1426هـ/2005م ،ص 83.

[4] أبو بكر بن علي الصنهاجي "البيذق" ،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1971،ص13، هاشمي مريم، المرجع السابق،ص19.

[5] البيدق ،المصدر السابق ،ص13.

[6] نفسه، ص14.

إن شئتم ذلك فبنوا له مسجداً بها وأقبل الطلبةُ يصلُون إليه من كل مكان[1]».حيث يذكر لنا أن أبناء العزيز هم اللذين طلبا من المهدي بن تومرت أن يبنيا له مسجداً بقرية ملالة فوافق على ذلك نظراً لأنهم أعجبوا به وكان له ذلك فبنوا له مسجداً سمي باسم القرية «مسجد ملالة» حيث أقبل عليه الطلبة من كل الجهات بعد أن ذاع صيته[2] فحسب رواية البيذق نزل المهدي عند وصوله بجاية في مسجد الريحانة و حرم ارتداء النعال ذات السيور المذهبة و التعمم بعمائم الجاهلية[3].وبعد أن ضيق عليه صاحب بجاية الأمر وأمره بالخروج من مدينة بجاية ارتحل المهدي بن تومرت إلى قرية ملالة بضواحي بجاية حيث بنا له أبناء العزيز مسجداً بعد استشارته في الأمر فوافق على ذلك وانتشر خبره وتوافد عليه الطلبةُ من كل حدب وصوب[4] .

2- الزوايا و الكتاتيب:

أ- الزوايا:

لم تصلنا كتابات حول ما إن كانت الزاوية منتشرة أو موجودة في العهد الحمادي فقد لاقت الزواية شهرةً وانتشاراً بارزاً في مدينة بجاية على الخصوص والمغرب الأوسط على العموم ، إلا خلال القرن 7هـ/13م ، أي خلال العهد الموحدي[5]، حيث وجدت الزوايا وبكثرة في المغرب الأوسط خاصة وفي مدينة بجاية منها الكبيرة والصغيرة ، وهي عبارة عن مؤسسةً تتكفل بتعليم الطلبة مع توفير لهم الإقامة و الإطعام ، بالإضافة إلى تدريس مختلف العلوم وعلى رأسها العلوم الشرعية وحفظ كتاب الله " القرآن الكريم" وكتب الحديث الصحاح المختصرات في مذهب الإمام مالك[6]. وعادةً هذه المباني كانت تقام بجوار ضريح الشيخ المؤسس أو الولي الصالح أو الشيخ العالم عُرف وشُهد له بالصلاح أو ثبتت له كرامات[7].

---

[1] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت،ص 14.

[2] عزوق عبد الكريم ، الآثار الإسلامية ببجاية ، ط1 ، ص 66.

[3] الهادي روحي إدريس ، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م –ق 12 م ، تعريب حمادي الساحلي ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص387.

[4] الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج1، ص388.

[5] عزوق عبد الكريم ، الآثار الإسلامية ببجاية ،ط1 ،ص 120.

[6] عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط2. القاهرة ،1411هـ /1991 م ،ص 253.

[7] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص253.

ب- الكتاتيب :

كانت الكتاتيب عبارة عن مباني دينية تقام بجوار المساجد وعَرَفت أشهر أنواع التعليم الابتدائي ، حيث كان يتعلم فيها الأطفال الصغار ،الأرقام ،والحروف ويحفظون صغار السور في القرآن الكريم عن طريق الترديد، طريقة السمع مع الترديد مع المدرس ، وقد انتشرت الكتاتيب بشكل كبير بجوار المساجد في العهد الحمادي لتعليم الأطفال الصغار[1]. وتعتبر الكتاتيب من المؤسسات الأولى لتعليم الأطفال الصغار، كان يأتي إليها الصبيان لتعلم الحروف و القرآن الكريم ، و الاهتمام ببناء الكتاتيب عند الحماديين ما هو إلا دليل على الاهتمام بتعليم أبناءهم منذ الصغر العلوم الشرعية و العلوم الأخرى وهو ما يفسر تطور وازدهار الحركة العلمية في بجاية خلال العهد الحمادي[2].

3- المدارس و المكتبات :

أ- المدارس :

حيث عَرفت المدارس في العهد الحمادي انتشاراً واسعاً حيث كانت المساجد تؤدي دوراً تعليمياً ، حيث لم يكن ثمة مسجداً في المدينة "بجاية" خالياً من المدرسين وقد عرف في بلاد المغرب الأوسط باسم " المسيد " حيث كان يفرد للناحية التعليمية بالمسجد[3]. وقد تطورت المدارس في القرن 5هـ/11م فاستقلت بنفسها عن المسجد وصار مَعلَماً قائما بذاته من حيث البناء ، وهذا التطور لم يمنع المسجد من أن يبقى محل تعليم إلا أنه أصبح بمثابة مؤسسة للتعليم الثانوي والتعليم العالي[4].

ب- الشريعة : أنشئت الشريعة في مقام الكُتَاب ، وهي خيمة يدرس فيها البدو إلى جانب كونها مصلى كبير تقام فيه صلاة الأعياد وصلاة الجمعة ومن المحتمل أن الشريعة كانت محل تعليم بدوي (في البدو) مقابل المسيد الذي كان محل تعليم في الحضر وكانت هذه الخيمة تتنقل بانتقال هؤلاء البدو باعتبارهم غير مستقرين[5].

ج- المعاهد :

لقد أنشئت في المدن الكبرى لدولة الحمادية معاهد لتعليم العالي أدت دور الجامعات حالياً ، ولا سيما في بجاية ، حيث كان يوجد نوع من التعليم الجامعي العالي ، وقد أنشئَ الناصر بن علناس في

---

[1] هاشمي مريم ،المرجع السابق،ص 20، عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ،ص 253.

[2] عزوق عبد الكريم ، الآثار الإسلامية ببجاية ، ط1 ، ص 115.

[3] عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ص 253.

[4] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص253. و هاشمي مريم ،المرجع السابق ،21.

[5] نفسه ، ص 253.

مدينة بجاية معهد سيدي "التواتي" الذي كان يحتوي على ثلاثة ألاف طالب وتدرس فيه كل العلوم على غرار العلوم الفلكية و الرياضيات...[1] وخلال مؤتمر علمي ألقت طالبة من هذا المعهد (الجامعة) محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء الأجانب. فقد كانت مرخصاً للفتيات ليس فقط التعلُم ولكن بتقديم محاضرات باسم المعهد (الجامعة) ويحضرها أساتذة وعلماء أجانب[2]. فهذا دليل على الرقي العلمي و التواصل مع الآخرين و الازدهار الثقافي الذي وصلت إليه الدولة الحمادية في أوج مراحلها فإلقاء الفتيات أو الطالبة للمحاضرة دليل على القدر الكافي من الحرية التي كانت تتمتع بها المرأة في المجتمع الحمادي بصفة خاصة والمجتمع الإسلامي بصفة عامة عكس ما قد أشار إليه بعض المستشرقين.

د- المكتبات : مكتبة الجامع الأعظم :

كانت هذه المكتبة توجد في المسجد الأعظم ، حيث كانت توجد داخل المسجد الأعظم فوق قبة المحراب، حيث كانت هذه المكتبة تحتوي على مجموعة من الكتب التي جاءت من بلدان بعيدة وكتب الأساتذة الذين يدرسون في المسجد ، وبجانبها غرف الأساتذة[3]. واحتواء المسجد على مكتبة دليل أن المسجد كان يمثل دوراً علمياً كبيراً، بالإضافة إلى دور المدرسة ، فكان بمثابة مدرسة ينتقل إليها الطلبة من كل حدب وصوب .ووجود غرف للأساتذة ما هو إلا دليل أخر على تنظيم التعليم والاهتمام به عند الحمادين [4]. فتقريباً كانت في كل مسجد مكتبة خاصة به باعتبار أن كانت المساجد لها دور رئيسي في نشر التعليم وتثبيت قيم الدين الإسلامي مما شجع على ازدهار الحركة العلمية في بجاية خلال العهد الحمادي.

العمارة المدنية :

1- دار الإمارة و القصور :

ورد في الكتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير عند بناء مدينة بجاية وذلك عندما انتقل الناصر بن علناس و وزير تميم ابن المعز الوزير ابن البعبع إلى موقع بناء المدينة فقال :« ...فلما

---

[1] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد ، ص254.

[2] عبد الحليم عويس ،المرجع السابق، ص254.

[3] رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية ، ص 210.

[4] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 210.

وصل الناصر و الرسول إلى بجاية أراه الميناء و موضع البناء و البلد والدار السلطانية ...»[1]. فكما ورد فان دار الإمارة أو الدار السلطانية أو القصور فكانت هاته الأسماء تؤدي نفس المعنى بل وكانت هي مقر الحكم لدى أمراء بني حماد في بجاية، حيث يذكر صاحب كتاب " الاستبصار" أنه ببجاية :«... قصور من بناء ملوك صنهاجة لم يرى الراءون أحسن منها بناءاً ولا أنزهُ موضعاً»[2] ، من روائع هذه القصور تحدث عن الطاقات (النوافذ) المشرفة على البحر بشبابيكها الحديدية والأبواب المخرمة المنحنية والمجالس المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، التي قد نقشت و أنزلت بالذهب واللازورد ، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة وأنزلت بالذهب وصورت فيها الصور الحسنة[3].

أ- قصر الكوكب:

وهذا القصر من أجمل قصور الدنيا في تلك الفترة، ويعتبر آيةً في الجمال ، فهو بناء عال مزين بتصاوير مرسومة بحجر الرنج ونبات اسمه الرحق يدقان معا ويزينون الجدران بها بعد دقها[4]. ويلمع هذا القصر إذا ما ضربت فيه أشعة الشمس ، فكان له تسعة أبواب، ذات مصرعين من الخشب المنقوش لا يفتح احدهما إلا إذا دفعه عدة رجال أقوياء[5]. وهو من بناء المنصور بن الناصر[6].وتوجد في الطابق الأول من قصر الكوكب غرف ، ونقلاً عن الأستاذ رشيد بورويبة ما نقله عن البجاوي صاحب المخطوط ولم يذكر اسم المؤلف ولا اسم المخطوط ، ما ذكر أن قصر الكوكب كان يقع بين القصبة وبرج موسى ، وقصر أميمون هو الذي كان في مكان برج موسى[7]، كما ذكر لنا الحسن الوزان عن قصر الكوكب : «...من جهة الجبل نرى حصناً صغيراً محاطاً بأسوار ومزيناً بالفسيفساء والخشب المنقوش»[8].وفي هذا السياق نقلاً عن رشيد بورويبة فقد ذكر الشاعر ابن حمديس في قصيدة خصصها لوصف قصر المنصور وعبر فيها عن جمال هذا القصر.

---

[1] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 374.

[2] مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص130.

[3] مجهول ، المصدر السابق ، ص130.

[4] رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية ، ص245.

[5] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 245.

[6] بورويبة، نفسه ،ص 245.

[7] نفسه ، ص 246 .

[8] نفسه ، ص246.

فقال في القصيدة:

قصـــــر لو أنك قد كـحلت بنـــوره أعـــــمى لعاد إلـــى المقام بصـــــيرا

أعيـت مصانعه على الفرس الأولى رفعـــــوا البناء وأحكـــــموا التـدبيـــرا

ومـضت على الـــــروم الدهـور و مـــا بنوا لملوكـــهم شبهاً له ونـــظيرا[1].

ومن عجائب هذا القصر أنه كانت أبوابه الخارجية و الداخلية وساحاته المفروشة بالرخام وسقفه المزين بصور الحيوانات و بساتينه كأنها جنة ساحرة تأسر كل من رآها لأول مرة[2].

ب- قصر اللؤلؤة :

كما يضيف صاحب كتاب الاستبصار :«...في بجاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من جبل قد خرج في البحر، متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم يرى الراءون أحسن منها بناءاً ولا أنزه موضعاً ، فيها نوافذ مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة والمنحنية »[3] . فيعد قصر اللؤلؤة من أعجب قصور الدنيا وقد بناه الناصر بن علناس، وانتهى من بنائه سنة 470هـ/1078م.[4] كما وصف لنا الحدائق والبساتين المحيطة بهذه القصور، بأنها روعة في الجمال بالرغم من أن صاحب كتاب الاستبصار لم يذكر لنا أسماء القصور ولا من شيدها بل اكتفى بذكر موضع اللؤلؤة ،ولم يذكر حتى الملوك وذكر لنا فقط أنها من بناء ملوك صنهاجة[5]. و وصف لنا هذه القصور أنها بُنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد وقد كتبت فيها كتابات حسنة وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت فيها من أحسن القصور وأتمها ومتنزهاً وجمالاً .[6]

وكما ذكر ابن خلدون في كتابه العبر، بعد أن افتتح الناصر بن علناس جبل بجاية سنة 460هـ/1067م . بنا بها قصر اللؤلؤة و كان من أعجب قصور الدنيا، ونقل الناس إليها وأسقط الخراج على سكانها، فهنا اتبع الناصر بن علناس سياسة لتعمير المدينة في أسرع وقت ، و هذا يتمثل في امتياز وهو إسقاط الخراج عن الوافدين إلى المدينة فقد كانت المدينة تحتاج إلى ساكنة لتعميرها[7]واعتز بنو حماد

---

[1] رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية ، ص246.

[2] نفسه ، ص248.

[3] مجهول ، الاستبصار ، ص130.

[4] محمد الطمار، المرجع السابق ، ص225.

[5] مجهول ، المصدر السابق، ص130

[6] نفسه، نفسه ، ص 130.

[7] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 231.

هؤلاء أيام حكم الناصر وعظم شأنهم فبنى المباني العجيبة المؤنقة وشيد المدائن العظيمة[1]. واختط المدينة وسماها الناصرية[2]. وفي سنة 481 هـ/1088م توفي الناصر بن علناس وخلفه ابنه المنصور بن الناصر وانتقل إلى بجاية سنة 483 هـ/1090م ونقل الناصر إليها ، حيث انتقل من القلعة إلى مدينة بجاية خاصة بعد تزايد خطر العرب الهلالية الذين اجتاحوا المنطقة[3]. وذكر ابن خلدون قائلا في السياق : «... فاتخذ بجاية هذه معقلاً وصيرها دار الملكة وجدد قصورها وشيد جامعها ،وكان المنصور هذا جماعةً مولعاً بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد و تأنق في اختطاط المباني وتشيد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في المباني والبساتين...[4] ».

ج- قصر أميمون :

حيث يذكر ابن خلدون في كتابه العبر أن الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بن علناس كان مولعاً بالبناء والتشييد وهو الذي حضر ملك بني حماد على غرار والده الناصر حيث يقول : «...و تألق في اختطاط المباني وتشيد المصانع واتخاذ القصور فبنى في القلعة قصر الملك وقصر المنار و قصر الكوكب وقصر السلام ، وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميمون[5]». فقصر أميمون فيرجح أن يكون موقعه في أعالي المدينة[6] ، حيث وصفه الحسن الوزان لما سماه « بالحصن» في هذا المرتفع والذي قال عنه أنه محاط بأسوار ومنمق بالفسيفساء و الزخارف العجيبة ، فهذه المواصفات تنطبق على قصر أميمون نفسه[7]. فالحصن الهدف من بنائه تحصين المدينة ، ويكون بناية عسكرية الغرض منه حماية المدينة من هجمات الأعداء، لا يكون محاط هو بنفسه بالأسوار[8]. ومنمق بالفسيفساء و الزخارف فهذه

---

[101] الناصرية:«...وفي سنة ستين وأربعمائة (460هـ/1067م، افتتح جبل بجاية ، فكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافا ، بل هي بين الجيم والكاف ، وعلى هذا القبيل من صنهاجة يأتون لهذا العهد أوازعاً من البربر ، فلما افتتح الجبل احتط بالمدينة وسماها الناصرية »: ينظر عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، ج6 ،دار الفكر للطباعة والنشر 1421 هـ، 2000م ، بيروت ، لبنان ، ص ص 231-232.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 232.

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 232.

[4] نفسه ، نفسه ، ص232.

[5] نفسه ، ص 232.

[6] إسماعيل العربي ، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية ، شركة وطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1980 ،ص 197 .

[7] الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ، ج2 ، تر . محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص50.

[8] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 197.

المواصفات تنطبق على قصر و ليس على حصن[1]. كما يصف الحسن الوزان أن قصور بجاية ليس لها من المتانة بقدر ما لها من الرونق و الجمال ، فهذا دليل على اهتمام ملوك بني حماد بالجانب الجمالي للمدينة و الذي تجسد في الزخارف و الاهتمام بالمظاهر الخارجية لقصورهم[2]. فهذا دليل على قمة الحضارة و الرُقي الذي بلغه الحماديون خاصةً عند انتقالهم إلى بجاية . وذكر ابن خلدون أن المنصور بَنى في مدينة بجاية قصر اللؤلؤة و قصر أميمون[3] .

2- الأحياء و الدروب و المنازل :

على الرغم من الصعوبات التي واجهها الناصر بن علناس والمؤامرات الداخلية و الهجمات التي تعرض لها خصوصا بعد الهجرة الهلالية على بلاد المغرب واستقرارهم بالمناطق المجاورة للقلعة ، فنبدأ في التفكير في إيجاد موقع لبناء مدينة جديدة بعيدة عن خطر الهلاليين ، ويتخذها عاصمة له فبدأ يفكر في نقل السكان من القلعة إلى المكان الذي وقع عليه الاختيار[4] ، وهو مدينة بجاية وسماها الناصرية[5]وبعد انتقال الناصر إلى الموقع الجديد ، وعملا بنصيحة ابن البعبع[6]. وسارع في استقدام (جلب) العمال و المهندسين للشروع في البناء و في سنة 460 هـ /1067م[7]، بينما كان العمل في وتيرة حسنة كان الناصر يقيم في خيمة قد ضربها في المكان الذي أصبح فيما بعد يعرف باسم دار الناصر ، تحت مشارف جبل ، ومن هذه الخيمة كان الأمير الحمادي يصدر أوامره في اختطاط المدينة [8].

فيقول الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا ، في وصف مدينة بجاية الحمادية فيقول : «...إن منازلها جميلة البنيان ... وحول المدينة حدائق غناء ذات ثمار وفيرة »[9].ويضيف العبدري في رحلته أن مدينة بجاية هي : «...وهي مدينة كبيرة حصينة شهيرة ، برية ، بحرية سنية سرية وثيقة البنيان ، وعجيبة الإتقان رفيعة المباني»10. فيصفها هنا العبدري بأن مدينة بجاية مدينة كبيرة بإضافة إلى حصانتها

---

[1] نفسه ، نفسه ، ص198 .

[2] الحسن بن محمد الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص50.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج6 ،ص 232.

[4] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 181.

[5] ابن خلدون ، العبر ج6 ، ص 232.

[6] ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8، ص 374.

[7] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 231 .

[8] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 189.

[9] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص50.

[10] أبو عبد الله العبدري ، رحلة العبدري ، ص 82 .

الطبيعية والسور الذي يحيط بها كما يصف أن بناياتها وثيقة ومتقنة ، دلالة على التنظيم الذي انتهجه المهندسون الحماديين والذي جعل شكلها وشكل بنايتها يأسر كل من رآها بالإضافة إلى قمة الحضارة في الجانب العمراني الذي لحق بالمدينة خلال العهد الحمادي [1].وعند وفاة الناصر خلفه ابنه المنصور سنة 481 هـ[2]/1088-1089 م[3] وكان مولعا بالبناء و التشييد[4]، وعندما انتقل الى مدينة بجاية سنة 483 هـ /1090-1091 م وتحت الخطر المتزايد من القبائل العربية الهلالية ، حيث شييد المباني وجدد بعض القصور التي تركها والده [5].

لقد اهتم الناصر بن علناس ، وابنه من بعده المنصور بالبناء و التشييد العاصمة الجديدة خاصة بعد تزايد خطر العرب الهلالية على القلعة والتي خربت على يدهم بعد رحيل المنصور إلى بجاية وعلى غرار الاهتمام بالمباني الحكومية كالقصور اهتموا بتنظيم الأحياء الخاصة بعد جلب سكان القلعة معهم إلى بجاية [6]. أما الأحياء فقد كان بعضها يحمل اسم الأبواب الموجودة بالقرب منها ، مثل حومة باب البحر ، حيث كان يباع الخمر ، وحومة باب أميمون، وحومة باب باطنة حيث كانت توجد دار المقدسي المعروفة بدار الفقيه هلال. بالإضافة إلى حومة اللؤلؤة حيث كانت قريبة من القصر الذي يحمل نفس الاسم وحومة المذبح الواقعة في الناحية الربض ، حيث كان القراصنة يبيعون أسراهم. كما توجد حومة سباط الأموي [7]. وحارة المقدسي التي لا يمكن الوصول إليها بتسلق منحدر ، وحومة رابطة المتمني الواقعة خارج السور، وحومة بئر مسفرة ، القريبة من مقبرة أبي علي رسمية. أي خارج باب البنود[8]. كما وصف لنا الإدريسي وصفاً مفصلاً للطريق الرابطة بين بجاية و القلعة عبر منخفض وادي السُمام (الصُومَام) تمر عبر مضيق «...وحصن تاكلات وبه منزل »[9] .

---

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص 83.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 232.

[3] الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، 1992.بيروت ، لبنان ، ص 236.

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 232.

[5] الهادي روجي إدريس – المرجع السابق ، ج2 ، ص 326.

[6] الهادي روجي إدريس ، نفسه ج 2 ، ص110.

[7] نفسه ، نفسه ، ص 111.

[8] نفسه ، ص 112.

[9] الإدريسي ، المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ، تح ، محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، حيدرة ، الجزائر 1983 ، ص 118.

3- الأســـواق :

لقد أقيمت و أنشئت مدينة القلعة من طرف الحماديين نظراً لأهمية الاقتصادية التي كانت دافع رئيسي في إقامتها، حيث كانت مركزاً لعبور القوافل التجارية القادمة من الغرب نحو الشرق إلى القيروان وغيرها من الجنوب نحو الشمال فكانت تدر أرباحاً طائلة على خزينة الدولة الحمادية ،فطيلة تأسيس المدينة وعند قدوم الخطر الهلالي على بلاد المغرب فكر الحماديين تحت قيادة الناصر بن علناس لحماية هذا المورد الاقتصادي باعتبار المال هو عصب قيام واستمرار الدول حسب رأي ابن خلدون حيث فكر في نقل العاصمة إلى بجاية التي كانت تمثل ميناء قلعة بني حماد، على حد تعبير البكري ، كذلك علاقة الناصر بن علناس مع النصارى المسيحيين ، جعلته يفكر في نقل عاصمته إلى بجاية لسهل تعاملاته التجارية مع النصارى المسيحيين ومع الأندلسيين وحتى مع الإسكندرية والقاهرة والشام.[1] كانت السهول المحيطة بمدينة بجاية تنتج بوفرة القمح و الشعير والتين وغيرها من الفواكه وفي جبل أميسون وجبال أخرى قريبة تحيط بالمدينة كانت تجنى أنواع من النباتات الطبية. وقد اتسع نطاق المواصلات التجارية البحرية و البرية للمدينة بجاية ، مما عاد بالفائدة والأرباح على تجار المدينة وخزينة الدولة، فأصبحت المدينة مستودعاً كبيراً للبضائع و سلع مختلفة وصاروا على اتصال بتجار المغرب الأقصى وكذلك تجار الصحراء و المشرق كما ذكر لنا الإدريسي أن مدينة بجاية أهلها مياسير تجار يجالسون أهل المغرب الأقصى والصحراء و الإسكندرية.«...و بها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة »[2].

وتقع في الواجهة البحرية خارج المدينة ما يسمى بالشريعة (أي البطحاء) وهي مكان واسع حيث كانت تقام سوق أسبوعية [3].

كما أشار الغبريني إلى بعض أسواق بجاية ، والتي يعتقد أنها كانت موجودة من قبل أي في العهد الحمادي مثل سوق قيصرية ، وسوق الصوف ،والتي كانت تباع فيها الصوف وسوق باب البحر[4]، وسوق القراصنة، وسوق السويقة [5]. وكما ذكر الإدريسي «... ومدينة بجاية في وقتنا هذا (وقت

---

[1] الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 108.

[2] الإدريسي ، المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ،ص 116.

[3] الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ص 111.

[4] نفسه ، نفسه ، ص 111.

[5] ريحاب محمد كمال أحمد المغربي ، التجارة في عصر بني حماد 408-547 هـ /1017-1152 م ، بحث مقدم ، إشراف د. البيومي إسماعيل الشربيني و أ، د علاء طه رزق حسين ، قسم التاريخ جامعة دمياط ، 1436هـ/2015م ، ص4.

الإدريسي) مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً و السلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار ».«...وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة »[1].

فمدينة بجاية كانت تمثل مركزاً للمبادلات التجارية في حوض بحر الروم نظراً للموقع الاستراتيجي الهام حيث تتوسط بلاد المغرب ،ولها واجهة بحرية مكنتها من التحكم في التجارة براً وبحراً مما يعود بالفائدة على خزينة الدولة[2]. كما أشار الإدريسي إلى بعض المحاصيل والمنتجات التي كانت في بجاية «...وبها بواد و مزارع والحنطة والشعير بها موجودان كثيراً والتين كثيراً من سائر الفواكه بها ما يكفي الكثير من البلاد »[3] .

4- الحمامات :

كغيرها من الحواضر الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي، عرفت بجاية في العهد الحمادي بناء الحمامات عادةً كانت الحمامات مجاورةً للمساجد خاصةً وأن الدين الإسلامي يحث على الطهارة والنظافة فكانت الحمامات تبنى بجوار المساجد [4]. وكانت الحمامات العمومية منها ما هو خاص بالرجال، وحمامات أخرى خاصة بالنساء، ما نستشفه من خلال ما ذكره الأستاذ الهادي روجي إدريس في كتابه الدولة الصنهاجية ، حيث ذكر : « ولا يحبذ العلماء تردد النساء على الحمام ، لا سيما وقد اعتدن التجرد من ثيابهن بتلك المناسبة ، كما يعترض الزوج أحياناً على ذهاب زوجته إلى الحمام العمومي[5]. وكان من عادة الأزواج أن يستأجروا حماماً لنسائهم لتغتسل فيه بمفردها .

لقد عرفت الدولة الحمادية فن اختطاط المدن وبناء كل المرافق الضرورية التي تحتاجها المدينة ، بما فيها الحمام فكانت مساحة مدينة بجاية على هذا العهد تقدر بمائة و خمسين هكتار (150.000 متر مربع) وتتجزأ إلى 21 حياً ومشتملةً على 73 مسجداً وتظم من السكان ما يزيد عن 100.000 نسمة .[6] فمن خلال العدد الكبير الذي كانت تحتويه بجاية من المساجد (73 مسجداً) يمكن أن نقيس عليه عدد الحمامات ، التي كانت موجودة بالقرب من هاته المساجد أو حتى أنها كانت حمامات عمومية منفردة ،

---

[1] الإدريسي ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، ص116.

[2] الإدريسي ، المصدر السابق ، ص116.

[3] الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مج1 ، د.ط ، مكتبة الثقافة الدينية ،ص 260.

[4] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص156.

[5] الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص196.

[6] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص275.

وكغيرها من حواضر بلاد المغرب الإسلامي فكانت تراعى جوانب عدة باختطاط المدن فالمسجد الجامع ثم بالقرب منه دار الإمارة ثم السوق ثم الحمام.

5- المقابر :

كانت المقابر ممتدة خارج سور المدينة وعلى أطرافها فكانت مقبرة خارج باب أميسون[1]. ومقبرة قرب باب المرسى ، ومقبرة باب البنود وكانت المقبرة الواقعة خارج باب البنود تسمى مقبرة أبي علي رسمية أو (أبي سمية)[2] .

6- البساتين :

تمتاز مدينة بجاية إلى جانب موقعها الجغرافي ، المناخ المعتدل في الصيف ويكثر سقوط المطر في مناطقها لا سيما في الشتاء ، كما أن البحر الأبيض المتوسط يلطف دائما جوها ويعطيها كل مميزات وخصائص المدن الساحلية[3]. فوفرة الرطوبة في الصيف و الإمطار في الشتاء، جعل منها تتمتع بخضرة طول السنة مما دفع بالحماديين إقامة وإنشاء بساتين ومتنزهات عامة للترفيه خاصة على ضفتي النهر الكبير (وادي صومام) الذي يقسم المدينة إلى قسمين [4] ويذكر ابن خلدون في العبر ،«...أن المنصور بن الناصر بن علناس كان مولعاً بالبناء والتشييد وهو الذي حضر ملك بني حماد وصيرها داراً لملكه وجدد قصورها وشيد جامعها و تأنق في اختطاط المباني وتشييد المباني و بناء المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين»[5] . فالمنصور بن الناصر كان مهتماً ببناء القصور وزخرفتها ، وكذالك تألق في اختطاط المدينة و تشييد المباني وإجراء المياه في الرياض والبساتين[6] .

كما اهتم الحماديون بالبيئة قدر المستطاع وذلك لما تضفيه من جمال على المدينة وخاصة و أنهم أبدعوا وتفننوا في بناء القصور وزخرفتها و إقامة البساتين و إجراء المياه بها وكان كل قصر يشتمل على بساتين ورياض بديعة بها أنواع من الزهور و الأشجار[7]، بالإضافة إلى غرس الأشجار، كشجر

---

[1] أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح ، عادل نويهض ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت ، 1979 ، ص 35.

[2] الغبريني ، المصدر السابق ، ص - ص 29، 119 .

[3] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 103.

[4] نفسه ، نفسه ، ص 103.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 232.

[6] نفسه ، نفسه ، ص 232 .

[7] عبد الكريم عزوق ، الآثار الإسلامية ببجاية ، ط1، ص 150.

النرنج وفي هذه الرياض يسمع خرير المياه الجارية على الشاذروات المتدفقة في الأحواض من أفواه الحيوانات المنحوتة من الرخام والتي نجد من بينها الأسود في وضعيات مختلفة و الطيور و الحيتان[1].

فقد وصف لنا الشاعر ابن حمديس [2] هذه البساتين في الأبيات التالية :

وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناي بحر عجائب مسجورا.

شجرية ذهبية نزعت إلى سحر يؤثر في النهر تأثيرا[3]

وقال في قصيدة أخرى :

في جنة غناء فردوسية محفوفة بالروح والريحان

وتوقدت بالخمر من نارنجها كأنها خلقت من النيران

وكأنهن كرات تبر أحمر جعلت صوالجها من القضبان[4].

وفي وسط البساتين كانت بركة تجري فيها المياه من شاذروان ومن أفواه الحيوانات من كل نوع و الشذروان هو لوحة من الرخام المنقوش يجري عليها الماء. فقال ابن حمديس وهو يصف الماء يسيل على الشاذروان :

و الماء منه سائل من فضة ذابت على لوحات شاذروان .

كأنما سيف هناك شطب ألقته يوم حرب كف جبان[5].

وكان الماء يسيل من أفواه الحيوانات فوضع الشاعر ابن حمديس الأسد في المرتبة الأولى فقال:

وضرغام سكنت عرين رئاسة تركت خرير الماء فيته زئيرا[6] .

7- المتنزهات :

لقد اهتم الحماديون بالجانب البيئي ،إلى درجة التفنن في إقامة البساتين قرب القصور وعلى ضفاف الأنهار، نظرا للقيمة الجمالية التي تكتسيها هذه البساتين و المتنزهات الفائقة الروعة والجمال

---

[1] عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص 150.

[2] ابن حمديس الصقلي:هو أبو محمد عد الجبار بن حمديس الأزدي، ولد في سرقوسة بجزيرة صقلية سنة 447هـ/1055مثم سافر إلى الأندلس سنة 471هـ/1088م،انتقل إلى مدينة بجاية، حيث أصبح شاعر المنصور بن الناصر ،له ديوان شعر يحتوي عدة قصائد في مدح المنصور وأخرى يصف فيها القصور وجمالها لمدينة بجاية، ينظر: رشيد بوريبة، الدولة الحمادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977،

[3] عبد الكريم عزوق ، الآثار الإسلامية ببجاية ،ط1 ، ص 151.

[4] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 249.

[5] نفسه ، نفسه، ص 249.

[6] رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 250.

وساعد على ذلك المناخ الملائم لمدينة بجاية[1]. وذلك ما يضفي اخضراراً على الأشجار والبساتين طوال السنة بالمدينة نظرا لوفرة الرطوبة و وجود المياه لسقيها[2]. كما نوه الملاحظون بإشادة بمدى جمال وروعة قصورها، وجمال البيئة واخضرارها الذي زادها رونقا وجمالاً تخطف أنفاس الناضرين إليها. وأمام البحر كان يوجد متنزهان رائعان يمتدان على ضفة الوادي الكبير، وهما " البديع " الواقع في الناحية الغربية ، و"الرفيع " الواقع في الناحية الشرقية و المتمثل في روضة غناء ملاصقة للسور الغربي في أسفل قصر اللؤلؤة ، وقد بقي في الجزء الشمالي الغربي من السور عدد كبير من الخزانات التي كانت تزود المدينة بالماء وتستعمل في السقي[3]. بالإضافة إلى إنشاء وإقامة البساتين المحيطة بالقصور والحدائق العامة ،فضلاً عن الجداول والأنهار التي كانت تخترق المدينة ويبدوا أن أحياء ارستقراطية خاصة أقيمت داخل المدينة سكنتها الطبقة الحاكمة و الخاصة فقد أولوا الحماديين اهتماماً بالغاً للجانب الجمالي للمدينة

العمارة العسكرية:

1- الحصون والقلاع:

كانت مدينة بجاية تقع في موقع حصين طبيعيا، ذلك راجع إلى اختيار الموقع من قبل الناصر بن علناس فاختير موقع مدينة بجاية بعد عدة حسابات قام بها الحماديون من جملتها الحصانة الطبيعية، وهي مفتوحة على البحر وكذلك صعوبة التضاريس، تحيط بها الجبال من كل جهة بالإضافة إلى صعوبة المسالك والطرق المؤدية إليها.[4] خاصة و أن مدينة القلعة عاصمة الحماديين الأولى ، كانت تقع في منطقة مكشوفة بالرغم من أنها في سفح جبل " تقربوست" فسهولة الوصول إليها من الجهات الثلاث المتبقية.مما جعلها سهلة الوقوع في أيدي العرب الهلاليين، وخضعت إلى لتخريب بعد ذلك .[5]

بالإضافة إلى موقع مدينة بجاية الحصين طبيعيا ،إلا أن الناصر بن علناس عندما عاين الموقع مع الوزير ابن البعبع[6]، أمر ببناء سور حول المدينة و إقامة حصون قلاع لدفاع و حماية المدينة من خطر الأعداء ،أو أي خطر محتمل من جهة العرب الهلالية. [7] كان السور الحمادي الذي يحيط بمدينة

---

[1] الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص109.

[2] نفسه ، نفسه ،ص 109.

[3] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 130.

[4] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق ،ج 2، ص110.

[5] نفسه ، نفسه ،ص111.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق ، ج8 ، ص374.

[7] الهادي روجي إدريس،المرجع السابق،ج2،ص102 .

بجاية تقريبا كل 25 متر نجد أبراجاً (برج) أو حصن ناتئة مستطيلة القواعد ذات مقاسات الطول 4 متر و العرض 3 متر و الارتفاع 6 أمتار ، و كان نتوء البرج يبلغ 2,5 متر و كان للباب البحر قوسان مكسوران مبنيان بالأجر.[1]

تعتمد القوس السفلي على دعامتين من الحجر، أما القوس العليا فهي ناتئة بالنسبة إلى الأولى وكان ممر الحراس و الجند موضوعاً فوقها، حيث كان الممر متصل بطول السور لسهولة مراقبة تحركات العدو و أثناء الإغارة أو أي هجمات محتملة.[2] كان على يمين الباب و يساره نجد برجاً مستطيلاً و بجانب السور و الأبواب هناك بناء يطلق عليه اسم "شوف الرياض".[3] وحصن" شوف الرياض" كان برجاً يحرس ثلاثا أبواب منها، باب البنود وبقمة هذا البرج كانت توجد آلة بها مرايا تستعمل للمراسلة مع بروج مماثلة مبنية داخل سور المدينة، أو حتى مع المدن الحمادية الأخرى.[4]

وفي الليل كانوا يستعملون النيران و لذلك ألقي على هذا البرج اسم المنارة، زيادةً على الحصون و الأبراج التي كانت موجودة على طول السور الحمادي لمدينة بجاية وصف لنا الإدريسي وصفا مفصلا لمجموعة من الأبراج و الحصون الموجود على طول الطرق و المسالك التي تؤدي من و إلى مدينة بجاية.[5]وذكر لنا الطريق الرابط بين بجاية والقلعة و المحاذية لمدينة بجاية عبر منخفض وادي "السُمام"، فأكد أن تلك الطريق تمر عبر مضيق و سوق الأحد و وادي هيت، وحصن تاكلات، وهو حصن منيع تطل على جبل بجاية، وبحصن تأكلات قصور حسان وبساتين وجنات.[6]ومن حصن تأكلات إلى تادرقت إلى سوق الخمسين إلى حصن بكر وبه المنزل وحصن بكر حصن بكر وله مراع، ممتدة و الوادي الكبير يجري مع أصلها.[7]ويوجد بعد ذلك حصن وارفو ويسمى أيضا حصن وافو أو(رافو).[8] وهناك تترك وادي

---

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص202.

[2] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص202.

[3] نفسه ، نفسه ، ص202.

[4] نفسه،ص202. و مارمول كربخال، إفريقيا،ج2، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع،1408هـ-1409هـ/1988م-1989م ، الرباط ، ص377.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق،مج1،ص262.

[6] الإدريسي، المصدر السابق، ص262.

[7] الإدريسي، المصدر السابق ، مج1، ص262.و موسى هيصام،الجيش في العهد الحمادي 405-547هـ/1014-1152م
رسالة ماجستير،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2000-2001 ص89.

[8] الإدريسي، المصدر السابق ،مج1،ص262

بجاية غربا وتمر من الجنوب إلى حصن الجديد ثم إلى حصن الناظور وهذه الأرض كلها تجول بها العرب و تضر بأهلها.[1]

فمن خلال ما ذكر الإدريسي جملة من الحصون والقلاع التي تحيط بمدينة بجاية وعلى طول الطرق و المسالك المؤدية من و إلى مدينة بجاية ،يمكن أن نستخلص الهدف من بناء هاته الحصون هو حماية القوافل التجارية الوافدة على بجاية أو حتى المغادرة منها ،كذلك حماية المحاصيل الزراعية، المنتشرة في السهول و البسائط على أطراف المدينة.بالإضافة إلى الهدف الرئيسي، وهو الدفاع عن المدينة عند أي خطر أو هجوم محتمل من قبل الأعداء، و خاصةً الإغارات المتكررة من قبل العرب الهلالية.

2- الأســوار:

منذ انتقال الناصر بن علناس موقع مدينة بجاية ،وتم اختيار الموقع و أعلن حينها و أمر المهندسين و البنائين بالعمل و الانطلاق في البناء وتشييد المدينة[2] التي اختارها أن تكون عاصمة له و أطلق عليها اسم الناصرية.[3]في البداية فكر الناصر في تحصين المدينة ، و هو بناء سور يحيط بها من جميع الجيهات زيادة على الموقع الطبيعي المحصن حيث تقع المدينة في سفح جبل أميسون ويحيط بها البحر من ثلاث جوانب.[4] وكما ذكر ابن الإدريسي:«...وهي معلقة (بجاية) بجبل عظيم مطل عليه، وقد احتوى سورها المبني على جميع الجبال المذكور (جبل أميسون) طولاً وعرضاً و أما من جهة الجنوب أرضا سهلةً[5]. ومدينة بجاية مدينة عليها سورُ منيع ».[6]

فإشارة ابن حوقل إلى المدينة منيعة بسورها فهذا دليل على أن الحماديون في بادئ الأمر هو تحصين المدينة خاصة وأنهم أقاموا مدينة بجاية على أنقاض القلعة فعمرت بجاية بخراب القلعة و نتيجة للخطر المتزايد من قبل العرب الهلالية على القلعة[7].و كأنهم استفادوا من التجربة الأولى فأرادوا تحصين المدينة وذلك ببناء سور يحيط بها من كل الجهات، سواءً من الخطر العربي المتزايد أو حتى الغزاة الذين

---

[1] نفسه ، نفسه، ص262.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق ،ج8، ص374.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6 ،ص232.

[4] مؤلف مجهول، المصدر السابق ،ص129. و موسى هيصام، المرجع السابق،ص87.

[5] الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تح، محمد حاج صادق، ص117.

[6] ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،1996 ،ص77.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق ، ص77.

يتوقع قدومهم من جهة البحر.كما ذكر صاحب الاستبصار:«مدينة بجاية، هي مدينة عظيمة على ضفة البحر و البحر يضربُ في سورها وهي محدثة البناء من ملوك صنهاجة.»وكما أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى الحصانة الطبيعية فقال:«...و هي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاط بها البحر من ثلاث جهات».[1]

لقد ما زالت آثار السور الحمادي في مدينة بجاية إلى أيامنا هذه باقية و شاهد على عظمة و قوة الدولة الحمادية في المغرب الأوسط، فكان السور ينحدر من الناحية الشمالية للمدينة المسماة حاليا ببرج بو ليلة إلى الجنوب ثم يتبع ساحل البحر نحو الشمال.[2] يتراوح عرض السور ما بين 1,70و2,50م وارتفاعه بين 4و6 أمتار ونجد في أعلاه ممراً خاصاً بالحرس ، وتكلله شرفات و كان هذا السور مبنياً بالحجر و سافات الأجر مكلساً بالجير و الإسمنت، وحوالي كل 25م نجد بروجاً ناتئة مستطيلة القواعد ذات مقاسات الطول 4 متر و العرض3متر والارتفاع 6متر.[3] وكان نتوء البرج يبلغ 2,5متر، و كانت هذه البروج تحتوي على مجموعة من الحراس يؤدون دورهم بالتناوب فهذا دليل على التنظيم العسكري المحكم للدولة الحمادية .[4]كما بُنية أسوار مدينة بجاية من الحجر و الدبش و الأجر تعقبها طبقة من الملاط و الدبش هذا عبارة عن دقائق الأجر المغطى بطبقة من الجير والإسمنت.إن وجود السور في مختلف المناطق المحيطة بالمدينة دليل على أن الحماديين قد اهتموا بالجانب الدفاعي قبل غيره.

3- الأبـواب:

بعد بناء السور الذي يحيط بالمدينة ، أقيمت على مداخل المدينة أبواب و تقريبا من جميع نواحيها للدخول و الخروج من المدينة عبر نقاط ثابتة و محروسة ، و لتسهيل حماية المدينة عند إغارة الأعداء و حتى غلقها عند أي خطر.[5]حيث كانت مدينة بجاية تحتوي على عدد من الأبواب منها من الناحية الجنوبية من المدينة يوجد في وسط الواجهة البحرية ، باب البحر ذو الأقواس و الذي كان يسمح للسفن بالدخول إلى مدرج داخلي(الميناء) . [6]وفي الناحية الشرقية يوجد باب المرسى، و باب أميسون[7]، و باب

---

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار،ص- ص،128 - 129.

[2] رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص 202.

[3] نفسه ، نفسه ، ص202.

[4] نفسه، ص202.

[5] الهادي روجي إدريس ، المرجع السابق ،ج2 ص 109.

[6] نفسه ، نفسه ، ص 110.

[7] أبو العباس الغبريني، المصدر السابق ،ص 35 .

تاطنت، الذي كان قد عَرَفهُ كل من بن تومرت و عبد المؤمن بن علي ، و باب اللوز ومن الناحية الشمالية الغربية باب البنود ،و باب باطنة ، و باب الجديد.[1]و يضيف البيذق أنه عند دخول الإمام المهدي بن تومرت إلى مدينة بجاية و عند دخوله المدينة حتى وصل إلى باب البحر[2]، فكسر جرار الخمر و نهى الناس عن شرب الخمر ،وعادةً كانت الأبواب تتميز بالقوة و الصلابة للصمود في وجه أي خطر محتمل من قبل الأعداء ، بالإضافة إلى وجود أبراج بجانب هاته الأبواب لحماية مداخل المدينة و كانت محروسة طوال الوقت في الليل أو في النهار.

4- المـوانئ:

ذكر البكري أن مدينة بجاية تمثل مرسى بني حماد ، حيث كانت تعاملات بني حماد مع غيرهم من الأندلسيين و الممالك النصرانية و الإسكندرية و الشام[3] .كما يقول:«...مرسى مدينة بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون»[4]وأيضا :«...ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل [5]، و على هذا المرسى في تلك الجبال قبائل كتامة،هي شيعية يكرمون من مال إلى مذهبهم »[6]وذكر الحميري أن بجاية:«...هي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة»[7]. و كما يذكر صاحب كتاب "الروض المعطار" في وصفه لمدينة بجاية فيقول :«...و بجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه، و لها دار صناعة المراكب و إنشاء السفن» [8] فإنشاء دار لصناعة السفن دليل على اهتمام الحماديين بالبحر وذلك من خلال إنشاء السفن سواءً الحربية للدفاع عن المدينة عند إغارة الأعداء ،أو سفن تجارية نظرا لأهمية الاقتصادية للمدينة خصوصا و بعد انتقال بني حماد من

---

[1] الهادي روجي ادريس ،المرجع السابق،ج2 ،ص 110.

[2] البيذق ، المصدر السابق ، ص 13.

[3] أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب و هو جزء من المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ،ص 82 .

[4] أبو عبيد البكري ، المصدر السابق، ص 82 .

[5] قلعة أبي طويل: يطلق هذا الاسم على قلعة بني حماد، كما يذكر أصحاب قلعة أبي طويل ببني حماد وهم أصحاب القلعة، ينظر ، محمد عبد المنعم الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار،مكتبة لبنان، ط1 ،بيروت ، لبنان ،1975، ص 81.

[6] البكري ،المغرب العربي في ذكر إفريقية و المغرب ، ص 82 .

[7] محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح د إحسان عباس ، مكتبة لبنان ،ط1،بيروت 1975،ص 81 .

[8] الحميري ، المصدر السابق، ص81 .

القلعة إلى بجاية فتحولت معهم التجارة خاصة بعد خراب القلعة ،حيث يقول الحميري«...إنما عمرت بجاية بخراب القلعة».[1] كما يضيف أنها كانت مرسى عظيم كان تقصده السفن من كل الجيهات. [2] و هذا راجع للأهمية الاقتصادية لميناء بجاية حيث أصبحت مدينة بجاية خلال هذه المرحلة لؤلؤة المتوسط حيث أصبحت قبلة القوافل التجارية من الغرب ومن الجنوب و كذلك عبر البحر مما أكسبها أهمية كبيرة في تلك الفترة.

و يضيف الإدريسي أن مدينة بجاية كانت لها أهمية اقتصادية على الصعيد البري و البحري ، وهذه الأهمية تتجلى في اهتمام بني حماد بميناء بجاية نظراً لقيمته الاقتصادية و الأموال الطائلة التي هي بمثابة مصدر دخل للحماديين جعلها ترقى إلى أن تصبح عاصمة اقتصادية في المغرب الأوسط على حد تعبيره.[3]حيث يقول:«... و مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد و السفن إليها مقلعة و بها القوافل منحطة و الأمتعة إليها وافرة براً و بحراً و السلع إليها مجلوبة و البضائع بها نافقة.....»[4]كما يؤكد لنا الإدريسي بأن مدينة بجاية بها دار لصناعة و إنشاء السفن فهذا دليل واضحُ على اهتمام الحماديين بصناعة السفن قائلا :«...وبها دار صناعة ، لإنشاء الأساطيل و المراكب و السفن و الحرابي[5] لان الخشب في أوديتها موجود[6]». كما كان يجلب إليها من أقاليمها الزفت و القطران البالغ الجودة ، وكما هو معروف فالزفت و القطران يدخل في صناعة السفن.[7]

وصناعة السفن دليل أيضا على إنشاء موانئ ومراسي لاحتواء هاته السفن واستقبال السفن التجارية المحملة بالبضائع، وحتى صناعة السفن الحربية لحماية سفنها التجارية من القرصنة البحرية و حماية المدينة من الناحية البحرية من أي خطر أو هجوم محتمل.

خاتمة :

وفي الأخير يمكننا أن نقول من خلال هذه الدراسة ، حاولنا الإلمام بالمظاهر العمرانية المدينة بجاية خلال العهد الحمادي منذ تاريخ 460هـ-547هـ/1067م-1152م أي منذ تأسيس المدينة على يد

---

[1] نفسه ، نفسه، ص 82 .

[2] نفسه ، ص 81.

[3] الإدريسي ، المصدر السابق ، مج 1 ، ص 260.

[4] نفسه ، نفسه ، ص 260.

[5] الحرابي:هي نوع من السفن الحربية.

[6] الإدريسي ، المصدر السابق، مج1، ص 260.

[7] نفسه ، نفسه ، ص260 .

الناصر بن علناس، حتى سقوط دولة بني حماد على يد الموحدين وبالتالي سقوط مدينة بجاية في أيدي الموحدين .

_ بعد الهزيمة في معركة سبيبة457هـ/1065م، وبعد أن خذلته قبائل الأثبج وأيضاً الزعيم المغراوي ممثل زناتة المتحالفة مع الناصر ضد بني هلال وبنو زيري عرف حينها أنه يجب عليه أن لا يثق فيهم، فاعتمد على إثارة العصبية القبلية لصنهاجة بالتوجه إلى منطقة بجاية التي توجد بها فروع صنهاجة منها قبيلة بجاية و قبيلة زواوة و قبيلة كتامة وغيرها لحماية الدولة الحمادية من السقوط و الاندثار وقد نجح في ذالك .

– فالتطور و الازدهار العمراني و التوسع الذي مس مدينة بجاية معمارياً و فنياًما انعكس على المجتمع الحمادي الذي اتسم بمظاهر التسامح، و التضامن و التعاون و الانفتاح على الغير بالرغم من اختلاف في الأعراف و العقائد وغيرها ، فالتطور الذي بلغته مدينة بجاية في العهد الحمادي حدث في ظرف قياسي فانتقلت من ميناء صغير به مجموعة من التجار إلى مدينة تحتوي على مختلف المرافق الضرورية للحياة .

– فطبيعة الإنسان الأمازيغي و منذ القدم و مسألة تقبله للأخر والتعايش معه، زيادة على ذالك الفكر الإسلامي للحضارة العربية الإسلامية التي جاء بها العرب الفاتحون،الذي دفعهم إلى التحضر والتطور في شتى مجالات الحياة .فأصبحت بجاية مركزاً حضارياً متنوعاً و مصدراً للكثير من التأثيرات الفنية و المعمارية والفكرية إلى مختلف حواضر المغرب الإسلامي، وباقي منا طق و دول العالم أنا ذاك فهذا ما جعلها قبلة لكثير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والرحالة وحتى الشعراء أسهم إلى حد كبير في ازدهار الحياة الفكرية و العلمية و الفنية بالمدينة .

_ الأهمية الاقتصادية لمدينة بجاية ، ساهمت إلى حد بعيد في اختيار موقعها لأنها تقع على ساحل البحر وكانت هي ساحل بني حماد الذي تدار منه كل العمليات التجارية، بالإضافة إلى موقعها أنها تتوسط المغرب الأوسط فهي قريبة من كل مدن و حواضر المغرب الأوسط أو حتى على الصعيد الخارجي فهي قريبة من الأندلس و مع دول و الممالك النصرانية، إذا ما قورنت مع غيرها من المدن و الناطق الداخلية .

_ اهتمام الأمراء الحماديون ببناء المساجد و المدارس والمعاهد، ما هو إلا دليل على نظرتهم المستقبلية و أملهم في العلم والمعرفة وهو ما جعل مدينة بجاية مركز إشعاع حضاري و أصبحت محل

أنضار الكثير من العلماء والفقهاء والصلحاء مما ساهم في تطور وازدهار الحركة العلمية في بلاد المغرب الأوسط على وجه الخصوص والمغرب الإسلامي على العموم . وبالرغم ما طالته أيدي الزمان من محو للآثار العمرانية لمختلف المنشئات العمرانية بمدينة بجاية، والتي تعود إلى الفترة الحمادية إلا أن الكثير من هذه الآثار منها بقايا سور المدينة وبعض الأبراج و الحصون مازالت شاهداً مادياً حياً على عظمة و قوة الدولة الحمادية .

قائمة المصادر و المراجع :

1-المصادر :

1- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مج8 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان 1407هـ -1987 م.

2- الإدريسي ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، تح محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، حيدرة الجزائر ، 1983.

3- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج 1 ،مكتبة الثقافة الدينية ، د. ط، د. ت.

4- ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج6 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،د.ط، بيروت لبنان ، 1421هـ/2000م.

5- ابن حوقل أبو القاسم ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1996.

6- البكري أبو عبيد الله : المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، د.ت ، القاهرة.

7- البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب و هو جزء من المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

8- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق " ،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة ،الرباط ،1971.

9- الوزان الحسن بن محمد الفاسي ، وصف إفريقيا ، ج2 ، تر . محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983.

10- الزواوي أبو يعلى ، تاريخ زواوة ،مراجعة وتعليق سهيل الخالدي ،ط1 ، منشورات وزارة الثقافة،الجزائر،2005.

11- الحميري محمد عبد المنعم ،الروض المعطار في خبر الأقطار،مكتبة لبنان، ط1 ،بيروت ، لبنان ،1975.

12- العبدري أبو عبيد الله ، رحلة العبدري ، تح ، علي إبراهيم كردي ، ط2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر و التوزيع ، دمشق ، 1426هـ/2005م.

13- الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح ، عادل نويهض ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت ، 1979.

14- كربخال مارمول ، إفريقيا،ج2، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع،1408هـ-1409هـ/1988م-1989م ، الرباط .

15- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق ، د.سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة لطباعة والنشر ، بغداد ، العراق ، 1986.

2-المراجع:

1-الهادي روحي إدريس ، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م -ق 12 م ، تعريب حمادي الساحلي ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1992.

2- العربي إسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1980 .

3- العربي إسماعيل ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د ت .

4- الطمار محمد ،المغرب الأوسط في ضل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ،2010.

5- بعيزيق صالح ، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية و اجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية ، جامعة تونس، 2006.

6- بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1397هـ-1977م.

7- دومنيك فاليرين ، بجاية ميناء مغاربي 1067-1510 ، ج1 ، تر،عمار علاوة ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ،2014.

8- عزوق عبد الكريم ، الآثار الإسلامية ببجاية إحصاء جرد و تحليل ، مؤسسة الضحى، ط1 ، الجزائر 1434-2013 م.

9- عمارة علاوة ،دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي.ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون ،الجزائر،2008.

10- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط2. القاهرة ،1411هـ /1991 م

11- مارسيه جورج ، بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى،تر محمود عبد الصمد هيكل،توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية،الإسكندرية،1991.

12- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دار الرشاد منشورات مكتبة الأسرة، د.ط،2004.

3- المذكرات :

1- سيدي موسى محمد شريف ، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني 6هـ-10هـ/12-16م ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 1430-1431هـ /2009-2010م.

2- عزوق عبد الكريم ، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها (دراسة أثرية ،أطروحة دكتوراه ، معهد الآثار ،جامعة الجزائر :2007-2008.

3- محمد كمال أحمد المغربي ريحاب ، التجارة في عصر بني حماد 408-547 هـ /1017-1152 م ، بحث مقدم ، إشراف د. البيومي إسماعيل الشربيني و أ، د علاء طه رزق حسين ، قسم التاريخ جامعة دمياط ، 1436هـ/2015م .

4- هاشمي مريم،العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان و بجاية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م،رسالة ماجستير، قسم التاريخ ،جامعة تلمسان،1431-1432هـ/2010-2011م.

5- هيصام موسى ،الجيش في العهد الحمادي 405-547هـ/1014-1152م رسالة ماجستير،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2000-2001.

الأبناء، من وصايا لقمان إلى وصايا الفيسبوك.

أ.د/ ميلود بكاي
جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.

د/ عمر بن شريك
جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.

الملخص:

تحاول هذه الورقة صبر أعماق قضية التغيّر والتحوّل الذي أنتج حالة جديدة فيما يخص التنشئة الاجتماعية،انطلاقا من الواقع الذي فرضه الإعلام الجديد كعنوان لهذا التغير،مركزين على القضايا الكبرى للتنشئة كالعلاقة بين الآباء والأبناء أو ما يسمى بالعلاقة الوالدية و وظائف التنشئة الأسرية وأهدافها ثم مضمون التنشئة أو ما يسمى بالمحتوى الثقافي، الذي يتضمن القيّم والمعايير والمعتقدات وغيرها من عناصر الثقافة المعروفة في إطار الخصوصية الثقافية للمجتمعات الإسلامية. هذا من خلال نموذج مستقى مما جاء به القرآن الكريم في سورة لقمان أو ما يعرف بوصايا لقمان. تعد هذه القضايا أهمّ المؤشرات التي من خلالها سنقيس ما تعيشه الأسر في عالم الانفجار الإعلامي على مستوى العلاقات داخل الأسر وتطلعاتها وأهدافها التي تبني عليها مشاريعها التنشيئية محاولين الإجابة على بعض الأسئلة التي تصب في هذا الصدد لنخرج بصيغة توافقية لا يتهم فيها طرف أو آخر.

الكلمات المفتاحية: التواصل الاجتماعي،الفايسبوك، التنشئة الاجتماعية، القرآن.

Abstract:

This paper attempts to ponder the depth of the issue of change and transformation, which has produced a new situation in terms of socialization, based on the reality imposed by the new media as the title of this change, focusing on the major issues of socialization; such as the relationship between parents and children, Family socialization functions and objectives , Then the content of the formation or the so-called cultural content, which includes values, norms, beliefs and other known elements of culture, within the cultural peculiarity of Islamic communities. This is through a model derived from the Holy Quran in Surah Luqman, or what is known as the commandments of Luqman. These issues are the most important indicators through which we will measure the lives of families in the world of media explosion, at the level of relationships within families, their aspirations, and their family project. We try to answer some of the questions that pour in this regard to come out in a compromise formula which does not accuse one party or another.

Keywords: Social media, Facebook, Socialization, Quran.

1- مقدمة :

تعالج هذه الورقة واحدة من أهم الاهتمامات المجتمعية المعاصرة،وهي تنشئة الأبناء في عالم سريع التغيّر،ذلك أن الأمر يتعلق بسيادة وسائل الإعلام و الاتصال على المؤسسات التقليدية في التنشئة والتأثير على الأبناء فلا شك أن الجميع يعترف بتراجع فعالية كل من الأسرة والمدرسة ودور العبادة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى في تربية وتنشئة الأفراد لصالح وسائل الإعلام خاصة الحديثة منها،وهذا نتيجة للتحوّلات والتغيّرات التي شهدتها المجتمعات الإسلامية بالتحديد كونها تتميز بخصوصية ثقافية يعد صونها واجبا شرعيا.

وسوف نعتمد في هذه المعالجة على تحليل مفاهيم التنشئة الاجتماعية بين الماضي الذي سيتم قياسه من خلال وصايا لقمان نموذجا والحاضر الذي تهيمن عليه وسائل الإعلام الحديثة وتتصدرها وسائل التواصل الاجتماعي بسيطرة شبه كبيرة لصالح الفيسبوك الذي أصبح أيقونتها المعروفة.

إن المعهود في المجتمعات أنها توكل مهمة التنشئة إلى وكالات اجتماعية تختص بفعل التنشئة الاجتماعية،التي تعد الوسط الأول والقناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة وانتقالها على مدى الأجيال(غدنز،2001).ويراها دوركايم على أنها العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على من لم ينضجوا لتفهم الحياة المجتمعية (وطفة،2004) وعليه تعتبر التنشئة بمعناها الشامل عملية نقل الإرث الاجتماعي والثقافي من جيل إلى آخر وهي بناء شخصية الأفراد في ضوء أهداف المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه ومعاييره(خطاب،2004) فهي تجعل الصغير يستجيب للمجتمع و يندمج فيه ليصبح ناشط اجتماعي و يلعب الدور الذي يناسبه، و هي عملية ديناميكية أوسع من مجرد القص و اللصق و أكثر تعقيدا من أن تسير في اتجاه أو مسار واحد أو يحكم عليها من خلال توفير الظروف على المستويات المحلية، فالتحولات الكبرى التي تشهدها المجتمعات – و اليوم يشهدها العالم– لها أثرها الواضح على عملية التنشئة في أبسط مؤسساتها خاصة مع تسارع التطور التكنولوجي.

ولكي تنجح التنشئة في مهمتها لا بد لها من الاعتماد على مجموعة من الآليات والمكانيزمات التي توضح كيفية امتثال الطفل واندماجه في المجتمع، و هذه الطرق والآليات في الحقيقة ترتكز على النظريات الكلاسيكية للتعلم حيث أن الطفل أو الفرد بصفة عامة يعتبر كائنا يستجيب لمثيرات محيطه الاجتماعي(Campeau et autres, 1993) وللمثير تأثير في سلوك الفرد بحيث يستجيب بطريقة ما لدى تعرضه لهذا المثير.أما الاستجابة فهي فعل أو جزء محدد من السلوك،ويمكن تعيينها دون الرجوع إلى

الحادث الذي استثارها،في حين لا يغدوا الحادث مثيرا إلاّ إذا استثار أو أحدث استجابة ما (نشواتي ،1993).

وأول هذه الآليات هي التعلم حيث لا يخلوا نشاط بشري من تعلم فهو عملية أساسية في الحياة يسير معها ويمتد بامتدادها، والفرد يكتسب الأنماط السلوكية التي يعيش بها عن طريق التعلم من خبرات الأجيال التي سبقته وبما يضيفه النمو إلى الحصيلة المستمرة للمعرفة الإنسانية فالتقاليد والقوانين والأديان واللغات تعتبر نتيجة لقدرة الإنسان على التعلم (خير الله،1983)، لهذا هو عملية مستمرة و ديناميكية تؤخذ أشكال متعددة أو تتم بطرق مختلفة و هذا من بين أسباب استمرار العلوم الاجتماعية و التربوية في إمدادنا بنظريات متعددة عن هذه العملية المعقدة مع آفاق مفتوحة لتطور نظريات رائدة في المستقبل.

وهناك آلية أخرى مهمة وهي محل اهتمامنا في هذه الورقة وهي آلية التوجيهات المباشرة، ذلك أن العديد من السلوكيات والمهارات والمواقف والاتجاهات يتم اكتسابها وتعلمها بشكل مباشر، أما الآلية الأخرى فهي التقليد والمحاكاة فالكائن البشري يميل إلى أن يسلك بإيحاء من البيئة الاجتماعية دون إقناع نفسه أو تحكيم عقله إذا ما كان ينبغي أن يسلك بهذه الطريقة أو تلك،فالمرء يستخدم في الإيحاء الاستجابات الأولية بأقل قدر ممكن من التفكير التأملي،والواقع أن من أهم العوامل التي تحقق الصلة بين الفرد والمجتمع هو قابلية كل شخص عندما يكون مندمجا في المجتمع للإيحاء والمحاكاة. فالإيحاء عادة ما يقود الفرد إلى السلوك بواسطة محاكاة غيره من الناس الذين رآهم،وتتفاوت هذه القابلية حسب الأشخاص والمواقف،كما أنها تختلف بالنسبة للشخص نفسه حسب العمر الزمني (المليجي،1972)

في الحقيقة أنه توجد آليات أخرى كالضبط والثواب والعقاب،كما يراه البعض ولكن هذه الآليات تتضمنها آلية التعلم،لذلك لم نشأ التركيز عليها لأن ما يهمّنا أكثر من كل آليات التنشئة هو آلية التوجيهات المباشرة التي توافق وصايا لقمان التي نريد التوقف عندها،كونها تمثل صورة متقدمة تاريخيا من صور التنشئة الاجتماعية التي تعتمد آلية التوجيهات المباشرة منهجا لها.

2- قراءة في وصايا لقمان :

سنحاول في هذه الجزئية تدارس الآيات التي تضمنت وصايا لقمان متخذين منها معيارا لقياس حالة التغير التي طالت التنشئة الأسرية، انطلاقا من اعتقادنا العلمي الذي أثبتته التجربة التاريخية على مر العديد من القرون بأن ما جاء به القران مجملا هو الحل لكل المشكلات المجتمعية القديم و المستحدث منها، و هذا الحكم موضوعي إلى حد بعيد فالمجتمعات الاسلامية على مر العقود و باختلاف

الأمم و الخلفيات الثقافية شهدت الازدهار و التطور و السلم الاجتماعي كلما كانت أقرب إلى المنهج الاسلامي الوسطي و كلما بعدت عنه لحقتها الكروب وحل بها الوهن و الضعف و الشتات و الانحطاط، على عكس ما يتبناه البعض من ادعاءات على القيم الاسلامية مدعين أنها قديمة و لا تناسب العصر الحديث و الحلول تكمن في النظريات العلمانية الحديثة –مع العلم أن أغلبها مشبعة بخلفيات دينية لمنظريها– و التي قادة البشرية إلى أكبر الكوارث التي شهدتها عبر التاريخ من حروب عالمية و حركات استعمارية تسلب البشر أرواحهم و حريتهم إلى تجريد البشر من انسانيتهم في العديد من المجتمعات الغربية التي طغت فيها الروح المادية فاستبدلت معاني الحياة الطيبة بتقديس المادة في كل أشكالها، كما أنهم يعترفون بأنها تعاني من مشكلة النسبية. هذه النسبية التي لا مكان لها في وجود أهم مصدر من مصادر المعرفة ألا وهو الوحي، وعليه يكون ما جاء به محمّد صلى الله عليه وسلم في رسالته مصدر أساسي و دقيق للتنظير للإنسان اعتمادا على الوحي (نفس الشروط تؤدي إلى نفس النتائج بمعنى القرآن صالح لكل زمان ومكان) فالله خلق الإنسان ويعلم ما ينفعه وما يضره.

قال الله عز وجل في سورة لقمان "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19) " **(لقمان: 12،19)**

تجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نريد تفسير وتحليل الآيات المتضمنة وصايا لقمان على اعتبار أنّ تناولنا لها سوف يكون بطريقة كلّيّانية وليس جزئية أي سوف يكون التعاطي معها باعتبارها نموذجا للتنشئة الاجتماعية، كما ذكرنا سابقا مع الحرص على عدم التعدي على المتعارف عليه في كتب التفسير كونها تمثل علما مستقل بذاته يتطلب مهارات و كفاءات خاصة لا نعتقد أننا نمتلكها، وبعيدا عن المختلف فيه من القضايا الخاصة بهذا الجزء من القرآن والتي لا تضر بالمضمون المقصود كالاختلاف في صفة لقمان هل هو نبي أم عبد صالح آتاه الله الحكمة، وما يدعونا لذلك هو أنّ هذه الوصايا بداية من الآية

12 وانتهاء إلى الآية 19 تعمل على بناء الشخصية، لا من الناحية الاجتماعية والنفسية والعقلية فقط كما تركز عليه النظريات الحديثة في تعريفها للشخصية ولكن من الناحية الروحية كذلك.

فلقمان في هذه الوصايا رسم منهجا كاملا يستوعب جميع جوانب الشخصية السوية للإنسان،ومن شأن هذا المنهج لو أحسن تطبيقه والاستفادة منه ألا يقتصر على تخريج الشخصية الصالحة دينيا واجتماعيا فحسب،وإنما يخرج الشخصية العظيمة التي لها شأنها في قيادة المجتمع إلى الخير والصلاح(الجرجاوي و أبو مرق،2000).

يعد ترشيح هذه الوصايا لأن تكون نموذجا للتنشئة من خلال كونها تعطي صورا عن علاقة الآباء بالأبناء.وكذا الوظائف المثالية للتنشئة الأسرية وأهدافها.إضافة إلى مضمون التنشئة، باعتبارها شرطا أساسيا في فعل التنشئة الاجتماعية والذي بدونه لا يمكن الحديث عن التنشئة،كما يشير أغلب المنظرين.

سنتناول فيما سيأتي القضايا الكبرى للتنشئة الاجتماعية والتي أشّرنا عليها بسطر في الفقرة السابقة،والتي انفردت بها وصايا لقمان،على أننا سنشير في الوقت نفسه إلى حالتها اليوم وما أفرزته التغيرات والتحولات في مجتمعاتنا. هذه التغيرات التي تمثلها الثورة التكنولوجية والإعلامية وهي التي سنعطيها حقها بالتناول فيما بعد.

بداية لقد تكرر في الآيات الكريمة نداء يا بنيّ وهو النداء الذي اعتمده لقمان في خطاب ولده و هو يوحي بنسبته إليه و يثير مشاعر الابن المستمع لما له من أثر طيب حين وقوعه في أذن المتلقي، هذه الطريقة في المخاطبة تدل على علاقة يسودها التوافق والتناغم بين الأب وابنه والكل يعلم أنه لو كانت العلاقة غير ذلك لتم استعمال لفظ آخر،وبالتالي هذا التوافق يبين بأنه لا يوجد هناك خلاف أو ما يصطلح عليه اليوم بصراع الأجيال، الذي يعد أحد أهم معوقات التنشئة الاجتماعية التي تفضي في كثير من الأحيان إلى انحرافات مما ينعكس على أنسنة الفرد بعدم نضج شخصيته حيث تنشأ ثغرات فيها،ولا تكتمل جوانبها،مما ينعكس على سلوكه وتفكيره وتفاعله مع الآخرين (معن، 2004)

لقد ذكر عالم الاجتماع الأمريكي Kingsley Davis أنه في كل مجتمع إنساني هناك اختلافات بين الأجيال،إذ يجد الجيل القديم استحالة في وضع نفسه مكان الجيل الجديد وبالذات في مكان المراهقين، في نفس الوقت يرى معظم الشباب بأن عالمهم يختلف عن عالم والديهم، سواء على مستوى التفكير أو السلوك مثل هذه الفجوة الجيلية باتت سائدة في المجتمعات، كما يضيف Davis بأن هناك متغيران فاعلان في مثل هذه الحالة هما المتغير الفسيولوجي والمتغير النفساني، أما ما تعلق بالمتغير

الفسيولوجي فهو تقدم الأبوين في السن الذي يفقدهما الحيوية والصحة فيرون الحياة تسير ببطء وفي اتجاه غير مرضي وليس نحو التقدم والازدهار، أما المتغير النفسي فهم لم يبقوا رموزا مثالي ،أو نماذج رائدة بالنسبة للجيل الجديد.

إنّ ما جاءت به بداية الآيات على أن لقمان قد أوتي الحكمة يدل على أن لقمان لا يقع عليه ما قدمته المقاربات الحديثة حول ما يمكن أن يصاب به جيل الآباء من متغيرات يمكن أن تساهم في زيادة الفجوة الجيلية، كما أن الانطباع الذي نخرج به من تدبرنا في هذه الآيات هو أن ولد لقمان ممتثل لهذه الوصايا وهو ما يؤكد أن الحديث عن صراع الأجيال لا مكان له في هذا الموقف.

بالنسبة للقضية الموالية والمتعلقة بالوظائف المثالية للتنشئة الأسرية وأهدافها، فإن الأسرة تعدّ أحد أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية كونها أول مؤسسة ينتمي إليها الإنسان كما تعرف على أنها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية المقصودة أو المباشرة ويقصد بها هنا ما يعرف أكاديميا بأشكال التنشئة التي تقسم إلى نوعين التنشئة الاجتماعية المقصودة أو المباشرة والتنشئة الاجتماعية غير المقصودة أو غير المباشرة.

وتعرف التنشئة الاجتماعية المقصودة على أنها التنشئة المحددة الأهداف (شروخ،2004) أي تكون فيها الأهداف مخططة ومحددة مسبقا كالأسرة والمدرسة، أما التنشئة الاجتماعية غير المقصودة فهي التي تتم عن طريق وسائط موازية،كوسائل الإعلام حيث يطلق عليها الدكتور محمد عبد الوهاب عفيفي مصطلح التربية اللامدرسية، حيث يعرفها على أنها تلك الأنواع المختلفة من المؤثرات العرضية غير المنظمة،التي تحدث دون قصد أو هدف واضح،في سياق حياة الفرد في دوائر اجتماعية أخرى (اللوغاني،1988)

وتتمثل وظائف الأسرة كما يتفق عليه المفكرون،في الوظيفة البيولوجية والنفسية والاجتماعية والتربوية والدينية والوظيفة الاقتصادية،وهي تمثل الوظائف المثالية للأسرة، على أن تقديس كل وظيفة يختلف باختلاف المجتمعات والأزمنة بعضها يعطي الأولوية للوظيفة الدينية والاجتماعية في حين يهتم آخرون بالسهر على توفير المأكل والمشرب، مهملين الجوانب الأخرى للتنشئة.

والمتدبر للآيات الكريمة يدرك أن الأسرة التي يقودها لقمان تتخذ من الأبعاد الدينية والأخلاقية أولوية في تنشئة أبنائها على خلاف ما أصاب التنشئة الأسرية اليوم،حيث أصبح الاهتمام لدى كثير من الأسر منصبا على الوظيفة الاقتصادية،التي لا هدف منها سوى الركض وراء ما هو مادي، وأحد الأمثلة

الدقيقة على ذلك أن التعليم لم يعد يشكل قيمة كما كان في السابق،وأضحى مجرد وسيلة للحصول على الرفاه المادي (شهادة أو دبلوم = دخل مادي) وبتعبير آخر لقد استقالت الأسرة من وظيفتها المثالية نتاج عمليات التحول والتغير التي طالتها.

أما ما تعلق بمضمون التنشئة فبالنظر إلى الآيات الكريمة ندرك أن مضمون التنشئة التي يستهدفها لقمان يشكل دستورا أخلاقيا بامتياز،قاعدته الإيمان وطاعة الوالدين وحسن الخلق "فأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا" كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، هذا كله يشكل أقصى درجات المثالية التي لم تستطع الثقافات الأخرى الوصول إليه فكما ذكرنا سابقا بأن ما تسعى إليه التنشئة الاجتماعية هو نقل الإرث الثقافي من جيل إلى آخر،هذا الإرث يتمثل في المعتقدات والقيم والاتجاهات والمعايير وغيرها من مظاهر الثقافة، ومنه نجد أن ما قدمه لقمان من وصايا يعلو على كل ما أنتجه الآخرون لأن المنبع الذي أخذ منه لقمان هو منبع مطلق في إرشاداته.

وكخلاصة يكون المقياس الذي نعتمده انطلاقا من وصايا لقمان محددا في المؤشرات التالية:العلاقة الوالدية،وظائف وأهداف التنشئة الأسرية،ومضمون التنشئة.وهي المؤشرات التي سنحاول من خلالها النظر إلى التنشئة الأسرية اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية وتأثير الإعلام الجديد فيها،على أن تناولنا يجب أن لا يحيد عن الموضوعية التي تعد أهم مواصفات الباحث.وفي هذا التناول وبالقياس أطلقنا عنوانا للنقطة الموالية في هذه الورقة هو الآتي:

3-قراءة في ملامح الفضاء الالكتروني و وصايا الفيسبوك :

أردنا بهذا العنوان وصف الحقيقة التي تعيشها المجتمعات في أيامنا هذه والتي طغت عليها وسائل الإعلام الجديد فأصبحت تتصدر المشهد بلا منازع، هذا الواقع الذي أنتجته التغيرات والتحولات التي شهدها العالم في العقود الأخيرة وكان من أكثر ما أفرزته الثورة التكنولوجية، كما أن وصفا بهذه الطريقة يحمل الدلالات التي لا تجهدنا في بناء صورة عن واقعنا المعاش، وقبل الوصول إلى قياس المؤشرات لا بد من توضيح نقاط أساسية حول ملامح الفضاء الالكتروني كمقدمات.

3-1 من العالم القرية إلى العالم الشاشة:

لم يعد الوصف اليوم صحيحا عندما يتم نعت العالم بأنه تحول إلى قرية، كما يقول ماكلوهن،الذي يرى أن العالم المعاصر الذي نعيش فيه قد تحول إلى قرية كونية (غدنز،2004).وهو الكلام الذي يردده

الكثيرون اليوم، فنحن نرى بأن الأمر تجاوز ذلك لأن القرية يبقى فيها الحفاظ على الخصوصية والستر ممكنا، ففيها جدران للبيوت تحفظ أهلها من عيون الآخرين،ولكن عالم اليوم تحول لا إلى غرفة بأربع جدران كما كنا نظن في الأمس القريب بل إلى شاشة واحدة تتعلق بها الأعين و سقطت معها كل محاولات التحفظ. فعاد بالإمكان لأناس على بعد آلاف الأميال، رؤية ما نلبسه ونفترشه وما نؤثث به غرف نومنا وما نعلقه على جدرانها عبر الشاشات و في حالات الاختراق من دون رغبة منا.

2-3 الحدود من سايكسبيكو إلى الفايسبيكو (من وهم السيادة الجغرافية إلى حقيقة السيادة الثقافية)

لقد سمحنا لأنفسنا هنا بالتلاعب بكلمة الفيسبوك،ربما لكونها كلمة ليست عربية مما يجعلها مستباحة لنا، والدافع لذلك هو رغبتنا في شد الانتباه إلى قضية مهمة تعد تحديا أساسيا بالنسبة لمجتمعاتنا،وهي العمل على صيانة وحماية حدودنا الثقافية في مقابل اهتمامنا بإعداد الجيوش . وهو أمر لا بد منه ولا شك في ذلك- لحماية حدودنا الجغرافية، و كما يقال على الصين أنها بالرغم من ما خسرته على صور الصين العظيم إلاّ أنها احتلت ثلاث مرات حيث دخل الأعداء في المرات الثلاث من الباب فقط لأنه تمت رشوة الحراس، و هذا يؤكد أهمية الحصانة الثقافية، كما أحدنا كذلك شاهد في أحد الوثائقيات برنامجا يتحدث عن حصار الفلوجة أثناء الحرب الأمريكية على العراق، وفي معرض الحديث مع أحد الجنود الأمريكان قال أنه لو رأينا علامات ماكدولاند وكوكاكولا في الفلوجة لما قمنا بحصارها ومحاربة أهلها، و نحن نسعى من خلال طرح هذا المثال لفت الانتباه إلى أن أغلب الصراعات والحروب هي ذات خلفية ثقافية، والفايسبوك كأحد أدوات عصر التكنولوجيا يساهم بدرجة كبيرة في توجيه هذا الصراع و هو والعديد من الشراكات التي تهتم بالعالم الرقمي تلعبا أدوار مهما في أعادة صياغة الواقع الحقيقي، و مهما كان موقفنا من الثورات أو التحركات الاجتماعية التي شهدها العالم العربي البريئة والصادقة في انطلاقاتها و أسبابها، إلا أن منعرجات كبيرة فيها و جزء من وقودها كان الفايسبوك، و الكل يعلم أن أحد لم يجرأ على توجيه أصابع الاتهام لعمالقة و جنرالات التكنولوجيا و دورها في تحوير الثورات أو التحركات الاجتماعية أو المساهمة في تحييدها عن مساراتها، لكن المحاكمة الاجتماعية و المسائلة القانونية كانت سريعة في حق الفايسبوك بمجرد التسريب عن بيعه لبيانات تخص المستخدمين البريطانيين أو الأمريكيين لتوظيفها في الانتخابات الأمريكية أو استفتاء البريكزت البريطاني.

3-3 الثقافة من التقسيم الأفقي إلى التقسيم العمودي:

لقد كان هدف الدول الاستخرابية عند استهدافها واحتلالها الدول المستضعفة، خاصة الدول العربية والإسلامية استكمالا لحروبها الصليبية، هو هدم ثقافة هذه الدول وفرض ثقافتها فاتخذت من التقسيم وسيلة لذلك، لكنها لم تنجح على الرغم من الجهود المستمرة إلى يومنا هذا مما نشهده في العراق و سوريا واليمن، فلقد حافظت كل دولة على خصوصيتها الثقافية في إطار الثقافة العربية والإسلامية، وعند تمكن هذه الدول من افتكاك حريتها ظهرت ما تسمى بالعولمة لإنجاح مخططات الدول المتآمرة، ونتاجا لذلك أصبحنا نشهد تقسيما عموديا للثقافة بدل التقسيم الأفقي لها، معنى ذلك أن الدول والمجتمعات كانت لها القدرة على الحفاظ على خصوصيتها الثقافية في إطار حدودها الجغرافية، هذه الحدود التي كانت تحمي الحدود الثقافية،في ظل تحكم هذه الدول في بناء أفرادها وفق النموذج الذي ترتضيه، انطلاقا من تحكمها في المؤسسات التي توكل لها مهمة التنشئة، خاصة في زمن التلفزيون الحكومي الواحد، وهذا ما نقصد به التقسيم الأفقي.

ولكن زمن السماوات المفتوحة كما يقال وتعدد القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي قضى على تلك الحدود وعلى كل محاولات التحصين الثقافي فصار الشباب في أغلب المجتمعات يتشارك مع نظرائه في أقطار العالم في العديد الاهتمامات. وبالتالي يمكن القول أن الثقافة قسمت عموديا بين ثقافة خاصة بالشباب وأخرى خاصة بالآباء وكثر الحديث عن الفجوة بين الأجيال والصراع بينها.

4-3 من التنشئة الاجتماعية إلى التنشئة الرقمية:

لقد رأينا في مقدمات هذه الورقة صورة للتنشئة في شكلها التقليدي بتصدر وكالتي الأسرة والمدرسة،والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ذات الفاعلية،والتي كانت تتميز بالقدرة على الإلزام،أي أنه ليس لأي أحد الخيار في قبول أو رفض الانتماء لهذه المؤسسات،ولكن سرعان ما فقدت هذه المؤسسات هذه الفاعلية وانسحبت مجبرة تاركة المجال لمؤسسات أخرى لتفعل فعلها وتعيد تشكيل هويات أخرى غريبة فأصبح التحدي أمام المجتمعات والدول أكبر ليفتح المجال أمام تساؤلات محيرة حول الانتماء والهوية والوحدة والمرجعية.

إن تصدر وسائل الإعلام الجديد المشهد فيما يتعلق بكونها أكثر فاعلية في التأثير على الأفراد يجعلنا نتساءل: هل تحوّلنا من التنشئة الاجتماعية إلى التنشئة الرقمية؟ لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك كالماء والهواء بالنسبة لشبابنا بحيث أنتجت عالما جديدا تميزه ثقافة خاصة

لها لغتها وبمصطلحات جديدة ، إذ ليس من السهل على الآباء مراقبة ومرافقة أطفال اليوم البارعين في مجال التكنولوجيا فالأطفال غالبًا ما تتجاوز معرفتهم ومهاراتهم في الإنترنت مهارات آبائهم (2011,Tripp) علاوة على ذلك ، أصبح استخدام الإنترنت أكثر شخصية و باستعمال الهواتف النقالة ، مما يجعل من الصعب على الآباء معرفة ما يفعله أبنائهم على الإنترنت (2011,Clark)

3-5 من طلب الرضا إلى طلب اللايك:

لقد أشرنا إلى أن ما يميز لغة التواصل بين الشباب عبر الفيسبوك مثلا: شيوع بعض المصطلحات مثل اللايك وهو يعبر عن الرغبة في الحصول على رضا الآخرين من خلال ما نقدمه على صفحات التواصل، فتحول الأمر عند شبابنا من طلب رضا الوالدين مثلا مع وجوب السعي من أجله إلى طلب رضا الآخرين عن طريق الحصول على إعجابهم وهي المفارقة التي أردنا توضيحها من خلال هذا العنوان أي من طلب الرضا إلى طلب اللايك ولعلّ الصور التالية تعبر أكثر عمّا نقصده واعتمادنا على الصور يؤكد فاعلية الصور في عالم اليوم وشدة تأثيراتها.

هذه النقاط التي أردنا التوقف عندها تساعدنا إضافة إلى النموذج الذي وضعناه انطلاقا من تحليل وصايا لقمان على فهم واقع التنشئة الأسرية اليوم وعليه نحاول الإجابة على الأسئلة التالية: كيف هي علاقة الآباء بالأبناء اليوم ؟وأي وظيفة وأي هدف للتنشئة الأسرية ؟ وما مضمون التنشئة التي نتبناه ونعمل على نقله للأجيال في أيامنا هذه؟

*- للإجابة عن التساؤل الأول نحاول تقديم بعض الرؤى و من أبرزها أن المجتمعات تعاني اليوم من تزايد فقدانها لنظم الضبط والتعاون والتآزر والتماسك التقليدية،التي حملها التغير الاجتماعي السريع، بفعل تطورات التكنولوجيا والإعلام فلقد فقدت المرجعيات ونظم القيم والعلاقات الكثير من فاعليتها و هي بصدد التعرض لمزيد من الوهن،يكفي مثلا على ذلك،تحوّل المرجعيات القيمية والسلوكية في حالة الشباب من الأسرة والمدرسة التقليدية إلى القنوات الفضائية وبرامجها(حجازي، 2007).

يرى بعض العلماء أن وجود فجوة بين جيلين أي بين جيل الآباء وجيل الأبناء أمر حتمي في مجتمع سريع التغير(رزيقة،2011) ويرى البعض أن الأزمة تكمن في وجود أنظمة تربوية متعدّدة على

وجه الخصوص، فقيم الثقافة التقليدية تتعمق أكثر فأكثر كُلّما توجهنا إلى الأجيال القديمة التي تتمثل بتجمع الآباء والراشدين، بينما تبدو قيم الثقافة المعاصرة حاضرة بدرجة أكبر كلما توجهنا نحو الأجيال الصغيرة، وبرزت مشكلة التباين بين جيل من الآباء المحافظين المتمسكين بالموروث والتقاليد القديمة التي تربوا عليها، وجيل من الشباب نشأ في ظل انفتاح اجتماعي وثقافي واسع رافقه تطور تقني متسارع وبالتالي رفض كل ما هو تقليدي وموروث.

وجدير بالملاحظة أن الراشدين كانوا قديماً لا يندهشون ولا تنتابهم الحيرة الزائدة من تصرفات أولادهم بهذا الشكل الحادّ الذي نراه في عصرنا الحاضر،عصر المؤثرات والمتغيرات والثورة التكنولوجية وتأثيرها في المفاهيم والثقافات والموروثات.ففي العهود القديمة لم يكن التباين بين الأجيال يطرح إشكالية تربوية بهذه الحدّة،ويرجع ذلك إلى طبيعة التغيرات الاجتماعية والتقنية التي كانت تتوارد متباعدة متباطئة.

ويظهر واضحا وجود ثقافة خاصة بالأبناء وأسلوب مستقل من التفكير والعيش والنظرة للحاضر والمستقبل لا تتفق دائما مع ما يراه الآباء مما يولد صراعا بين الفئتين يتضح في تعارض الآباء مع الأبناء في أغلب الأمور التي تتعلق بالدراسة والعمل والسلوكيات ونمط التفكير،وأغلب الآباء يواجهون هذه المعارضة بالنقد الخشن، فيستاء الأبناء من تدخلات الآباء في أمورهم وسلوكياتهم.كما أن وجود نوع من وحدة الجيل بين الأبناء والمراهقين،تجعلهم يميلون إلى عقد صداقات مع أفراد من نفس السن تدعمها اهتمامات مشتركة واتفاق حول السلوكيات والاعتقادات وتجمع بينهم رؤى متكافئة (بويعلى و فرج الله ،2013).

لقد أصبح الكثير من شبابنا يرتبط بعلاقات عبر صفحات التواصل الاجتماعي تجعلهم يشاركون مشاعر الفرح والحزن مع أشخاص على بعد آلاف الأميال،ولا يشعرون بما يعانيه آباءهم وأمهاتهم،وهم الذين لا يفصلهم عنهم سوى جدران لا يزيد سمكها عن بضع سنتمترات، بالمقابل يفتقر جيل الآباء للمقدرة و المهارة على التحكم في وسائل الاتصال الحديثة مما زاد من التباين الثقافي ولقد توقفنا في السابق أنّ أي صراع لا بد وان تكون خلفيته ثقافية ليس فقط بين المجتمعات والدول ولكن بين الأفراد وعليه يصبح الصراع بين الأجيال صراعا ثقافيا تحدده سرعة التغير الثقافي من جيل لآخر على أنّ هذا التغير لم يعد يقاس بالعقود ولكن أصبح يقاس بالسنوات أو أقلّ بكثير وهو ما لم يكن في الأزمنة السابقة القديمة.

أما بخصوص الجواب على السؤال المتعلق بوظائف الأسرة وأهدافها في عالم اليوم،فكثيرا ما يتم اتهام الأولياء بانشغالهم عن الوظائف السامية للأسرة لصالح متطلبات المعيشة المادية، هذا يمكن أن

يعود لتعقد الحياة اليوم والتحول في كثير من المجتمعات إلى المادية،وكذا التغيّر على المستوى البنائي الوظيفي فتحول الأسرة من الأسر الممتدة إلى الأسر النووية وخروج المرأة للعمل،وتغيّر مراكز السلطة أثّر على التحوّل في الوظائف المعهودة للأسرة،زاد من ذلك تغيّر خارطة المدن بزيادة النزوح إليها،هذا الذي فرض على الأولياء زيادة الجهد لتأمين المعيشة فتسبب هذا الانشغال في تحول الاهتمام عن الوظائف الأخرى القاعدية والمثالية.

إن هذا الواقع الذي تفخمه حالة العزلة داخل الأسر،نظرا لانغماس كل أفراد الأسرة في عالم مغاير من الإبحار الرقمي، ترك المجال للفرقة الثقافية فأصبح الأبناء يسمعون ويطيعون أناسا آخرين غير أوليائهم،فيسمع نصيحة ووصية شخص على الانترنت ولا يتقبل وصايا والديه.

فيما تعلق بالتساؤل حول مضمون التنشئة الأسرية اليوم، فالملاحظ يرى بأن التحولات فعلت فعلها في القيم الأسرية فصارت القيم المادية تتربع على هرم القيم وتدهورت القيم الأخرى كما أن التعليم الديني لم يعد يحتل المكانة التي كان عليها سابقا فأصبح التنافس أو لنقل التزاحم هو من يدعى إليه في توجيه وإرشاد الأبناء على نحو أنك إن لم تكن ذئبا أكلت الذئاب،وأن عالم اليوم يحتاج إلى القسوة ولا بد من تغليب المصلحة الشخصية لأن الآخرين كلهم يفعلون ذلك.

هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها، لقد صارت الوصايا التي نعطيها للأبناء تبتعد عن بناء منظومة الأخلاق. كما أن ضعف الرقابة على الأبناء وضعهم في أيدي مجموعات تستهدف هدم شخصياتهم وتدفعهم إلى الانحراف والتطرف، خاصة الرقابة الرقمية وهو مجال اهتمامنا في هذه الورقة. فيمكن أن يستغرق الواحد منا سنوات عديدة في الاستثمار في أبنائه، ولكن في لحظة وأمام شاشة يمكن أن يختطف هذا الابن ويهدم ما تم بناؤه. فلا شك أن تأثير الإعلام الجديد يفرض تحديا كبيرا أمام الأسر في مجتمعاتنا الإسلامية للحفاظ على إرثنا الثقافي وضمانا لاستمرار رسالتنا.

لقد أصبح أبناؤنا اليوم أكثر امتثالا لما يقدم لهم على صفحات التواصل الاجتماعي وعلى شاشات القنوات. فصار بعضهم لا يبكي خشوعا من موعضة شيخ أوعالم أو ناصح يقابله ولكن يبكيه مقطع فيديو أو صورة على الانترنت،يتمثل بعض القيم ويتشربها من الفيسبوك ويرفضها إذا ما قدمها أحد الأولياء، يؤمن ببعض المثل ولا يكاد يفهمها من مصدر كالمدرسة.لقد صار الفيسبوك هو الوالد المطاع.

4- من الصراع إلى حتمية التوافق:

يقول مصطفي حجازي: أنه لم تكن الحكمة القائلة بأن أولادكم ليسوا لكم أولادكم هم أبناء الحياة، وإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم، أكثر صدقا من أي وقت مضى مما هي عليه الآن.ففي عالم المعلوماتية تحولت المرجعية من الآباء إلى الأبناء الذين أصبحوا هم المعلمين والمرشدين لذويهم في التعامل مع الحاسوب، فحين يصعب الأمر على الكبار يحضر الصغار لنجدتهم وحل المشكلات التقنية التي تعترضهم، إنّ خبرة الكبار وحكمة الشيوخ، رغم ما تحظى به من احترام ومراعاة،لم تعد المرجع الرئيسي وليس من المبالغة في شيء القول أنّ المرجعيات تكاد تنقلب في العديد من مناحي الحياة وأنشطتها،لصالح الشباب وممارستهم وقدراتهم ومستوى معارفهم.

يضيف حجازي أنّ هذه الحالة غير المسبوقة تجاوزت إلى حد بعيد،صراع الأجيال التقليدي،حيث يتجاوز جيل الشباب ما سبقه من أجيال،بعد أن كان يثبت ذاته،من خلال مجابهته والصراع معه.فجيل الشباب هو الوحيد القادر على مواكبة تسارع التحولات وهو الوحيد المنخرط فيها والذي يتعامل معها من موقع الألفة والقدرة. ولأن هذه الحالة الجديدة تشكل قطيعة مع ما ألفه الكبار، وما نشأوا عليه. هذا يطرح التساؤل حول قضايا التنشئة المستقبلية ليس فقط على مستوى الأسرة بل على مجمل جيل الكبار أيّا تكن مواقعه المؤسسية.

لا بد من التفكير في طبيعة العلاقات والتفاعلات التي يتعين أن تقوم في الأسرة بين الوالدين وأبنائهم، بل أيّ استراتيجيات تنشئة يتعيّن أن نتوسل لإعداد الأبناء للمستقبل مع الحفاظ على انتمائهم إلى أسرة ووطن وهوية. ولا بد من إعادة تكييف منظوماتنا التربوية وفق مقتضيات العصر لتفادي الصراعات وعليه تتحول المرتبية بين الكبار والشباب في الأسرة ،كما في بقية المؤسسات المجتمعية،من علاقة فوقية إلى علاقة أفقية،ومن علاقة مرجعية ووصاية،إلى علاقة تكافؤ وشراكة وتشاور وتحاور،لقد دخلنا في حالة من التحول الاجتماعي العميق الذي يجري بصمت ولكن بشكل مؤكد.

إنّ المتدبر في الآيات الكريمة التي جاءت في سورة لقمان يشعر دون شك أنّ تراثنا ينادي بكل هذا،فلا يمكن أن نشعر بعدم التوافق في علاقة لقمان وابنه ولعله النموذج – كباقي ما جاءت به رسالة محمد صلى الله عليه وسلّم – الذي يعد الحل الأمثل لمشاكل حاضرنا ومستقبلنا مهما تغيرت العصور وتبدلت.

5- الخاتمة:

إن هذه المحاولة في قراءة تحليلية لبعض الآيات القرآنية التي عرضت نموذج من نماذج التنشئة على المنهج الصحيح جاءت لتقلي الضوء على بعض القضايا في التنشئة بين الأمس واليوم و كيف يتموضع الطرح القرآني على مسافة متساوية باختلاف الزمان و المكان لأنه جامع و متجدد في ذاته فيصور لنا أساسيات التنشئة الصحيحة في فضاء زمكاني ممتد إلى غاية اللحظة و ما بعدها، فمن اعجاز القرآن تقديمه لنماذج بسيطة و خالدة تصلح لكل وقت في حدود قدرة الإنسان، فهذا النموذج الذي جئنا على عرضه ينضوي على مجموعة من الحلول لقضايا اليوم والغد وفق الأساسيات البسيط و يجنب حتمية الصدام التي تسوق لها الفلسفات أو الايديولوجيات المادية و الحركات المتطرفة التي تلغي الخصوصيات الثقافية أو تؤمن بحوار الغلبة و الإذابة الحتمية، و نحن من خلال هذه الورقة نعتقد أن الاجتهاد مفتوح على مصراعيه للنهل من وصايا لقمان كما جاءت في القرآن لأن فيها خفايا أخرى لم نتمكن من الإحاطة بها لعدد من الأسباب الموضعية و الذاتية و على رأسها إعجاز القرآن و ضعف الإنسان.

المصادر والمراجع:

1- القران الكريم، بروايتي ورش عن نافع و حفص عن عاصم.

2-الألباني، محمد ناصر الدين. (دون تاريخ). الأحاديث الصحيحة و شيء من فقهها و واقعها (المجلد الأول). المكتب الإسلامي.

3-غدنز، أنتوني. (2001). (ترجمة فايز الصياغ).علم الاجتماع. لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

4-اللوغاني، أحمد عيسى. (1988). التربية غير الرسمية وأثرها في تنشئة الإنسان الصالح.جمعية المعلمين الكويتية: المؤتمر التربوي الثامن عشر.

5-بويعلى، وسيلة، فرج الله، صورية. (2013) الصراع حول القيم الاجتماعية في الأسرة الجزائرية دراسة استطلاعية على عينة من المراهقين. ورقة مقدمة في الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة ورقلة. الجزائر.

6-المليجي، حلمي. (1972). علم النفس المعاصر (الطبعة الثانية).بيروت: دار النهضة العربية.

7-دحماني، سليمان (2006). ظاهرة التغير في الاسرة الجزائرية. رسالة ماجستير غير منشورة .كلية الاداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان.

8-الجرجاوي، زياد علي، أبو مرق، جمال زكي.(2000) معجزة البناء القيمي للشخصية،كما وردت في وصايا لقمان لابنه في القرآن. ورقة مقدمة في مؤتمر الإعجاز في القرآن. كلية التربية الحكومية. غزة.

9-وطفة، علي أسعد. (1988). علم الاجتماع التربوي(الطبعة الثانية). الكويت: مكتبة الفلاح.

10- نشواتي، عبد المجيد. (1993). علم النفس التربوي(الطبعة التاسعة). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

11- محدب، رزيقة. (2011). الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيزي وزو.

12- حجازي، مصطفى. (2007). علم النفس والعولمة رؤى مستقبلية في التربية والتنمية (الطبعة الثانية). بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

13- معن، خليل العمر. (2004). التنشئة الاجتماعية(الطبعة الاولى). عمان: دار الشروق.

14- شروخ، صلاح الدين. (2004). علم الاجتماع التربوي. عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع.

15- خيرالله، سيد محمد، الكناني، ممدوح عبد المنعم. (1983). سيكولوجية التعلم. بيروت: دار النهضة العربية.

16- Clark L.S. (2012) 'A multi-grounded theory of parental mediation: Exploring the complementarity of qualitative and quantitative communication research'. in Jensen KB (ed.)A Handbook of Media and Communication Research: Qualitative and Quantitative Methodologies. 2nd ed. London: Routledge, pp. 283–301

17- Campeau, R., Sirois, M., Rheault, É, & Dufort, N. (1993).*Individu et société: Introduction à la sociologie*. Boucherville (Qc): Gaëtan Morin éditeur.

18- Tripp, L. M. (2011). 'The computer is not for you to be looking around, it is for schoolwork': Challenges for digital inclusion as Latino immigrant families negotiate children's access to the internet .*New Media & Society,13*(4), 552-567. doi:10.1177/1461444810375293

الأسباب السياسية للتطرف الديني والإرهاب في المجتمع العراقي ـ دراسة انثروبولوجية ـ

د/ سرمد جاسم محمد الخزرجي ـ جامعة تكريت ـ العراق.

ملخص:

التطرف والإرهاب ازدادت حده هذه الظاهرة اليوم حتى أخذت أبعاداً خطيرة انعكست سلباً على المجتمع ، وبما أن هذه الظاهرة تمس عدة مستويات فقد تم التركيز في هذه الدراسة على المستوى الديني الذي غلب في دوافعه وآثاره على باقي مستويات التطرف الأخرى ، إضافة إلى أن موضوع التطرف الديني يقع في نطاق التخصص العلمي وهو علم الإنثروبولوجيا الدينية، الذي يهتم بدراسة كل ما له علاقة بالدين ، والتطرف الديني ، وهو مرض لم يسلم منه أي مجتمع مهما أختلف معتقده سواء أن كان هذا المجتمع إسلامياً أو غير إسلامي ، وقد أصاب المجتمعات سابقاً وكان سبباً في هلاكها ، كما قد يصيب المجتمعات اللاحقة إذ توفرت عوامل توليده وسيؤدي أيضاً إلى هلاكها. غلبت مفهوم ظاهرة التطرف الديني على مفهوم المواطنة ، فأصبح كل فئة في المجتمع تدافع عن حقوق طائفتها أو دينها ، بغض النظر عن اشتراكهم في الإنسانية أو الجنسية الواحدة فترى ظهور الحكومات ذات التقسيمات الطائفية.

الكلمات المفتاحيه : التطرف الديني، التعصب، العنف، الإرهاب،الصراع.

Abstract :

Extremism and Terrorism This phenomenon has become increasingly acute and has taken on serious dimensions that have negatively impacted society. Since this phenomenon touches on several levels، the focus of this study has been on the religious level، which has been motivated by its motives and its effects on other levels of extremism. In the field of scientific specialization، which is theology of religious ethnology، which is interested in studying everything related to religion and religious extremism، a disease which has not been delivered by any society no matter how different his belief whether this society is Islamic or non-Islamic، has hit societies previously and was the cause of its destruction، It may also affect communities As the factors of its generation are available and will also lead to its destruction. The concept of religious extremism has overcome the concept of citizenship. Every class in society defends the rights of its sect or religion، regardless of their participation in humanity or nationality. It sees the emergence of governments with sectarian divisions

Key words: religious extremism، intolerance، violence، terrorism، conflict.

مقدمة:

التطرف الديني سابقة معروفة بين الشعوب وقد سجل لنا التاريخ العديد من القوى ذات النهج المتطرف دينياً واستخدام العنف بدون مبررات لتثبيت مواقفها الفكرية معتمدة بشكل وآخر على نصوص منفصلة من بعضها فتبدو وكأنها الأساس بينما الحقيقة أن التكامل في النصوص والتوجيهات التي تستخدم على الكل أي المجموع يبعد النظرة العصبية التي تقود إلى التطرف الذي يسيء للدين ككل، ويشكل التطرف الديني خطراً حقيقياً على السلم الاجتماعي وتعايش مكونات الشعب ليس في الدول العربية والإسلامية فحسب بل باقي دول العالم التي تتواجد فيها جاليات إسلامية نزحت إليها عن طريق الهجرة أو لأسباب اقتصادية وسياسية أو اللجوء بسبب الاضطهاد والقهر وحجب الحريات بالقمع البوليسي أو القانوني الذي تصدره السلطات الحاكمة في بلدان هذه الجاليات.

أما التطرف الديني عند المسلمين كانت توجد حالات فردية في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لكنها لا تذكر لقلتها وعدم استمراريتها لأنها لا تمثل عقيدة أو منهجاً بل سرعان ما زالت عند معرفة الصواب ، وهو أمر طبيعي في أي دعوة خاصة دعوة الإسلام ، وسببها والله أعلم التباين والاختلاف في فهم أحكام الشريعة ومقاصدها ، وكذلك اختلاف قوة الدوافع نحو هذه الدعوة وأحكام شرعها.

وتعود بدايات التطرف الديني أو التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية والأصولية والفقهية التحي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار وأصول تحملها ، ثم تعصبت لها وسعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيها وبينها ، وللتطرف الديني في الإسلام الأثر الكبير على تشويه صورة الإسلام أمام العالم وبالمقابل نحن مطالبون لإيصال هذا الإسلام إلى العالم بأسره ، لقوله تعالى **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)**[1].

غلبت مفهوم ظاهرة التطرف الديني على مفهوم المواطنة ، فأصبح كل فئة في المجتمع تدافع عن حقوق طائفتها أو دينها ، بغض النظر عن اشتراكهم في الإنسانية أو الجنسية الواحدة فترى ظهور الحكومات ذات التقسيمات الطائفية ، كما يحصل في لبنان على سبيل المثال ، فتقسم عدد المقاعد في البرلمان تقسيماً طائفياً ، كذلك الحقائب الوزارية ، وكان من باب أجدر أن يتم على أساس الكفاءة والحال نفسه في العراق وفي سوريا، كذلك فإن قضية الجهل بالدين وأصوله وقواعده ومقاصده والنظرة السطحية له من أكبر أسباب التطرف الديني فترى التمسك بالدين بشكل سطحي يبتعد عن روح الدين ومقاصده التي

[1] سورة الأنبياء الآية /107}

جعلها الله هدفاً لوجود الدين ،فترى التمسك الأعمى بأمور لم يأمر بها الدين ظناً إنها من الدين ، فهناك أشخاص هم ذاتهم متطرفين أينما وضعتهم أي بنيتهم الفكرية متطرفه ، وضعته كمسلم كان مسلماً متطرفاً أو متعصباً ولو وضعته كمسيحي كان مسيحياً متطرفاً أومتعصباً ولو كان سنياً كان سنياً متطرفاً أو متعصباً ولو كان شيعياً كان شيعياً متطرفاً أو متعصباً.إن الشخصية المتطرفة ما هي إلا إفراز طبيعي للتناقضات الاجتماعية والسياسية للمجتمع تظهر في أشكال وصور مختلفة، منها انتهاك القواعد التي أرساها المجتمع كقيم اجتماعية تميزه، وإظهار العداء المقصود تجاه ما اعتمده المجتمع لنفسه وأفراده من أيديولوجيات وعادات وتقاليد ويتجسد هذا الرفض المقصود والعداء السافر في أعمال التخريب والخروج عن المشاركة ألاجتماعية والابتعاد عن الجماعة ومخالفتها، بصورة فردية أو جماعية أو تنظيمات متطرفة.

اولا: مشكلة الدراسة

تعاني مجتمعات اليوم من مشاكل كثيرة تساهم بطريقة أو بأخرى في عرقلة استقرارها واستمرارها مما يستوجب دراستها وإيجاد سبل مناسبة لعلاجها والحد من انتشارها لضمان الحالة الجيدة والمثلى للمجتمع ، وهذا بالضبط ما يقع على عاتق المختصين في مجال العلوم الاجتماعية والإنثروبولوجية ، حيث يعمد كل باحث إلى اختيار مشكلة معينة من بين جملة مشاكل في مجتمعه ويتناولها بالدراسة والتحليل إلا أن اختياره لهذه المشكلة لا يكون حاصل صدفة بل تقف وراءه مجموعة من الأسباب منها الفهم الخاطئ للدين والتعصب للدين ذاته والاضطهاد إلى بعض الأقليات الدينية الأساسية في مجتمع الدراسة

ويؤدي التطرف إلى العنف والحرب العقائدية التي تحارب من داخل العقيدة وباسمها وهي عبارة عن صراع بين القديم والجديد وهي أخطر أنواع الحروب لذا يعد التطرف الديني آفة جميع الأديان السماوية منها والوضعية فقد شهدت الديانة اليهودية فرقا متطرفة ابتعدت عن جادة الدين الذي جاء به النبي موسى مثل الفرقة "الفريسية" التي يعد اليهود مبادئها عبارة عن هرطقة لأنهم جاءوا بكثير من البدع الجديدة التي ليست من الدين اليهودي وكذلك المسيحية التي شهدت صراعات عنيفة رغم ان مبادئ هذا الدين سلمية شعارها المحبة والإخاء كما دعا الاسلام إلى الرحمة والتسامح.

لقد تولدت قناعة عند فئات واسعة من المواطنين العراقيين بعد مشاهدات ملموسة ووقائع دموية وعن ما يجري على الواقع من أعمال إجرامية شملت الجميع بدون استثناء ولم تفرق بين أي مكون ولا أي دين أو طائفة أو مذهب بل العكس هو الصحيح، فان هذه الجرائم التي ارتكبت ومازالت ترتكب حصرا

باسم الدين الإسلامي أو بالشريعة الإسلامية وكل فريق من أحزاب ومنظمات الإسلام السياسي وبخاصة تلك التي تتبنى العنف المسلح يدعي أحقيته في التطبيق وينفرد التطبيق بعقوبات ملموسة بالضد من المواطنين الفقراء والكادحين والموظفين والعمال والفلاحين والنساء والشيوخ والأطفال حيث تكون الأهداف المحلات التجارية والمقاهي والمطاعم والأسواق الشعبية ودور العبادة وأي تجمع بشري بهدف اجتماعي بريء من السياسة أو التحيز إلى أية جهة سياسيه وقد أدت تلك الجرائم إلى مئات الآلاف من الضحايا الأبرياء بين قتيل ومصاب ومهجر، وقد تبين في اغلب الاستطلاعات المتتالية بين أواسط أغلبية المسلمين غير المتطرفين من كلا الاتجاهين أنهم بالضد من التطرف الإرهابي الديني الإسلامي والطائفي الذي تقوده المنظمات التكفيرية والأحزاب المتطرفة وينتاب أكثرية المسلمين القلق العميق من استمرار التطرف بما فيه تلك التوجهات الفكرية المعادية للسلم الاجتماعي ولأبسط حقوق الإنسان والحريات العامة والحريات الخاصة.

السياسية اعتماداً على مبادئ الديمقراطية وأحقية الجميع في المواطنة وعدم الاستثناء والاحتكار والتسلط بحجج غير مفهومة وطنياً.[1]

حيث تمكن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

هل للتطرف السياسي دور في انتشار ظاهرة التطرف الديني حيث يتفرع منه أسئلة فرعية.

أ-هل للأحزاب السياسية علاقة في انتشار ظاهرة التطرف الديني؟

أ- هل للقوميات الموجودة داخل مجتمع الدراسة أثر في انتشار ظاهرة التطرف الديني؟

ب-هل للطائفة أو العرق دور في انتشار ظاهرة التطرف الديني؟

تساؤلات الدراسة :

1- ما مفهوم التطرف الديني في المجتمع العراقي ؟

2- ما أسباب ظاهرة التطرف الديني في المجتمع العراقي ؟

3- ما الأهداف التى تكمن وراء ظاهرةالتطرف الديني في المجتمع العراقي ؟

(1) مصطفى محمد غريب، مخاطر التطرف الديني على السلم الاجتماعي
تم الاطلاع بتاريخ http://www.factiniraq.com/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=20 .2016/7/24

ثانيا: أهمية الدراسة

تقع أهمية هذه الدراسة كونها تعالج أحد المسائل الشائكة التي تشغل بال كثير من المفكرين والباحثين اليوم ، لكون ظاهرة التطرف الديني موضوعاً مطروحاً في المجتمعات لم يسلم منه أي مجتمع وهو يشكل خطورة على مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية ، كما أن له أثراً بارزاً وواضحاً على مستوى العلاقات الاجتماعية وإضافة إلى خصوصية هذه الدراسة التي تجسد على أرضية المجتمع العراقي الذي عانى كثيراً من هذه الظاهرة ، والتي ازدادت حدتها في الحقبة الأخيرة من تفكك ودخول في دوامة صراع طائفي وصراع قومي وصراع ديني .

ثالثا: أهداف الدراسة:

1) التعرف على أسباب ظاهرة التطرف الديني فى المجتمع العراقي .

2) التعرف على السمات السياسيية لظاهرة التطرف الديني بالمجتمع العراقي .

3) التعرف على أهم سبل علاج ظاهرة التطرف الديني في المجتمع العراقي .

رابعا:منهجية البحث: إن هذه الدراسة يمكن أن تدخل ضمن إطار الدراسات الوصفية ، فهي تعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها ، والتعرف على خصائصها ، وذلك لمعرفة الاسباب السياسية للتطرف الديني والإرهاب في المجتمع العراقي دراسة انثروبولوجية

مفاهيم و مصطلحات البحث

1- التطرف الديني

يُعد مفهوم التطرف من المفاهيم التي يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها، نظراً إلى ما يُشير إليه المعنى اللغوي للتطرف من تجاوز لحد الاعتدال. وحد الاعتدال نسبي، يختلف من مجتمع إلى آخر وفقاً لنسق القيم السائد في كل مجتمع. فما يعتبره مجتمع من المجتمعات سلوكاً متطرفاً من الممكن أن يكون مألوفاً في مجتمع آخر، فالاعتدال والتطرف مرهونان بالمتغيرات البيئية والحضارية والثقافية والدينية والسياسية التي يمر بها المجتمع.

مفهوم التطرف في العرف الدارج في هذا الزمان الغلو في عقيدة أو فكر أو مذهب أو غيره ، يختص به دين أو جماعة أو حزب ولهذا التطرف يوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى فثمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة قد وصفت بالتطرف الديني. [1]

(1) خالد حسين هنداوي , التطرف الديني , المفهوم الرئيسي والمفاهيم ذات الصلة , جريدة الحوار الصفحة الأولى 2013/7/7م.

ويعتبر التطرف الديني تمردا المنهج السليم والطريق المستقيم التعصب للرأي ،ألزام المسلمين بما لم يفرض عليهم ،عدم الاعتراف بالرأي الاخر،التشديد في غير محلة ،الغلظة والخشونة، وسوء الظن بالناس،عدم التسامح، النظرة لتأمريه، العدوانية، المثالية، السقوط في هاوية التكفير ،وكما ان دوافع التطرف متعددة(سياسية محلية دولية، اجتماعية ،اقتصادية، نفسية ،فهناك تطرف يمارسه الأفراد وأخر تباشره الجماعات،دينية)[1]

2- التعصب

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فالتعصب هو التشدد وأخذ الأمر بشدة وعنف وعدم قبول المخالف ورفضه والأنفة من أن يتبع غيره ولو كان على صواب.

إن التعصب هو انحراف عن معيار العقلانية لعدد من المعايير السلوكية المثالية، يكون على شكل حكم متعجل ورفض تعديل مسبق أو تعميم مفرط أو التفكير في إطار القوالب النمطية، ورفض تعديل الرأي في ظل ظهور دلائل جديدة، ورفض السماح أو الاهتمام بالفروق الفردية.

فالتعصب بوصفه اتجاهاً يتميز بالانحياز والسلبية. ويتكون لدى الفرد والجماعات من محصلة تجارب وخبرات وتفاعلات اجتماعية تزوده بها التنشئة الاجتماعية [2].

3- العنف

إن العنف يعتبر إحدى الصور السلبية من التفاعل الإنساني وهو ظاهرة شديدة التعقيد ويصعب أن نقف على تعريف واحد محدد من العنف ، ويرجع اختلاف تعريفات العنف كمفهوم من بيئة ثقافية لأخرى باختلاف إذا كان أخلاقيا أو سياسيا أو قانونيا أو ثقافيا أو اجتماعيا .

ويعرف العنف أيضاً فى معجم العلوم الاجتماعية العنف هو " استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما"[3]

وعرفت أيضا الموسوعة الفلسفية العربية العنف بأنه " هو أى فعل يعمد فاعله إلى اغتصاب شخصية الآخرين ، وذلك باقحامها إلى عمق كيانها الوجودى ويرغمها على أفعالها وفى مصيرها ، منتزعا حقوقها أو ممتلكاتها أو الاثنين معا " [4] .

---

(1) صالح بن غانم السدلان ، اسباب الارهاب والعنف والتطرف ،الامام محمد سعود الإسلامية بدون سنة طبع ،ص5-6 .

(2) أحمد أبو زيد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات – قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، سلسلة كتب عالم المعرفة، العدد 326، نيسان 2006، ص 78.

(3) أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، 1978 ، ص 441 .

(4) أدونيس العكرة : الموسوعة الفلسفية العربية ، بيروت ، معهد الإنماء العربى ، المجلد الأول ، 1986 ، ص 62 .

وفى قاموس Chamber's يعرف العنف بأنه تجاور مطلق أو استعمال قوة بغير وجه حق أو اعتداء أو ضرر كما أنه فى قاموس Melesters عمل يتصف بالقوة البدنية الفجائية أو القوة الغاشمة غير اللائقة[1]

وهناك أيضا من عرف بأنه هو ذلك السلوك العدواني ، التدميري الموجه ضد السلطة السياسية ورموزها بقصد زعزعة الأمن والاستقرار وخلق حالة من الفوضى تعم البلاد[2] .

وكذلك يعرف العنف على أنه أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس يترتب عنه أذى جسدي _جنسي_نفسي أو تهديد من هذا القبيل سواء حدث هذا في الحياة العامة أو الخاصة[3]

تعريف رفيق سكري (الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي أو البدني لتحقيق غايات شخصية أو سياسية أو اجتماعية) وهذا التعريف قدم للأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب[4].

4- الإرهاب

ويعرف الإرهاب بأنه ممارسة العنف والتهديد بهدف خلق الخوف لدى الطرق المستهدفة لحمله على تغيير سلوكه و موقفة .وهو يعني عنفا وإجراما يستلزم العقاب والعمل الإرهابي كل سلوك يتضمن استخدام غير مشروع للقوة أو التهديد بها لتحقيق أهداف معينة سواء صدر هذا السلوك من الأفراد، أو جماعات،أو منظمات،أو دول[5]

يعرف معجم المصطلحات الفقهية القانونية الإرهاب بأنه (عمل تهديدي تخريبي يقصد منه زرع الخوف والذعر في نفوس الأهالي وخلق الاضطراب وزرع الفوضى بهدف الوصول إلى غايات معينة) وكذا وردت في المعجم القانوني (ذعر أو رعب أو حالة ذهنية تسببها الخشية من إلحاق ضرر جراء حادث أو مظهر معاد أو متوعد أو هي خوف يسببه ظهور خطر) [6].

---

(1)Malek Zaalouk : Violence in the family , the national review for social criminology research , vol 26 January , Egypt . 1989 . p3

(2) محمد حسن غانم : رؤية عينة من المثقفين لظاهرة العنف ، " دراسة سيكولوجية " مجلة علم النفس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ع 45 ، يناير 1998 ، ص 83

(3) بكر خالد ، كيفية التعامل مع العنف الاسري ضد المراة ،بحث منشور في المؤتمر الاول لمواجهة العنف ضد المراة ،مركز البحوث الانسانية والتنمية الاجتماعية ، 2002 ،ص7

(4) عباس أبو شامة ، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية ، جامعة نايف العربية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، 2004م، ص 24 .

(5) احمد الشريفين ، قدرة بعض متغيرات النفسية والاجتماعية على التنبؤ بالميل لعنف لدى طلبة الجامعات الأردنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ،اربد ، الأردن ، 2009 ،ص35

(6) محمد التربوي وأغادير جويحان، علم ألإرهاب دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2006م،ص23.

معجم المصطلحات الاجتماعية يرى أن الإرهاب (عبارة عن الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف) [1].

القاموس السياسي يرى أن الإرهاب (محاولة لنشر الذعر والفزع لأغراض سياسية)[2].

الموسوعة السياسية تصف الإرهاب بأنه (استخدام العنف غير القانوني أو التهديد به بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية) [3]

وترى الموسوعة العربية العالمية أن الإرهاب (استخدام العنف والتهديد به لإثارة الخوف والذعر) [4].

وذكر أحمد بدوي في معجمه لفظ terrorism النزعة الإرهابية وعرفها بأنها (بث الرعب الذي يثير الجسم والعقل أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافاً عن طريق استخدام العنف) [5].

تعرف الموسوعة البريطانية الإرهاب بأنه (الاستخدام المنتظم للرعب أو للعنف الذي لا يمكن التكهن به ضد الحكومات والجمهور أو الأشخاص لتحقيق هدف سياسي)[6].

وتطرق إريك موريس (*Erik Morris*) إلى الآثار النفسية التي يهدف الإرهاب إلى إيقاعها في النفوس ، حيث إنه من أهم مميزات العمل الإرهاب التأثير النفسي في المستهدفين بالفعل الإرهاب للوصول إلى الأهداف المحددة ، ووصف الإرهاب بأنه : (استخدام أو التهديد باستخدام عنف غير عادي أو غير مألوف لتحقيق غايات سياسية ، وأفعال الإرهاب عادةً ما تكون رمزية لتحقيق تأثير نفسي أكثر منه تأثير مادي) [7].

---

(1) عباس الذهيبات، الإرهاب والإرهاب الدولي، مجلة أفاق العدد الأول 2003م.

(2) عبد الناصر حريز ، الإرهاب السياسي ، مرجع سابق ، ص 42 .

(3) عبدالوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، بيروت ، مرجع سابق ، ص 153 .

(4) عباس الذهيبات، مرجع سابق.

(5) أحمد زكي بدوي ، معجم المصطلحات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 424 .

(6) إبراهيم نافع ، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، 1994م،ص 16 .

(7) عبد الناصر حريز ، الإرهاب السياسي ، مرجع سابق، ص 34.

5- الصراع:

هو حالة سببها تعارض حقيقي ومتصل بالاحتياجات والقيم والمصالح ، يمكن أن يكون الصراع داخلياً في الشخص نفسه ، أو يكون خارجياً بين اثنين أو اكثر من الإفراد يساعد الصراع كمفهوم على تفسير كثير من جوانب الحياة الاجتماعية ، مثل الاختلاف الاجتماعي وتعارض المصالح والحروب بين الأفراد والجماعات والمنظمات الناجمة من العملية السياسية.

يمكن أن يشير الصراع إلى الحروب أو الثورات التي قد تنطوي على استعمال القوة كما هو الحال في الصراع المسلح والصراعات في بيئات اجتماعية[1]

الأبعاد الاجتماعية والثقافية لظاهرة التطرف الديني في المجتمع العراقي

يرى دوركايم أن الانحراف – التطرف يمثل ضرورة بنائية لأنماط المجتمعات غير أنه يؤكد أن الانحراف التطرف يرتبط بالبناء الاجتماعي أكثر من ارتباطه بالوجود الفردى . وإذا كانت السلوكيات الانحرافية تعبر عن نفسها من خلال الأفراد ، فإن هذه السلوكيات تتخذهم أدوات للتعبير عن نفسها من خلال الإفراد فإن ذلك لكون هذه السلوكيات تتخذهم أدوات للتعبير عن نفسها . ذلك أننا نجد فى كل جماعة ميلا طبيعيا إلى الانحراف والانتحار وهو الميل الذى يظل ثابتا رغم تغير الأفراد أعضاء الجماعة ويتضح من تأكيد دوركايم على ارتباط الظواهر الانحرافية بالبناء الاجتماعي انتفاء أى علاقة تربط بين هذه الظواهر وبين الأسباب غير الاجتماعية (نفسية أو أخلاقية فلسفية أو جغرافية كونية أو بيولوجية فردية)[(2)].

فالتطرف في الدين هو الفهم الذي يؤدي إلى إحدى النتيجتين المكروهتين، وهما الإفراط أو التفريط . والمتطرف في الدين هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهدية فكل مغال في دينه متطرف فيه مجاف لوسطيته ويسره .

يؤدي العامل الديني دوراً مهماً في العمل الإرهابي لا سيما تناقض التيارات الفكرية والدينية المتطرفة دون وسطية وكل جانب يرفض فكر الآخر يقود في النهاية للعمل الإرهابي خصوصا الظلم الذي تمارسه طائفة تجاه الاخرى أو اضطهادات دينية تمارسها حكومات بعض الدول ضد الأديان أو الطوائف عن

(1) http/ar.m.wikipedia.org الصراع ويكيبيديا , الموسوعة الحرة

([2]) على ليلة ، البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع" الرواد" المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، ط2 ، 2003 ، ص 245-246 .

طريق منعهم من ممارسة شعائرهم أو طقوسهم الدينية فان من شأن ذلك أن يحفز على القيام بأعمال ارهابية . [1].

ظاهرة التطرف الديني موجودة منذ أمد بعيد وليس ظاهرة جديدة ، وهي غير محددة او مختصرة على طائفة واحدة ، وانما تشمل كل الطوائف الدينية دون استثناء ، بتواجد بؤر التطرف المعششة فيها وتلتزم بأسلوب عملها وسلوك نهجها ،العنف والإرهاب بكل صوره وإشكاله من اجل الوصول او بلوغ اهدافها الدينية والسياسية ، وان عقيدتهم الدينية تتسم بالانغلاق والجمود ورفض الاخر وعدم الاعتراف به والمبالغة التكبيرية في تميزهم وعلو مكانتهم على باقي الطوائف الدينية الاخرى ، باستخدام اساليب الشطب والتحريف وزيف والانتقاص من مكانة الطوائف الاخرى في المجتمع في دورها وفعاليتها ، وان اصحاب التطرف الديني لا يؤمنون في الاجتهاد الديني او التفكير الديني الواسع خارج قوالبه الجاهزة ، وهي لا تؤمن ولا تقبل بتعايش الأديان

(لكم دينكم ولي ديني) كما هو موجود و معروف ومقبول منذ قرون عديدة ، إلا ان هذه الشريحة بأفرادها وملتها وأنصارها يأخذون منحى ديني يعتمد على تأويل النصوص الدينية بمنحى التحريف والتزوير والقفز على الواقع المعاصر وفق عقليتهم وتفكيرهم المنعزل في شرنقة سلفية تصب في كثير من الأحيان بمخالفة الواقع والمنطق ،والمزيد من تهويل الماضي السحيق وإبرازه كأنه مثال لجروح المجتمع والعلاج الشافي له .باتخاذه مصدر حياتي عام وشامل دون مشورة الآخرين او دون تقبل النقد او الرأي الأخر او دون محطات تسامح وتفاعل بالنزوح إلى تقبل الأديان والتسلح بمتطلبات المجتمع بالظروف السياسية التي تتطلب المرونة والتواضع والانفتاح وليس تسيد الافكار الشوفينية وهي بالضد من مبادئ المحبة والإخاء والتعايش السلمي والاجتماعي والديني ، بل جل افكارهم تقود إلى الانعزال والتقوقع وحشر الدين لأهداف وغايات خبيثة ، ضمن عقلية ضحلة ترفض التنوع الثقافي وحوار الأديان.

أن التغيرات الاقتصادية محلياً وعالمياً كان لها آثارها الاجتماعية السيئة والتي دفعت الفئات المحرومة والمهشمة إلى الاندماج في جماعات ضد هذه الأوضاع والظروف وأثارت فيهم العنف والسلوك المتطرف في محاولة للتعبير عن واقعهم المتردي ومحاولة تغييره بالرفض والانعزال أحيانا أو بالانفعال والعنف أحيانا أخرى وإلى جانب المشكلات الاقتصادية وأثارها الاجتماعية تأتي العولمة بما تحمله من استغلال اقتصادي وقهر للمقدسات المكونة للهوية الوطنية والدينية وتهديدها لأنماط الحياة وقيمها

([1]) جلال ابراهيم فقيرة : التصور الغربي للحضارة الاسلامية ، مجلة الدراسات الدولية ، عدد (20) ، جامعة بغداد ، 2003 ، ص36.

والانخراط في نمط الحياة للدول الأكثر سطوة وقوة، لتوقظ روح التعصب ونزعات التطرف ، والرغبة في الانتقام والغربة المكانية التي يمكن أن تؤدي إلى غربة زمنية، أو إلى العداء للمجتمع الذي لم يفكر فيهم– (الشباب) ولم يعبأ بآمالهم ومتطلباتهم فحولهم إلى أقليات شاردة ومهشمة لديها الاستعداد للتطرف والعنف[1].

وقد شرحت شيلا بالكان Sheila Balkan أن الهامشية Marginality تؤدى إلى نقص احترام الذات والإحساس بالضعف والنفور الذى يخلق ضغوطا شديدة على الأفراد ويتحول الكثير إلى العنف حتى لكشف إحباطاتهم ويضربون علنا ضد شعارات ورموز السلطة . بينما يلجأ الآخرون إلى الإحباط الداخلى ويمرون بصعوبات شديدة ، بمعنى أن النظام الرأسمالى يضطر الناس لارتكاب الجريمة واللجوء إلى العنف والإرهاب وذلك نتيجة فقرهم فى المقام الأول[2].

يمكن القول أن الاتجاه الصراعي أو الماركسي يرجع الانحراف والجريمة إلى التوزيع غير العادل للثروة والقوة في المجتمع ، مما يحدث الصراع الدائم بين من يملكون القوة والثروة والذين لا يملكون ذلك ، وتستمر مسيرة التاريخ على هذا النطاق بسبب الصراع الطبقي في المجتمع .وكما يذهب كوين Richard Quinney أن الجريمة تأتي حتما نتيجة للظروف الرأسمالية الصعبة[3].

ان التطرف سلوك مكتسب . حيث يتعلم الفرد التطرف كما يتعلم فرد اخر ، السلوك الذي يرتضيه النظام الاجتماعي . كما أن مستوى الجرائم الحاصلة في محلة او مدينة معينة تبقى لسنوات عديدة مستقرة ضمن نسبها المئوية . أي ان التطرف اذا ظهر في بيئة اجتماعية معينة فلابد له من الاستمرار في تلك البيئة ، حيث يتعمق ذلك التطرف في التركيبة الثقافية والاجتماعية للمحلة او المدينة وينتقل التطرف من فرد إلى آخر ثم من جيل إلى آخر دون ان يتغير الدافع الذي يؤدي إلى ارتكاب الجريمة لدى هؤلاء الأفراد .

ولذلك فان الجرائم السياسية التي يرتكبها الأفراد ، حسب ادعاء نظرية الصراع ، كالتخريب ، والتجسس لصالح العدو ، والثورة على النظام القائم ، نتائج حتمية لصراع المصالح الاجتماعية

---

(1) حسين كامل بهاء الدين: الوطنية فى عالم بلا هوية وتحديات العولمة، دار المعارف، القاهرة، يناير 2000، ص 114-115.

(2) Alex thio: Behavior ، Harper And Row ، New York، Cambridge.، San Franscisco، Washington، London ، Mexico City Singapore،Syndy. 1988، p75.

(3) Charles h. Mccaghy : Deviant Behavior ،Library Of Congress Cataloging In Publication Data ، Macmillan Publishing Co Inc.، 1976،pp88-89.

ويدين أهل العراق بثلاثة أديان سماوية عامة : الإسلام والمسيحية واليهودية ، وهناك طوائف وجماعات صغيرة تدين بأديان أخرى كاليزيدية والصابئة ، وينقسم المسلمون على طائفتين كبيرتين هما الشيعة والسنة ، وينقسم النصارى على كاثوليك ويعاقبه ونساطرة ، وهناك قسم قليل من النصارى يدين بالبروتستانتية ، كما يؤلف النصارى طوائف مختلفة كالكلدان والسريان والنساطرة ، فيتمذهب الكلدان بالمذهب الكاثوليكي وأما السريان فالجديد منهم يتمذهبون بالكثلكة والقديم منهم يعاقبة ، وهناك أقلية ضئيلة تسمى الشبك ، ويبدو أن دينهم مزيج من الإسلام والنصرانية واليهودية ويسكنون القرى النائية جنوب الموصل على ضفة دجلة اليسرى [1]

لهذه الجرائم الإرهابية آثار مختلفة من نواح متعددة كتهديد الاستقرار الاقتصادى وتوقف النشاط السياحى الذى يمثل مورداً مالياً مهماً لبعض الدول ومصدراً لدخل الكثير من أبنائها .. كما قد يترتب على الإجراءات التي تتخذها الدولة لمواجهة الإرهاب أن يحجم المستثمرون عن توظيف أموالهم فى مجتمع لا يتمتع بالأمان.

يمثل الشيعة غالبية السكان في كل من العراق وإيران إذ تصل نسبة الشيعة في إيران إلى 75% من السكان في حين يمثل الشيعة في العراق 56% من السكان ، ويتواجد الشيعة في العراق في الجنوب والوسط وعلى خلاف شيعة إيران ينقسم شيعة العراق إلى قسمين: القسم الأكبر منهم ينتمون إلى قبائل عربية، ويغلب لديهم الحس العربي على الحس المذهبي أما القسم الأصغر منهم فيقيمون في المدن، وبخاصة المدن التي تضم الأماكن المقدسة للشيعة مثل النجف والكوفة وكربلاء [2].

وتعتبر حكومة البعث الإسلام دين الدولة بيد أنها ترفض أي نشاط يطرح قيما ومفاهيم إسلامية تختلف عما تؤمن به خصوصا إذا كان النشاط يهدف للوصول إلى السلطة. وفي هذا الصدد يقول صدام حسين " أننا نحترم رجال الدين. ولكننا لا نسمح لهم بأن يحلوا محل سلطة الحكومة " [3]. وتجعل حكومة البعث في العراق الرفيق " عضو الحزب " الوحدة الأساسية في صناعة القرار السياسي ومصدر القوة السياسية. أمام إيران فيحكمها حكومة الآيات ذات النهج الإسلامي المحافظ. وتقف حكومة الآيات موقفا رافضا لأي نشاط سياسي معارض. وعلى خلاف حكومة البعث في العراق، تجعل حكومة " الآيات " في إيران الفقيه أهم عنصر في صناعة القرار السياسي ومصدر الشرعية السياسية. لذا يقول " روح الله

(1) شمران العجلي : الخريطة السياسية للمعارضة العراقية ، دار الحكمة ، لندن ، ط1 ، 2000 ، ص 16 .

(2) سعد الدين إبراهيم، " واقع الجبهة الداخلية لطرفي الحرب "، السياسة الدولية، ا لعدد 63، يناير 1981م، ص 79.

(3) حرب، المرجع السابق، ص 70.

الخميني " في كتابه الحكومة الإسلامية أن " علماء الإسلام هم مرجع الأمور " و " العلماء منصوبون للحكم " [1].

ومن الإدارة الاختيارية لداعش اليوم « فالكلمات المستعملة اليوم هي نفسها التي درجت منذ تسع سنوات :التركيز على استهداف الأقليات العراقية وتدميرها(خصوصاً الأقليات كاليزيديين والمسيحيين)، تقويض التهديد الشيعي، الدعوى إلى إرساء حكم عالمي، التشديد على الوحشية العنيفة، والتعصب لتطبيق الأحكام الأخلاقية .رغم كرههم العميق للشيعة الذين يُطلقون عليهم تسمية الرافضية(الرافضين للخلافة الأولى)، تتسم أيديولوجيتهم ببعدٍ مهم ومروع قد يكون متأثراً بالنظرة الأخروية العالمية القوية التي نلاحظها في بعض مكونات الإسلام الشيعي العراقي [2].

ان التناحر المذهبي في العراق بشكل خاص وأن كان ناراً تحت الرماد ، الا انه تم تأجيجه من قبل الأعلام العربي المريض والمبتلي بالابتعاد عن الموضوعية والحيادية ، كما تم تأجيجه أيضاً من قبل بعض السياسيين ممن يشعرون بعدم وجود أرضية وقاعدة تساندهم، و كذلك من بعض العراقيين ممن لا أوراق لديهم أو لحسابات غاية في الشخصية والمصلحية ليكون ورقة رابحة ضمن عمليات التجاذبات والتحالفات السياسية وحسابات الربح والخسارة ، واستجابة لرغبات حكام ومالكي القنوات والصحف في أحيان أخرى ، فقد كانت ورقة الطائفية والمذهبية الورقة التي لعبت سلطة صدام دورها غير النظيف عليها ووظف جهاز المخابرات العراقي الصدامي أقساماً تفردت في معالجة القضايا الطائفية وترويجها والاستناد على فرق دينية على حساب مذاهب وفرق أخرى ، وتوظيف رجالات دين وقيادات دينية في سبيل ذلك ، ولم يزل أهل العراق يحاولون تلافي نتائجها السلبية في ظل الوضع الحالي المؤقت للعراق حيث يتناقض معها السعي لبناء دولة ديمقراطية تؤمن بتحقيق القرارات التي تضمن حقوق الإنسان وتحقق الفيدرالية الخيار المستقبلي للعراق[3] .

([1]) روح الله الخميني. الحكومة الإسلامية. (كاليفورنيا: اتحاد الطلبة المسلمين) إعادة طباعة، ص 88، انظر كذلك كتاب إبراهيم الدسوقي باشا، الثورة الإيرانية: الجذور الأيديولوجية. (بيروت: الوطن العربي، 1979)، ص 166 – 168.

([2]) ألبرتو فرنانديز، باقية وتتمدد :مواجهة شبكات الدعاية الخاصة بداعش،2015مشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي التابع لمعهد بروكنجز ،أوراق منتدى أمريكا والعالم الإسلامي،ص 3.

([3]) زهير كاظم عبود، الارهاب في العراق،http://www.iawww.com/research-studies/981-2014-08-12-04- 42-56

قيم التطرف في المجتمع العراقي

تعد القيم عند علماء الاجتماع على وجه الخصوص من المفاهيم الأساسية على مستوى الأفراد أو الجماعات والمجتمعات. نظراً للأثر الذي تتركه على كل أفراد المجتمع. وقد بدأ يتزايد استخدام مفهوم القيم عند علماء الاجتماع وخاصة بعد نشر (توماس وزنانيكي) دراستهما عن الفلاح البولندي في كل أوربا وأمريكا[1]. وقد عرفا القيم بقولهما "أي معنى ينطوي على مضمون واقعي وتقبله جماعة اجتماعية معينة[2]. والقيم هي عبارة عن أحكام مشتركة يطلقها الناس على أنماط السلوك المختلفة، مما يجعل بعض هذه الأنماط مرغوباً فيه وله شرعية، وفي الوقت نفسه تكون أنماطاً أخرى للسلوك غير المرغوب فيه وغير مفضلة وتفتقر إلى الشرعية[3].

وتعد القيم موجهات عامة للسلوك الإنساني ، والمثل أو الأطر المعيارية التي يخضع لها الأفراد ، وتؤثر بصورة حاسمه في تكوين اتجاهاتهم ونظرتهم إلى العالم ، كما تحدد أنماط حياتهم الواقعية وسلوكهم اليومي بمختلف مظاهره وأشكاله .[4]

القيم الاجتماعية هي: "العوامل أو القوى الحقيقة في حياتنا ألاجتماعية وهي التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل الصواب والخطأ فالقيم مرشد للسلوك[5].

وتتمثل قيم التطرف الديني (قيم سلبية) في هذه الدراسة بما يلي:

1- التشدد والغلو:

لا شك أن الإرهاب الفكري إنما هو ثمرة ونتيجة للتشدد والغلو في الدين وهذا التشدد راجع إلى أن هؤلاء يأخذون من الفقه ومن الشرع حَرْفيته، ويقفون عند اجتهادات ألأولين والجمود على متون النصوص من دون الرجوع إلى النصوص الكلية للشرع، وتحري مقاصده وغاياتها وتحقيق مصالحه العامة وتلمس روحه ومضمونه، والبحث عن حكمه ومغزاه.

---

(1)أحمد زايد، الفئات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطري، في : اعتماد محمد علام (محرراً) التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطري، مركز الوثائق والدراسات، الدوحه،1995م، ص 125.

(2)محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،2000، ص 75.

(3)مجد الدين، خمش، الثقافة العربية المعاصرة وقيم العمل في إطار العولمة، شؤون عربية، العدد 117، 2004، ص138.

(4)امطانيوس، مخائيل، بعض قيم العمل السائدة لدى عينة من معلمي المرحلة الابتدائية في مدينة دمشق وريفها في ضوء متغير الجنس والخبرة، المجلة العربية للتربية، العدد 1، المجلد 22، 2002، ص113.

(5)نفس المرجع السابق، ص 79.

فهؤلاء المتشددون في الدين يفرضون أفكارهم وآراءهم ظناً منهم أنهم على الصواب وفي المقابل لا يقبلون رأياً مخالفاً لهم، فهم يطبقون مقولة «من ليس معنا فهو ضدنا»، وهو ما يؤدي إلى انتشار ما يسمى «الإرهاب الفكري»

2- العنصرية الدينية:

العنصرية الدينية أو التعصب الديني هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين هو إما بدافع التعصب المرء الخاصة المعتقدات الدينية او التعصب ضد الآخر ، او معتقداتهم الدينية او الممارسات. تتجلى عند كل والمستوى الثقافي ، ولكن يمكن ايضا ان يكون جزءا رسميا من عقيده خاصة من الجماعات الدينية .

3- التعصب الديني:

يعيش العراقيون انقساما حادا وإلى ومجموعتين المجموعة الأولى تتألف من المتعصبين والمتطرفين. والمجموعة الثانية هي تلك التي تعيش حالة الانفتاح الفكري، سواء كانوا علمانيين أو دينيين. يمكن ايضا ان يكون إدعاء بتمايز أصحاب دين من الأديان على اصحاب الديانات الأخرى. التعصب الديني قد يكون ديني بحت ، ولكن يمكن ان يكون "غطاء قصة" للدافع السياسي او الثقافي الكامن .

لم يكن التمييز في العراق جديداً فهو قديم ومترسخ في المؤسسات الدينية والثقافية والسياسية. فالعشائر العراقية تميز الشخص على أساس الحسب والنسب ولأتقبل ببعض الأشخاص كطالبي زواج أذا كانوا من مناطق أو عشائر أو مهن معينة وذلك لأنها تنظر اليهم نظرة دونية. أما تمييز أصحاب البشرة السوداء فهو واضح ولا يحتاج لدليل كذلك التمييز ضد الغجر باعتبارهم قوم منبوذين لا أصل لهم يمتهنون مهن غير شريفة. أما قضية عرب وأكراد فحدث ولاحرج .فالعربي يطلق النكات التي تسخر من الكردي ورد عليه الكردي بنكات مثلها .ولا يزوجون الكثيرين الشخص أذا كان كردياً ووصلت إلى أن أحد المراجع القدماء أدعى أن أصل الكرد من الجن فلا يجوز تزويجهم. وفي طريقي للسليمانية تعرفت على أحد الركاب الذي كان شاباً متنوراً فقال لي أن أخيه البروفسور في الطب رفض طلبه من الزواج بعربية لأنه كان يحمل شعوراً قومياً . فأي نخب يحمل وطننا بين طياته. بالتأكيد هذا لاينطبق على الكل فهناك من هو متزوج من كردية والعكس أيضاً ، لكنه في نفس الوقت التمييز شيء شائع في العراق .وفي أحيان كثيرة يتباها به الفرد بلا خجل .

4- الإقصاء الديني:

أن الإقصاء الديني وتكفير الآخر هو بمثابة مدخل لإشعال الفتن وتدمير الوطن، تؤكد تجربة النزاع الديني – الديني (السني ، الشيعي – السني السلفي ، السني الإخواني – الشيعي في النجف الشيعي)، أو تجربة النزاع الديني السلفي التاريخي مع العلمانية ، والمخرجات المتعلقة بها، والتي تبرز خلالها بوضوح قضية إقصاء الآخر فكريا ومذهبيا وعقائديا وإنسانيا، كيف أن التيار الديني بمجمله، والسلفي على وجه الخصوص يعجز عن تقديم صورة ثقافية واقعية حديثة لذلك النزاع ويلجأ إلى صور الماضي الديني ليحقق من خلالها أمانيه النرجسية.

أولاً: مظاهر التطرف الديني في المجتمع العراقي:

الإرهاب والتطرف الفكري يشكلان أكبر خطر على الشعب العراقي، وعلى وحدة العراق كدولة وبلد. وهذه المشكلة ذات امتداد إقليمي وتأثير دولي، إذ تعاني منها العديد من البلدان في المنطقة مثل (العراق، وسوريا ، واليمن) وتمتد تلك المعاناة إلى خارج تلك البلدان، ويتبنى هذا الصراع مجموعة من الأفكار والأبعاد الطائفية التي تجعل من الصعب التصدي لها .

إذا أخذنا هذه الصورة للإجرام ونقلناها إلى التطرف الديني الذي تتفرع منه على أرض الواقع أشكال مختلفة الآن ما بين «القاعدة» و «النصرة» و «داعش» و «بوكو حرام»، نجد فعل الإجرام متوافراً هنا أياً كان شكله: القتل أو السرقة أو حتى الاغتصاب مع اختلاف أن هذا يتم في شكل مباح وفقاً لرؤية الذين يرتكبون هذه الفظائع. فالذي يقتل الأبرياء ويذبحهم لاختلافهم الديني يكون أشدّ جرماً من الذي قد يقتل لأسباب أخرى قد تكون لها مبرراتها وعلى رغم ذلك يُعاقب مرتكبوها، بل الأمر يصل إلى أن يصبح كل ما هو مخالف لأصحاب هذا التوجه التطرفي مباحاً لأن يقتل أو يسرق تحت دعوى الغنيمة وغيرها، وينتهك الأعراض تحت دعاوى السبي مثلما فعل «داعش» بالأقليات الدينية في العراق. فإذا كانت لدى المجرم الحقيقي القناعة بأجرامه فإن المصيبة هنا عند التنظيمات المتطرفة تتمثّل في أنها تأخذ أسبابها وقناعتها من المظلة الدينية لمجتمعات لم يحسم عقلها حتى الآن أمره مع قضية الدين، وهو ما ينتج منه هذا الانحدار إلى التطرف الذي نشهده في المجتمعات العربية. [1]

القوى الإرهابية الخطيرة المتمثلة بالتيار السلفي (الوهابي) المتطرف ، والذي يقوده ما يسمى بـ (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) وهو جزء من تنظيم القاعدة بزعامة الإرهابي (اسامة بن لادن) ،

(1)عزمي عاشور ، التطرّف الديني وشرعنة الإرهاب(15 ديسمبر2015)،
http://www.alhayat.com/Opinion/Writers/12781507

والكل يعلم ان تنظيم القاعدة في العراق بزعامة المقبور (ابو مصعب الزرقاوي) الذي تم قتله على يد القوات الأمريكية ، ليخلفه بعد ذلك الإرهابي (ابو عمر البغدادي) ، قد عاث فساداً وقتلاً في ارض الرافدين كما انه دمر العلاقات الحميمة بين مكونات الشعب العراقي وخلق بينها فتناً نتجت عنها عمليات قتل للرجال والنساء والأطفال بدون رحمة او عدل ، وتدعم هذا التنظيم المتطرف عدة قوى إقليمية بالمال والسلاح اضافة إلى الدعم اللوجستي المتمثل بتامين التغطية والدخول إلى العراق ، فضلا عن وجود دعم وتغطية شرعية لهم من بعض القوى المنحرفة في الداخل ، والتي تعتبرهم السلاح الذي تهدد به للحصول على مطالبها[1]

لم يكن السلوك الإيراني في العراق مفهوما لدى قطاعات كبيرة من المسلمين وتحديدا السنّة، وأعطيت له تفسيرات ذات طبيعة طائفية استعْدَت الكثيرين تجاه الشيعة، كما أن السلوك الطائفي للحكومات التي توالت على حكم العراق بعد الاحتلال الأميركي زاد من تأجيج هذه المشاعر ، كما وجدت بؤر أخرى للصراع أخذت تفسيرا طائفيا كما في البحرين وشرق السعودية وباكستان ، وغيرها.

ثانيا: أسباب التطرف الديني في المجتمع العراقي:

أن قضية التطرف الديني هي قضية متجذّرة في كل الأديان تنشأ نتيجة أسباب كثيرة تلعب السياسات الخارجية والداخلية دوراً فيها، بالإضافة إلي الجماعات الدينية المتطرفة التي تستهدف الشباب الذي لا يمتلك معرفة نتيجة الجهل وسوء الفهم للنصوص الشرعية ، والظروف الاجتماعية والأمراض النفسية ، والشعور بالظلم واليأس من تغير الأوضاع المحيطة والعوامل الاقتصادية والأوضاع السياسية داخل الدول ، وضعف دور رجال الدين في نشر الوعي بين المجتمع حتى تكون عنصراً للوقاية منه

وتتنوع الأسباب المؤدية إلى العنف والإرهاب والتطرف ، وقد تتضافر كلها أو أغلبها في الظهور لدى الشخص والتي تمتد آثارها إلى زعزعة النظام المجتمعي والأمان النفسي الذي يعد من أهم الضرورات الإنسانية لدى البشرية جمعاء.

حاول العديد من الباحثين فهم ودراسة هذه الظاهرة وقد توصلوا إلى أن أسباب هذه الظاهرة قد تكون أسباب اجتماعيه أو سياسية أو اقتصاديه أو جميعها معاً وأصبح لا بد من أن يتناول الباحث هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

---

(1)حنا عيسى، التطرف يؤرق الوطن العربي(2015/11/18) ، http://alhourriah.org/article/33375

العامل التاريخي وهو العامل الرئيسي في نشوء ظاهرة التطرف الديني وما يسوقه لنا التاريخ من احداث واقوال وروايات مزيفة جعل العقل الباطن يختزن صوراً للكراهية ورفض الآخر مما سهل عملية انتشار التطرف في المجتمعات الغير واعية[1]

وتتعدد أسباب التطرف الديني في العراق وتتمثل في:

1) الجهل بأحكام الدين:

إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وإحكامه والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم ، والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها. كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة ، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب. ومن جهة أخرى نرى أن الكثير من دعاة العنف والتطرف والتزمت يفتقدون منهجية الحوار ، ويرفضون الدخول في محاورة الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل السري.

فالمتأمل لواقع أكثر الغلاة والمتطرفين، يجد أنهم يتميزون بالجهل وقلةِ الفقه في الدين ، وضحالةِ الحصيلة في العلوم الشرعية ، ومع ذلك تراهم يخوضون في المصالح العظمى والقضايا المصيرية ، فيكثرُ منهم التخبطُ والخلطُ والأحكامُ المتسرعة والمواقفُ المتشنجة ، مع وجود الغيرة منهم على دين الله وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله تعالى. ففي الحديث : "تحقرون صلاتكم مع صلاتهم "[2].

2) الصراع العقائدي والطائفي:

والصراع العقائدي صعوبة وتعقيدا على المواطن البسيط هو وجود ذلك الكم الكبير من الحركات والتيارات والأحزاب التي تلبس لباس الدين ومن مختلف المذاهب....فلا الاحزاب الدينية الشيعية تطلع للمواطن بنظرية في الحكم مستوحاة من التشريع الاسلامي وتواكب العصر وتطوراته وتجيب عن الحيرة والقلق الذي استحوذ على الانسان العراقي ، ولا الاحزاب السنية – ايضا.[3]

---

(1)جواد كاظم الخالصي، مصدر سابق.

([2]) صحيح البخاري-كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم-باب قتل الخوارج 3/340ح6931.

(3) خالد عليوي العرداوي، التطرف الديني في العراق: الأسباب والمعالجات، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث،3/8 /2016

ولقد كان التهميش والاضطهاد الذي وقع على مكونات الشعب العراقي (طوائف وأقليات) له الأثر الكبير في تقوية بناء هذه الطوائف والأقليات والتفاف أتباعها حولها ، مما جعل من هذه الهويات الفرعية منافساً للهوية الوطنية التي كان يجب أن تشكل مظلة للجميع بصرف النظر عن أي متغير للمواطنة، ومن ثم أصبحت هذه الهويات تشكل تصدعاً في النسيج الوطني مما أسس إلى عوامل الفرقة والتجزئة للوطن[1].

3) التشدد والغلو في الدين :

قد يفضي الفهم الخاطئ للدين ولغاياته ومقاصده إلى الجنوح للغلو والتشدد في الدين. كما أن هناك عدة عوامل تؤدي إلى إحداث ردود أفعال عند الشباب، وتدفع بهم إلى التشدد والغلو، منها استفزاز المشاعر الدينية من خلال تسفيه القيم أو الأخلاق أو المعتقدات أو الشعائر ، بالقول أو الفعل ، واتهام والمراكز التربوية الإسلامية والمدارس القرآنية ومناهج التعليم ومنابر الدعوة كلها بالانحراف، والتنفير من الدين وتشويه أهله ، وإظهار شيوخ المسلمين وعلماء الإسلام بصورة ساخرة منفرة ، فإن هذا كله يُسبب التطرف والغليان خاصة في نفوس الشباب الذين يقرؤون ويسمعون الاتهامات الكاذبة تُوجه إليهم وإلى مؤسساتهم ، ولا يملكون إلاّ الاحتقان والانفعال ولا تتاح لهم فرصة للرد.

4) تحقيق المكاسب المادية والاجتماعية:

يرى أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي أن السلوك الإنساني سلوك متعلم ؛ وأننا لا نقوم بأي سلوك إلا إذا كان هذا السلوك سوف يحقق لنا مكاسب معينة، ومن هنا نستطيع القول أن التطرف كغيره من أنواع السلوك يتم تعلمه عن طريق التفاعل بين الفرد وعوامله الذاتية وبين البيئة بمؤثراتها المختلفة ، ويتطرف الأفراد لاعتقادهم أنه سيجنى مكاسب معينة من التطرف ، سواء كانت مكاسب معنوية أو مكاسب مادية.

ويري " باندورا Bandurs " أن الفرد يتعلم العنف كما يتعلم الأنواع الأخرى من السلوك ، وقد كشفت الدراسات التي أجراها " باندورا " و " والترز " عن أن تشجيع السلوك العنيف الذي يقوم به الأطفال من قبل الآباء والأمهات يؤدي إلي تدعيم السلوك العنيف لديهم[2] .

---

(1) شمخي جبر، ثقافة الهوية والمواطنة: الهوية الفرعية والهوية الوطنية، مركز دراسات الأمة، ميزوبوتاميا، 2006، ص25.

(2) أحمد زايد : العنف في الحياة اليومية والمجتمع المصري -2002 –مرجع سابق – ص 46 0

5)تعامل الحكام العرب مع الممارسات الاستعمارية الأمريكية والصهيونية:

الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين المحتلة وما جاورها. وهي تؤثر بشكل مباشر في ملايين من العرب الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والجولان السورية والاحتلال الأمريكي في العراق ، ومن ثم في بقية العرب في مختلف البلاد العربية.

ارتكاب القوات الأمريكية وشركات الحماية الأمنية الأجنبية العديد من الأخطاء الجسيمة وذلك بقصف المواطنين الآمنين وهدم البيوت بحجة البحث عن الإرهابيين دون تحقيق او تدقيق واعتقال الآلاف من العراقيين كما جرى في مدينة الرمادي ومدينة الصدر و ديالى وجنوب بغداد والدورة ، وكانوا يطلقون تصريحات خطيرة بعد هذه العمليات مفاده ان سبب هذه العمليات للقبض على متورطين في قتل مواطنين من مذهب معين من خلال التضخيم الاعلامي في سردهم للأرقام المزيفة والتي تسبب التوتر لدى بعض المتشددين من السنة والشيعة. (1)

6)انعدام الوعي السياسي :

يشكل الوعي السياسي ميدانا يجب عدم صرف النظر عنه ، لأن الإنسان المتسلح بالوعي السياسي من الصعب خداعه وتوريطه بتبني أفكار وسلوكيات غير صحيحة ، وان تحري هذه الحركات التي نسميها بالمتطرفة نجد انها غالبا تنمو في الأوساط الشعبية الفقيرة التي ينخفض مستوى تعليمها ، ولا تتذكرها الأحزاب السياسية إلا في وقت الانتخابات.(2)

7)سوء الفهم والتفسير الخاطئ لأمور الشرع:

وهذا الأمر الذي يتعرض له بعض الناس يدعمه وجود من يدعون العلم والفقه في الدين وينصبون أنفسهم أئمة ويتساهلون في أمور الحلال والحرام ويأخذون من الأمور ظاهرها أو وفق أهوائهم الشخصية، دون الرجوع إلى العلماء الأكفاء وأهل العلم الشرعي الصحيح.

8)الأسباب السياسية:

تتعلق بواقع الأمة الخارجي من احتلال أراضيها وقتل أبنائها وهتك عرض بناتها ومصادرة ثرواتها وكشف أستارها وإسقاط هيبتها فما يحصل في أفغانستان والعراق وفلسطين لا شك أنه سينعكس انتقاما في نفوس الشباب وسيكون وقودا صالحا للاشتغال متى ما أتيحت الفرصة .

---

(1) أياد عايد والي البديري ، التركيب الأثنوغرافي لسكان العراق وتحليل أثره في بناء الدولة و استقرارها ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الثالث عشر: العدد 1/ 2010م،ص66.

(2) خالد عليوي العرداوي، مصدر سابق.

إن التسيب الدولي هو الذي يفتح المجال واسعا أمام أخطبوط الإرهاب الدولي الذي يجمع في صفوفه بين القتلة والمحترفين والمرتزقة المأجورين وغيرهم من المغرر بهم دينيا أو سياسيا أو عقائديا،وتشجيعه على التمادي في احتقار القانون الدولي، والاعتداء على سيادة الدول والإساءة إلى حقوقها ومصالحها المشروعة بوسائل تدينها الأخلاقيات والأعراف الدولية كالتهديد والتشهير والابتزاز والقتل واختطاف الطائرات وتعذيب الرهائن من المدنيين العزل الأبرياء. إن هذا التخاذل الدولي في رأي أصحاب هذا التفسير قد ينتهي بكارثة دولية لا حدود لها. (1)

ان الصراعات السياسية والفكرية والدينية التي تعم العالم منذ فترة طويلة صبغت البشرية بصبغتي التطرف والعنف ويشهد العالم بأغلب مناطقه الجغرافية توترا أو قتالا بسبب التطرف الفكري الذي تذكيه غالبا قوى خارجية لتحقيق اجنداتها .. والعراق ليس استثناءا من ذلك فقد شهد ومنذ فجر التاريخ كما ذكر الباحث باقر ياسين في كتابه " تاريخ العنف الدموي في العراق " مذابح فردية وجماعية تضع العراق في مرتبة متقدمة جدا من العنف الدموي بسبب التطرف والسيطرة .. وليس المجال مناسبا هنا فتفاصيل مشاهد وممارسات العنف الكثيرة جدا التي وضعها الباحث باقر ياسين أمام أعيننا هي مشاهد مروعة من قطع الرؤوس والأيدي والأرجل وقطع الشفاه أو الألسن أو الآذان أو سمل الأعين أو الإخصاء المتعمد لغرض العبودية المذلة والسحل ومشاهد دفن الخصوم أحياء إلى غير ذلك من مشاهد مرعبة لا يتخيلها الإنسان. .. كل ذلك حدث في العراق منذ ما يقرب من خمسة آلاف عام وحتى اليوم سواء بيد العراقيين أصحاب الأرض أنفسهم أو من قبل غرباء احتلوا الأرض (2)

إن احتلالَ بلاد المسلمين بالغزو الفكري والعسكري وقتلَ أبنائهم وهتكَ أعراضهم وتدنيسَ مقدساتهم ومصادرةَ ثرواتهم، كما يحصل في أفغانستان والعراق وفلسطين،حيث تداعى الأعداء على المسلمين من كل حدب وصوب، بين طامع وكائد وحاسد. أدى إلى تذمر وشعور طوائفَ من شباب الأمة ومثقفيها وأهل الغيرة بالضيم والإذلال والإحباط فنتج عن ذلك ردود أفعال مبنية على الغلو والتطرف والعنف ضد حكام الأمة وغيرهم ممن يرضون بحال الأمة.

---

(1)منصور، سيد أحمد والشربيني، زكريا أحمد (2003) سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب. القاهرة: دار الفكر العربي ، ص ص244 – 245.

(2) فارس حميد أمانة، التطرف. .العنف.. والارهاب في العراق.. جذور ونتائج ،الحوار المتمدن-العدد: 4570 - 2014 / 9 / 10 - 15:11

9)الإحباط:

فقد يأخذ الإحباط لدى بعض الشباب صورة الشعور بالاكتئاب، وهناك من يتمرد ويظهر السلوك العدواني أو المتطرف نتيجة شعور الفرد بالهزيمة أو الفشل،وكلما كان موضوع الإحباط مهما لدى الشخص أو يتعلق بمجال حيوي ومباشر كان الإحباط أشد،وظهرت ردة الفعل بصورة أقوى واعنف.

10)تأثير وسائل الإعلام:

تلعب وسائل الإعلام دورا لا يستهان به في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والإرهاب والتطرف فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإخبار عن الأحداث أو تركيبها وعن الأشخاص وسيط مشارك لدى عديد من الدول ومن وسائل الإعلام التلفاز أو القنوات الفضائية التي في أغلبها تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية،أو زرع الفتن وإثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار والتهويل والتضخيم، ولو كان التناول في القضايا والموضوعات وحتى التحليلات تناولا إيمانيا يقوم على التعامل مع الحقائق والاستناد إليها في التفسير والتحليل،والتعليق وغيره،والمعايشة الحية للأحداث والتحري والتثبت من الأخبار وروايتها... ومراعاة الحالة النفسية المهيأة لدى المستقبل، وظروف الزمان والمكان[1]

تلعب بعض وسائل الأعلام دوراً كبيراً في اثارة الفتن الطائفية وروح الانتقام وبشكل خاص بعض الفضائيات العربية التي تقوم بتحريف الحقائق او تظهرها بطريقة مشوشة و تعمل على بث الرسائل الصوتية والمرئية لأعضاء تنظيم القاعدة الذي يحث على قتل العراقيين الأبرياء دون استثناء، كل ذلك بحجة الجهاد حسب أفكارهم المنحرفة او المدعومة من قبل قوى تريد تشويه سمعة الإسلام . [2]

والمشهد الإعلامي عموماً مستقطب على أساس طائفي. وبسبب زيادة مواردها المالية،أطلقت معظم الأحزاب السياسية الرئيسة قنوات تلفزيونية فضائية، تمثّل وسائل الإعلام الأكثر شعبية في العراق. وغالباً ما تنتشر هذه القنوات رسائل تعكس التحيّز الطائفي لمموّليها. كما تم استنساخ النعرات الطائفية والقوالب النمطية من خلال وسائل إعلامية غير عراقية، وخاصة القنوات الناطقة بالعربية، والتي تموّل معظمها أو ترعاها حكومات شرق أوسطية أو نخب سياسية مؤثرّة. وقدمت بعض وسائل الإعلام الدينية رسائل طائفية صريحة وأصبحت أدوات تستخدمها الجماعات الطائفية المتطرّفة لحشد أتباعها. كما

(1)الشنقيطي، محمد ساداتي (1998): الإعلام الإسلامي - المنهج. الرياض: دار عالم الكتب ، ص ص 159 - 160

(2)أياد عايد والي البديري ، مرجع سابق.

أصبحت الشبكات الاجتماعية مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب أدوات هامة للمتطرّفين الطائفيين لإيصال الرسائل التي لا تجد لها مكاناً في وسائل الإعلام الرئيسة.

11)رفقاء السوء :

لا شك أن للرفقاء أو الشلة دورا لا يستهان به في النزوع نحو العنف والإرهاب والتطرف ولا سيما عندما يكون تأثير هذه الشلة قويا في وجود شخصية ضعيفة أو إيحائية أو غير مستقرة أسريا كما أنها تسمح للفرد بالتعبير عن رأيه بحرية حتى لو كانت آراؤه خاطئة بل ربما وجد فيها الفرد متنفسا للكبت الداخلي لديه أو محرضا على سلوك لا يقره المجتمع أو المنطق.

ويلعب رفاق السوء دورا مهما في ارتكاب الجريمة حيث يوضح تارد أن الإنسان لا يولد مجرما بل يتأثر بتصرفات ألآخرين ويكتسب السلوك الانحرافي نتيجة لتقليدهم.كما أوضح سذرلاند أن هناك علاقة وثقيه بين الاختلاط والجريمة ويفسر السلوك الإجرامي بأنه يتم اكتسابه عن طريق التعلم الذي ينشا من مخالطة الآخرين والتفاعل معهم [1]

آثار التطرف الديني على المجتمع العراقي

1) آثار أمنية:

يشكل التطرف السلوكي، أكثر أنواع التطرف الديني سلبية، من خلال تحوله من التطرف الفكري المبني على الأفكار والآراء إلى تطرف مبني على العنف والإرهاب من أجل فرض تلك الأفكار بالقوة. وهذا النوع من السلوك هو الذي يجر أخيرا إلى الخطر ألأمني من خلال تهديد أمن وسلامة المجتمع والدولة، عبر التخطيط للعمليات المسلحة، والتفجير والقتل، انطلاقا من أفكار جهادية، بغية الوصول إلى إقامة الدولة ألإسلامية أو إعلان الولاء لتنظيمات إرهابية خارجية.

بات واضحاً النهج المتطرف المبني على العنف بكل أنواعه والذي يتبناه المتطرفون وما آلت إليه سياستهم في مجال تطبيق الشريعة وصولاً إلى أهداف سياسية أصبحت خطرة على مجمل الأوضاع في عموم المعمورة كما تعاني دولاً عربية وإسلامية من التطرف الديني والطائفي مثل العراق وسوريا ولبنان وباكستان وأفغانستان وإيران ودول أخرى، وهذا التطرف الديني والطائفي هو نهج تستخدمه المنظمات

(1) شمس، محمود وعقاد(1999) تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على معدلات الجريمة مع التركيز على السرقات (دراسة كمية وكيفيه) مركز أبحاث مكافحة الجريمة الرياض. ، ص 99

الإرهابية التكفيرية السلفية والأصولية لتحقيق أهدافها حتى على حساب مئات الآلاف من المسلمين وغير المسلمين [1]

كما وأن الأثر ألأمني يمتد خطره إلى كل المستويات الأحرى حيث أن زعزعة استقرار الدولة وآمنها تكون عواقبه وخيمة على الاقتصاد الوطني من خلال هروب المستثمرين ورؤوس الأموال خوفا على مصالحهم الاقتصادية إضافة إلى ضعف المردود السياحي،فانتعاش قطاع السياحة في أي بلد،هو بالضرورة رهين باستقرارها. ثم أيضا الأمن والسلم الاجتماعي بانتشار الخوف والفزع بين الناس،الخوف من حرية التنقل،والخوف من أي مصير نتيجة عمل وسلوك إرهابي. كما ولا يسلم من ذلك مؤسسات الدولة وغيرها،خاصة ذات البعد الخدماتي،والتي غالبا ما تكون عرضة للهجمات الإرهابية فتقضي على مصالح المواطنين والخدمات المقدمة لهم. [2]

2) آثار سياسية:

تؤدى العمليات الإرهابية إلى ضعف النظام السياسي ويتجلى ذلك في إضعاف جهات الآمن وأحيانا التدخل الأجنبي لحماية المصالح الخاصة أو التحقيق في وفاة رعاياهم . كما تؤدي العمليات الإرهابية إلى النظر لمجتمعاتنا على أنها إرهابية ومولدة للإرهاب.

والإرهاب يصيب علاقة الفرد بالدولة من فقدان للثقة والتصدع السياسي، كما لجرائم الإرهاب تأثير مهم على مكانة الدولة ذاتها وهيبتها وعلاقتها بغيرها من الدول ومن ثم سيادتها الوطنية.تأثير "داعش" السياسي على العراق لم يقتصر على المدن السنية بل شمل المدن الشيعية في الجنوب،والكردية في الشمال،وعلى الرغم من ان المتطرفين لم يسيطروا على اي من المدن الشيعية والكردية ولكن تهديده العسكري لهذه المدن اوجد صراعات سياسية فيها لا تقل خطورة عن الصراعات في المدن السنّية.

عندما هاجم "داعش" العراق أعلن المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني الجهاد، وخرج مئات آلاف من الشيعة المحافظات الشيعية الثمانية لتلبية النداء (بابل،كربلاء، النجف،واسط، ميسان، ذي قار ،المثنى، البصرة، إضافة إلى بغداد المختلطة سكانيا).

---

(1)مصطفى محمد غريب، مخاطر التطرف الديني على السلم الاجتماعي(2016/10/24)

http://www.factiniraq.com/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=20

(2)حنا عيسى، التطرف يؤرق الوطن العربي(2015/11/18) ، http://alhourriah.org/article/33375

نتائج الدراسة:

1. اثبتت الدراسة ان التطرف الديني من المفاهيم التي يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها، نظراً إلى ما يُشير إليه المعنى اللغوي للتطرف من تجاوز لحد الاعتدال. وحد الاعتدال نسبي، يختلف من مجتمع إلى آخر وفقاً لنسق القيم السائد في كل مجتمع. فما يعتبره مجتمع من المجتمعات سلوكاً متطرفاً من الممكن أن يكون مألوفاً في مجتمع آخر، فالاعتدال والتطرف مرهونان بالمتغيرات البيئية والحضارية والثقافية والدينية والسياسية التي يمر بها المجتمع.
2. اثبتت الدراسة ان العنصرية الدينية أو التعصب الديني هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين هو إما بدافع التعصب المرء الخاصة المعتقدات الدينية او التعصب ضد الآخر، او معتقداتهم الدينية او الممارسات. تتجلى عند كل والمستوى الثقافي ، ولكن يمكن ايضا ان يكون جزءا رسميا من عقيدة خاصة من الجماعات الدينية .
3. تلعب وسائل الإعلام دورا لا يستهان به في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والإرهاب والتطرف فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإخبار عن الأحداث أو تركيبها وعن الأشخاص وسيط مشارك لدى عديد من الدول ومن وسائل الإعلام التلفاز أو القنوات الفضائية التي في أغلبها تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية وزرع الفتنة بين المجتمع الواحد.
4. لا شك أن للرفقاء أو الشلة دورا لا يستهان به في النزوع نحو العنف والإرهاب والتطرف ولا سيما عندما يكون تأثير هذه الشلة قويا في وجود شخصية ضعيفة أو إيحائية أو غير مستقرة أسريا كما أنها تسمح للفرد بالتعبير عن رأيه بحرية حتى لو كانت آراؤه خاطئة بل ربما وجد فيها الفرد متنفسا للكبت الداخلي لديه أو محرضا على سلوك لا يقره المجتمع أو المنطق.
5. اثبتت الدراسة أن الأوضاع المتوترة و المضطربة في العراق وتصاعد حدة المواجهة الطائفية و الدينية المتطرفة فيه وبلوغه حدودا ومستويات قياسية غير مسبوقة، يميط اللثام مرة أخرى عن الدور الخطير للتطرف الديني وكونه قد أصبح عاملا للإخلال بالأمن والاستقرار ودفعه البلاد نحو منعطفات حساسة لا يمكن التحسب من نتائجه وعواقبه
6. تؤدى العمليات الإرهابية إلى ضعف النظام السياسي ويتجلى ذلك في إضعاف جهات الآمن وأحيانا التدخل الأجنبي لحماية المصالح الخاصة أو التحقيق في وفاة رعاياهم . كما تؤدي العمليات الإرهابية إلى النظر لمجتمعاتنا على أنها إرهابية ومولدة للإرهاب.
7. والإرهاب يصيب علاقة الفرد بالدولة من فقدان للثقة والتصدع السياسي كما لجرائم الإرهاب تأثير مهم

على مكانة الدولة ذاتها وهيبتها وعلاقتها بغيرها من الدول ومن ثم سيادتها الوطنية.تأثير "داعش" السياسي على العراق لم يقتصر على المدن السنية بل شمل المدن الشيعية في والجنوب والكردية في الشمال وعلى الرغم من ان المتطرفين لم يسيطروا على اي من المدن الشيعية والكردية ولكن تهديده العسكري لهذه المدن اوجد صراعات سياسية فيها لا تقل خطورة عن الصراعات في المدن السنّية.

المقترحات:

1 . تفعيل الدور الرقابي على القنوات الفضائية والإعلامية والمواقع الالكترونية التي يكون لها دور في عملية زرع الأفكار المتطرفة وخاصة الدينية منها والعمل على غلقها بالتنسيق مع الجهات المختصة.

2 – تفعيل الدور القضائي بصوره رئيسية ليكون له دور صارم وفعال من اجل ردع أي شخص أو حزب أو منظمة تقوم بزرع روح الفتنة الطائفية أو القومية أو الدينية في البلاد من اجل التخلص من كل اشكال التطرف والحفاظ على النسيج الاجتماعي والعيش بأمن وسلام

3 – على المؤسسة التعليمية أن تأخذ درها الحقيقي في عملية التربية التعليمية من أجل أبعاد أي مادة تعليمية لها دور فكري متطرف مما يؤدي شق وحدة الصف لأبناء الوطن الواحد واستبداله بمادة تزرع أفكار لها دور ايجابي للحفاظ على أبناء وبناء الوطن لان للتعليم دور مهم في ذلك المجال.

4 – على المؤسسة الدينية ان تأخذ دورها الحقيقي والبناء من خلال بث روح الحب والتسامح والتعاون والتعايش السلمي بين جميع أبناء الوطن الواحد بغض النظر عن الديانة أو العرق أو الطائفة أو القومية ويأخذوا من منطلق قولة تعالى{ تعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان } وعلى الجهات الرقابية المختصة تقوم بمراقبة كل المؤسسات الدينية وما تقوم به من بث أفكار وتعاليم دينية حتى يكون للمؤسسة الدينية دور في عملية بناء الدولة وليس العكس ويجب اتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك من خلال فرض القانون.

5 – على الدولة ان يكون لها دور فعال في عملية بناء المجتمع من خلال محاربة التطرف بكل أشكالة وأنواعه وبصورة عامة بغض النظر على الانتماء العرقي أو الطائفي أو القومي وتكون الهوية الوطنية اي الهوية العراقية هي الأساس في التعامل وليس الهويات الفرعية ويجب سن قوانين بذلك ويكون العدل أساس التعامل مع الجميع من خلال الحقوق والواجبات.

6 – وعلى الأسرة ان تأخذ دورها الحقيقي في عملية التنشئة الوطنية الحقيقية والابتعاد عن كل المسميات الجانبية لأن الأسرة هي أساس ونواة بناء المجتمع ولها دور في عملية بث روح الحب والوئام والتسامح

والتعاون والابتعاد عن كل الأفكار المتطرفة ومالها اثر سلبي في خلق العداء والفتن والاضطراب بين ابناء المجتمع الواحد.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم نافع ، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، 1994م.
2. أحمد أبو زيد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات – قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، سلسلة كتب عالم المعرفة، العدد 326.
3. احمد الشريفين ، قدرة بعض متغيرات النفسية والاجتماعية على التنبؤ بالميل لعنف لدى طلبة الجامعات الأردنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ،اربد ، الأردن ، 2009 .
4. أحمد زايد، الفئات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطري ، في : اعتماد محمد علام (محرراً) التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطري ، مركز الوثائق والدراسات ، الدوحة ،1995م، ص 125.
5. أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، 1978 .
6. أدونيس العكرة : الموسوعة الفلسفية العربية ، بيروت ، معهد الإنماء العربى ، المجلد الأول ، 1986 .
7. ألبرتو فرنانديز، باقية وتتمدد :مواجهة شبكات الدعاية الخاصة بداعش،2015مشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي التابع لمعهد بروكنجز ،أوراق منتدى أمريكا والعالم الإسلامي.
8. امطانيوس، مخائيل، بعض قيم العمل السائدة لدى عينة من معلمي المرحلة الابتدائية في مدينة دمشق وريفها في ضوء متغير الجنس والخبرة، المجلة العربية للتربية، العدد 1، المجلد 22، 2002.
9. أياد عايد والي البديري ، التركيب الأثنوغرافي لسكان العراق وتحليل أثره في بناء الدولة و استقرارها ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الثالث عشر: العدد 1/ 2010م.
10. بكر خالد ، كيفية التعامل مع العنف الاسري ضد المراة ،بحث منشور في المؤتمر الاول لمواجهة العنف ضد المراة ،مركز البحوث الانسانية والتنمية الاجتماعية ، 2002.
11. جلال ابراهيم فقيرة : التصور الغربي للحضارة الاسلامية ، مجلة الدراسات الدولية ، عدد (20) ، جامعة بغداد ، 2003.
12. حسين كامل بهاء الدين: الوطنية فى عالم بلا هوية وتحديات العولمة، دار المعارف، القاهرة، يناير 2000.
13. حنا عيسى، التطرف يؤرق الوطن العربي(2015/11/18) ، http://alhourriah.org/article/33375
14. خالد حسين هنداوي ، التطرف الديني ، المفهوم الرئيسي والمفاهيم ذات الصلة ، جريدة الحوار الصفحة الأولى 2013/7/7م.
15. خالد عليوي العرداوي، التطرف الديني في العراق: الأسباب والمعالجات، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث،3/8/ 2016
16. روح الله الخميني. الحكومة الإسلامية. (كاليفورنيا: اتحاد الطلبة المسلمين) إعادة طباعة، ص 88، انظر كذلك كتاب إبراهيم الدسوقي باشا، الثورة الإيرانية: الجذور الأيديولوجية. (بيروت: الوطن العربي، 1979).

17.زهير كاظم عبود، الارهاب في العراق،-2014-981/http://www.iawvw.com/research-studies
08-12-04-42-56

18.سعد الدين إبراهيم، " واقع الجبهة الداخلية لطرفي الحرب "، السياسة الدولية، ا لعدد 63، يناير 1981م.

19.سورة الأنبياء الآية /107}

20.شمخي جبر، ثقافة الهوية والمواطنة: الهوية الفرعية والهوية الوطنية، مركز دراسات الأمة، ميزوبوتاميا،2006.

21.شمران العجلي : الخريطة السياسية للمعارضة العراقية ، دار الحكمة ، لندن ، ط1 ، 2000 .

22.شمس، محمود وعقاد(1999) تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على معدلات الجريمة مع التركيز على السرقات) دراسة كمية وكيفيه(مركز أبحاث مكافحة الجريمة الرياض.

23.الشنقيطي، محمد ساداتي (1998): الإعلام الإسلامي – المنهج. الرياض: دار عالم الكتب .

24.صالح بن غانم السدلان ، اسباب الارهاب والعنف والتطرف ،الامام محمد سعود الإسلامية بدون سنة طبع .

25.صحيح البخاري-كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم-باب قتل الخوارج 3/340ح6931.

26.عباس أبو شامة ، جرائم العنف وأساليب مواجهتها في الدول العربية ، جامعة نايف العربية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، 2004م .

27.عباس الذهيبات، الإرهاب والإرهاب الدولي، مجلة أفاق العدد الأول 2003م.

28.عبد الناصر حريز ، الإرهاب السياسي .

29.عبدالوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، بيروت ، مرجع سابق ، ص 153 .

30.عزمي عاشور ، التطرّف الديني وشرعنة الإرهاب(15 ديسمبر2015)،
http://www.alhayat.com/Opinion/Writers/12781507

31.على ليلة ، البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع" الرواد" المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، ط2 ، 2003 ، ص 245-246 .

32.فارس حميد أمانة، التطرف. .العنف.. والارهاب في العراق.. جذور ونتائج ،الحوار المتمدن-العدد: 4570 - 15:11 - 10 / 9 / 2014

33.مجد الدين، خمش، الثقافة العربية المعاصرة وقيم العمل في إطار العولمة، شؤون عربية، العدد 117، 2004.

34.محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،2000.

35.محمد التربوي وأغادير جويحان، علم ألإرهاب دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن،2006.

36.محمد حسن غانم : رؤية عينة من المثقفين لظاهرة العنف ، " دراسة سيكولوجية " مجلة علم النفس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ع 45 ، يناير 1998.

37.مصطفى محمد غريب، مخاطر التطرف الديني على السلم الاجتماعي(2016/10/24)
http://www.factiniraq.com/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=20

38.مصطفى محمد غريب، مخاطر التطرف الديني على السلم ألاجتماعي http://www.factiniraq.com/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=20 تم الاطلاع بتاريخ 2016/7/24.

39. منصور، سيد أحمد والشربيني، زكريا أحمد (2003) سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب. القاهرة: دار الفكر العربي .

40. Alex thio: Behavior ، Harper And Row ، New York، Cambridge.، San Franscisco، Washington، London ، Mexico City Singapore،Syndy. 1988، p75.

41. Charles h. Mccaghy : Deviant Behavior ،Library Of Congress Cataloging In Publication Data ، Macmillan Publishing Co Inc.، 1976،pp88-89.

42. http/ar.m.wikipedia.org الصراع ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة

43. Malek Zaalouk : Violence in the family ، the national review for social criminology research ، vol 26 January ، Egypt . 1989 . p3

الخلفية المعرفية للمجتمع المدني وأهم الاتجاهات النظرية.

د/ بوسالمي عامر ـ جامعة خنشلة.الجزائر. د/ مونيس احمد ـ جامعة البليدة -02- الجزائر.

الملخص :

كان للتغيرات الجذرية التي لحقت بالنظام العالمي من حيث هيكلة وديناميات عمله وطبيعة العلاقات بين الفاعلين الممثلين، تأثيراتها الضخمة على إعادة النظر في أدوار كل من الدولة والمجتمع المدني.

كان بروز دور جديد للمجتمع المدني وفي القلب منه لمنظمات غير الحكومية في صنع أو عملية التنمية (سياسة الرفاهية الاجتماعية) عوامل عديدة بعضها تعلق بالدولة الرفاهية الاجتماعية وتحولاتها في أوربا الغربية، وأيضا بتحولات على الدولة الرعائية في الوطن العربي وبخاصة منذ الثمانينات، وما صاحب ذلك من إعادة النظر كلية في مفاهيم التنمية الكلاسيكية وأيضا في دور الدولة.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني، التنمية، الدولة الرعائية، دور الدولة، النظام العالمي.

Abstract:

The radical changes that have taken place in the world order in terms of the structure and dynamics of its work and the nature of the relations between the actors involved have had a tremendous impact on the reconsideration of the roles of the State and civil society.

The emergence of a new role for civil society and at the heart of it for non-governmental organizations in the making or process of development (social welfare policy) has many factors, some of which relate to the state social welfare and its transformations in Western Europe, as well as shifts in the pastoral state in the Arab world, especially since the 1980s. A thorough reconsideration of classical development concepts and also the role of the state.

Keywords: civil society, development, pastoral state, role state, Global System.

إشكالية الورقة البحثية:

بعدما انسحبت الدولة في مجالات الإنفاق الاجتماعي، وما على مؤسسات المجتمع المدني مطالبته بسد الفراغ الذي انسحبت منه الدولة في مجالات الإنفاق الاجتماعي (التعليم، الصحة، مواجهة الفقر والبطالة)، ولسد الفراغ انطلقت مؤسسات المجتمع المدني بمشروعات صغيرة لمساعدة الفقراء والمهمشين، أو ما يطلق عليها ملء الفراغ الذي تتركه الدولة بعد انسحابه من دون أن تمارس دورا أساسيا في صنع السياسات.

سنستعرض في هذه الورقة البحثية للظروف التي أدت إلى قيام مؤسسات المجتمع المدني، وأهميتها، ومعوقاتها، وذكر أهم خصائصها، ووظائفها. ومن ثم الانتقال إلى أهم الاتجاهات النظرية المفسرة لدور القطاع الثالث .

أولا- أسباب قيام مؤسسات المجتمع المدني:

هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية ساعدت على ظهور مؤسسات المجتمع المدني، فجاءت متنوعة ومختلفة تعبر عن مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، كلها ساهمت بشكل أو بآخر في تشكيله في النهاية لعل أهمها:

العوامل الداخلية:

تراجع دور الدولة: على المستويين الاقتصادي والاجتماعي.

تزايد احتياجات الأفراد والجماعات المحلية: التي لم تعد الدولة قادرة على تلبيتها، كانت هذه الاحتياجات أساسا خدمات اجتماعية واقتصادية لم تعد الدولة مستعدة على الوفاء بها مثل الإسكان، الرعاية الصحية، زيادة الدخل وتحسين نوعية التعليم والمواد الغذائية وما إلى ذلك[1].

ارتفاع الوعي الاجتماعي والجماعي: بارتفاع المستوى الثقافي لدى فئة عريضة من السكان خاصة بعد انتشار الثانويات والمعاهد، وفتح الكليات والجامعات، وما صاحب إنشاء الكليات من ظروف اجتماعية وسياسية[2].

اتساع نطاق التعليم بين السكان: أدى إلى رفع مستويات الوعي والتوقعات والمهارات التنظيمية مما كان له أهمية كبرى في بناء المؤسسات العامة والخاصة.

زيادة الموارد المالية الفردية: وما صاحب ذلك من تحرك القوى البشرية بين الدول وخاصة العربية، مما صاحب ظهور بدايات سياسة التحول الاقتصادي اللبرالي في الهياكل الاقتصادية التي كانت تحت سيطرة الدولة في الدول الاشتراكية سابقا، مما سمح بظهور المؤسسات الخاصة[3].

نمو هامش الحريات: فقد اتسعت هوامش الحريات تدريجيا، فالسفر إلى الخارج ووسائل الإعلام كل مظهر من مظاهر نمو هذا الهامش[1].

1- ، محمد إبراهيم خيري الوكيل، دور القضاء الإداري والدستوري في إرساء مؤسسات المجتمع المدني، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، ط1، 2010 ص33 .

2- المصطفى بن خليفة عربوش، مقومات التنمية بالمغرب، مطبعة النجاح الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 63.

3- فالح عبد الجبار، الدولة والمجتمع المدني –التحول الديمقراطي في العراق، دار الأمين للنشر والتوزيع، 1995، ، ص 23.

العوامل الخارجية:

أما العوامل الخارجية فتمثلت في:

التطور الهائل في نظم الاتصالات الدولية، وخصوصا شبكة الإذاعة المرئية والمسموعة وسهولة التقاطها في كل أنحاء العالم، بالإضافة إلى الظروف الخاصة بالوضع العالمي الجديد[2].

شعور الأفراد مدعوما بالوقائع، بتقصير الدولة وقصورها وتقلص سلطاتها في مواجهة مؤسسات العولمة يدفعهم إلى محاولة تنظيم أنفسهم في مؤسسات مدنية تمكنهم من خلالها مقاومة العولمة والدفاع عن الوجود الاجتماعي في مواجهة زحف مجتمع السوق العالمي[3].

العولمة بما تضمنته من مكونات أساسية، كظهور الثقافة المدنية وعولمة السوق وإطلاق آلياتها، بالإضافة إلى ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، كلها أدت في إبعادها الإيجابية إلى فرض أجندة خاصة في مجال التكنولوجيا – غير مسبوق للاتصال – وكسر الحواجز[4].

كل هذه الأسباب عجلت بظهور مؤسسات المجتمع المدني خاصة إذا كانت الجهات الممولة في بعض الأحيان هي الدول الكبرى ومؤسسات التمويل العالمية المعروفة كالبنك الدولي، وغيره كثير.

ثانيا– أهمية مؤسسات المجتمع المدني:

يجد فيها الأعضاء بالنظر إلى صغر حجمها ومحدودية نطاقها فرصة للتعبير عن انشغالاتهم بطريقة صريحة، كما تمثل وسيلة للدفاع عن الهويات الفردية[5].

كما أنها تلتزم التزاما مخلصا بقضايا مجتمعها وتعرف أكثر من غيرها ما يحتاجه من دون عون وتقديمات، ومكامن خلل وكيفية معالجته، وتسعى لكي تصل إلى كافة شرائح المجتمع وطبقاته، كما تسعى إلى تحريكه وتثقيفه[6].

تساعد على تحليل وتفسير التحولات السياسية والاجتماعية، كما تقدم عونا في مقاربة ظواهر اجتماعية متنوعة من مثل ظاهرة التهميش والإقصاء الاجتماعيين التي تتعرض لها بعض الشرائح الاجتماعية[7].

1- المرجع نفسه، ص 24.
2- محمد إبراهيم خيري الوكيل، المرجع السابق ، ص 46.
3- رجب بودبوز، محنة المجتمع المدني، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،طرابلس، ليبيا،2008 ، ص 37.
4- أماني قنديل، الموسوعة العربية للمجتمع المدني، مرجع سبق ذكره ، ص 54.
5- العياشي عنصر، ما هو مفهوم المجتمع المدني – الجزائر نموذجا، إنسانيات،العدد31، جانفي،2001، وهران، ص 79.
6- غسان منير حمزة سنو، علي أحمد الطراح، العولمة والدولة، الوطن والمجتمع العالمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص ص 195- 197.
7- محمد الغيلاني، محنة المجتمع المدني، مرجع سبق ذكره، ص 43.

ثالثا- خصائص مؤسسات المجتمع المدني:

هناك أربع معايير يمكن من خلالها دراسة خصائص المجتمع المدني.

التكيف: ويعني قدرة المؤسسة على التكيف مع التطورات في البيئة التي تعمل من خلالها، إذ كلما كانت المؤسسة قادرة على التكيف كانت أكثر فاعلية لأن الجمود يؤدي إلى تضاؤل أهميتها، وربما القضاء عليها[1].

وثمة أنواع للتكيف هي:

التكيف الزمني: ويقصد به القدرة على الاستمرار لفترة طويلة من الزمن، إذ كلما طال وجود المؤسسة ازدادت درجة مؤسسيتها.

التكيف الجيلي: وهو قدرة المؤسسة على الاستمرار مع تعاقب أجيال من الزعماء على قيادتها، فكلما ازدادت درجة تغلب المؤسسة على مشكلة الخلافة سلميا وإبدال مجموعة القادة بمجموعة أخرى، ازدادت درجة مؤسسيتها.

التكيف الوظيفي: ويقصد به قدرة المؤسسة على إجراء تعديلات في أنشطتها للتكيف مع الظروف المستجدة، بما يبعدها عن أن تكون مجرد أداة لتحقيق أغراض معينة[2].

الاستقلال:

إن الاستقلالية تكون في نشأتها أو تمويلها أو إدارتها وقدرتها على التكيف، وتتحدد بداخلها المستويات الرأسية والأفقية سوء من حيث هيئتها التنظيمية أو من حيث انتشارها الجغرافي والجماهيري[3].

ويؤكد " حسين توفيق إبراهيم " أن درجة الاستقلالية تتحدد من خلال الاستعمال المالي والإداري والتنظيمي، علاوة على الاعتراف الضمني، وهي تعبر عن قدرة الأفراد على تنظيم شؤونهم وتدبير نشاطاتهم والتعبير عن مصالحهم ورغباتهم بعيدا عن التوجه والتدخل المباشر والدائم للدولة ومؤسساتها، فهو يعني تحقيق الاستقرار السياسي[4].

1- أحمد شكري الصبيحي، أحمد شكري الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2010.، ص 32.

2- محمد إبراهيم خيري الوكيل، المرجع السابق، ص ص 30-31.

3- منيرة صوالحية، المجتمع المدني والقوى السياسية في الجزائر: البنية والأهداف، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 19، ديسمبر 2008، باتنة ، ص ص 199- 200.

4- عبد الخالق عبد الله، طه حسين حسن، راشد محمد راشد، المجتمع المدني في الإمارات العربية المتحدة،جمعية الاجتماعيين، ط1، 2005، ص 13.

كما تتضمن مجموع من القيم التي تلتزم بها سواء في إدارة العلاقات فيما بينها أو في إدارة علاقتها مع الدولة، ومنها قيم التسامح السياسي والفكري والقبول بالتعدد والاختلاف في الفكر والرؤى والمصالح[1].

التعقد:

يقصد بذلك تعدد المستويات الرأسية والأفقية داخل المؤسسة، بمعنى تعدد هيئتها التنظيمية من ناحية، ووجود مستويات تراتبية داخلها، وانتشارها الجغرافي على أوسع نطاق ممكن داخل المجتمع الذي تمارس نشاطها من خلاله من الناحية الأخرى، وكلما ازدادت عدد الوحدات الفرعية وتنوعها ازدادت المؤسسة وقدرتها على ضمان ولاءات أعضائها والحفاظ عليها[2].

التجانس:

ويقصد به عدم وجود صراعات داخل المؤسسة تؤثر في ممارستها لنشاطها، والعكس كلما كان الصراع شخصي وكانت طريقة حله عنيفة كان هذا دليلا على تخلف المؤسسة، وتجانس المؤسسة لا يعني تحولها إلى تشكيل صلب لا تباين فيه، فمثل هذا تشكيل ميت، وأهمية المجتمع المدني بتناقضاته وتعدديته، حيث تكون دينامية الإبداع والخلق والتغيير في المجتمعات، وهذا يعني أن المجتمع المدني لا يتسم بالضرورة بالتجانس، بل قد يكون ساحة للتنافس والاختلاف بين القوى والجماعات[3].

الشكل رقم (1): : يبين خصائص المجتمع المدني

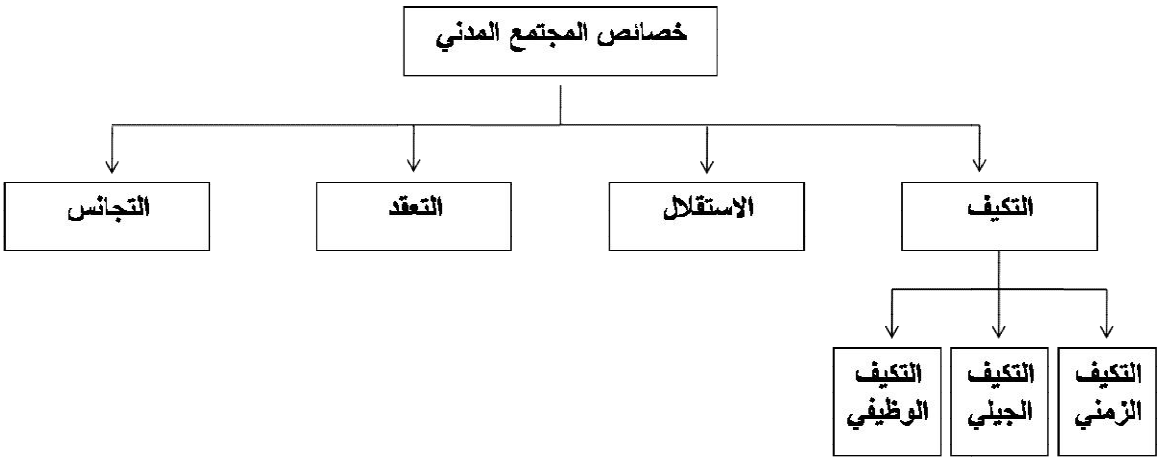

المصدر: إعداد الباحثين

[1]- حسين توفيق إبراهيم، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006، ص 154.
[2]- أحمد شكري الصبيحي، المرجع السابق، ص 35.
[3]- محمد إبراهيم خيري الوكيل، المرجع السابق، ص ص 32- 36.

رابعا- وظائف مؤسسات المجتمع المدني:

هناك خمس وظائف أساسية تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني وهي:

حسم وحل الصراعات: بوسائل ودية دون اللجوء إلى الدولة وأجهزتها البيروقراطية، فتسهم بذلك في توطيد وتقوية أساس التضامن الجماعي.

إفراز القيادات الجديدة: حيث تعتبر المخزن الذي لا ينضب بالقيادات الجديدة، ومصدرا متجددا لإمداد المجتمع بها.

إشاعة ثقافة مدنية متطورة: هذه الثقافة التي ترسم وترسي في المجتمع احترام قيم النزوع للعمل التطوعي، والعمل الجماعي، وقبول الاختلاف والتنوع.

وعلى العموم فوظيفة المجتمع المدني هي وظيفة إدارية شاملة للمجتمع كله، وليس بالضرورة أن يكون هناك عداء أو تناقض بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني[1].

قدرة مؤسسات المجتمع المدني على تقديم الخدمات: بتكلفة منخفضة وذلك من خلال تعبئة الطاقات مستفيد من صغر حجمها والتحرر نسبيا من القيود عن الأجهزة الحكومية.

القدرة على ملء: الفجوة الموجودة بين القطاع الخاص والحكومي بالبدء بأنشطة تنموية صغيرة الحجم.

المرونة الإدارية: لهذه المؤسسات وقدرتها على حث الأفراد على المشارك وتقديم الدعم والمساعدات للأفراد المحتاجين.

أن العمل التطوعي: الذي يقوم عليه نشاط هذه المؤسسات منخفض التكلفة.

القدرة على الوصول: للفقراء وباقي الفئات المهمشة في المجتمع بما يصعب على الأجهزة الحكومية البيروقراطية تحقيقه[2].

خامسا- معوقات قيام مجتمع مدني:

لقد أفرز الواقع الاجتماعي والسياسي المعيش في السنوات الأخيرة بعض العقبات والممارسات التالية:

الاحتواء المزدوج للمجتمع المدني: من طرف السلطة والمعارضة بشكل غير مسبوق، فبدلا من أن يكون المجتمع المدني أداة للتحول والتنمية، أصبح عقبة أمامه.

ضعف المجتمع المدني: وعدم قدرته على شغل الساحة السياسية وتقديم برامج مشاريع بديلة، وهو لا ينشط إلا في دوائر صغيرة وفي مناسبات محدودة كالعملية الانتخابية.

---

[1]- منيرة صوالحية، المرجع السابق، ص ص 199-200.

[2]- أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمعات المحلية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005، ص 46.

تهميش المجتمع المدني من طرف الإدارة على جميع المستويات: وبما لهذا التهميش مبرراته والمتمثلة أساسا في ضعفه وعدم قدرته على تسيير شؤون المواطنين مما أضر كثيرا بعملية المشاركة في التنمية الحضرية[1].

عدم وضوح وشفافية إجراءات الدعم المالي وتعقدها: هذه التعقيدات والسلطات التقديرية الواسعة التي تتمتع بها الإدارة في تحديد المستفيدين من الإعانات المالية الموجهة للمجتمع المدني[2].

هيمنة الأجهزة البيروقراطية على عمل المجتمع المدني: وسجنه في إطار إستراتيجيات كثيرا ما تكون محدودة لاسيما عندما لا يتم احترام ضوابط العمل الجمعوي وخلطه مع العمل السياسي[3].

غياب الخبرة العملية: وعدم وجود كوادر متخصصة أو مدربة، وبشكل عام الافتقار إلى المهارات والدراسة والخبرة[4].

سادسا – الاتجاهات النظرية لدور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الحضرية:

هناك العديد من المداخل النظرية التي تفسر لنا طبيعة دور مؤسسات المجتمع المدني باعتبارها تمثل الشريك في أي عملية تنموية، هذه المداخل هي أهم النظريات المطروحة على الساحة، فهي تهتم بدور القطاع الثالث.

نظرية إخفاق الحكومة وإخفاق السوق:

تعد من النظريات المهمة ونقطة البداية فيها المحددات والنواقص التي برزت في النظرية الاقتصادية الكلاسيكية. إن الإخفاق الاقتصادي في إشباع الاحتياجات المتنوعة عن القدرة الشرائية يقابله أحيانا إخفاق الحكومة في إشباع هذه الاحتياجات، وهذا الإخفاق تتزايد احتمالاته في المجتمعات المتنوعة غير المتجانسة. في هذه الظروف يبرز دور القطاع الثالث أو القطاع الغير الربحي، حيث يتوجه نحو إشباع الاحتياجات المتنوعة غير المتجانسة التي أخفق أمامها السوق والحكومة[5].

– إن تزايد إنفاق الدولة على السياسات الاجتماعية إنما يؤدي إلى تراجع دور مؤسسات المجتمع المدني.

---

[1]- صالح فيلالي، المجتمع المدني والممارسة الديمقراطية في الجزائر، الشهاب الجديد، جامعة منتوري، قسنطينة، المجلد الثامن، العدد 8، 17 أفريل 2009، ص ص36- 38.

[2]- وناس يحي، المجتمع المدني وحماية البيئة (دور الجمعيات والمنظمات غير الحكومية والنقابات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004، ص 260.

[3]- صالح زياني، موقع مؤسسات المجتمع المدني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، جوان 2002، باتنة، ص 265.

[4]- عبد الحسين شعبان، المجتمع المدني نواقد وألغام المجتمع المدني –الوجه الآخر للسياسة، 2011، ص 154.

[5]- أماني قنديل، المجتمع المدني في مصر مطلع الألفية الجديدة، مرجع سبق ذكره، ص 108.

– إن تمويل مؤسسات المجتمع المدني يأتي من المساعدات الخيرية التي يقدمها بعض أفراد المجتمع الغير القادرين[1].

نقد وتقييم:

تركز على الطلب غير المشبع تقابله تدخل من طرف مؤسسات المجتمع المدني، ذلك عدم توفر الحاجيات في السوق يستدعي تدخل الحكومة (الدولة) لإشباعه فإذا أخفقت الحكومة يأتي هنا تدخل القطاع الثالث لسد هذا النقص والعجز ويكون تدخل مؤسسات المجتمع المدني إلا في الحالات النادرة جدا، من جهة، ومن جهة أخرى تدخله متوقف على الهبات المقدمة لها، هذه الأخيرة هي التي تسمح بتدخله أو عدم تدخله.

نظرية جانب التوفير والامتداد:

لتوفير نمو وتطور مؤسسات المجتمع المدني، تضع هذه النظرية إضافة إلى الطلب غير المشبع من قبل الحكومة والسوق شرط ثان يتمثل في ضرورة وجود مبدعين اجتماعيين لديهم حافز لتأسيس منظمات تتكفل بتحقيق الطلب غير المشبع، فظهور هؤلاء لا يتعلق بعوامل عدة مثل المنافسة الدينية والتنوع، وعليه فإن عوامل زيادة وتطور مؤسسات المجتمع المدني حسب هذه النظرية يعود إلى المنافسة الدينية والعرقية[2].وينعكس ذلك أساسا على الصحة والتعليم، إن هذه النظرية تقودنا إلى أن نتوقع أكبر نمو وتطور في مؤسسات المجتمع المدني[3].

نقد وتقييم:

تؤكد على ضرورة وجود فاعلين آخرين ذوي خبرة وكفاءة يساهمون بإتخاد مؤسسات قادرة على تغطية الحاجات التي لم تعرفها الدولة، أو تركتها لعدم أهميتها أو لانشغالاتها حول مسائل أكثر أهمية، (القطاعات الثانوية) يأتي دور القطاع الغير ربحي لمؤسسات المجتمع المدني تكملي أو إلحاقي، مما يسمح باتساع نشاطها مستقبلا.

---

[1]- عبد الرزاق جلبي، هاني خميس أحمد عيد، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية، مصر، 2008 ، ص 38.

[2]- عواطف عطيل لموالدي، مقاربة سوسيولوجية حول مفهوم المجتمع المدني وعوامل تكوينه، مجلة الشهاب الجديد، عدد 08، أفريل 2009، قسنطينة ص 56.

[3]- أماني قنديل، المرجع السابق، ص 109.

نظرية دولة الرفاهية:

تهتم بدور مؤسسات المجتمع المدني في السياسات العامة على افتراض أن التوسع في دولة الرفاهية (زيادة حجم ونوعية الإنفاق على السياسات الاجتماعية وشبكات الأمان الاجتماعي) يقلل من إشباع القطاع الثالث لأنه تحل محله.

إن نظرية دولة الرفاهية التقليدية تقود لأن نتوقع أن ارتفاع مستوى التنمية الاقتصادية يؤدي إلى إشباع مخصصات الدولة إزاء سياسات الرفاهية خاصة في الخدمات، وهو ما يؤدي التأثير سلبا على حجم نمو مؤسسات المجتمع المدني[1].

إن هذه النظرية تؤكد وجود علاقات تنافس بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، وأن البقاء يكون للطرف المسيطر.

نقد وتقييم:

يبدو أن انسحاب الدولة في مجالات الإنفاق الاجتماعي يقابله تدخل مؤسسات المجتمع المدني لسد هذا الفراغ عن طريق إنشاء مشروعات صغيرة من دون أن تمارس ضغطا أساسيا في صياغة ورسم السياسات،فالدور هنا يكون ثانويا، لان الدولة هناك لديها من الإمكانات ما يؤهلها للقيام بتغطية كل البرامج التنموية.

نظرية الاعتماد المتبادل:

تطرح هذه النظرية رؤية مختلفة بعلاقة مؤسسات المجتمع المدني بالدولة، فإذا كانت النظرية السابقة تفرض أن العلاقة بين الدولة والقطاع الثالث علاقة صراع، وأن هذا القطاع نتاج لقصور الدولة وعدم قدرتها على إشباع حاجات أفرادها، إلا أن هذه النظرية ترى أن إخفاق الحكومة والسوق ربما يجعلنا نتوقع علاقات تعاون أو شراكة في مواجهة المشكلات المجتمعية وإشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع، ومن ثم فإن النظرية هذه تفترض أن تزايد إخفاق الحكومة على سياسات الرفاهية يؤدي إلى اتساع مؤسسات المجتمع المدني من خلال عقود شراكة[2].

نقد وتقييم:

تنادي هذه النظرية بتكامل الادوار بين الطرفين (الدولة، القطاع الثالث) فتساند كل منها يكمل الاخر دون وجود لاثار الفراغ بينها فعجز الدولة من جهة، والرغبة لمساندتها من قبل مؤسسات المجتمع المدني

---

[1]-أماني قنديل، المرجع نفسه، ص ص 109-11.

[2]- علي عبد الرزاق جلبي، هاني خميس أحمد عيد، علم اجتماع التنمية، مرجع سبق ذكره، ص 42.

تجعلنا نتوقع تعاون وشراكة بينها، وهذا ماتسعى إليه هذه المؤسسات من أجل حصولها على التمويل من طرف الدولة.

نظرية الأعمدة المتوازنة:

وتتناسب هذه النظرية مع إيديولوجية وموارد وإمكانيات المجتمعات النامية التي لا تستطيع مواردها أن توفر لأفراد المجتمع إلا الحد الأدنى من متطلبات السكان، وتقوم معطياتها على أساس اقتسام البرامج التنموية بين القطاع الحكومي والمدني، وبحيث تصبح الدولة مسؤولة عن المجالات ذات الأهمية (في ضوء إمكانياتها) والتي يمكن أن تشركها مؤسسات المجتمع المدني لكي يطرقها أو يبتعد عنها مثل: التعلم والصحة والضمان الاجتماعي والتأمينات، بينما يجيء دور القطاع غير الربحي ليعمل في المجالات الأخرى التي لم تطرقها الدولة كتنظيم الأسرة أو رعاية الطفولة والتأهيل المهني ورعاية الأحداث ويسير دور الدولة بموازاة القطاع غير الربحي (التطوعي) دون أن يكون هناك فرصة للعمل سويا.

نقد وتقييم:

نعتمد هذه النظرية على امكانيات الدولة، لذاك يكون تدخلها من خلال إهتمامها بالبرامج التنموية الضخمة والتي تفوق القدرات المالية والمادية لمؤسسات المدني اما برامج الرعاية الاخرى فتقدمها الدولة إلى القطاع الثالث بهدف تحقيق الأعباء عليها،لكن الدولة تبقى كملاحظ ومراقب من بعيد.

نظرية امتداد السلم:

وتتفق هذه النظرية وإيديولوجية وموارد وإمكانيات بعض الدول ذات الوفرة في الموارد، بحيث يصبح دور الدولة العمل على التغطية القصوى للخدمة وتغطية كافة المجالات بما فيها الحضرية في المجتمع، وبحيث لا يكون هناك مجالا لعمل مؤسسات المجتمع المدني إلا فيما يختص بتنبيه الدولة إلى البرامج الجديدة والمطالب التي يجب على الدولة أن توليها اهتماما، ويأتي دور مؤسسات المجتمع المدني ليبدأ من حيث ينتهي دور الدولة[1].

وتسعى مؤسسات المجتمع المدني إلى العمل في نفس المجالات التي تعمل فيها الدولة، بهدف رفع مستوى الأداء أو زيادة معدل الخدمات الموجهة إلى المجتمع؛ أي أن العلاقة بين القطاع الحكومي والمدني علاقة رأسية تراكمية، دور الدولة في البداية يستكمل بدور مؤسسات المجتمع المدني، وتسمح هذه النظرية بوجود تنافس بين القطاع الحكومي والقطاع الثالث غير الربحي لما فيه الخير بالنسبة للمجتمع.

[1]- أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمعات المحلية – الاتجاهات المعاصرة -، مرجع سبق ذكره، ص ص 269-270.

فالمسألة نسبية ترجع إلى ظروف المجتمع وإمكانياته وليس نتيجة لإنكار أي مجتمع لحقوق أفراده، ولكن النسبية في النظرة وليدة تأثر الجانب الاجتماعي بالجوانب الاقتصادية والثقافية[1].

نقد وتقييم:

ان دور مؤسسات المجتمع المدني مكتبه إلى وجود برامج ومطالب جديدة وتقوم الدولة بتلبيتها وتغطيتها، أي توفير كل الخدمات والمجالات التنموية، ذلك إن الدولة لديها من الامكانيات والموارد ما يؤهلها لتلعب دور فعال لتقديم مختلف الخدمات وفي جميع القطاعات، ودور القطاع الثالث هو التأييد والمساند لكافة البرامج المقدمة من طرف الدولة،وإذا حدث العكس، فسيتم أبعاده.

نظرية الثقة:

وتنبع من إخفاق القطاع الخاص وعدم توفر الثقة لدى العملاء في نوعية السلع والخدمات المقدمة منه خاصة.

إن هذه النظرية تفترض أن مجال أو دائرة القطاع تتجدد وتتنوع وفقا لدرجة الثقة في القطاع الخاص، يشير ذلك التوقع إلى أن أكبر مصدر لتمويل مؤسسات المجتمع المدني هو مقابل السلع والخدمات.

نقد وتقييم:

إن النظريات السابقة كل منها لها القدرة والكفاءة على أن تحدد ونفسر لنا دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية بصفة عامة والتنمية الحضرية خصوصا، كما تفسر لنا العناصر المسؤولة والآليات عن نمو وتطور هذا الدور بأبعاده المختلفة، ولكن فهم وانسحاب هذه النظريات في بعض الدول يستلزم قراءة نقدية ووقفة وبعض التفضيل لفهم هذا الدور الذي أصبح أكثر من ضرورة.

الشكل رقم (2): يبين النظريات المفسرة للمجتمع المدني

[1]- أحمد مصطفى خاطر، المرجع السابق، ص ص 270-271.

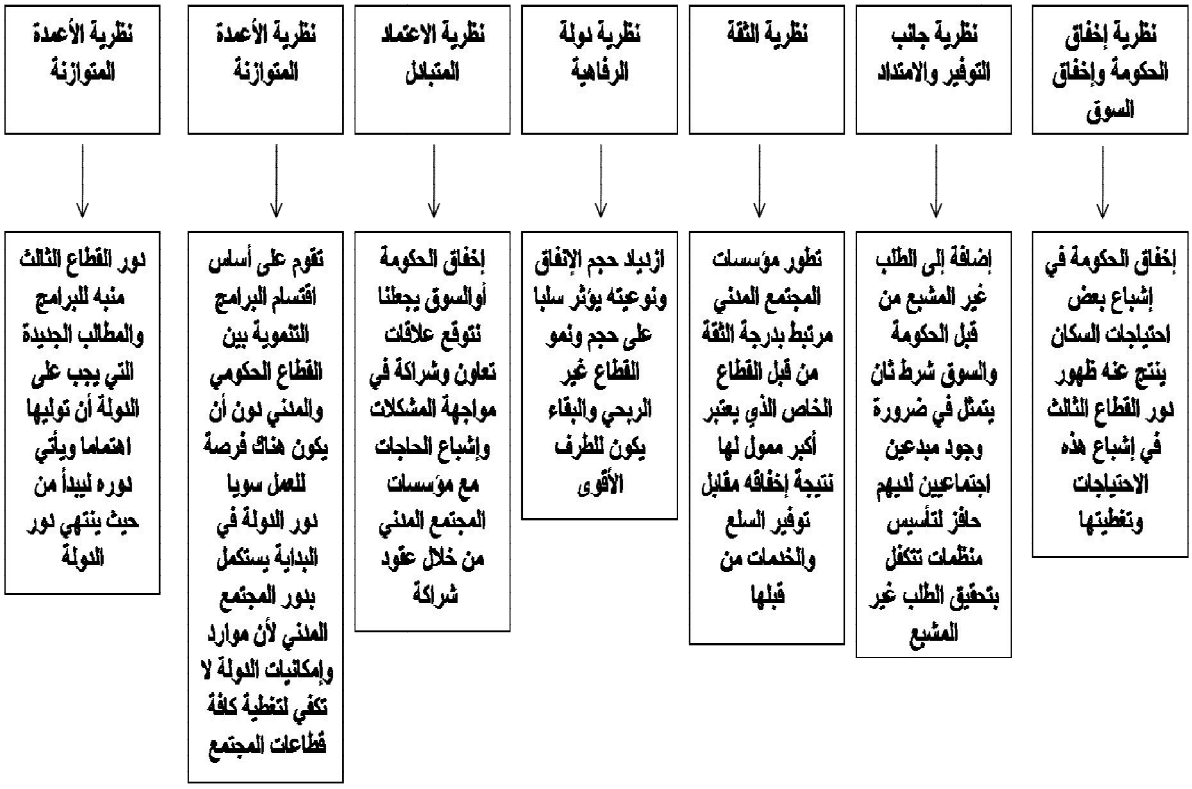

المصدر: إعداد الباحثين

خاتمة:

إن جذور المجتمع المدني موجود وبكثافة في عمق المجتمع المدني العربي الإسلامي والتجارب والممارسات والفاعليات التاريخية تؤكد ذلك، ، فهو مركز الثقل في المجتمع الإسلامي. كما أن ميلاد المجتمع المدني ونشأته وتطوره في العالم الغربي مرتبط بالدول الحديثة، فهما وجهان لعملة واحدة، من خلال هذا الطرح لتطور هذا المفهوم، التي قدمه عدد من المفكرين والفلاسفة حيث تبرز سياقات مختلفة ومتعددة، وتبرز أيضا احتياجات متجددة، وتدفع بالمجتمع المدني على الساحة في لحظات زمنية مختلفة

كما أن الحالة التي تعيشها مؤسسات المجتمع المدني العربي تتسم بطابع المرحلية، إذ تتوارى بعضها بعد فترة قصيرة من تأسيسها مما يحتم عليها أن تعيد بناء أسسها لتصبح راسخة تضمن لها الاستمرار،

من جهة أخرى ارتبط ميلاد المجتمع المدني الجزائري بتطور النظام السياسي من فترة الأحادية إلى فترة التعددية الحزبية .

فأسباب التحول الديمقراطي في الجزائر هي المؤسسة لبنية مؤسسات المجتمع المدني الجزائري وهو ما يفرض إشكالا ممارساتي ذو بعد اجتماعي تواجده وهو اللاتجانس التركيبي للمجتمع المدني في الجزائر، ما يطرح تساؤلات عن مدى شرعيته.إن الطبيعة التسلطية التي ميزت الحكم في الجزائر طوال

تاريخها منذ الاستعمار إلى غاية الاستقلال تكشف على أن المجتمع الجزائري عرف المجتمع المدني، فكان الأفراد يعتمدون عليها في الحفاظ على هويتهم خوفا من فقدانها من قبل الاستعمار من جهة. والوفاء بكثير من احتياجاتهم الأساسية من خلال التعامل المباشر مع السلطة السياسية بعد الإستقلال من جهة ثانية.

قائمة المراجع:

1- محمد إبراهيم خيري الوكيل، دور القضاء الإداري والدستوري في إرساء مؤسسات المجتمع المدني، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، ط1، 2010.

2- المصطفى بن خليفة عربوش، مقومات التنمية بالمغرب، مطبعة النجاح الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007

3- فالح عبد الجبار، الدولة والمجتمع المدني –التحول الديمقراطي في العراق، دار الأمين للنشر والتوزيع، 1995.

4- رجب بودبوز، محنة المجتمع المدني، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،طرابلس، ليبيا،2008

5- أماني قنديل، الموسوعة العربية للمجتمع المدني ، الهيئة العربية العامة للكتاب، القاهرة، .2008

6- العياشي عنصر، ما هو مفهوم المجتمع المدني – الجزائر نموذجا، إنسانيات،العدد31، وهران، جانفي،2001.

7- غسان منير حمزة سنو، علي أحمد الطراح، العولمة والدولة، الوطن والمجتمع العالمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

8- محمد الغيلاني، محنة المجتمع المدني،.– مفارقات الوظيفة ورهانات الاستقلالية –، دفاتر وجهة نظر، الرباط، المغرب، 2005.

9- أحمد شكري الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، .2010

10- منيرة صوالحية، المجتمع المدني والقوى السياسية في الجزائر: البنية والأهداف، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 19، ديسمبر 2008، باتنة

11- عبد الخالق عبد الله، طه حسين حسن، راشد محمد راشد، المجتمع المدني في الإمارات العربية المتحدة،جمعية الاجتماعيين، ط1، 2005.

12- حسين توفيق إبراهيم، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006.

13- أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمعات المحلية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005

14- صالح فيلالي، المجتمع المدني والممارسة الديمقراطية في الجزائر، الشهاب الجديد، جامعة منتوري، قسنطينة، المجلد الثامن، العدد 8، 17 أفريل 2009.

15- وناس يحي، المجتمع المدني وحماية البيئة (دور الجمعيات والمنظمات غير الحكومية والنقابات)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2004.

16- صالح زياني، موقع مؤسسات المجتمع المدني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، جوان 2002، باتنة،.

17- عبد الحسين شعبان، المجتمع المدني نواقد وألغام المجتمع المدني –الوجه الآخر للسياسة، 2011،

18- عبد الخالق عبد الله، طه حسين حسن، راشد محمد راشد، المجتمع المدني في الإمارات العربية المتحدة،جمعية الاجتماعيين، ط1، 2005.

19- حسين توفيق إبراهيم، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006.

20- أماني قنديل، المجتمع المدني في مصر مطلع الألفية الجديدة، مطبوعات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2000.

21- عبد الرزاق جلبي، هاني خميس أحمد عيد، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية، مصر، 2008 .

22- عواطف عطيل لموالدي، مقاربة سوسيولوجية حول مفهوم المجتمع المدني وعوامل تكوينه، مجلة الشهاب الجديد، عدد 08، أفريل 2009، قسنطينة.

دور الإعلام الرقمي الجديد في تعزيز الثقافة الشعبية رؤية إستراتيجية.

د/ عبد الحكيم خليل سيد أحمد ـ معهد العالي للفنون الشعبية ـ أكاديمية الفنون ـ مصر .

الملخص:

يمثل الإعلام الرقمي الجديد أحد أهم الوسائل التكنولوجية الحديثة الداعمة للثقافة الشعبية التي تشكل الهوية الثقافية لأي مجتمع، والاستثمار الحقيقي في عالم اليوم لابد أن يكون عبر وسائل الإعلام الرقمي الجديد وأهمها انتشارًا شبكات التواصل الاجتماعي المميزة، والتي يمكن الاستفادة منها في نشر ودعم وتعزيز الثقافة الشعبية وترسيخها وتوجيه سلوكيات الأفراد وبناء المفاهيم والاتجاهات ونشر الوعي المجتمعي تجاه الثقافة الشعبية وقضاياها مما له صلة بحياة الأفراد والجماعات الشعبية والأمم.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الرقمي . الثقافة . الشعبية

Summary:

The new digital media represents one of the most modern technological means supporting the popular culture that constitutes the cultural identity of any society. The real investment in today's world must be through the new digital media, the most important of which are the social networks that can be used to spread, support and promote popular culture. Directing the behavior of individuals, building concepts and trends, and spreading community awareness towards popular culture and its issues, which is relevant to the lives of individuals, popular groups and nations.

Keywords: Digital Media – Popular – Culture

مقدمة:

يمثل الإعلام الرقمي الجديد أحد أهم الوسائل التكنولوجية الحديثة الداعمة للثقافة الشعبية التي تشكل الهوية الثقافية لأي مجتمع، والاستثمار الحقيقي في عالم اليوم لابد أن يكون عبر وسائل الإعلام الرقمي الجديد وأهمها انتشارًا شبكات التواصل الاجتماعي المميزة، والتي يمكن الاستفادة منها في نشر ودعم الثقافة الشعبية من خلال التحكم في اتجاهاتها وحركتها والتي هي رهن بالمعرفة والقدرة والإمكانيات، بل ورهن بقرار الوجود ضمن حركة تكنولوجيا العصر التي باتت تعيد تشكيل الثقافات والهويات . الرقمية . الجديدة في ظل ثقافة غربية مهيمنة، والتي تعزز مزيجًا من السمات والتفاعلات والتمظهرات الفردية والجماعية في فضاء سايبيري، لا حد له ولا قيد عليه.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي: ما دور وسائل الإعلام الرقمي الجديد في تعزيز الثقافة الشعبية؟، حيث إن وسائل الإعلام الرقمي الجديد تعتبر من الوسائل المؤثرة في التعريف بالثقافة الشعبية وحفظها وصونها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في فهم طبيعة دور وسائل الإعلام الرقمي الجديد في تعزيز الثقافة الشعبية وجودًا وانتشارًا حفظًا وصونًا على المستوى المجتمعي والعالمي. ويتلخص أبرزها فيما يلي:

1. **الأهمية العلمية (علي مستوي الفكر)**: وتتحصر في:

أ. تحليل واقع الإعلام الرقمي الجديد ووسائله في ضوء التغيرات التي يشهدها المجتمع المصري ورصد الدور الذي يلعبه في تشكيل الوعي الاجتماعي بأهمية الثقافة الشعبية بعناصرها المختلفة ودورها في المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع.

ب . فهم طبيعة دور الاعلام الرقمي الجديد ووسائله على الثقافة الشعبية تأثيرًا وتأثرًا.

2. **الأهمية العملية (علي مستوى الواقع)**: وتتضح في:

أ . مساهمة شبكات التواصل الاجتماعي، في إعلاء قيم الثقافة الشعبية، وهي القيم التي ينطلق منها أي مشروع تنموي ثقافي.

ب . نشر مفردات الثقافة الشعبية المتضمنة في أساليب السرد المتعددة والتي تعد هي المؤثر الأول في شخصية المتلقي عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.

ج . تمثل شبكات التواصل الاجتماعي إعلامًا بديلاً لنشر ودعم وتعزيز الثقافة الشعبية؛ بوصفها أساليب جديدة لنقل عناصر الثقافة الشعبية للآخرين للاطلاع عليها ومحاكاتها، بما يولد أفكارًا وأساليب لها أهميتها، ويسهل عملية التعارف الفكري بين المجتمعات مختلفة الطباع.

د . التأصيل لإعادة إنتاج عناصر الثقافة الشعبية من خلال وسائل الإعلام الجديد في محاولة للحفاظ على المأثورات الشعبية وجعلها تتناسب مع تطور العصر.

هـ التأكيد على أهمية الوصول إلى استراتيجية واضحة لتحقيق الهدف الأساسي وهو تفعيل دور وسائل الاعلام الرقمي الجديد في تعزيز الثقافة الشعبية داخل وخارج المجتمع.

من خلال الاستغلال الرشيد للإمكانات الحاضرة؛ من أجل إمكانية الوصول إلى سياسة خاصة بالإعلام الرقمي الجديد ووسائله بهدف العمل على تنمية الفرد، والمجتمع، تعمل على صقل وعيه تجاه قضاياه الأساسية التي تشكل مجمل ثقافته الشعبية المعبرة عن هويته الثقافية والمجتمعية.

و. حاجة المجتمع المصري خاصة والمجتمع العربي والاسلامي بوجه عام لمثل هذه النوعية من الدراسات.

ز . الكشف عن الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تشكيل القيم والعادات والمعتقدات والأعراف الشعبية، مما يساعد القائمين على وضع السياسات، أو الأخذ بعين الاعتبار نتائج الدراسة.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تضطلع به وسائل الإعلام الرقمي في تعزيز الثقافة الشعبية، وتوعية أفراد المجتمع بالتحديات الثقافية التي يواجهها التراث المعبر عن الهوية الثقافية والمجتمعية وسبل تلافيها. وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الأنسب لمثل هذا النوع من الدراسات البحثية.

الدراسات السابقة:

بالرغم من حداثة وسائل الإعلام الجديدة، إلاَّ أن العديد من الأبحاث أولت اهتمامًا كبيرًا بها، وقد حاولنا في هذه الدراسة التركيز على الدراسات المرتبطة بالتعرض لوسائل الإعلام الجديدة وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي التي لها علاقة بالثقافة الشعبية.

أ. دراسة الباحثة أميرة مصطفى أحمد البطريق2011م: حول العلاقة بين التعرض للمواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت، وإدراك الشباب الجامعي للهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، دراسة على موقع الفيس بوك:

حيث هدفت الدراسة إلى استقراء واقع مدى انتشار الإنترنت بين الشباب، وما هي المشكلات الاجتماعية والثقافية المتأتية من ذلك، كما يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند التيارات المعادية التي تستهدف الشباب العربي في القرن الحادي والعشرين، والتعرف على مدى تأثر قيم الشباب وسلوكهم وشخصياتهم بهذه التيارات. وطبقت الدراسة الميدانية على عينة عمدية، بلغ حجمها 150 مفردة، موزعة بالتساوي على محافظتي الشرقية والقاهرة، من الشباب أعمارهم من 18/21 سنة.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- الإقبال المتزايد من المبحوثين أفراد العينة ذكورًا وإناثًا، وبمحافظتي الشرقية والقاهرة على السواء، للتعرض بصورة دائمة للمواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت، وبخاصة موقع الفيس بوك، وإن كان هناك فارق فهو لصالح مبحوثي محافظة القاهرة.
- من أبرز سلبيات المواقع الاجتماعية تدعيم العزلة الاجتماعية لدى المواطن العربي، لجلوسه على هذا الموقع لفترات كبيرة نسبيًا، بما لا يتيح له الاختلاط مع الآخرين، واستيراد العديد من المشاكل الاجتماعية الأجنبية غير المتعارف عليها في المجتمع العربي، مثل التفكك الأسري، وإحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية لكي تتماشى مع الثقافة العالمية السائدة، كنوع من الثقافة العالية، وإثبات الذات، حتى وإن كانت هذه المواقع تتيح الحديث والتعليق عليها باللغة العربية، إلاَّ أن الكتابة باللغات الأجنبية تشعرهم بالفخر وتفخم الذات والعلو على الآخر.
- كما تتحدد أبرز سلبيات هذا الموقع أيضًا في فتح المجال للتعرف . الذي يخرج عن حدود الاحترام والصداقة بين الشباب والفتيات التي يمكن أن تتطور فيما بعد لعلاقات محترمة بين الشباب والفتيات، وليس أدل على ذلك من ارتفاع ظاهرة الزواج السري أو العرفي، وتداعياته الخطيرة على المجتمع المصري، التي قد تؤدي إلى تحطيم منظومة القيم العربية المستمدة من ديننا الحنيف، وحضارتنا العربية الأصيلة.

ب . دراسة الباحثين "الطاهات والدبيسي" 2011م: حول دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي:

حيث خلصت هذه الدراسة إلى أن وسائل الاتصال الرقمي قامت بضمان حرية التعبير لمختلف أشكال الممارسة الفنية والثقافية والاجتماعية والدينية والفلسفية، وبالتالي فهي ضمان الحق في التنوع الثقافي، تمامًا كما هو الشأن فيما يتعلق بإسناد الممارسات الثقافية التي من شأنها إبراز وتوسيع مجال الهويات الثقافية، وانفتاحها على سواها من هويات، وقد ساهمت الثورة الرقمية وإنجازها الأعظم شبكة الإنترنت ووسائل الإعلام الإلكتروني، في تفعيل الممارسات الثقافية الكفيلة بحماية التنوع، عبر تجميع المخزون الثقافي والعمل على ترويجه على نطاق واسع، وتعزيز قيم التنوع الثقافي باعتبارها قضية أساسية لتقوية المجتمع، وتثبيت بنائه الاجتماعي.

ج . دراسة الباحث أحمد سمير عبدالهادي حسن 2014م: حول استخدام الشباب المصري للمواقع الإلكترونية وعلاقته بتبني أنماط ثقافية غربية:

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين استخدام عينة من الشباب الجامعي المصري للمواقع الإلكترونية، وتبنيهم أنماط ثقافية غربية.

واستخدمت الدراسة منهج المسح بالعينة بشقيه التحليلي والميداني، لتصل إلى أهم النتائج الآتية:

- ❖ جاء الفيس بوك في مقدمة مواقع التواصل الاجتماعي التي يفضلها أغلبية المبحوثين، والتي تستعمله لفترات طويلة من اليوم، وأن لهذا الموقع تأثير على أنماطهم الثقافية؛ حيث جاءت اللغة في مقدمة ترتيب هذه الأنماط، التي يرى المبحوثون أنها تؤثر في الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي، ثم السلوك، ثم العادات والتقاليد، وأخيرًا البرامج الترفيهية.
- ❖ نسبة كبيرة من المبحوثين 59.8% ترى أن لمواقع التواصل الاجتماعي تأثير على عادات وتقاليد وسلوكيات الشباب المصري إلى حدٍ كبير.

- **سبل الاستفادة من الدراسات السابقة:**

على ضوء عرضنا للدراسات السابقة المتعلقة بتأثيرات شبكات التواصل الاجتماعي على بعض معالم الهوية الثقافية للشباب الجامعي المصري، يمكن لدراستنا أن تستفيد من المنهجيات المختلفة التي تناولت بها هذه الدراسات العلاقة بين مواقع التواصل الاجتماعي والثقافة الشعبية، لاسيما أنها تناولت وسائل الإعلام الجديد ممثلاً في مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك يمكن الاستفادة من النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات في مزيد من التعرف على الأبعاد المختلفة لمفهوم الشبكات الاجتماعية، ومفهوم الهوية الثقافية وغيرها من المفاهيم التي تتناولها الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

1. الإعلام الرقمي الجديد:

الإعلام الجديد وتطورات التقنية (الحاسب الإلكتروني والأقمار الصناعية والألياف الضوئية) أوجدت ما يعرف بالإعلام الجديد New Media أو الرقمي Digital Media والذي يعرَّف بأنه: (مصطلح يضم تقنيات الاتصال والمعلومات الرقمية التي جعلت من الممكن إنتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات التي نريدها في الوقت الذي نريده وبالشكل الذي نريده، من خلال الأجهزة الإلكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالإنترنت، والتفاعل مع المستخدمين الآخرين كائنًا من كانوا وأينما كانوا)[1].

1 على محمد شمو، الاتصال: الأساسيات والمهارات، ع.م.شمو،2006م، 287 صفحة، ص122.

وقد وضعت كلية شريديان التكنولوجية Sheridan تعريفًا اجرائيًا للإعلام الرقمي الجديد بأنه: "أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت, فضلاً عن استخدام الكومبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض, أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته"[1].

ومن مميزات الإعلام الجديد: (الفورية، الشفافية، الآنية، الحرية، الواقعية، التفاعلية، لغة الصورة، صناعة المعلومة، صناعة الرأي العام، صناعة الصورة الذهنية)[2].

ويمكن تقسيم مواقع التواصل الاجتماعي بالاعتماد على التعريفات السابقة إلى الأقسام الآتية:

أ. شبكة الإنترنت Online وتطبيقاتها، مثل فيس بوك Face book وتويتر Tweeter ويوتيوب YouTube ومدونات Blogs وانستجرام Instagram، ومواقع الدردشة، والبريد الالكتروني...فهي بالنسبة للإعلام، تمثل المنظومة الرابعة تضاف للمنظومات الكلاسيكية الثلاث. وتعد هذه الوسائل هي المحرك الرئيسي الآن لثقافة المجتمع من خلال الأطفال والشباب والذين يعدون هم الأكثر استخداما لها.

ب . تطبيقات قائمة على الأدوات المحمولة المختلفة ومنها أجهزة الهاتف الذكية والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها. وتُعدّ الأجهزة المحمولة منظومة خامسة في طور التشكل.

ج . أنواع قائمة على منصة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون "مواقع التواصل الاجتماعي للقنوات والإذاعات والبرامج" التي أضيفت إليها ميزات مثل التفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب.

ويحصر مدخل نيغروبونتي Negroponte الميزات التي يتحلى بها الإعلام الجديد في: "استبداله الوحدات المادية بالرقمية، وتشبيك عدد غير محدود من الأجهزة مع بعضها البعض, ويلبي الاهتمامات الفردية Individual Interests والاهتمامات العامة, أي أن الرقمية تحمل قدرة المخاطبة المزدوجة للاهتمامات والرغبات وهي حالة لا يمكن تلبيتها بالإعلام القديم. والميزة الأكثر أهمية, هي أن هذا الإعلام خرج من أسر السلطة التي كانت تتمثل في قادة المجتمع والدولة إلى أيدي الناس جميعًا"[3].

---

1 عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011م، ص9.

2 بدر الدين أحمد ابراهيم محمد، الإعلام الجديد ودوره في منظومة القيم والأخلاق لدى الشباب المسلم، مؤتمر مكة المكرمة السادس عشر: الشباب المسلم والاعلام الجديد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، في الفترة من 17.16 سبتمبر 2015م.

3 المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويشترك فين كروسبي مع نيغروبونتي في الأفكار نفسها، ويعقد مقارنة بين الإعلام الجديد والقديم عن طريق النماذج الكلاسيكية, ابتداءً من أول نموذج اتصالي بين البشر, الاتصال الشخصي, وله حالتان تميزانه[1]:

النموذج الأول: الاتصال الشخصي:

- ✓ يملك كل فرد من طرفي الاتصال درجة من درجات السيطرة المتساوية على المحتوى المتبادل بين الطرفين.
- ✓ يحمل المحتوى ترميزًا يؤكد حالة الفردية التي تحقق احتياجات ومصالح صاحب المحتوى.
- ✓ التحكم المتساوي وميزة الفردية ينخفضان في حالة ازدياد عدد المشاركين في العملية الاتصالية, مما جعل خبراء الاتصال يطلقون عليه الاتصال من نقطة إلى أخرى أو من فرد لآخر one-to-One.

النموذج الثاني: الإعلام الجديد ويتميز حسب كروسبي بما يأتي[2]:

- ✓ يمكن للرسائل الفردية أن تصل في وقت واحد إلى عدد غير محدود من البشر.
- ✓ أن كل واحد من هؤلاء البشر له درجة السيطرة نفسها ودرجة الإسهام المتبادل نفسها.

2. شبكات التواصل الاجتماعي:

شبكات أو مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم مثير للجدل، نظرًا لتداخل الآراء والاتجاهات في دراسته. عكَس هذا المفهوم، التطور التقني الذي طرأ على استخدام التكنولوجيا، وأُطلق على كل ما يمكن استخدامه من قبل الأفراد والجماعات على الشبكة العنكبوتية العملاقة. تساعدهم على التواصل، وتجمعهم في اهتمامات أو تخصصات معينة، ويتاح لأعضاء هذه الشبكات مشاركة الملفات، والصور، وتبادل مقاطع الفيديو، وإنشاء المدونات، وإرسال الرسائل، وإجراء المحادثات الفورية، وسبب وصف هذه الشبكات بالاجتماعية، أنها تتيح التواصل مع الأصدقاء، وزملاء الدراسة وتقوي الروابط بين أعضاء هذه الشبكات في فضاء الإنترنت[3].

---

1 المصدر السابق نفسه، ص10. نقلاً عن: Vin Crosbie, 1998 What is New Media ?

2 Vin Crosbie, 1998 What is New Media? http://www.digitaldeliverance.com/ philosophy/ definition/ definition.html Accessed July. 2006

3 حسين محمود هتيمي، العلاقات العامة وشبكات التواصل الاجتماعي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015م، ص84.

وتشير أيضًا إلى: "الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للإفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم اجمع"[1].

وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي أحد أهمّ المؤثرات والموجّهات التي تُساهم في توجيه سلوكِ الأفراد ضمنَ بيئةٍ مُعينة، وتجعلهم يكتسبون مجموعةً من المعارف والمعلومات حول شيءٍ ما، لذلك ساهمتْ هذه الوسائل في التّأثير في التنشئة الاجتماعية بشكلٍ واضحٍ ومباشر، خصوصًا مع التطورات الحديثة التي شهدتها أغلبُ قطاعاتِ التواصل الاجتماعي المرئي، والمسموع، والمقروء.

حيث تُؤدي شبكات التواصل الاجتماعي إلى توجيه السلوك الفكري عند كل شخص، وجعله يَحصل على معارفَ جديدة قد يَتعرّف عليها للمرة الأولى في حياته، لذلك إنَّ وجود وسائل التواصل الاجتماعي كجزءٍ من حياة الأفراد اليومية المعاصرة ساهم بشكلٍ مباشرٍ في التأثير عليهم مهما كانت مراحلهم العمرية، ويظهر تأثيرها واضحًا على طريقة تفاعلهم مع البيئة الاجتماعية التي يَعيشون فيها.

أولاً: الإعلام الرقمي الجديد والثقافة الشعبية بين التأثير والتأثر:

لا تزال صلة التراث بشبكات التواصل الاجتماعي في المجتمعات النامية في مرحلة المهد، تأثيرًا وتأثرًا، وتحتاج إلى من يقومها ويدعم جذورها، حتى يمكن للمجتمع أن يستفيد من تراثه ويوثقه ويحافظ عليه، بوصفه أحد دعائم التنمية والهوية الحضارية في أي مجتمع.

وقد باتت شبكات التواصل الاجتماعي تلعب دورًا مركزيًا في الترويج الثقافي، والاقتصادي، والسياسي، وأنماط التفكير، والسلوك، بما يحقق الفوز للدول الأكثر تقدمًا واستخدامًا للوسائل الأكثر تقنية في هذا المجال، ويعود عليها بالنفع الاقتصادي في المقام الأول، والهيمنة الثقافية على الفكر الإنساني، وترويج ما تريد من الأفكار والعادات والمعتقدات، فيتهيأ لها مع الوقت الهيمنة الثقافية التي تستهدف الهيمنة الاقتصادية، وبذلك تتضرر الأمم الأقل مواردًا، وتحضرًا، وتقدمًا، والأدنى استخدامًا لهذه التقنيات العالمية، وتلك التي لا تسمح لها إمكاناتها المادية والفنية بمجاراة هذا التقدم التكنولوجي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، أو وضع البرامج المضادة للغزو الثقافي وأنماط السلوك المراد ترويجها، والمثاقفة، والتي يرى كثيرون أنها تعني الهيمنة الثقافية للأقوى على الأضعف، ويفضلون استبدالها بتعبير التفاعل الثقافي، بمعنى استفادة الثقافات من بعضها البعض، وتعاونها، وليس السيطرة لثقافة على أخرى، ومن هنا كان لشبكات التواصل الاجتماعي دورٌ بارز في التأثير على الأفراد والمجتمعات المستخدمين لها

1 http://computing dictionary.the freedictionary.com/new+media.

والمنخرطين فيها في مختلف المجالات ومنها المجال الثقافي، فلم تعد شبكات التواصل الاجتماعي وسيلة للتواصل الاجتماعي وناقلة للأخبار المتنوعة فحسب إنما صارت تشكل وسيلة للتنميط والوعي الثقافي للدول الإعلام الأقوى إعلاميًا وتقنيًا، والأوسع انتشارًا.

وبمقدار اهتمام الدول بوسائل التكنولوجيا المتطورة وبشبكات التواصل الاجتماعي بوضع خطط وبرامج للتوعية الثقافية يمكنها محاصرة الغزو والهيمنة والتفرد الثقافي، وتعزز التفاعل والتعاون الثقافي مع الشعوب والأمم، للحفاظ على أصالة وتراث ومعتقدات كل أمة، وعندها يمكن أن تنجح في الحفاظ على شخصيتها وهويتها المستقلة، وثقافتها التي تناسب قيمها ومعتقداتها.

ولا شك في أن وظيفة الإعلام والإتاحة . قديمًا وحديثًا . بوسائله وأنواعه المختلفة، ومنها شبكات التواصل الاجتماعي؛ هي أحد أدوات نقل هذا التراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي، وقراءته، ونقده وإعادة صياغته ومحاولة إعادة بنائه وفق ما تتطلبه حاجات العصر، وهو الذي يكفل توظيف التراث إيجابيًا وبفعّالية في بناء الحاضر والتطلع للمستقبل.

كما يمثل الإعلام الرقمي ووسائله المتعددة دور هام في تغيير البناء الاجتماعي، وبشكلٍ جدي في تغيير ما هو أهم في حياة الفرد في المجتمعات العربية، وهو تغير الإرث القيمي وإدخال الأفكار والقيم المستوردة عليه، والتي قد لا تتوافق وتتلاءم مع التراث العربي والدين الاسلامي.

حيث كسرت هذه الشبكة العنكبوتية وأزالت كل الحواجز والفواصل بين الدول والثقافات الخاصة بها. والتي كانت كل دولة تعمل جاهدة على وضع سياج بينها وبين الثقافات الوافدة فتنتقي منها ما يحلو لها بما يتفق ويوافق ثقافتها قيمها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها الدينية منها والشعبية لتحول دون المساس بتقاليد البلد وتراثه، ودون الإخلال بقيم وثقافة النشأ فيها.

ولا توجد وسيلة حاليًا تضاهي شعبية الشبكة العنكبوتية الممثلة في الإنترنت لأنها وسيلة جماهيرية وليست مقصورة علي فئة معينة، والتي عن طريقها امتلك الفرد المستخدم العادي قوة كبيرة جدًا ما كان يملكها لولا هذه الأداة الجماهيرية التي انحصر بفعلها الزمان والمكان ذهابًا وإيابًا من عاصمة إلى أخرى، ومن شركة إلى أخرى ومن فرد إلى آخر بسرعة الضوء ناقلة معها البيانات والمراسلات والمعارف والمداولات المالية والعقود والاستفسارات، وقد أصبح العالم كوكبًا لا يعرف فيه التواصل نومًا.

ولا يمكن نفي فكرة إعادة انتاج الإنترنت لثقافة شعبية جديدة ومستحدثة وعصرية أفرزت وظائف اجتماعية وثقافية هامة في حياة الجماعة الشعبية خاصة والمجتمع بشكل عام، حيث يؤدي الإنترنت إلى خلق عادات ومعتقدات وقيم وأفكار جديدة تؤدي وظائف هامة في حياة الأفراد الممارسين لها والمعتقدين فيها والتي يمكن أن نصفها بالعادات المستحدثة أو الموضة الحضارية أو المخترعات التي بقدر ما تحمله

من إيجابيات فإنها بلا شك تحمل قدرًا من السلبيات التي يمكن أن تؤثر على قضايا التراث وأشكاله ومفاهيمه لدى الأفراد على اختلاف السن والنوع والجنس. فضلاً عما يؤديه هذا التواصل المستمر بين الثقافات المتنوعة، مما ينتج عنه بطبيعة الحال تلاقحًا للأفكار وظهورًا للإبداعات التي انطلقت أساسًا من هذه البيئة الخصبة عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

ويمكن حصر أهم مرتكزات الثقافة الشعبية في شبكة الإنترنت في نقاط ثلاث، هي:

1. **ثقافة الكلمة:**

وقد اضطلعت فيها اللغة بدورٍ كبير حتى عدت اللغة سحرًا، وقد قيل "إن من الكلام لسحرا"، وتنعكس هذه الخاصية الأولى في كل الأجناس الإبداعية التي عرفتها ثقافات الشعوب وخاصةً اللغة العربية بوصفها عنصرًا ثابتًا في نحت الهوية العربية. كما مثلت اللغة النواة في توحيد العرب وجدانيًا وثقافيًا.

وتلعب الكلمة دورًا مهمًا ومؤثرًا في صناعة صور ذهنية عديدة داخل وسائل الاعلام الرقمي الجديد، تصنع من خلالها اللغة البديلة أو اللغة الافتراضية المتداولة بين مستخدمي وسائل الاعلام الرقمي الجديد والتي صنعت الشعور بالمعية والمشاركة التفاعلية في إطار من الحرية التي أضافت لدى المتلقي والمرسل روحًا من التحدي تجاه معاناة الواقع المعاش.

2. **ثقافة العلم:**

وتمثل العلوم والمعرفة المنطلق الرئيس(نظريًا) والعمل (تطبيقًا) في النهوض بمكانة الأمم والتي بدونها لعدت وبحق الناطقة عن خصوصية الثقافات في العصر الحديث.

وقد أتاحت شبكة المعلومات (الإنترنت) من خلال شبكات التواصل الاجتماعي عبر إتاحة المعلومات ونقلها على صفحاتها في نشر الكثير من العلوم والثقافات وبخاصة ثقافات الشعوب المعبرة عن أحلامها وآمالها وقدراتها الثقافية والعلمية والاقتصادية ومكانها المرتقب بين الأمم.

3. **ثقافة المثاقفة:**

أو ما يمكن تسميته بالتلاقح الثقافي والذي هو نتيجة طبيعية وتلقائية للانفتاح على الثقافات الأخرى، حيث أصبح انتقال العناصر الثقافية من مجتمع لآخر سهلاً، وتبني عناصر أخرى تشكل على المستوى البعيد وتساهم في ولادة ظواهر حضارية وثقافية جديدة. ولعل أبرز سمة لهذه المثاقفة أن الاحتكاك بين الأجناس أفضى إلى توليد عقلي اتسع للمعارف والعلوم الموروثة أو المستحدثة عبر العصور.

هذا وقد صنعت شبكات التواصل الاجتماعي لروادها على المدى الطويل واقعًا خاصًا مختلفًا عن الواقع الحقيقي هو الواقع الافتراضي. وأن هؤلاء الرواد بحكم التصاقهم بها تأثروًا تأثرًا كبيرًا وصل إلى حد الواقع الذي يتعاملون معه باعتبارها حقائق منتهية، وبالتالي أصبحوا أسرى هذا الواقع الافتراضي المصنوع لهم وحولوه بأيديهم الى واقع؛ ولكنه واقع افتراضي يتصرفون ويعيشون بكل ما ينبت من تعقيدات من مثل هذا التباين.

وتحقق شبكات التواصل الاجتماعي تأثيرها من خلال تعامل الفرد والجماعة معها، وما يحصلون عليه من معارف جديدة وثقافات مختلفة تعطيهم الشعور بالمكانة الاجتماعية بين الآخرين من خلال زيادة قدراتهم على التعامل والتفاعل السليم مع من يتعاملون معهم وتزداد أهمية هذه المكانة بالنسبة للمشاركين كأعضاء فاعلين في البرامج نفسها أو المتعاملين معها بشكل مباشر من صانعي البرامج الالكترونية والألعاب وغيرهم بما يوفر لهم حظًا أوفر في مجتمعاتهم ويضفي لهم مكانة ويحسن مراكز الفرد بل الجماعة المشاركة فيه.

والشكل التالي يوضح العناصر الأساسية للواقع الافتراضي داخل شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي:

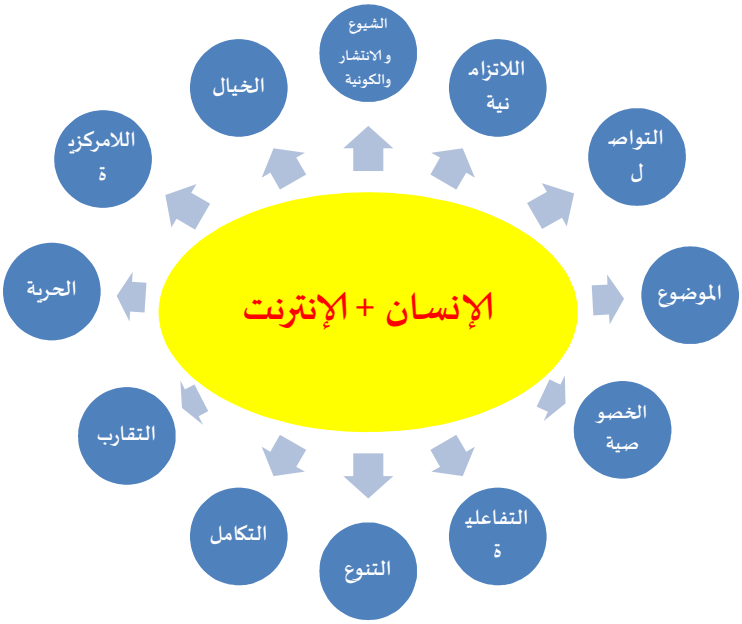

حيث تقوم شبكات التواصل الاجتماعي بغرس عالم وهمي في ذهن المتلقي، والذي يقوم بدوره بتقبل هذه الصورة على أنها تعبير حقيقي للواقع، لكونه غير واع بعملية صنع هذا الواقع، بل إن وعيه لا يتعدى الشعور بالتسلية، وذلك بقضاء الساعات الطويلة أمام مواقع التواصل الاجتماعي لشغل أوقات الفراغ.

ويمكن من خلال التخطيط الواعي في وضع البرامج الخاصة بالثقافة الشعبية التي يمكن أن تقدم عبر شبكات التواصل الاجتماعي أن تستهدف من خلالها غرس الموروث الثقافي في عقول مستخدمي الإنترنت ونشره والمحافظة عليه وإعادة إنتاجه في إطار مجموعة من البرامج الثقافية والترفيهية التي تلبي احتياجات الأفراد من الأطفال والشباب في مختلف أعمارهم، مع التركيز على:

أ. **المستخدم/المتلقي:** فالأغلبية ما بين مستخدم ومتلقي تستخدم موقع فيس بوك بصفة دائمة، نظرًا لما يقدمه لهم من خدمات وتطبيقات هامة، أي أنه موقع التواصل الاجتماعي رقم واحد لدى أفراد المجتمع، بل في العالم كله تقريبًا، حيث أنه حسب موقع "سوشيال باركرز" تجاوز عدد المسجلين في هذا الموقع مع أواخر سنة 2013م المليار ومائتي شخص عبر العالم، ومع نهاية عام 2016م قرابة ملياري مستخدم، يزورونه باستمرار وبصفة دائمة يوميًا، بهدف:

- تفحص أخبار الأصدقاء.
- تفحص الرسائل الجديدة.
- تفحص الأخبار العامة.
- تبادل الملفات والصور ومقاطع الفيديو.
- التعليق على ما ينشر في صفحاتهم من آراء وأفكار ومواضيع متنوعة وجديدة.
- المشاركة الفعالة في المحادثات والدردشات والتعليقات.
- مشاركة الصور.
- الاستخدام بغرض التسلية والترفيه.
- التواصل الاجتماعي.

ب. **المجتمع:** بوصفه مجتمع منتج واعيٍ باحتياجاته بما يجعله في مصاف الدول الحضارية المتقدمة.

ج. **القيم:** تشجيع القيم الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقواعد السلوكية النافعة للفرد والمجتمع، والقضاء على . أو التقليل من . الفردية والأنانية والمنافسة العنيفة. عن طريق الممارسة وتبادل الخبرات والمعلومات ومعاني الأخذ والعطاء.

د. **النجاح:** تشجيع التفوق العلمي والثقافي في شكل فردي وجماعي، بما يزيد من التلذذ بمباهج الحياة.

ومن مظاهر التأثير والتأثر أيضًا في علاقة وسائل الإعلام الجديد بالثقافة الشعبية وعناصرها المختلفة نجد اللغة العربية أحد وأهم محددات الهوية الثقافية لدى المجتمعات بشكل عام، قد تأثرت تأثرًا واضحًا مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة موقع الفيس بوك حيث قل استخدام اللغة العربية[1]، لأنها ليست لغة الخطاب اليومي لدى الشباب عبر هذا الفضاء.

حيث يفضل الأفراد مرتادي موقع الفيس بوك استخدام اللهجة العامية في كتابتهم، كما يفضلون الكتابة فيما بينهم بحروف أجنبية كلغة موازية افتراضية أكثر حتى من الكتابة بالعامية بحروف عربية في محادثاتهم اليومية، وتسمى لغة الأيقونات التعبيرية (smiley) ولغة المختصرات، أو الفرانكو، والتي لا يمكن لغير المشترك في هذه الفضاءات الرقمية أن يفهم معانيها، كاستخدام كلمات مرمزة ومختصرة بحرف أو حرفين، وقد تستعمل رموز أرقام مكان حروف، مثل الحاء يرمز له بـ7، والعين بـ3، والهمزة بـ2 مثل: Abd El Hakem إلى 3bd El 7akem. كما أنه يتم أحيانًا مزج هذه اللغة (الفصحى) بغيرها من اللغات أو حذف بعض الحروف وتشويه الجمل.

الحرف بالعربية	الحرف بالإنجليزية	الحرف بالفرانكو	الحرف بالعربية	الحرف بالإنجليزية	الحرف بالفرانكو
أ/ء	A	2	ع	A	3
ش	Sh	4	خ	Kh	5
ح	H	7	غ	GH	8

وقد يرجع إهمال الشباب وغيرهم في استخدام لغتهم العربية في المحادثات اليومية بينهم في عالمهم الافتراضي إلى عدة أسباب هي:

أ. الشعور بالاغتراب الذي يشكل تهديدًا لاستمرار الهوية الثقافية.

ب . طلب الانتماء لمجموعات مشابهة تستخدم نفس اللغة على الفيسبوك.

ج . الرغبة في خلق لغة تواصل بصرية تكرس عزوفهم عن الكتابة المطبوعة، ونزعتهم إلى الكتابة التصويرية.

1 من جهة أخرى، ذكر نفس التقرير أن مصر هي أكثر مستعملي الشبكة الاجتماعية بالواجهة العربية بنسبة 60%، أي أكثر من 10 مليون مستخدم يستعملون لغتهم الأم. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص ص 19.18.

ثانيًا: الإعلام الرقمي الجديد بين الثقافة الشعبية والعولمة:

تعد الثقافة الشعبية إبداعًا إنسانيًا يختلف من مجتمع لأخر فهي نتاجًا جمعيًا مميزًا يتوافق عليه أفراد المجتمع ويخضعون فيه إلى قيم وأعراف يرتضونها. " فالثقافة الشعبية إذًا ليست مجرد أفكارًا وأحكامًا مجردة بل تشمل أيضًا كل المنتج التعبيري والحياتي الذى يعبر عنها، كما يظهر في أنماط السلوك وأشكال الحياة التي يسلكها ويعيشها الإنسان بما تتضمنه من عادات وتقاليد ومعتقدات ونظم اجتماعية تفسر أو تعلل أسباب وجوده هو أو ما يحيط بهذا الوجود ويتم التعبير عنه في لغة لفظية أو تشكيلية أو موسيقية أو إبداعات واختراعات تيسر من سبل الحياة"[1].

ونظرًا للتطور التكنولوجي الهائل الذى طال المجتمع المصري كأحد مظاهر العولمة، والمتمثل في وسائل الإعلام الرقمي الحديث التي تجاوزت حدوده الزمان والمكان وتغلغلت في داخل المجتمع بفعل (شبكات التواصل الاجتماعي المعاصرة)، مُحدثةً بذلك شرخًا كبيرًا بين الأفراد وهويتهم مما يوحي بتصور وجود أزمة ثقافية أو مشكلة ثقافية، تعاني منها المجتمعات بصفة عامة والمجتمعات الهشة بصفة خاصة. ذلك أن العولمة الثقافية لها تأثير على الأفراد والجماعات بالإيجاب والسلب، حيث أن الفرد في المجتمع الجماهيري يتأثر بالصور والمعلومات والأفلام والمعاني التي يتعرّض لها عبر شبكات التواصل الاجتماعي المتعددة[2].

لكن وفي ظل غياب التواصل الشفاهي الذي مثل في الماضي عاملاً أساسيًا في التنشئة الاجتماعية للطفل؛ قبل أن تلعب الوسائل التكنولوجية الحديثة هذين الدورين معًا.

ولما كانت الثقافة الشعبية تمتاز بالمرونة العالية والقدرة على التكيف والوجود بالشكل الذى يتناسب مع العصر ومع التطور الذى توجد فيه فإن ذلك بالتبعية ينطبق على كثير من عناصر الثقافة الشعبية ومفرداتها، التي يمكن من خلالها إعدادِ الأفراد وتأهيلهم عن طريق ربطهم مع وسائل الإعلام

---

1 كمال الدين حسين، الحكي الشعبي وإيجابيات الثقافة الشعبية، مجلة الطفولة والتربية، كلية رياض الأطفال، جامعة الإسكندرية، العدد(1)، أبريل، 2009م، ص332.

2 يقول التعريف السائد للحضارة: بأنها مجموعة التراث الفكري والعادات والتقاليد والحرف وما يندرج تحتها من الوسائل المادية لمجموعة من الناس، متقدمة نسبيا لأنها مشتقة من الحضر المختلف عن البدو. وكثيرا ما يتم التمييز بين الحضارات بنسبتها إلى أزمنة أو أمكنة مختلفة. والاختلاف المكاني أو الزماني في الغالب يولِّد بعض الاختلافات التي قد تكون ذات أهمية كبيرة مثل المعتقدات أو الفلسفة الفكرية أو الاقتصادية، أو قد لا تكون ذات أهمية كبيرة مثل الاختلاف في طريقة الملبس والمأكل والعادات والتقاليد في بعض الأمور. ونظرا لثبات الصفات البشرية واحتياجاتها فإن المشترك بين الحضارات أكثر بكثير من المختلف فيه. وتختلف الحضارات باختلاف المحاور التي ترتكز عليها. فبعضها يرتكز على محاور ربانية أو معتقدات صادرة من قوى خارجية، أي هي محاور دينية، تتألف من مجموعة من المبادئ التي تقيِّد نمو هذه الحضارات وتوجهها. ولهذا فإن هذه الحضارات تميل إلى الثبات. والحضارة الإسلامية واحدة من هذه الحضارات التي تقيدها ضوابط ربانية ثابتة في القواعد العامة ولكن مرنة في مستوى التفاصيل بصورة ملحوظة. انظر: سعيد اسماعيل صيني، الحوار بين الحضارات؛ موقع الإسلام والحوار.

الرقمية الجديدة لإكسابهم مجموعة من المهارات الاجتماعية، التي تَعتمد على الخبرة المعرفية والإدراكية المرتبطة بكلِ مرحلةٍ من مراحلهم العمرية، ومساعدتهم على التكيف مع البيئة المحيطة بهم، وتحقيق المعنى الحقيقي . وليس الافتراضي فقط . للتواصل الاجتماعي بينهم وبين الأشخاص الآخرين المحيطين بهم في عالمهم الافتراضي. وذلك من خلال نشر وتغليب أنماط إيجابية معيَّنة من القيم والأفكار التي تحتوي مضامين اجتماعية وثقافية ودينية أصيلة يمثلها التراث الشعبي (أو الثقافة الشعبية)، الذي يحتوي على كلّ ما خلَّفته الأمم والشعوب من الأشكال الثقافية والفنية والفكرية والمعتقدات والعادات والتقاليد والصناعات التقليدية والحرفية والأدب الشفاهي (أو الشعبي).

ولا عجب في وجود تكامل بين ثقافتنا الشعبية وبين الإعلام الرقمي الجديد . الإنترنت . الذي أصبح بمثابة المرآة التي يمكن من خلالها توثيق تراثنا وموروثنا الشعبي في شتى صوره للمحافظة عليه وتنقيته من شوائبه التي يمكن أن تضر به، وعرض هذا التراث في قنوات فضائية ومواقع الكترونية باتت متاحة للعالم كله، غير مغلقة على نفسها، حتى أصبح تلاقح الثقافات بالأمر الحتمي الذي يغذي الثقافة الواحدة بكل ما هو جديد ومستحدث وبكل ما هو موروث لشعوب أخرى اهتمت به وبعرضه على صفحات الشبكة العنكبوتية العالمية لتدر من خلاله استثمارًا ثقافيًا وفكريًا تعبر من خلاله عن هويتها ومكانتها عبر العصور. لتصبح ثقافتنا الشعبية بحق هي محور عملية التنمية الاجتماعية الشاملة، وتصبح تكنولوجيا المعلومات هي محور التنمية العلمية التكنولوجية.

من هنا كانت أهمية تعزيز الأدوار الثقافية عبر إتاحتها على مواقع وصفحات الإنترنت للجميع بيسر وسهولة، وهو ما يطلق عليه "ديمقراطية الثقافة"، باعتبارها تمثل للعديد من الناس الوسيلة الأيسر للتثقيف وتنمية الفكر، وتهذيب النفس، كما أنها تعد الذاكرة الشعبية الافتراضية (المرئية والمسموعة والمقروءة) والتي يمكن استدعاؤها كل حين.

كما أصبح ممكنًا في عصر العولمة دراسة تأثير عصر المعلومات على منظومة المعتقدات الشعبية، وما يمكن أن نطلق عليه "عولمة المعتقد" ومن أهم خصائص هذه العولمة:

1. التغير في الشكل التقليدي الثابت للمعتقد، فهناك دلالات على ظهور تحولات كبيرة في التركيب التقليدي للمعتقد والمثال الأوضح على ذلك هو ظهور خصائص جديدة في الطقوس والممارسات الصوفية عبر مواقعها المتخصصة في عرض أهدافها ومعتقداتها وكيفية الانتماء إليها عبر موقعها الالكتروني على صفحات الإنترنت.
2. المؤسسة الدينية الشعبية لم تعد تقتصر على النطاق المحلى؛ حيث ظهر مفهوم الدين الدولي أو (الدين متعدد الجنسيات) الذي يشير إلى مجموعة منظمة توظف الأنظمة الحديثة لعمليات الهداية

والإرشاد، والانتماء إليها من خلال عملية تنظيمية شبه مستقلة في كل بلد وفقًا للحالة الدينية والاجتماعية والثقافية لكل بلد.

3. حدوث تغيرات في البيئة الثقافية؛ فبالرغم من المخاوف من هيمنة الثقافة الأمريكية؛ فإن الإنترنت. أهم مخرجات وسائل الإعلام الرقمية الجديدة . أصبح محفزًا لخلق المجتمعات الثقافية العالمية ووسيلة غير مسبوقة لنشر المعتقدات والعقائد والأيديولوجيات إلى جمهور العالم الأوسع.

4. يتيح الإنترنت للشخص إمكانية التبشير بالأفكار والمعتقدات الدينية والشعبية وتوصيلها إلى أوسع قاعدة، كما يمكن لأي شخص القراءة عن الدين أو المعتقد والكلام مع الآخرين حوله وتحميل النصوص والوثائق الدينية والمشاركة في جلسات الطقوس والاستماع إلى الخطب والمواعظ...إلخ، وفي المقابل يمكن لمناهضي الدين أو المعتقد بث انتقاداتهم وشبهاتهم دون أن تطالهم أيدي السلطات الدينية والسياسية، وهو ما يكرس المخاوف من لجوء البعض إلى معتقدات أو طوائف أخرى غريبة وشاذة، أو اندلاع حروب على أسس دينية على الإنترنت ومواقعه المختلفة.

5. أثر الإنترنت بلا شك على السلطات التقليدية من خلال انتزاع بعض صلاحياتها، مثل: إصدار الأوامر للأتباع والدعوة وتقديم المعتقدات للجمهور في قوالب تقليدية مصمتة فارغة من الإثارة والإعجاب.

ثالثًا: دور الإعلام الرقمي في التعامل مع التراث:

إن انطلاق الإعلامي والمثقف من وعيه لطبيعة مكونات هوية أمته التي ينتمي إليها، وقناعته بهذه المكونات، هو الذي يشكل له خطة وخطاب الدفاع عن الهوية، وبرنامج العمل والفكر والإبداع والانطلاق، ليعمل من خلال الإعلام الرقمي الجديد وغيره على تحصين ثقافة أمته ضد التيارات الثقافية الغازية، ويدعوه لمنطلقات تجديدية مدروسة تفتح آفاق المستقبل والفكر والوعي، والأخذ من الثقافات ما يناسب هوية الأمة للتحسين والتطوير دون انغلاق على الذات أو استسلام إلى الآخر. للحفاظ على جوهر الانتماء، وتبقى هويتنا في ثقافتنا العربية الإسلامية هي" الامتياز عن الغير من كافة النواحي".

ومن أهم الأدوار التي يمكن للإعلام الرقمي الجديد أن يضطلع بها في تعامله مع الثقافة الشعبية أو التراث الشعبي أو المجتمعي ما يأتي:

1. الاهتمام العميق بالعملية الإعلامية التي تتناول التراث الشعبي وموضوعاته.

2. الاعتماد في وسائل الإعلام على دراسات علمية واقعية موثقة حتى لا تقع تحت طائلة الارتجال في عرض مادتها الإعلامية الخاصة بالموضوعات التراثية.
3. مراعاة وسائل الإعلام الرقمي لمنظومة القيم والعادات والتقاليد بل والمعتقدات أيضًا التي يعتمد عليها التراث، الذي يترك بصمته وآثاره على الجماعة الشعبية، بما يؤثر في نفوس المتلقين على اختلاف النوع والطبقة والعمر.
4. مراعاة وسائل الإعلام الرقمي عند عرض موادها التراثية التحولات الجذرية التي ترتبط بهذا التراث، أو التغيرات المصاحبة له ارتباطًا بعاملي الزمان والمكان.
5. مراعاة العمق والجدية أثناء عرض المواد الإعلامية حول التراث وإن تنوعت (لتنقش تراثها المعماري على الجدران أو القباب المعجونة بالطين وملح الأرض أو لهجات ولكنات وزي فضفاض مطرز وبراقع وحلي، مواويل وأساطير، ربابة، عود وسمسمية، حلقات ذكر، موالد، سير شعبية،...الخ)، للوصول إلى الهدف الحقيقي الذي يجعل الجماعة الشعبية تحافظ عليه فيما بينها، بل وتجعلهم ينبذون أو يلفظون كل ما من شأنه أن يهدد هذا التراث بوصفه تاريخًا للجماعة الشعبية يعبر عن هويتها ويحمل معه ذكريات الماضي وآلامه، ومهد الحاضر وآفاق المستقبل.
6. تقوية ودعم الشعور بالولاء والانتماء الوطني، والذي من شأنه التأثير في طريقة التفكير أو التفاعل مع العالم المحيط بالفرد.
7. الإيمان برسالة الإعلام الرقمي الجديد وبدوره الهادف في تزويد الإنسان بالمعارف والقيم الاجتماعية والثقافية بغية إكساب الجمهور الثقافة النوعية التي تضمنها ثقافة التغيير الكفيلة برقي المجتمع.
8. صناعة رسائل اتصالية بوصفها من مقومات التأثير والإقناع لجمهور المتلقين لتأكيد ثقته أو شعوره بمصداقية وسائل الإعلام الرقمي الجديد فيما تبثه من أفكار وعناصر ثقافية.
9. دعم فاعلية الرسالة الإعلامية في خلق وعي مجتمعي أو في بلورة رأي عام مستنير إزاء قضايا التراث واهتماماته وفاعلية هذا التراث في العصر الحديث.
10. الإدارة المتخصصة لوسائل الإعلام الرقمي واحترام نزاهة التراث والمواقع الأثرية والتراثية. تؤدي إلى نجاح المادة الإعلامية عند تناولها للتراث بعناصره المختلفة.
11. وضع معايير دقيقة وواضحة في إطار التشريعات المناسبة لتقوية المنظومة الإعلامية.

12. تحديد الضوابط الإعلامية في التشريعات والمضامين والمواثيق الإعلامية الخاصة بترويج الثقافات الداعمة لاستراتيجيات سياسية ووطنية من شأنها الحفاظ على وحدة النسيج المجتمعي وهويته الثقافية.
13. الاهتمام بنشر التراث العربي عبر الإنترنت لتحصين الثقافة العربية من مخاطر العولمة الجارفة وبالتالي الحفاظ على الهوية العربية ونقل رسالتنا إلى العالم كله لإثراء الثقافة العالمية.
14. إعادة الاعتبار للنسيج العتيق وصياغة استراتيجية وطنية لحماية وتثمين التراث الثقافي الوطني بوصفه المحدد للهوية الثقافية العربية.

رابعًا: أهمية تفعيل دور الإعلام الرقمي في تعزيز الثقافة الشعبية:

يمثل الإعلام الرقمي الجديد عنصرًا مؤثرًا في حياة المجتمعات باعتباره الناشر، والمروج الأساسي للفكر والثقافة، ويسهم بفاعلية في عملية تشكيل الوعي الاجتماعي للأفراد إلى جانب الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات المدنية؛ بل إنه في كثير من دول العالم أصبح أحد منتجي الثقافة عن طريق التفاعل والتأثير الإنساني المتبادل، وفي السنوات الأخيرة اكتسبت وسائل الإعلام الرقمي الجديد، باختلافها، أبعادًا جديدة زادت من قوة تأثيره على الأفراد والجماعات. أضف إلى ذلك أن الإعلام الرقمي الجديد أصبح بمثابة مؤسسة ثقافية واجتماعية هامة في المجتمعات البشرية يحمل مضامين اقتصادية، وسياسية، وأيديولوجية إن لم تكن لها القدرة على ترسيخ ثقافة المجتمع وهويته، فإنها تؤدي إلى تزييف الوعي وإفساد العقول.

وتلعب وسائل الإعلام الرقمي الجديد دورًا كبيرًا في تشكيل ثقافة الإنسان المعاصر، حيث زالت الحدود أمام ثقافة الصورة فازدادت سلطتها ونفوذها، وأصبحت تمثل تهديدًا للخصوصيات الثقافية الحالية.

كما يقوم أيضًا . هذا الإعلام الرقمي . بدور بارز في تهيئة الأجواء اللازمة للتعريف بتراث المجتمع وإظهاره في ثوب يليق به في ظل ثقافة العولمة والانفتاح على الآخر.

والحق أن مكانة الإعلام الرقمي تحمل في طياتها فرصًا لأن يكون التأثير إيجابيًا لصالح الإنسان ورقيه، إذا أحسن توظيف هذا الإعلام الرقمي ووسائله كشبكات التواصل الاجتماعي، كما تحمل في طياتها مخاطبة أن يكون التأثير سلبيًا إذا وظفت قوى الهيمنة عليها لاستقلاب الهوية وتقييم القيم الهابطة.

وبالرغم من ذلك فإنه من المهم تكوين رؤية واضحة ترتبط بالتراث وتعزيز قيمه وأخلاقياته ومعاييره الموجهة إلى أفراد المجتمع مع تركيز خاص على الحداثة وإبراز الجوانب العصرية.

ومن أهم وظائف الإعلام الرقمي التي يمكن أن تعزز من مكانة الثقافة الشعبية وجودًا وانتشارًا:

1. توفير المعلومات الخاصة بالبيئة والأخطار المحيطة بها، مما ينعكس على دعم الاستقرار والأمن داخل المجتمع وخارجه.
2. تحقيق التواصل والترابط أو التقارب بين أفراد المجتمع وعناصره، ودعم التفاعل بينهم، فيؤدي ذلك في النهاية إلى تحقيق التماسك الاجتماعي.
3. المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع، بنقل تراثه من جيل الى آخر، وتعريف الأجيال الجديدة بهذا التراث، الذي يعتبر أحد المحددات الأساسية للنظام الثقافي في المجتمع.
4. تسهم من خلال الأشكال السردية واللفظية للثقافة الشعبية الموجهة للأطفال على غرس أهم القيم الإيجابية التي تجعلهم مقبولين اجتماعيا بينهم وبين أقرانهم.
5. مساعدة الطفل على اكتساب مفردات اللغة للجماعة الشعبية . اللفظية وغير اللفظية التي تشتمل على الإيحاءات والإشارات . التي يعيش بينها والتي تعد أول الأمور التي يتعامل بها مع أفراد جماعته على اختلاف أعمارهم.
6. التحليق بخيال الطفل بعالم افتراضي الذى لا يقف عند حد معين فكل الأمور متاحة في هذا العالم فالحيوان يتحدث والطائر أيضا يتحدث، مما يجعل أفق الطفل واسعًا ومدركًا للعالم الذى يعيش فيه بوجدانه.
7. خلق حالات من المتعة الوجدانية المؤثرة في النفس البشرية والتي يتخللها التنفيس عن رغبات الطفل المكبوتة، كما أنها تعوضه عن الحرمان الذى قد يشعر به في حياته العادية بسبب الضغوط الاجتماعية التي تفرضها عليه متطلبات التربية السليمة وتعطيه الأمل في إيجاد حلول لمشكلاته الحياتية اليومية[1].

ولكي يتسنى للإعلام الرقمي أداء دوره بفاعلية في تشكيل ثقافة التغيير، لابد من توافر الملكات الخبيرة في مجال الإعلام الرقمي الجديد والمؤهلة بما يتناسب مع الوظائف المهمة التي يقوم بها، ذلك أن الخبرة والمهارة تؤدي دورًا حيويًا في جعل الرسالة الإعلامية فاعلة ومؤثرة[2].

---

1 مديحة مصطفى على محمد عمر، المضامين الثقافية لحكايات الأطفال الشعبية في مصر والمملكة العربية السعودية، المؤتمر الإقليمي الأول للطفل العربي في ظل المتغيرات المعاصرة، مركز البحوث و الدراسات المتكاملة، كلية البنات، جامعة عين شمس، يناير، 2004م، ص 517.

2 ويلبرشرام، وسائل الإعلام والتنمية القومية، ترجمة اديب يوسف شيش، دمشق، وزارة الثقافة، 1969م، ص427.

وتجدر الإشارة، إلى أن هذه الحالة الإعلامية المتقدمة على صعيد الإمكانات التي أتاحتها ثورة الاتصالات والمعلومات قد حملت معها إيجابيات عديدة لصالح التراث تتمثل فيما يلي:

1. تعرّف الشعوب على أنماط حياة وثقافة ومستويات معيشة الشعوب الأخرى.
2. قيام أشكال من الانفتاح الإعلامي والاتصال الثقافي بين الشعوب من ثقافات مختلفة، بما يعزز الشعور بوحدة الهموم الإنسانية.
3. الاطلاع على العديد من وجهات النظر التي تهتم بالتراث وتتعامل معه بوصفه ثقافة أمة وهويتها.
4. نقل الخبرات عبر شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع التراث.
5. إمكانية الاستثمار في الدراسات الدقيقة لتبيان سياسات المحافظة مستقبلاً على التراث بشكل علمي وواعٍ وسليم. بما يعزز العلاقة بين المعالم التراثية والهوية والقيم الإنسانية المشتركة بين شعوب العالم.

وتأتي على رأس الإنترنت كوسيلة إعلامية حسب دورها في التوعية بالتراث؛ عدد كبير من المواقع الإلكترونية والصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، التي تقوم على مجهودات فردية من قِبل هواة ومتخصصين، أساتذة وطلاب، فتقدم الجديد في عالم التراث الشعبي، وتترجم وتحلل وتختصر وتبسط كثيرًا من الموضوعات العلمية الهامة، ومن تلك المواقع المصرية الهامة التي فازت بالمركز الأول في مسابقة المحتوى الإلكتروني بالبحرين2013م موقع أرشيف المأثورات الشعبية المصرية.

ومن أهم مواقع التراث على شبكة الإنترنت ما يلي:

م	التخصص	الموقع الإلكتروني
1	المراكز	Web sites of centers
2	المتاحف	Web sites of museums
3	دراسات فولكلور جامعية	Web sites of universities of folklore
4	فرق ومهرجانات الرقص الشعبي	Web sites of dance folklore
5	الموسيقي الشعبية	Web sites of folk music
6	فولكلور في أرض الغربة	Web sites of folklore in estrangement land
7	فولكلور عام	General folklore Web sites
8	فولكلور خاص	Private folklore Web sites

9	الحرف الشعبية	Handicrafts folklore Web sites
10	دوريات الفولكلور	Periodicals folklore Web sites
11	الأرشيف المصري للحياة والمأثورات الشعبية	http://www.nfa-eg.org/
12	أطلس المأثورات الشعبية المصرية	http://www.gocp.gov.eg/Atlas/

وختامًا يمكن أن نخلص مما سبق إلى ما يلي:

1. استغلال خصائص وإيجابيات وسائل الإعلام الرقمي الجديد في التعريف بعناصر الثقافة الشعبية ومقوماتها بوصفها حاملة لمقومات الهوية العربية ومحاولة التصدي لهجمات تيار العولمة الثقافية في شقه المعادي لهذه الهوية.
2. استثمار مواقع التواصل الاجتماعي في توعية الشباب باستمرار بأهمية الاعتزاز بمقومات هويتهم العربية وعلى رأسها لغتهم العربية.
3. يساهم الإعلام الرقمي الجديد في إشراك وتواصل مجتمعات الممارسة (جماعات من البشر. الجماعات الشعبية) يشتركون في غاية واحدة ومجموعة من المشكلات، ويقومون بتعميق معرفتهم وخبراتهم في هذه الناحية عن طريق التفاعل بصورة مستمرة.
4. يمكن للإعلام الرقمي الجديد بوسائله المختلفة تفعيل الطاقات المتوافرة لدى الإنسان وتوجيهها للبناء والإبداع في إطار "تطوير القديم وإحلال الجديد من قيم وسلوك، وزيادة مجالات المعرفة للجمهور، وازدياد قدرتهم على التقمص الوجداني وتهيئتهم وتقبلهم لمتطلبات التغيير المستهدف؛ عن طريق تكوين الوعي بتراثنا وموروثاتنا الشعبية وكيفية المحافظة عليها بتوثيقها وصونها من الضياع أو الهلاك.
5. يمكن أن تساهم وسائل الإعلام الرقمية الجديدة في خلق حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية (الموروثة)، لاسيما فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية Individuality والتخصيص Customization، واللتان تأتيان نتيجة لميزة رئيسة هي التفاعلية في إعلام القرن الجديد.
6. يمكن لوسائل الإعلام الجديد تحقيق تواصل وتفاعل مستمر بين أفراد المجتمع، يحتضن ميولهم واتجاهاتهم بوصفهم متابعين، مستهلكين ومنتجين للصّناعات الإعلاميّة المتدفّقة، والصناعات الابداعية والحرفية حسب مقتضيات المعرفة وطاقة الثقافة على الاختراق أو الامتثال، في إطار

منظومة القيم الخاصة بمجتمعهم وثقافتهم وهويتهم المميزة لهم، باللغة والدين والعادات والتقاليد والأعراف، وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية.

7. العمل محليًا على تحديد نقاط القوة والضعف في آليات استثمار وتوظيف أدوات الإعلام الجديد في الدعوة إلى الثقافة الشعبية المعبرة عن الهوية المجتمعية ؛ حيث يختلف الأداء من دولة إلى أخرى.

8. نشر التراث العربي الاسلامي عبر وسائل الإعلام الرقمي الجديد باعتباره مصدرًا ثريًا لمواجهة تحديات وافرازات العولمة، وعاملاً مساعدًا لتشكيل تجانس ذهني وروحي بين شباب الأمة العربية والإسلامية.

9. تحقيق رصيد علمي عربي حول وسائل الإعلام الرقمي . إيجابياته وسلبياته . يعين صانع القرار والمؤسسات المختلفة على إدراك واقع استخدامها وتأثيراتها المحتملة على المجتمع وثقافته الشعبية المعبرة عن هويته وثقافته.

قائمة المراجع:

1. **أحمد سمير عبدالهادي حسن، استخدام الشباب المصري للمواقع الالكترونية وعلاقته بتبني أنماط ثقافية غربية، 2014م.**
2. **الطاهات والدبيسي، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، 2011م.**
3. **أميرة مصطفى أحمد البطريق، العلاقة بين التعرض للمواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت، وإدراك الشباب الجامعي للهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، دراسة على موقع الفيس بوك، 2011م.**
4. **بدر الدين أحمد ابراهيم محمد، الإعلام الجديد ودوره في منظومة القيم والأخلاق لدى الشباب المسلم، مؤتمر مكة المكرمة السادس عشر: الشباب المسلم والاعلام الجديد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، في الفترة من 17.16 سبتمبر 2015م.**
5. **حسين محمود هتيمي، العلاقات العامة وشبكات التواصل الاجتماعي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015م.**
6. **رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.**
7. **سعيد اسماعيل صيني، الحوار بين الحضارات؛ موقع الإسلام والحوار.**

http://www.islamtoday.net/

8. **عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، 2008م.**
9. **عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011م.**

10. على محمد شمو، الاتصال: الأساسيات والمهارات، ع.م.شمو،2006م، 287 صفحة.

11. كمال الدين حسين، الحكي الشعبي وإيجابيات الثقافة الشعبية، مجلة الطفولة والتربية، كلية رياض الأطفال، جامعة الإسكندرية، العدد(1)، أبريل، 2009م.

12. مديحة مصطفى على محمد عمر، المضامين الثقافية لحكايات الأطفال الشعبية في مصر والمملكة العربية السعودية، المؤتمر الإقليمي الأول للطفل العربي في ظل المتغيرات المعاصرة، مركز البحوث و الدراسات المتكاملة، كلية البنات، جامعة عين شمس، يناير، 2004م.

13. ويلبرشرام، وسائل الإعلام والتنمية القومية، ترجمة: أديب يوسف شيش، دمشق، وزارة الثقافة، 1969م.

14 http://computing dictionary. the freedictionary.com/new + media.

15 http://www.digitaldeliverance.com/ philosophy/ definition/ definition. html Accessed July. 2006.

16 Nicholas Negroponte, Being Digital. Publisher Vintage, USA. 1996.

17 Vin Crosbie, 1998 What is New Media?

تخطيط المسار الوظيفي وأثره على الولاء التنظيمي للعامل بالمؤسسة الجزائرية

دراسة ميدانية لعينة من العاملين بشركة بناء الهياكل المعدنية المصنعة ـ أم البواقي.

أ/العمري سليمة
جامعة العربي بن مهيدي . أم البواقي.

د/ شريفة معدن
جامعة العربي بن مهيدي . أم البواقي.

ملخص:

إهتمت هذه الدراسة بموضوع " تخطيط المسار الوظيفي وأثره على الولاء التنظيمي للعامل بالمؤسسة الجزائرية "، وكان الهدف الأساسي منها هو التعرف على تخطيط المسار الوظيفي، وتسليط الضوء على الولاء التنظيمي وبيان أهميته للمؤسسة، وأخيرا الكشف عن طبيعة العلاقة بينهما.

ولتحقيق أهدافنا، إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي بإستعمال الاستبيان كأداة لجمع البيانات على عينة مقدرة بـ(35 ٪) من العاملين بمؤسسة بناء الهياكل المعدنية المصنعة . وحدة أم البواقي، حيث أكدت نتائج الدراسة الامبريقية بأن هناك تأثير كبير لتخطيط المسار الوظيفي على الولاء التنظيمي للعامل.

Résumé:

Cette étude s'est intéressée au sujet " le plan de carrière professionnelle et son impact sur la loyauté organisationnelle d'employé au sein de l'entreprise algérienne ".

L'objectif principal étant de connaitre le plan de carrière professionnelle et de jeter une lumière sur la loyauté organisationnelle et montrer son importance pour l'entreprise ,enfin connaître la relation entre ces deux notions.

Pour réaliser nos objectifs,cette étude s'est appuyée sur une approche descriptive ou le questionnaire a servir comme outils de recueil de données sur un échantillon représentant (35%) des employés au niveau de la société de constriction de structures métalliques industrialisé unité d'Oum el bouaghi, Les résultats de l'étude empirique ont également confirmé qu'il y a un grand impact du plan de carrière professionnelle sur la loyauté organisationnelle d'employé.

مقدمة:

يعتبر موضوع تخطيط المسار الوظيفي أحد أهم المواضيع التي نالت إهتماما كبيرا من قبل الباحثين والدارسين، فالتخطيط مفهوم قديم إذا ما نظر إليه من كونه نشاط إنساني مرتبط بالفرد من خلال سعيه الدائم لتطوير حياته سواء بمحض إرادته أومن قبل الجماعة التي ينتمي إليها، ويعد حديثا إذ بدأ الاهتمام به في مجال علم إجتماع التنظيم عندما عمل الباحثون على تطوير الأساليب المختلفة التي تتبعها

المؤسسة من خلال ما تقوم به إدارة الموارد البشرية من وظائف ونخص بالذكر وظيفة تخطيط المسار الوظيفي لتحسين أداء عمالها، فالدراسات الأولى ركزت على الإنتاجية، وذلك من خلال الاهتمام بالطرق والأدوات التي يتم بموجبها تحديد أساليب أداء العمل،فظهرت مدرسة الإدارة العلمية التي جاءت بمجموعة من المبادئ تركز جل إهتمامها على العمل لا بالعامل، من جهة أخرى إهتمت بعض الدراسات بالجوانب النفسية والاجتماعية للعامل فركزت على فكرة مؤداها أن تحفيز العامل لا يكون دائما ماديا، بل يتعدى ذلك إلى التحفيز المعنوي بما يتضمنه من أساليب شتى ولعل ما تقوم به إدارة الموارد البشرية من تخطيط المسار الوظيفي لأفرادها، من شأنه إشباع الرغبات المختلفة للأفراد فتتطابق أهدافهم مع أهداف مؤسستهم وهذا ما يجعلهم يبذلون جهود كبيرة في سبيل بقاء المؤسسة وإستمرارها وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الولاء التنظيمي لأفرادها.

وعليه ستكون هذه الورقة البحثية محاولة للكشف عن مدى إهتمام المؤسسة الجزائرية بتخطيط المسار الوظيفي لعمالها، وهي أيضا محاولة للفت الانتباه لأهمية تنمية الولاء وتعزيزه لدى العاملين.

إشكالية البحث:

في ظل الصعوبات التي تعاني منها عديد المؤسسات الجزائرية لتطبيق الطرق الحديثة للتسيير وخاصة منها تسيير الموارد البشرية وما يتضمنه من أساليب، بات الاعتقاد السائد وإلى عهد قريب أن نقل عامل من وظيفة إلى أخرى يزعزع إستقرار المؤسسة ويهدد كيانها،كما تقف مشكلة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب عائقا أمام النهوض بالموارد البشرية وعدم قدرتها على خلق فرص تطوير المستقبل الوظيفي له،وتتأرجح ترقية العامل بين معياري الكفاءة أحيانا وسنوات الخبرة أحيانا أخرى، في حين أنصب إهتمام الكثير من المؤسسات على التخطيط المالي دون الاهتمام بالعنصر البشري مواكبة للتطورات السريعة التي عرفتها هذه الأخيرة وخاصة تلك المرتبطة بالتكنولوجية الحديثة، وفي المقابل ثمة من يرى أن المسار الوظيفي من مسؤولية الفرد لوحده متناسيا بذلك الدور الأساسي للمؤسسة المتمثل في أحد وظائف إدارة الموارد البشرية وهو تخطيط المسار الوظيفي وأدت هذه الممارسات غير الرشيدة إلى ضعف الشعور الجماعي للأفراد والانتماء إلى مؤسستهم بل تعدى ذلك إلى جعلهم يفكرون في رحلة بحث متواصلة عن العمل خارج المؤسسة،فبات لازما عليها الاهتمام بمواردها البشرية وتطوير مساراتها الوظيفية والحفاظ عليها بل أصبحت في مسيس الحاجة إلى ولاء هم ولا يتأتى ذلك إلا بتوافر الجهود وتطابق في الأهداف.

من هنا إتجه العديد من الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية وخاصة في مجال علم الاجتماع إلى البحث في فكرة مؤداها أن الولاء التنظيمي ما هو إلا إمتداد للولاء الاجتماعي المتمثل في مشاعر الفرد وولائه وإنتمائه للمجتمع الذي يعيش فيه،فالعامل يمضي وقتا أطول في عمله أكثر بكثير من ذلك الذي يقضيه مع أسرته.

ذلك أن أغلب الدراسات السابقة ركزت إهتمامها على المدخل الفردي لتخطيط المسار الوظيفي دونما الاهتمام بمشكلة عدم وضوح المسار الوظيفي وغموضه،عدم تطابق الأهداف، الجمود الوظيفي وما يحمله من سلبيات كبقاء العامل في وظيفته لسنوات طويلة، الرغبة في التقاعد المبكر، البنية الصلبة في الهيكل التنظيمي وغيرها.كما أن هذه الدراسة تمكننا بإلقاء الضوء على العوامل التنظيمية لتخطيط المسارالوظيفي للعمال ودرجة ولاءهم للمؤسسة.من هنا برزت الحاجة إلى ضرورة دراسة موضوع تخطيط المسار الوظيفي وأثره على الولاء التنظيمي للعمال،هذا الأخير الذي أصبح مطلبا أكثر من مكسب في المؤسسة.

وعليه ستكون هذه الدراسة محاولة للاجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

كيف يؤثر تخطيط المسار الوظيفي على الولاء التنظيمي للعمال بالمؤسسة الجزائرية ؟

وتتدرج ضمن هذا التساؤل الرئيسي التساؤلات التالية:

1- هل بداية المسار الوظيفي تساعد على خلق الانتماء لدى العامل بالمؤسسة الجزائرية؟

2- هل تنمية المسار الوظيفي تؤدي إلى زيادة تفاني العامل في عمله بالمؤسسة الجزائرية؟

3- هل إستقرار المسار الوظيفي يؤثر على رغبة العامل في البقاء في العمل بالمؤسسة الجزائرية؟

الفرضيات:

إنطلقت الدراسة من فرضية رئيسية مؤداها: يؤثر تخطيط المسار الوظيفي إيجابا على الولاء التنظيمي للعمال بالمؤسسة الجزائرية.

وإنبثقت عن هذه الفرضية الفرضيات التالية:

1- بداية المسار الوظيفي تساعد على خلق الانتماء لدى العامل بالمؤسسة الجزائرية.

2- تنمية المسار الوظيفي تؤدي إلى زيادة تفاني العامل في عمله بالمؤسسة الجزائرية.

3- إستقرار المسار الوظيفي يؤثر على رغبة العامل في البقاء في العمل بالمؤسسة الجزائرية.

أهداف الدراسة: نلخص أهداف الدراسة في النقاط التالية:

1- التعرف على وظيفة تخطيط المسار الوظيفي،مع تسليط الضوء على الولاء التنظيمي وبيان أهميته بالنسبة للمؤسسة.

2- الوقوف على العراقيل المختلفة التي تحول دون التخطيط الجيد للمسار الوظيفي بالمؤسسة.

3- معرفة العلاقة بين تخطيط المسار الوظيفي والولاء التنظيمي.

4- تقديم بعض الاقتراحات تبعا لما تم التوصل إليه من نتائج والتي من شأنها إعطاء دافع للاهتمام بتخطيط المسار الوظيفي للعمال من أجل كسب ولائهم.

مفاهيم الدراسة :

✓ **تخطيط المسار الوظيفي:**

يعرف تخطيط المسار الوظيفي بأنه:"إحدى وظائف إدارة الموارد البشرية التي تعنى بإحداث توافق بين الفرد والوظيفة التي يشغلها، وذلك بغرض أساسي هو تحقيق أهداف المؤسسة..." **(أحمد ماهر،2006،ص374).**

كما يعرف تخطيط المسار الوظيفي بأنه: " الجانب الذي يقع ضمن مسؤولية الفرد نفسه في تنمية المسار الوظيفي ويتضمن ما يخططه الفرد بنفسه لحياته الوظيفية،ويشمل تقييم الفرد لقدراته وإهتماماته للفرص الوظيفية المتاحة **(صلاح عبد الباقي،2002،ص286).**

التعريف الإجرائي:

نعرف تخطيط المسار الوظيفي بأنه من مهام إدارة الموارد البشرية تقوم خلالها بمجموعة من الممارسات التنظيمية والإدارية بما يتفق وقدرات الفرد وكفاءته ولا يتأتى هذا إلا إذا أدرك هذا الأخير مساره الوظيفي من خلال رغباته وميوله وتقييم أداء،ويمكن تتبع المسار الوظيفي عبر مراحل وهي: بداية المسار الوظيفي،تنمية ثم إستقرار المسار الوظيفي.

✓ **الولاء التنظيمي:**

لغة : الولاء يعني العهد،والقرب والنصرة،والمحبة والالتزام **(موسى اللوزي،2003،ص118).**

إصطلاحا: يعرف **بورتر** الولاء التنظيمي بأنه قوة تطابق الفرد مع منظمته وإرتباطه بها،وأن الفرد الذي يظهر مستوى عال من الولاء التنظيمي إتجاه المنظمة التي يعمل فيها يكون لديه إعتقاد قوي بقبول أهداف وقيم المنظمة وإستعداد بذل أقصى جهد ممكن لخدمة المنظمة وأن تكون له رغبة قوية في المحافظة على إستمرار عمله في المنظمة. **(صلاح الدين أبوالعلا،2009،ص36).**

التعريف الإجرائي:

الولاء التنظيمي ما هو إلا إمتداد لولاء وإنتماء الفرد لمجتمعه،بمعنى آخر قوة إرتباط الفرد بمكان عمله وتطابق أهدافه مع أهداف مؤسسته الأمر الذي يؤدي به إلى تقبل ثقافتها عموما،والعمل على بذل ما بوسعه في سبيل البقاء فيها والمحافظة عليها والاعتزاز بها.

الدراسات السابقة :

سنحاول إستعراض بعض الدراسات الميدانية التي تناولت كل من تخطيط المسار الوظيفي والولاء التنظيمي،ومن أهم الدراسات المعتمدة نذكر مايلي:

دراسة (**قشي،2008**) عنوان الدراسة "**محددات تخطيط المسارات الوظيفية في إطارالموارد البشرية**"

جاءت الدراسة للكشف عن محددات المسار الوظيفي الفردية والتنظيمية والتعرف على مدى التوافق بين المؤهل العلمي للموظف والوظيفة،أما عن منهج الدراسة المعتمد فكان المنهج الوصفي التحليلي هو الأنسب لرصد المعارف العلمية المتعقلة بالدراسة . حسب الباحثة . وإنطلاقا من مجتمع البحث المتكون من (130) فردا ممثلين في إطارات وموظفي مديرية الموارد البشرية والوسائل العامة بمؤسسة صناعة الكوابل ببسكرة،حيث إختارت الباحثة العينة القصدية متكونة من(35) فردا مطبقة عليها الاستبيان كأداة لجمع البيانات فتضمن (63) فقرة. ومن بين ما توصلت إليه الباحثة هوأنه توجد علاقة بين وضوح المسار الوظيفي،المستوى العلمي وتخطيط المسارات الوظيفية. كما توجد علاقة بين الجو التنظيمي، البرامج التدريبية، الاستقطاب وتخطيط المسارالوظيفي، ولا توجد علاقة بين الأنظمة واللوائح،وحرية إختيار الوظيفة وتخطيط المسارات الوظيفية.

دراسة (**أرزي،2012**) عنوان الدراسة "**أثر المسار الوظيفي على أداء العاملين في المؤسسات الجزائرية**"

عالج الباحث مشكلة المسارالوظيفي وتأثيرها على أداء العاملين،فسعى التعرف على مدى إدراك المؤسسة لأهمية العنصرالبشري، والوقوف على معوقات تخطيط المسارالوظيفي، ومن ثمة تقديم بعض المقترحات. وبعد الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث بمؤسسة الاسمنت ومشتقاته بسعيدة مستخدما المنهج الوصفي التحليلي وعينة مقدرة بـ (35 %) من مجتمع البحث، توصل هذا الأخير إلى أن المؤسسة تهتم بعملية التخطيط للمسار الوظيفي لعمالها من خلال عملية تقييم الأداء والتدريب، التصريح بالمناصب الشاغرة، المكانة الهامة التي تحتلها المؤسسة تسمح لها بعملية الاستقطاب الجيد لمواردها البشرية.

دراسة **(شريبط،2008)** عنوان الدراسة " **الاتصال التنظيمي وعلاقته بالولاء التنظيمي**"

حاول الباحث من خلال دراسته الكشف عن طبيعة العلاقة بين الاتصال التنظيمي والولاء التنظيمي،فكانت الدراسة وصفية تحليلية مستخدما فيها الحصر الشامل لصغر حجم مجتمع البحث المتمثل في الإطارات الوسطى لمؤسسة سونلغاز بعنابة وعددهم (83) إطارا،فكانت الاستمارة الأداة الأساسية لجمع البيانات وبعد إستبعاد (10) إستمارات منها،توصل الباحث إلى وجود علاقة موجبة ضعيفة بين بعد الاتصال الشفوي والولاء التنظيمي، كما توجد علاقة موجبة متوسطة بين بعدي الاتصال الكتابي، مرونة الاتصال والولاء التنظيمي، وأخيرا تأكد من عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين فئات المتغيرات ولا تؤثر على مستوى الولاء.

دراسة **(كرمي،2009)** عنوان الدراسة " **التغيير التنظيمي وأثره على الولاء التنظيمي**"

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل التي تؤثر في درجة ولاء للموظفين في ظل التغيير التنظيمي ،تكونت العينة من (81) موظفا من مؤسسة الكهرباء والغاز بعنابة، ولقد إعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي وإستخدامت المقابلة كأداة لجمع البيانات،وتضمنت الاستمارة على (67) سؤالا، وتوصلت الباحثة إلى النتائج التالية : الإدارة وحدها المسؤولة عن التغيير ،عدم إشراك المستويات الدنيا والمتوسطة، عدم وضوح أهداف التغيير،مع غياب العوامل المساعدة على تنمية الولاء التنظيمي، عدم توفر سياسات داخلية لإشباع حاجات العاملين، لا يوجد إختلاف في درجة الولاء لدى الموظفين تبعا للصفات الشخصية.

إجراءات البحث الميدانية:

منهج الدراسة :

إنطلاقا من موضوع دراستنا،والذي يهدف أساسا إلى الكشف عن العلاقة بين تخطيط المسار الوظيفي والولاء التنظيمي إقتضت الضرورة إلى الاعتماد على المنهج الوصفي لقدرته على وصف الواقع التنظيمي وتحليل معطياته.إذ نسعى من خلال بحثنا تحديد واقع تخطيط المسارالوظيفي والولاء التنظيمي بالمؤسسة الجزائرية محل إجراء العمل الميداني، فيندرج البحث ضمن الدراسات الوصفية التي تهدف إلى وصف الظاهرة وتفسيرها لاستخلاص مضمونها، وإقتراح حلول مناسبة لها.

مجتمع الدراسة :

يتألف مجتمع الدراسة من جميع عمال شركة بناء الهياكل المعدنية بأم البواقي، والبالغ عددهم أثناء فترة التربص الميداني (160) عاملا موزعين على فئات وهي: (25) إطارات،(41) أعوان التحكم،(94) تنفيذيين.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (50) عاملا بشركة بناء الهياكل المعدنية بأم البواقي،وبعد أن تبين أن مجتمع الدراسة غير متجانس ومقسم إلى فئات،أختيرت العينة بطريقة العينة العشوائية الطبقية أي بإختيارمفردات عينة البحث من كل طبقة بطريقة عشوائية موزعة كالآتي: (11) إطار،(16) عون تحكم،(23) عون تنفيذ.

أدوات جمع البيانات:

إعتمدت الدراسة في جمع بياناتها على أداة أساسية وهي الاستبيان وأدوات ثانوية وهي المقابلة والملاحظة.

عرض وتحليل نتائج الدراسة :

عرض نتائج المحور الأول:

الجدول رقم (01) يبين خصائص العينة من حيث متغير (الجنس،السن،المستوى المهني،الخبرة)

المتغير		التكرارات	المجموع	النسبة %	النسبة الكلية %
الجنس	ذكر	35	50	70	100
	أنثى	15		30	
السن	18- 28	07	50	14	100
	29- 39	10		20	
	40- 50	24		48	
	51 سنة فما فوق	09		18	
الحالة الاجتماعية	أعزب	14	50	28	100
	متزوج	33		66	
	مطلق	02		04	

	أرمل	01		02	
الخبرة	أقل من 5 سنوات	10	50	20	100
	من 5 إلى 10 سنوات	07		14	
	من 10 إلى 15 سنة	08		16	
	أكثر من 15 سنة	25		50	

من خلال قراءتنا للجدول المدون أعلاه والمتعلق ببعض خصائص عينة الدراسة إتضح لنا مايلي:

- ✓ بالنسبة لمتغير الجنس نجد وأن فئة الذكور تفوق بشكل كبير فئة الإناث،حيث بلغت نسبتهم (70 %) بينما كانت نسبة الإناث (30%)،ويأتي تفسيرنا لذلك إلى طبيعة المهام والأنشطة بالمؤسسة والتي تتلاءم مع الرجال أكثر منها مع النساء فمن أبرز مهامها نذكر مثلا: صناعة وتركيب أعمدة نقل الطاقة الكهربائية وأعمدة النقل للسكك الحديدية،صناعة اللوحات الإشهارية...إلخ.
- ✓ أما متغير السن فتقر الشواهد الإحصائية أن أغلبية المبحوثين يتراوح سنهم ما بين 40-50 سنة بنسبة (48%)،في حين تعبر أقل نسبة (14%) عن العمال الذين يتراوح سنهم ما بين 18-28 سنة،وهذا يدل على أن أغلبية العمال ينتمون إلى الفئة العمرية الأولى وهم كبار في السن.
- ✓ أما بالنسبة لمتغير الحالة الاجتماعية فتبين أن جل عمال المؤسسة متزوجون وهذا ما تعبر عنه النسبة (66%)،ثم تليها مباشرة نسبة غير المتزوجين المقدرة بـ (28 %) أما المطلقون فهم يمثلون نسبة (04%) في حين تكاد تنعدم نسبة الأرامل بالمؤسسة والمقدرة بـ (02 %).
- ✓ وبالنسبة لمتغير الخبرة إتضح أن المؤسسة تعتمد بشكل واضح على العمال الذين لديهم أقدمية أكثر من 15 سنة،كما تستقطب أيضا العمال الذين إلتحقوا بالعمل مؤخرا،وهذا ما عبرت عنه النسبة (50 %) بالنسبة للعمال الذين لديهم خبرة أكثر من 15 سنة ثم نسبة (20%) من العمال الذين لديهم أقدمية أقل من 05 سنوات.

عرض نتائج المحور الثاني:

الجدول رقم (02) يبين بداية المسار الوظيفي تساعد على خلق الانتماء لدى العامل بالمؤسسة الجزائرية .

العبارات	الاختيار/ نعم	النسبة %	الاختيار/ لا	النسبة %	النسبة الكلية %
سهولة تعرف العامل على منصبه عند إلتحاقه بالمؤسسة	38	76	12	24	100
ظروف العمل تشجع على زيادة رغبة العامل في الاستقرار	35	70	15	30	100
تناسب المهام المسندة للعامل مع مؤهلاته	44	88	06	12	100
فضل المؤسسة في تخطيط الحياة الوظيفية للعامل	38	76	12	24	100

بالرجوع إلى الجدول السابق،إتضح أن نسبة (76%) من المبحوثين لم يجدوا أية صعوبة في التعرف على منصبهم من خلال المهام الموكلة إليهم،وترى نسبة (70%) منهم أن ظروف العمل جاءت مشجعة على زيادة رغبتهم في الاستقرار في عملهم،كما أن نسبة (88 %) من المبحوثين أكدوا بأن المهام التي يقومون بها تتناسب ومؤهلاتهم ،أما بالنسبة لفضل المؤسسة في تخطيط الحياة الوظيفية للعامل نجد وأن نسبة (76%) من أفراد العينة كانت إجابتهم بنعم.

وعليه، يمكننا القول أن هذه النسب تعكس بحق الدور المهم الذي تلعبه بداية المسار الوظيفي للعامل بإعتبارها مرحلة مهمة في الحياة الوظيفي له،إذ تساعد على خلق الانتماء لدى العامل بمؤسسته.

عرض نتائج المحور الثالث:

الجدول رقم (03) يبين تنمية المسار الوظيفي تؤدي إلى زيادة تفاني العامل في عمله بالمؤسسة الجزائرية .

العبارات	الاختيار/ نعم	النسبة %	الاختيار / لا	النسبة %	النسبة الكلية %
تلقي العامل للتدريب بالمؤسسة	22	44	28	56	100
مدى ملائمة أهداف التدريب مع الحاجات والتوقعات	17	34	33	66	100
حصول العامل على الترقية في عمله	21	42	29	58	100
مدى رضا العامل على عملية الترقية في المؤسسة	18	36	32	64	100

من خلال قراءتنا لنتائج هذا الجدول نلاحظ أن تنمية المسار الوظيفي تؤدي إلى زيادة تفاني العامل في عمله بالمؤسسة،ونستدل على ذلك بالقول أن العاملين الذين تلقوا تدريبا في عملهم وعددهم 17 عامل أي ما يقابل (44%) من أفراد العينة أكدوا على أن أهداف التدريب جاءت مناسبة مع حاجاتهم وتوقعاتهم،كما عبرت النسبة (36%) من المبحوثين عن رضاهم على عملية الترقية على خلاف النسبة (64 %) منهم لم يكونوا راضين على عملية الترقية وهذا أمر طبيعي لوجود إعتبارات كثيرة للترقية في المسار الوظيفي للعامل.

عرض نتائج المحور الرابع:

الجدول رقم(04) يبين إستقرار المسار الوظيفي يؤثر على رغبة العامل في البقاء في العمل بالمؤسسة الجزائرية

العبارات	الاختيار/ نعم	النسبة%	الاختيار/ لا	النسبة%	النسبة الكلية %
تطابق القيم التي يؤمن بها العامل مع قيم مؤسسته	45	90	05	10	100
إستعداد العامل لبذل جهد أكبر مما هو مطلوب منه	41	82	09	18	100
تعويض ساعات العمل الإضافية	19	38	31	62	100
إعتزاز العامل بعمله في المؤسسة	37	74	13	26	100
حصول العامل على شهادة شرفية من قبل المؤسسة	12	24	38	76	100
منح العامل فرصة للعمل في مؤسسة أخرى	18	36	32	64	100

في قراءتنا للجدول المدون أعلاه والمتعلق بمحور إستقرار المسار الوظيفي للعامل وتأثيره على رغبته في البقاء في العمل بمؤسسته نجد أن نسبة (90 %) من المبحوثين تتطابق قيمهم مع قيم المؤسسة، كما أن نسبة (82%) من أفراد العينة لديهم إستعداد كامل لبذل جهود كبيرة وهذا نابع تقييمهم لمؤسستهم وتفانيهم في عملهم.

أما بالنسبة لتعويض العامل لساعات العمل الإضافية فتشير المعطيات المتحصل عليها بأن نسبة (62%) من المبحوثين لا يرغبون في التعويض لهذه الساعات بل هم على إستعداد لبذل مجهودات أكبر من أجل نجاح مؤسستهم ولا يتطلعون لأي مكافأة في هذا المجال،كما أن نسبة (74%) من أفراد العينة يعتزون بإنتمائهم لمؤسستهم وذلك من خلال حديثهم لأصدقائهم عن عملهم.أما عن حصول العمال على شهادات شرفية تؤكد الشواهد الإحصائية أن نسبة(24%) من المبحوثين فقط تحصلوا على شهادة شرفية عرفانا لهم،في حين أن نسبة (64 %) من المبحوثين يرفضون العمل في مؤسسات أخرى إذا منحت لهم فرصة لذلك.

من خلال هذا العرض نستنتج أن إستقرار المسار الوظيفي للعامل يؤثر على رغبته في البقاء في مؤسسته ونستدل على ذلك من خلال رفض العامل لتعويض الساعات الإضافية،ورفضه للانتقال للعمل بمكان آخر.

مناقشة النتائج:

بعد الدراسة الميدانية تحصلنا على البيانات وبعد عرضها وتحليلها، أبانت النتائج على تحقق الفرضية العامة والتي مؤداها " يؤثر تخطيط المسار الوظيفي إيجابا على الولاء التنظيمي للعمال بالمؤسسة الجزائرية"،وذلك بتحقق الفرضيات الفرعية الثلاث والتي نوضحها كما يلي:

الفرضية الأولى: "بداية المسار الوظيفي تساعد على خلق الانتماء لدى العامل بالمؤسسة الجزائرية "

من خلال الشواهد الإحصائية الخاصة بهذه الفرضية إتضح أن المؤسسة تخطط للمسار الوظيفي لعمالها إذ إهتمت بمرحلة بداية المسار الوظيفي من خلال التصريح بالمناصب الشاغرة لديها، وبعد تحديد المهام لكل وظيفة يتم الإعلان عنها عبر وسائل مختلفة أهمها مديرية التشغيل،كما إعتمدت المؤسسة في تعيينها لعمالها على إجراء المقابلات والاختبارات.وبمجرد إلتحاق العاملين بمكان عملهم يتم مرافقتهم من قبل مشرفين للتعرف على مهامهم،حيث نجد أن نسبة العمال الذين لم يجدوا صعوبة في التعرف على المهام الموكلة لهم مقدرة بـ : (76 %)،كما أن أغلبية العمال أقروا بأن علاقتهم جيدة في التعامل مع زملائهم وبالتالي سمح هذا المناخ التنظيمي على الرغبة في العمل أكثر،كما أنه يعد عامل مهم في إستقطاب الكفاءات للعمل بالمؤسسة مستقبلا،ومن خلال البيانات المتحصل عليها من الميدان ثبت أن بداية المسار الوظيفي ساعدت فعلا على خلق الانتماء لدى العامل.

الفرضية الثانية: " تنمية المسار الوظيفي تؤدي إلى زيادة تفاني العامل في عمله بالمؤسسة الجزائرية".

يتضح من البيانات المتحصل عليها أن هذه الفرضية تحققت هي الأخرى لأن المؤسسة إعتمدت على التدريب لضمان تجديد معارف العمال ومواجهة التغيير،بينما الترقية بالرغم من الاعتماد عليها إلا أنها تأتي بعد مدة طويلة كما ثبت أن العامل الذي إستفاد من التدريب أو الترقية تحسن أداءه وهو راض على المعايير المتبعة في ذلك وهذا ما جعله يكثف من جهوده وهو على إستعداد تام لتقديم الأفضل وإعترافه بأن للمؤسسة فضل في التخطيط لحياته الوظيفية.

الفرضية الثالثة: " إستقرار المسار الوظيفي يؤثر على رغبة العامل في البقاء في العمل بالمؤسسة الجزائرية"

تشير الشواهد الإحصائية الموضحة في الجدول الخاص بمحور إستقرارالمسار الوظيفي للعامل وتأثيره على رغبة العامل في البقاء للعمل في مؤسسته إلى تحقق الفرضية الثالثة، بيد أن إستقرار المسار الوظيفي له دور كبير في جعل العامل يرغب في البقاء في مكان عمله وهذا ما لمسناه على أرض الواقع تمثل في إنضباط العاملين وتفانيهم في العمل، الإصغاء للأوامر،تقديم إقتراحات، عدم التغيب، عدم تعويض الساعات الإضافية...إلخ، فنجد مثلا نسبة (82%) من العمال هم على إستعداد تام لبذل جهد أكبر مما هو مطلوب منهم،وتعبر النسبة (43.47%) عن العمال الذين زاد إرتباطهم بالمؤسسة بعد تحويلهم إلى مكان عمل آخر لذات المؤسسة،وهذا لدليل كاف على أن الاستقرار الوظيفي للعامل وإرتباطه بالعمل مؤشر قوي في زيادة الولاء التنظيمي.وعليه نتوصل إلى نتيجة وهي صدق الفرضيات الفرعية وهذا يعني صدق الفرضية العامة التي مؤداها يؤثر تخطيط المسار الوظيفي إيجابا على الولاء التنظيمي للعمال بالمؤسسة الجزائرية.

نتائج الدراسة في ضوء الدراسات السابقة:

نحاول في هذا العنصر أن نوضح أن للدراسات السابقة نقاط تقاطع مع دراستنا الراهنة نلخص البعض منها في النقاط التالية :

فيما يخص الدراسة الأولى الموسومة محددات تخطيط المسارات الوظيفية في إطار الموارد البشرية، من أبرز نتائجها وجود علاقة بين وضوح المسار الوظيفي وتخطيط المسارات الوظيفية، ولا توجد علاقة بين الأنظمة واللوائح، وإختيار الوظيفة وتخطيط المسارات الوظيفية، كما توجد علاقة بين الجو التنظيمي، المستوى العلمي، التدريب، الاستقطاب وتخطيط المسار الوظيفي وهو ما تتفق معه الدراسة الراهنة.

في حين أن الدراسة الثانية بعنوان أثر المسار الوظيفي على أداء العاملين في المؤسسات الجزائرية، تكاد تكون نتائج هذه الدراسة مشابهة مع دراستنا من حيث الاهتمام بعملية التخطيط للمسار الوظيفي للعمال وإستغلال عملية تقييم الأداء للتقليل من نقاط الضعف لديهم وتدريبهم، والمؤسسة تصرح بالمناصب الشاغرة وتمنح فرص العمل لطلبيه بالاستقطاب وزيادة الرضا الوظيفي لعمالها.

أما بالنسبة للدراسة الثالثة بعنوان الاتصال التنظيمي وعلاقته بالولاء التنظيمي إتفقت نتائج دراستنا مع هذه الدراسة من حيث تبيان أهمية الاتصال ومرونته وعلاقته بدرجة الولاء التنظيمي، وهذا موجود ضمنيا بدراستنا عندما طرحنا أسئلة حول تشجيع ظروف العمل على زيادة رغبة العامل في الاستقرار بالمؤسسة، طبيعة العلاقة بين العامل وزملاءه ...إلخ.

وأخيرا الدراسة الرابعة بعنوان التغيير التنظيمي وأثره على الولاء التنظيمي ومن أهم نتائجها أن التدريب يزيد من الولاء بإعتباره محفز معنوي،عدم وضوح الأهداف مع غياب العوامل المساعدة على تنمية الولاء في وجود معوقات كثيرة لذلك أهمها عدم إشراك العمال في إتخاذ القرارات، وهذا ما تتفق معه نتائج الدراسة الحالية وخاصة فيما يتعلق بالتدريب كونه محفز قوي لزيادة الولاء.

الخاتمة:

تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن موضوع تخطيط المسار الوظيفي ذات أهمية بالغة وهو جدير بالاهتمام لماله من دور فعال في رفع الولاء التنظيمي للعمال بالمؤسسة في سبيل تحقيق التوافق في الأهداف وتطابقها، كما يعد الولاء للمؤسسة عامل بارز لمواجهة المخاطر التي يفرضها المحيط الخارجي لها بإعتبارها نسق مفتوح،فبات من الواضح أن إدارة الموارد البشرية تحتاج إلى جهد كبير للقضاء على المظاهر السلبية غير الرشيدة من أجل إسترجاع طابعها التنظيمي المفقود في ظل ممارسات عشوائية غير مؤهلة، كما أن إهمال عملية التدريب والترقية بالمؤسسة وإن وجدت . فهي تقتصر على فئة من العمال دون سواهم . ما ينجر عنه حتما نوع من الجمود في المسارات الوظيفية لهم ما يؤدي بدوره إلى ما لا يرضاه هؤلاء وهذا ما ينعكس سلبا على إرتباطهم بعملهم وولاءهم لمؤسستهم.

الاقتراحات:

وتبعا للنتائج المتحصل عليها،ننهي دراستنا بمجموعة من الاقتراحات وهي:

- وجوب الالتزام بإتباع الطرق العلمية في عملية تعيين الموارد البشرية، وهي أقصر طريق لنجاح المؤسسة وضمانا لاستقرارها.
- ضرورة الاهتمام بالمورد البشري والاستثمار فيه،من بداية المسار الوظيفي له إلى غاية تركه لعمله، بيد أن المرحلة الأولى في العمل تؤثر سلبا أوإيجابا على المراحل اللاحقة لها،ومن ثمة القول بوجود مؤشرات للولاء من عدمها.
- توفير بيئة تنظيمية مناسبة للعمال تزيد من ولاءهم بما يتماشى وأهداف الفرد والمنظمة معا.
- إعادة التفكير في كيفية كسب ولاء العامل لضمان نجاح المؤسسة وإستمرارها لأن الولاء أصبح مكسبا أكثر منه مطلبا، فبات من الصعب جدا كسب ولاء العامل من خلال التحفيز المادي فقط بل المطلوب التركيز أيضا على الجوانب المعنوية.
- التخلي عن الاعتقاد السائد بأن تخطيط المسار الوظيفي من مسؤولية الفرد لوحده أو المؤسسة لوحدها، والسعي من أجل خلق التوازن بين المدخل التنظيمي والمدخل الفردي في تخطيط المسار الوظيفي للعمال

كون الرهان الحقيقي الذي تواجهه المؤسسات خاصة في الآونة الأخيرة يمكن تلخيصه في السؤال التالي: كيف تحافظ المؤسسة على مواردها البشرية ؟

قائمة المراجع :

1- أحمد،ماهر.(2006).إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية،الإسكندرية.

2- أحمد،ماهر.(1999).إدارة الموارد البشرية، الدارالجامعية للطبع والنشر والتوزيع،الإسكندرية.

3- أرزي،فتحي.(2012).أثر المسار الوظيفي على أداء العاملين في المؤسسات الجزائرية، رسالة دكتوراة في العلوم الاقتصادية، قسم تسيير،جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان.

4- جمال الدين،محمد المرسي.(2002).الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية مدخل لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمة القرن الواحد والعشرين،الدار الجامعية،الإسكندرية.

5- شريبط،الشريف محمد.(2008).الاتصال التنظيمي وعلاقته بالولاء التنظيمي،دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في علم النفس تخصص تنظيم وعمل،جامعة منتوري . قسنطينة.

6- صلاح الدين،عبد الباقي.(2004).السلوك الفعال في المنظمات،الدار الجامعية للنشر،الإسكندرية.

7- صلاح،عبد الباقي.(2002).السلوك الفعال في المنظمات،دار الجامعة الجديدة للنشر،الإسكندرية.

8- قشي،إلهام.(2008).محددات المسارات الوظيفية في ظل إدارة الموارد البشرية،رسالة ماجستير في علم النفس فرع تنظيم وعمل،جامعة منتوري . قسنطينة.

9- كرمي،كريمة.(2009).التغيير التنظيمي وأثره على الولاء التنظيمي،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في علم الاجتماع،شعبة إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية،جامعة باجي مختار. عنابة.

10- محمد،حافظ حجازي.(2007).إدارة الموارد البشرية،دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية.

11- موسى،اللوزي.(2003).التطوير التنظيمي أساسيات ومفاهيم، دار وائل للنشر والتوزيع،عمان،الأردن.

واقع الخدمات الاجتماعية المقدمة لفئة المعاقين بمراكز الرعاية الاجتماعية : تجربة عمل.

الباحثة/ كوندة سلمى ـ جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2- الجزائر.

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة أو المعاقين وبالتحديد المقيمين بمراكز الرعاية الاجتماعية، من خلال التطرق لمركز الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي كنموذج لها، وذلك أن الباحثة قدمت تجربة عملها بالمركز.

وقد انطلقت الباحثة من أرضية نظرية حول أصناف الإعاقة وأسبابها والمشكلات الناجمة عنها، وصولا إلى تقديم قراءة وصفية ميدانية حول الخدمات الاجتماعية التي تقدم للمعوقين بهذا المركز، والتي تلخصت في المجال النفسي والصحي والاجتماعي والترويحي.

الكلمات المفتاحية: الخدمة الاجتماعية، المعاقين، ذوي الاحتياجات الخاصة، مراكز الرعاية الاجتماعية، دار المسنين و/أو المعاقين.

Summary:

The present study aims to shed light on the special needs or persons with disabilities, and specifically those living in social care centres, through to address the status of elderly and/or disabled persons in favour of ebay as a model, as the researcher provided her work experience at the centre.

The researcher launched a theoretical platform on the types, causes and problems of disability, leading to a descriptive reading on the ground social services for persons with disabilities in this centre, which are summarized in the psychological, health, social and recreational fields.

Keywords: social service, disabled persons with special needs, social care centres, home for the elderly and/or disabled persons.

أولا-مقدمة:

ازداد الاهتمام بفئة المعاقين أو ذوي الاحتياجات الخاصة في الآونة الأخيرة ولاسيما عند المختصين في العلوم الاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، وبشكل خاص لدى هذه الأخيرة-الخدمة الاجتماعية- التي تدخل ضمن مجالات الدراسة فيها، ويرجع هذا الاهتمام إلى تغير النظرة المجتمعية للمعاق من فرد عاطل يشكل عبئا على أسرته ومجتمعه إلى شخص قادر على العطاء وعنصرا مهما في المجتمع.

وتعنى هذه العلوم بدراسة مشكلات شريحة المعاقين والبحث في الحلول الممكنة لعملية دمجها وتمكينها في الوسط الاجتماعي، وقد أنشأت مؤسسات رسمية وأخرى غير رسمية مهمتها التكفل بهؤلاء من خلال تلبية مختلف احتياجاتهم والعمل على إكسابهم المعارف والمهارات التي تؤهلهم للمشاركة الإيجابية في مختلف الأنشطة الحياتية من منطلق أنهم جزءا لا يتجزأ عن المجتمع لديهم حقوقهم الخاصة، كما أن أصبح تقدم الأمم والمجتمعات مرهون بما تقدمه من خدمات اجتماعية لأفرادها سواء كانوا أسوياء أو فئات خاصة.

وتجدر الإشارة إلى أن الإعاقة هي شكل من أشكال العجز التي تصيب الإنسان منذ ولادته أو في مرحلة من مراحل حياته تجعله غير قادر على أداء وظيفة أو عدة وظائف التي تعتبر أساسية في يومياته، وتتعدد أشكال الإعاقة حسب العضو المصاب بالعجز، فنجد الإعاقة البصرية والإعاقة السمعية، والإعاقة الحركية والإعاقة الذهنية وحتى متعددي الإعاقات، وحسب التقرير الذي أعدته منظمة الصحة العالمية والبنك الدولي بأنه هناك أكثر من مليار نسمة في العالم يعانون شكلا من أشكال العجز، ومن بينهم المعاقين الأكثر تهميشا وفقرا ولاسيما في الدول المنخفضة الدخل.[1]

أما فيما يخص نسبة الإعاقة في الجزائر فحسب تقرير الرابطة الوطنية للدفاع عن حقوق الإنسان سنة 2016 بأن ذوي الاحتياجات الخاصة يشكلون نسبة 10% من المجتمع الجزائري، حيث يتم تسجيل أكثر من 39 ألف حالة إعاقة بسبب الولادة وأزيد من ستة ألاف إعاقة بسبب حوادث المرور لتصبح النتيجة أزيد من 45 ألف حالة إعاقة جديدة سنويا.[2]

وهذه الإحصائيات الكبيرة تستدعي تدخل مختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية للتكفل بهذه الفئة وتقديم أوجه الرعاية التي تحتاجها من أجل العيش حياة كريمة، ووفقا لهذا المنطلق تتمثل إشكالية الدراسة في التعرف الخدمات الاجتماعية المقدمة لفئة المعاقين في مراكز الرعاية الاجتماعية وبالتحديد في دار الأشخاص المسنين والمعاقين بصالح باي من خلال عرض تجربتي كأخصائية اجتماعية في هذا المجال، وعليه يمكن طرح التساؤل الرئيسي الآتي:

ما هو واقع الخدمات الاجتماعية المقدمة للمعاقين في مراكز الرعاية الاجتماعية؟

---

(1) - World Health Organization & The world Bank (2011). « **World Report on Disability** ». WHO, Malta. P 11.

(2) –مقال صحفي (2016). "***الجزائر تسجل 45 ألف معاق جديد كل سنة***"، جريدة الشروق ليوم 13 مارس 2016، تم استرجاع المقال يوم: 16 نوفمبر 2017، على الساعة: 11:04، من الموقع الالكتروني الآتي:
https://www.echoroukonline.com/ara/articles/276721.html

ثانيا-أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على فئة لطالما عانت التهميش والإقصاء الأسري والاجتماعي وهي "فئة ذوي الاحتياجات الخاصة"، ولاسيما أن المعاق يعتبر طاقة بشرية مهدورة يجب رعايتها والاهتمام بها لإسهاماتها في التنمية المحلية.

كما أنه أصبح مؤشر تقدم المجتمعات يقاس بقدر رعايتها لهذه الفئات الخاصة، وبالتالي فالدراسة الحالية جاءتنا بواقع تجربة عملية للباحثة في دار الأشخاص المسنين والمعاقين لتبرز أهم الخدمات الاجتماعية المقدمة للمعاقين بهذه المؤسسة.

ثالثا-مفاهيم الدراسة:

1-الخدمة الاجتماعية:

تعرف الخدمة الاجتماعية حسب جولد شتاين *Goldstein* على أنها: "نوع من التدخل الاجتماعي الذي يساعد على تنمية وتدعيم الوسائل التي يتمكن بواسطتها الأشخاص (إما كأفراد أو جماعات) في حل المشكلات التي تعترض حياتهم الاجتماعية".

كما يعرفها وليام هدسون *William Hudson* (1925) بأنها: "نوع من الخدمة تعمل من جانب على مساعدة الفرد أو جماعة الأسرة التي تعاني من مشكلات لتتمكن من الوصول إلى مرحلة سوية ملائمة وتعمل من جانب آخر على أن تزيل بقدر الإمكان العوائق التي تعرقل الأفراد على أن يستمروا أقصى قدراتهم".[1]

وفي معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية تعبر الخدمة الاجتماعية عن الخدمات المهنية أو العمليات أو المجهودات ذات الصبغة العلاجية والوقائية والإنمائية التي تهدف إلى مساعدة الأفراد والجماعات للوصول إلى حياة كريمة ومستويات معيشية تتماشى مع رغباتهم وإمكانياتهم وتتفق مع مستويات المجتمع الذي يعيشون فيه، وتؤدي وظيفتها عن طريق تقديم خدمات مادية ومعنوية إلى من يحتاجها داخل مؤسسات أو هيئات مختصة لهذا الشأن بواسطة أشخاص مهنيين مكونين نظريا وعمليا للقيام بالأعمال المطلوبة منهم".[2]

ومن خلال هذه التعريفات النظرية يمكن استخلاص التعريف الإجرائي الآتي:

---

[1] -ماجدة السيد عبيد، حزامة جودت(2009). "***وقفة مع الخدمة الاجتماعية***". ط1، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع. ص26.

[2] -معمر داود (2009). "***مقاربة ثقافية للمجتمع الجزائري : دراسة لبعض الملامح السوسيونفسية والاقتصادية***". ط1، الجزائر: دار طليطلة.

الخدمة الاجتماعية في عبارة عن جهود مبذولة داخل المؤسسات الخاصة بالرعاية الاجتماعية، وتقدم للأفراد والجماعات من أجل تحسين ظروف حياتهم والوصول بهم إلى أرقى المستويات.

2-مراكز الرعاية الاجتماعية:

حسب تعريف محمد سيد فهمي فهي: "مؤسسات اجتماعية تخصصت في رعاية فئة من فئات المجتمع من كلا الجنسين، تقدم لهم كافة أنواع الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية والثقافية والترويحية، وقد تكون هذه المؤسسات حكومية أو أهلية أو شبه حكومية".

كما يعرفها بأنها: "مؤسسات أنشئت كتعبير عن حاجة الناس إلى خدمات معينة لتمثيل مسؤولية هذا المجتمع نحو أفراده".[1]

ويمكن تعريفها إجرائيا بأنها مؤسسات رسمية تابعة لوزارة التضامن الاجتماعي أنشأت خصيصا للرعاية والتكفل بالفئات الخاصة والهشة في المجتمع كالمعاقين وكبار السن والأطفال مجهولي النسب...وغيرها.

3-المعاق:

لا يزال مصطلح الإعاقة يثير جدلا بين المهتمين به، بحيث تعددت المصطلحات التي وصفت المعاقين بين: المعاقين والمعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة أو ذوي الحاجات الخاصة، وبين الفئات الخاصة والأشخاص غير السليمين أو غير العاديين والأشخاص غير الأسوياء، أو الأشخاص العاجزين أو حتى الأشخاص في حالة إعاقة، ووفقا لهذا الاختلاف المفاهيمي يعرف المعاقين أو الأشخاص ذوو الإعاقة حسب منظمة الأمم المتحدة بأنهم: "أشخاص لديهم اعتلال غير مؤقت (فترة من المتوقع أن تزيد عن ستة أشهر) في وظائفهم البدنية، أو في قدراتهم الفكرية، أو صحتهم العقلية، يكون له أثر سلبي على قدرتهم على المشاركة في المجتمع".[2]

وحسب التصنيف الدولي لتأدية الوظائف والعجز والصحة فإن الإعاقة تتمثل في:

- ضعف في بناء أو وظيفة الجسم مثل: إصابة عدسة العين.
- محدودة النشاط وعدم القدرة على القراءة أو التنقل.
- تقييد المشاركة مثل: الإقصاء من المدرسة.

---

[1] – فهمي، محمد سيد (2007). ***"الخدمة الاجتماعية: التطور، الطرق، المجالات"***. ط1. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع. ص31.

[2] –منظمة الأمم المتحدة (2011) ***"اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة"*** ، اللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، 10 أكتوبر 2011. ص08.

وتشمل من يعانون من عاهات طويلة المدى بدنية أو عقلية أو ذهنية أو حسية، قد تمنعهم لدى التعامل مع مختلف الحواجز من المشاركة بصورة كاملة وفعالة في المجتمع على قدم المساواة مع الآخرين.[1]

أو هي عبارة عن حالة من عدم القدرة على تلبية الفرد لمتطلبات أداء دوره الطبيعي في الحياة المرتبطة بعمره وجنسه وخصائصه الاجتماعية والثقافية، وذلك نتيجة الإصابة والعجز في أداء الوظائف الفيزيولوجية أو السيكولوجية وعليه فالإعاقة صفة غير متوازنة.[2]

ويعرف عبد الرحمن سيد سليمان في كتابه "سيكولوجية ذوي الحاجات الخاصة": بأن المعاق هو كل فرد اختلف عما يطلق عليه لفظ سوي أو عادي جسميا أو عقليا أو نفسيا أو اجتماعيا إلى الحد الذي يستوجب عمليات تأهيلية خاصة حتى يحقق أقصى تكيف تسمح به قدراته الباقية".[3]

وقد تطرق القانون الجزائري لمفهوم المعوق في القانون رقم 5/85 المتعلق بحماية الصحة وترقيتها في فصله التاسع المعنون بـ" تدابير حماية الأشخاص المعاقين"، بأنه يعد شخصا معوقا كل طفل أو مراهق أو شخص بالغ أ و مسن مصاب بما يلي:

- إما نقص نفسي أو فيزيولوجي.
- إما عجز عن القيام بنشاط تكون حدوده عادية للكائن البشري.
- وإما عاهة تحول دون حياة اجتماعية عادية أ و تمنعها.[4]

ومن خلال كل ما سبق يمكن تعريف المعاق بأنه كل: شخص عاجز على تأدية وظائفه والقيام بأعماله الخاصة، مما يتطلب مساعدة من الآخرين، ويحتاج إلى مختلف أوجه الرعاية النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والترويحية للتكيف والاندماج مع الوسط الاجتماعي.

رابعا-أصناف الإعاقة:

بناء على تتبع حالات الإعاقة عند ذوي الاحتياجات الخاصة يمكن تصنيف أنواع الإعاقة على النحو الآتي:

---

(1) -World Health Organization & Unicef (2012). « ***Early childhood Development and Disability : A discussion paper*** ». WHO, Geneva. P07.

(2) -منال طلعت محمود (2014). "***دراسات وتطبيقات ميدانية في مجالات الخدمة الاجتماعية***". الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. ص293.

(3) -ماهر اختيار (د.س) "***الإعاقة الحركية والبصرية والعقلية: مفهوم إعاقة أم إعاقة مفهوم***". ص34.

(4) -القانون رقم 05/85 (المؤرخ في 16 فيفري1985). "***المتعلق بحماية الصحة وترقيتها***". الجزائر: الجريدة الرسمية، العدد 08، السنة 22 المؤرخ في 17 فيفري 1985. ص184.

1-إعاقة جسمية أو حركية: تتمثل في المقعدون والمشلولون ومبتوري الأطراف أو الأعضاء، والمرضى بمرض مستعصي أو خطير.

2-إعاقة حسية: وتضم المكفوفين والصم على اختلاف درجاتهم.

3-إعاقة عقلية: وتنقسم إلى المرضى عقليا والمرضى نفسيا وأيضا درجات الضعف العقلي.

4-إعاقة اجتماعية: تمثل الفئات التي تتعرض للتمييز العنصري أو الجنسي أو العقائدي أو الطبقي.[1]، بالإضافة إلى ذلك أيضا الأحداث المنحرفين، والمتشردين، وأطفال الشوارع... وغيرهم.

وهناك من يصنف الإعاقة تصنيفا آخرا مثل ما جاء في دراسة سلوى إبراهيم إسماعيل (2009) والتي تتمثل في الشكل الآتي:

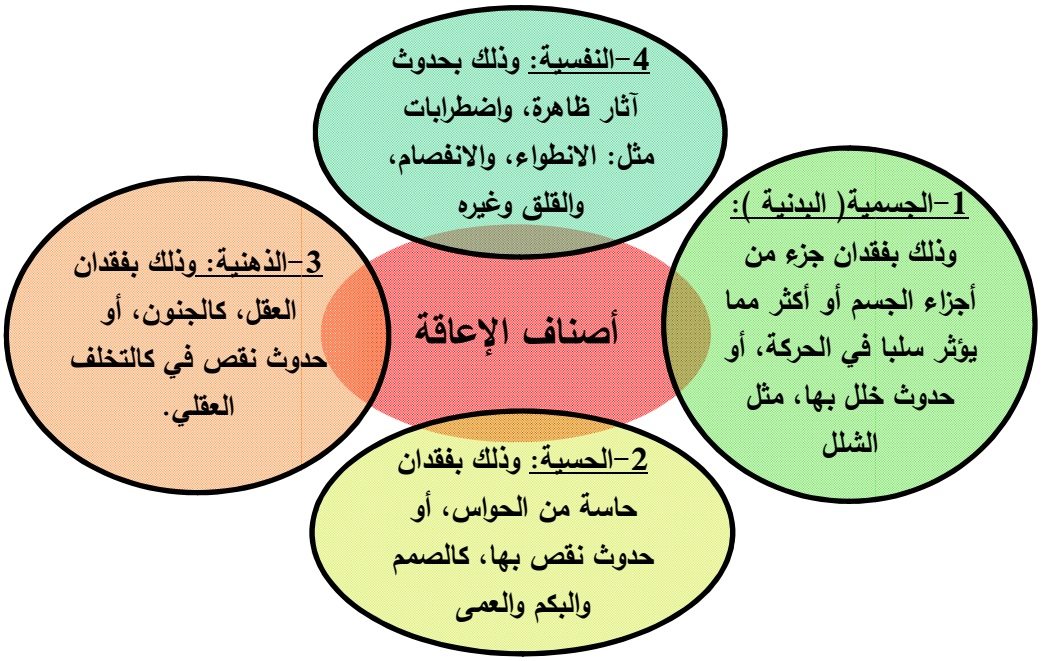

المصدر: من إعداد الباحثة وفقا للمرجع أسفله[2]

وعليه يمكن القول بأن أصناف أو أنواع الإعاقة حسب الدارسين والمهتمين بذوي الاحتياجات الخاصة هي إعاقة حسية وحركية و ذهنية أو عقلية وأخيرا اجتماعية، ونجد أيضا فئة أخرى تدخل ضمن هذه الشريحة وهم الموهوبون الذين بدورهم يحتاجون إلى رعاية اجتماعية خاصة.

خامسا-أسباب الإعاقة:

---

[1] - سلوى إبراهيم إسماعيل (أيلول2009). *"تقييم لواقع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في العراق والخدمات المقدمة لهم"*. العراق: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، دائرة التنمية، قسم السياسات الاجتماعية. ص09.

[2] -سلمان أحمد السامرائي (د.س) *"رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ودورهم المعرفي"*. قسم الكتب، شبكة الألوكة. ص06.

حسب الدارسين والمهتمين في مجال الصحة ومجال المعاقين فإنه قد ترجع أسباب الإعاقة إلى ما قبل الولادة أو أثناء الولادة أو ما بعد الولادة ويمكن توضيحها في المخطط الآتي:

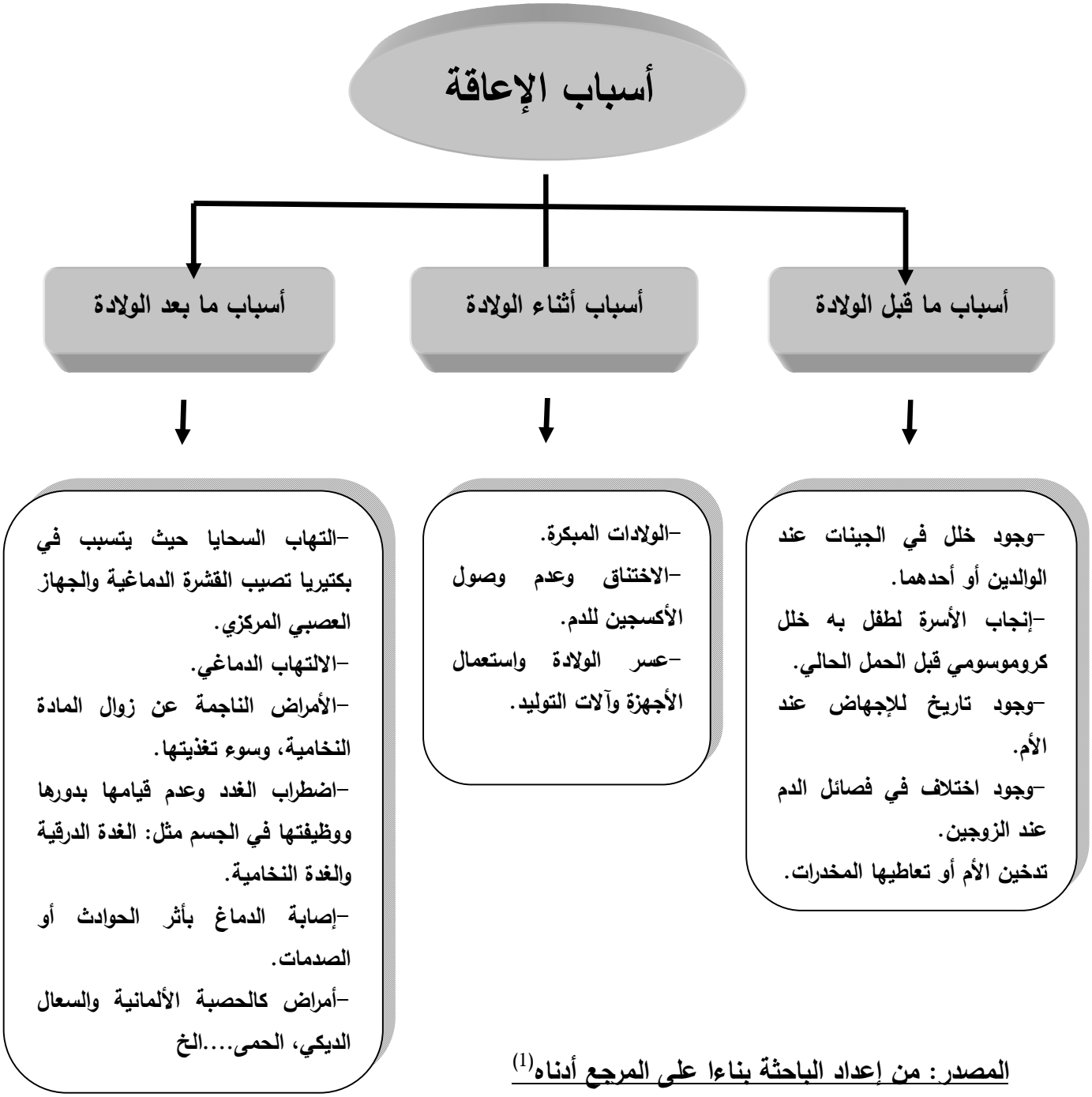

المصدر: من إعداد الباحثة بناءا على المرجع أدناه[1]

[1] -أميرة بنت عيد الخالدي (2014). "*دور الأسرة في تأهيل الطفل المعاق: دراسة وصفية على أسر الأطفال المعاقين في جمعية الأطفال المعاقين بمدينة الرياض*". رسالة ماجستير في التأهيل والرعاية الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، قسم علم الاجتماع، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض. إشراف: وجدان الصديق عباس التيجاني. ص ص11-12.

وبالإضافة إلى هذه الأسباب التي تتعلق أكثر بالطفل فإنه أيضا هناك مشكلات أخرى قد تتسبب في إعاقات مختلفة في مراحل عمرية أخرى خاصة الشيخوخة، لأن عامل السن والمتغيرات الصحية التي تصيب الفرد في هذه المرحلة تؤثر على حواسه وأعضاء جسمه وبالتالي تؤدي إلى إعاقات حسية وحركية وذهنية...وغيرها، وفضلا عن ذلك فإن أيضا لحوادث المرور وحوادث العمل الأثر البالغ فيها، كما أن الكوارث الطبيعية والحروب هي الأخرى تشكل إعاقات دائمة.

سادسا-المشكلات الناجمة عن الإعاقة:

1-مشكلات صحية: الإعاقة سواء كانت حسية أو جسمية أو عقلية هي عجز عضو أو أعضاء عن القيام بوظيفة لأسباب وراثية، أو مكتسبة ميكروبية، أو فيروسية، أو كنتيجة لحوادث معينة، أو لأسباب ما زالت مجهولة كالطفرة الوراثية أو المصادفة التي مازال الطب يعجز عن تفسيرها، ويمكن حصر المشكلات الصحية فيما يأتي:

- عدم معرفة الأسباب الحاسمة لبعض أشكال الإعاقة وخاصة الأمراض النفسية والعقلية.
- طول فترة العلاج الطبي لبعض الأمراض وتكاليف هذا العلاج كأمراض الدرن والمرض العقلي وأمراض السكر والقلب.
- عدم انتشار مراكز كافية للعلاج المتميز للمعوقين بمستشفيات تراعي ظروفهم ومشكلاتهم.
- عدم توفر مراكز كافية للعلاج الطبيعي وخاصة في المحافظات مع عدم توفر العدد الكافي من الفنيين والأجهزة الفنية لهذا العلاج.[1]

2-مشكلات نفسية: حاول الكثير من علماء النفس المهتمين بدراسة الصحة النفسية للمعوقين بوضع جملة من المشكلات النفسية التي تخلقها الإعاقة وتتمثل هذه الأخيرة فيما يأتي:

- الشعور الزائد بالنقص أي الشعور بالمستوى الأدنى مما يعيق تكيفه الاجتماعي السليم.
- الشعور الزائد بالعجز وهو الاستسلام للعاهة وقبولها بواقعها ليتولد لدى الفرد إحساس بالضعف والاستسلام لهذا الضعف مع الرغبة الانسحابية شبه الدائمة وسلوك سلبي اعتمادي.
- عدم الشعور بالأمن وهو إحساسهم بالقلق والخوف من المجهول، وتوجس الشر شبه الدائم وقد يكون لهذا الشعور أعراضا كظاهرة: كالتوتر أو الأزمات الحركية أو التقلب الانفعالي، وقد تكون له أعراضا غير ظاهرة: كالاضطرابات **الجسمية السيكوسوماتية** وهي عند عدم إخراج الانفعالات التي يتطلبها الموقف بصورة لفظية (عندها تعمل التأثيرات الداخلية من الداخل

[1] -سلوى إبراهيم إسماعيل (أيلول2009). المرجع السابق. ص21.

وتعطل الوظائف السوية لبعض الأعضاء، وأهم الأسباب التي تؤدي إلى هذا التعطل هي: مشاعر الخوف والقلق والغضب التي لا يستطيع الفرد التعبير عنها بحرية.[1]

3-مشكلات تربوية: توجد مشكلات تربوية عديدة ترافق إعاقة الشخص وتتمثل بعضها فيما يأتي:

- عدم توفر المدارس الناسبة لتعليم المعاقين الصغار والكبار وعدم كفاءة الموجود منها.
- عدم كفاية الإمكانيات اللازمة لتعليم المعاقين الصغار داخل المؤسسات التربوية.
- عدم توافر المؤسسات التعليمية للمعوقين الكبار.
- عدم قدرة المعاقين على مسايرة زملائهم العاديين في المدارس العادية.
- مشكلات نقص الإمكانيات المادية الفردية والأسرية التي تتطلبها العملية التعليمية، إضافة إلى أن عملية تعليمهم تحتاج إلى وقت أطول وجهد أكثر من أقرانهم العاديين.[2]

4-مشكلات اجتماعية: تتمثل في المشكلات المرتبطة بالبيئة المحيطة بالمعاق، سواء كان من ناحية الأسرة أو الأصدقاء أو المجتمع، وذلك حيث أن البيئة الاجتماعية هي حقيقة الوجود الإنساني ومصدر سعادة الفرد أو تعاسته.

وبما أن الإعاقة قد تصيب الفرد لا إراديا فهي تؤثر عليه مثلا: في ضعف اكتساب بعض المهارات الأدائية أو التواصلية أو ممارسة أنشطة السلوك الطبيعي في الحياة الاجتماعية مقارنة بالأفراد العاديين، ولهذا ينبغي ألا نقارن الأطفال المعاقين بأقرانهم العاديين أو حتى بأقرانهم من المعاقين في مواقف التفاعل الاجتماعي، فكل طفل معاق فريد في ذاته وفي نوعية إعاقته التي يحملها، ولهذا يجب أن يقيم هذا الطفل المعاق في ضوء مدى تقدمه وإنجازاته هو، وليس في ضوء إنجازات الآخرين معاقين كانوا أم عاديين.

وإعاقة الفرد هي إعاقة لأسرته في نفس الوقت حيث أن الأسرة بناء اجتماعي يخضع لقاعدة التوازن، ووضع المعاق في أسرته يحيط بعلاقاتها قدر من الاضطراب طالما كانت إعاقته تحول دون كفايته في أداء دوره الاجتماعي بالكامل، كما أن سلوك المعاق المسرف في الغضب أو القلق أو الاكتئاب يقابل من المحيطين به سلوك مسرف في الشعور بالذنب والحيرة، مما يقلل من توازن الأسرة وتماسكها، وهذا يتوقف على مستوى تعليم الوالدين وثقافتهما ومدى الالتزام الديني بين أفراد الأسرة.

---

[1] – سلوى إبراهيم إسماعيل، المرجع نفسه. ص ص20-21.

[2] –العمري عيسات (2015/2014) "***سياسة الرعاية الاجتماعية للمعاقين حركيا في الجزائر: دراسة ميدانية على عينة من المعاقين حركيا بالمجتمع المحلي ببرج بوعريريج***". رسالة دكتوراه في علم اجتماع التنظيم والعمل، تخصص إدارة الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2. إشراف: عبد العالي دبلة. ص 215.

ومن أهم الآثار الاجتماعية السلبية على المعاق:

- العزلة والبعد عن معاملة الآخرين ورفض التعاون حتى مع أفراد أسرته.
- الاتكالية في كثير من الأحيان.
- وعدم المرونة أو التجاوب مع أقرب الناس إليه نتيجة للآثار النفسية التي يعانى منها.
- وعموما يتميز دوره الاجتماعي بسوء التكيف مع البيئة الاجتماعية والأسرية.[1]

5-مشكلات اقتصادية: تتسبب الإعاقة في كثير من المشاكل الاقتصادية التي قد تدفع المعاق إلى مقاومة العلاج وتكون سببا في انتكاس المرضى ومنها:

- تحمل الكثير من نفقات العلاج.
- انقطاع الدخل، أو انخفاضه خاصة إذا كان المعاق هو العائل الوحيد للأسرة حيث إن الإعاقة تؤثر في الأدوار التي يقوم بها.
- قد تكون الحالة الاقتصادية سببا في عدم تنفيذ خطة العلاج، كما أنها قد تنبع المشكلة الاقتصادية من عدم وجود دافع رغبة لدى المعاق في العمل لعدم وجود طموحات لديه مما يقلل من الأهمية الاقتصادية.[2]

ويمكن القول بأن الإعاقة التي تصيب الفرد على اختلاف أصنافها تؤثر بشكل كبير على صحته ونفسيته وعلاقاته مع المحيطين به سواء أسرته أو أصدقائه أو القطاع الذي يدرس أو يعمل به هذا إن حصل على وظيفة، كما أنها تخلق لديه وقتا للفراغ يزيد من حدة المشكلة إن لم يستغله، لكن في الواقع لا توجد فضاءات للعب مهيأة خصيصا لذوي الاحتياجات الخاصة وإن وجدت في مؤسسات الرعاية الاجتماعية فإنها قليلة وغير كافية.

سابعا-الإطار الميداني:

أ-الإجراءات المنهجية للدراسة:

1-مجالات الدراسة:

1.1-المجال المكاني: تمت الدراسة بـ:-**دار الأشخاص المسنين والمعاقين بصالح باي-:** تقع هذه الدار بدائرة صالح باي بجانب الطريق الوطني رقم 28، تبعد عن الولاية بحوالي 41 كلم وتتمتع بطابع

---

[1] - هبة عاطف السيد محمود عوض (2014). "***دور الجمعيات الأهلية في تفعيل حماية حقوق المعاقين: دراسة ميدانية على الأطفال ذوي الإعاقة بمحافظة الدقهلية***". رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة المنصورة. إشراف محمد أحمد غنيم وإقبال مصطفى صادق. ص ص 165-166.

[2] -المرجع نفسه. ص ص 165-166.

حضري، دشنت من طرف والي الولاية يوم: 23 مارس 1988 بعدما أن حولت من عيادة متعددة الخدمات إلى دار الأشخاص المسنين والمعاقين.

وقد أنشئت بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم: 82/80 المؤرخ في 15 مارس 1980 المتضمن لإنشاء دور المسنين و/أو المعاقين وتنظيمها وسيرها، وهذه الدار تعتبر من المرافق العامة ذات الصفة الإدارية، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي.[1]

2.1-المجال الزمني: تمت الدراسة في أفريل سنة 2018.

3.1-المجال البشري: أجريت الدراسة على الأشخاص المعاقين المتواجدين بمكان محل الدراسة.

2-المنهج المتبع في الدراسة: تم الاعتماد على المنهج الوصفي في هذا البحث العلمي من طرف الباحثة والذي ركزت فيه أكثر على التحليل الكيفي مع بعض المعطيات الكمية فيما يخص الإحصائيات المقدمة من طرف إدارة المركز.

3-أدوات جمع البيانات:

1.3-الملاحظة: ركزت الباحثة على أداة الملاحظة بالمشاركة والتي تمت طوال مرحلة العمل بالمركز من خلال ملاحظة الخدمات الاجتماعية التي تقدم لشريحة المعاقين، وكذا ملاحظة فريق العمل القائم على تقديم هذه الخدمات، ومدى تجاوب هؤلاء مع الخدمات التي تقدم لهم.

2.3-الوثائق والسجلات: اعتمدت الباحثة في جمع البيانات الميدانية من بعض الوثائق التي أخذت من إدارة المركز والتي تحمل إحصائيات المعاقين سنة 2017، بالإضافة إلى بعض السجلات كالسجل اليومي الخاص بالمقيمين لمعرفة احتياجات الفئة محل الدراسة، وما قدم لهم على مدار الساعة.

4-عينة الدراسة:

اعتمدت الباحثة على أسلوب المسح الشامل لكافة المعاقين بدار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي، وقد بلغ عددهم 77 معاقا على اختلاف إعاقاتهم.

ب-إحصائيات المقيمين في دار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي:

تأوي دار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين شريحة كبار السن والمعاقين من كلا الجنسين إناثا وذكورا، وفيما يخص المعاقين فإنهم يشكلون نسبة كبيرة المقيمين ودليل ذلك إحصائيات 2017 التي قام بها المركز وتتمثل فيما يأتي:

---

[1] -مكتب الإدارة (د.س). "***دار الأشخاص المسنين و/أو المعوقين بصالح باي***". مطوية تعريفية بالمركز، سطيف. الجزائر.

نوع الإعاقة	ذكور	إناث	المجموع	النسبة المؤية %
إعاقة حركية	07	04	11	14.28
إعاقة سمعية	00	00	00	00
إعاقة بصرية	00	02	02	02.59
إعاقة ذهنية	03	03	06	07.79
مرض عقلي	14	14	28	36.36
متعدد الإعاقات	05	09	14	18.18
عديم الإعاقة	07	09	16	20.77
المجموع	36	41	77	100

المصدر: (دار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي، 2017)[1]

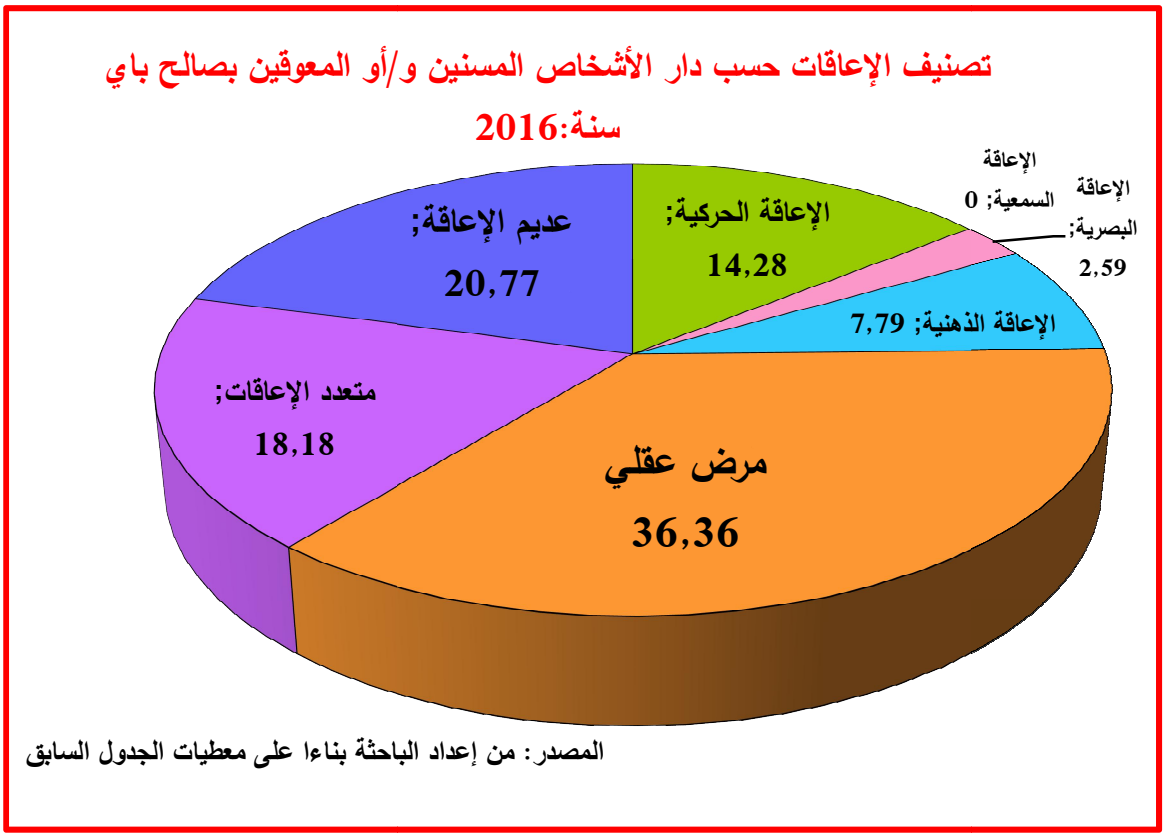

المصدر: من إعداد الباحثة بناءا على معطيات الجدول السابق

بناءا على معطيات الجدول أعلاه يتبين أن نسبة الأشخاص المعاقين في هذه الدار تمثل 79.2% مقابل الأشخاص الأسوياء نسبة 20.77%، مما يدل على أن المركز أو الدار حقا مخصصا للرعاية والتكفل بالمعاقين، يمثل المرض العقلي النسبة الكبيرة من المقيمين بما قدره 36.36% مقسمة

[1] -مكتب الإدارة (2016). "*إحصائيات المقيمين بدار المسنين و/أو المعوقين بصالح باي سنة 2017*". سطيف، الجزائر.

على كلا الجنسين بالتساوي، ثم يأتي متعددي الإعاقات بنسبة 18.18% وأكثرهم من صنف الإناث، ثم الإعاقة الحركية بنسبة 14.28%، والإعاقة الذهنية بنسبة 7.79%، وتليها الإعاقة البصرية بنسبة 2.59%، في حين أن الإعاقة السمعية تنعدم لدى هؤلاء المقيمين، ويمكن إرجاع هذه الإعاقات إلى عامل السن بحكم أن الدار لديها شروط للإيواء وهو أن يفوق سن 65 سنة، لكن هناك بعض الحالات الخاصة التي توجد بالمركز مثل: بعض الأطفال المعاقين.

جـ-الخدمات الاجتماعية المقدمة لفئة المعاقين بمركز الرعاية الاجتماعية محل الدراسة: وفقا للنسب السابقة الذكر حول المعاقين وشبكة الملاحظات التي جمعتها الباحثة يوجد فريق عمل خاص يسهر على تقديم أوجه الرعاية التي تحتاجها هذه الشريحة ويتكون من:

- الأخصائي النفسي.
- الأخصائي الاجتماعي.
- الطبيبة والممرضات.
- المربيون المختصون.

ولو جئنا للتعرف على مجالات الخدمة الاجتماعية التي يحتاجها المعاقين نجدها تنقسم إلى:

أ-المجال الصحي: تقدم خدمات صحية مكثفة للمعوقين بالمركز من طرف الطبيبة والممرضات مثل: إجراء الفحوصات الطبية كل يوم، وكذا إجراء التحاليل المخبرية المختلفة للكشف المبكر عن الأمراض مع واتخاذ الإجراءات اللازمة، كما يتم قياس الضغط الدموي والسكري بشكل دوري لاسيما للمصابين بالأمراض المزمنة.

وتتوفر عيادة المركز على مختلف الأدوية التي يحتاجها المعاقين كأدوية الأمراض العادية وأدوية الأمراض المزمنة كالسكري وضغط الدم، والأكثر من ذلك أدوية المرض العقلي وخاصة أن أغلب المقيمين مصابين به مثل: المهدئات *les tranquillisants* (*Nozinan*، *Laroxyl*، *Tranxene*، *Largactil*، *Anafranil*...*وغيرها من الأدوية المقاومة للاكتئاب والقلق*).

وبالإضافة إلى ذلك تتوفر العيادة على بعض الأجهزة الطبية التي تسهل عملية العلاج مثل: أجهزة قياس ضغط الدم *Moniteur de pression artérielle*، *وجهاز قياس السكري Glucomètre*، وأجهزة التنفس كالرذاذة *Nebulizer*، *وأسرة طبية ومفارش هوائية ومائية matelas orthopédique*....*الخ*.

أما في حالة استعسر على الطبيبة والممرضات تقديم العلاج المناسب لحالة المعاق، يتم نقله إلى المؤسسات الاستشفائية الأخرى بواسطة سيارة إسعاف المركز من طرف الممرضة مع الأخصائي الاجتماعي الذي يعتبر كوسيط اجتماعي بين المركز المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

وفضلا عن ذلك يتم أيضا تقديم العلاج الوظيفي وإعادة التأهيل الحركي للمعاق من طرف مدرب مختص في هذا الميدان وبالتنسيق مع طبيبة المركز، وكل هذه الجهود الطبية تهدف إلى الارتقاء بالرعاية الصحية للمعوقين والوصول بهم إلى صحة وعافية جيدة ومستقرة.

ب-المجال النفسي:

يرتبط هذا المجال بما يقدمه الأخصائي النفسي من علاج نفسي للمعاق والذي يسهم بدوره في الحفاظ على صحته النفسية ووقايته من مختلف الأمراض النفسية التي تصيبه مثل: الاكتئاب، القلق النفسي، الاغتراب والوحدة النفسية، عدم التوافق النفسي...وغيرها

وهنا يعمل الأخصائي النفسي على تقديم مختلف طرق العلاج سواء كان فرديا من خلال المقابلات التشخيصية أو جماعيا من خلال العلاج عن طريق العمل، وبعدها يقوم بإعداد التقرير النهائي للحالات التي تم تشخيصها، فضلا عن التقرير الخاص بمستوى القدرات والمهارات لدى المعاقين والتي تساعده في التجاوب مع العلاج المقدم لهم.

جـ-المجال الاجتماعي:

يتمثل هذا المجال في مختلف الخدمات التي يسهر الأخصائي الاجتماعي على تقديمها لفئة المعاقين، وهنا تبرز تجربتي كأخصائية اجتماعية في دار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي بتلبية احتياجات المعاق الاجتماعية والسهر على تحقيق التكيف لديه ومساعدته على تقبل إعاقته وخاصة حديثي الإعاقة، وتتمثل المهام التي المسندة إلي فيما يأتي:

- إجراء التحقيق الاجتماعي فيما يخص المعاق الذي دخل حديثا للمركز، حيث يتم التعرف على سبب اللجوء إلى دار المسنين و/أو المعاقين، وهل تتوفر فيه شروط الإقامة؟، بالإضافة إلى التعرف على أسباب الإعاقة ومنذ متى معاق؟، وهل ليس لديه معيل؟ وكذلك هل لديه بطاقة معاق أم لا؟ وهل مؤمن اجتماعيا أم لا؟ هل هو متقاعد أم لا؟ وفضلا عن ذلك دراسة المحيط الأسري للمعاق وكذا الاجتماعي المحيط به قبل لجوئه للمركز...الخ.

- الحرص على حصول المعاق على بطاقة الإعاقة التي بدورها تمنحه منحة شهرية على الرغم من عدم كفايتها إلا أنها تفيده في بعض أغراضه الخاصة، والعمل على تأمينه اجتماعيا (بطاقة الضمان الاجتماعي).
- وضع المعاق تحت الرقابة الخاصة للتعرف على مستوى اندماجه وتكيفه مع الوضع الجديد الذي هو فيه بدخوله للمركز، وفي حالة تعرضه لبعض المشكلات النفسية فأننا نرفع الأمر للأخصائي النفسي للنظر في ذلك، كما أنه في حالة شجار مع المقيمين الآخرين فأننا نتدخل بمعية المربي المختص لحل المشكلة والعمل على سير الأمور على ما يرام.
- إعداد البرنامج الأسبوعي والذي تقدم وفقه النشاطات المسطرة كبرنامج محو الأمية وبرنامج التسوق برنامج الطبخ وبرنامج البستنة...وغيرها.
- التكفل بجلب مستحقات منحة المعاق من مراكز البريد وكذا مرافقة المعاق في مختلف وجهاته خارج المركز.
- ربط المعاق بأسرته وعدم ترك فجوة بينهم وخاصة الذين حالت الظروف بينهم (أي بمعنى ظروفهم المادية مزرية جعلتهم يضعون هذا المعاق في المركز، وهنا يعمل دائما الأخصائي الاجتماعي على تواصل المعاق بأسرته من خلال الزيارات التي ينظمها بالتنسيق مع عائلته)
- التواصل مع مختلف الجمعيات الخيرية الناشطة والتي تود الحضور إلى المركز بغرض القيام بأعمالها التطوعية، والعمل على سيرها في أحسن الظروف.
- تسطير بعض النشاطات الثقافية الترويحية التي تسهم في شغل أوقات فراغ المعاقين.

د-المجال الترويحي:

كما قلنا سالفا بأن الأخصائي الاجتماعي هو الذي يسهر على إعداد البرنامج الأسبوعي المخصص للنشاطات الثقافية والترويحية، وتتمثل هذه النشاطات فيما يأتي:

- **نشاط محو الأمية:** وهو مخصص للمعاقين حركيا والمعاقين بصريا من خلال تعليمهم لبعض السور القرآنية وحروف اللغة العربية وكذا الأرقام، وفيما يخص الإعاقة البصرية يكون تعليمهم بواسطة السمع فقط، ويقوم بهذا العمل أستاذ متخصص موظف من طرف الديوان الوطني لمحو الأمية وفقا لبرنامج يسطره بشكل شهري ويختتم الموسم الدراسي بامتحان نهائي لتقييم مدى استيعاب هؤلاء المعاقين للدروس المقدمة لهم.

- **نشاط الألعاب التركيبية:** وهو نشاط مخصص للمعاقين على اختلاف أصنافهم ولاسيما الأصغر سنا من أجل تنمية الحس الحركي لديه، وتطوير مهاراته وقدراته العقلية والحركية في تركيب هذه الألعاب وتشكيل المجسمات وغيرها.
- **نشاط الخياطة والنسيج:** موجه لفئة المعوقات الإناث (الإعاقة الذهنية، الإعاقة الحركية) ويكون من خلال نسج بعض الملابس القطنية أو صنع الدمى، أو خياطة الملابس وغيرها.
- **نشاط الطبخ:** وموجه أيضا للمعوقات الإناث القادرات على إعداد بعض الأكلات التقليدية البسيطة حتى لا يشعرن بأنهم في مؤسسة إدارية، بل هم في دار ترعاهم وتكفلهم وتؤمن لهم راحتهم النفسية.
- **نشاط البستنة:** ويتم من خلاله تخصيص رقعة جغرافية للتشجير، كما يتم أيضا من خلال هذا النشاط الاهتمام بجمال محيط المركز ويتم عادة في فصل الربيع.
- **نشاط التسوق:** ويكون بشكل أسبوعيا حيث يرافق الأخصائي الاجتماعي المعاق لشراء بعض المستلزمات من حسابه الخاص، وهذا النشاط يهدف لإراحة المعاق وكسر الروتين اليومي الذي يمر به.

وعلى غرار هذه النشاطات الثقافية هناك الكثير من النشاطات الترفيهية والتي تفيد في شغل أوقات فراغ المعاقين وتسهم في تحقيق التكيف الاجتماعي والنفسي لهم، وتتمثل أبرزها في:

- **الرحلات السياحية:** تكون هذه الرحلات بشكل كبير في فصل الصيف إلى الشواطئ الساحلية من خلال القيام بمخيم صيفي يزيد عن أسبوع يرافقهم الأخصائي الاجتماعي والمربيون والممرضة، كما يكون في فصل الشتاء بقضاء بضعة أيام في المركبات والحمامات المعدنية المهيأة بالطاقم الطبي ولاسيما مدرب التدليك الحركي.
- **الحفلات:** يقوم المركز بإعداد حفلات وفقا لبعض المناسبات الدينية والوطنية كاليوم العالمي للمعاق أو لذوي الاحتياجات الخاصة الموافق لـ14 مارس من كل سنة، أو الاحتفال بالمولد النبوي الشريف أو عاشوراء...وغيرها، ويتم في هذه الاحتفالات دعوة بعض المنشدين أو المسرحيين لإدخال البهجة على قلوب هؤلاء وإحساسهم بالاهتمام بهم وعدم تهميشهم.

خلاصة:

من خلال ما تم عرضه في الدراسة يمكن القول بأن الإعاقة هي عبارة عن عجز أو نقص أو ضعف يتعرض له الفرد في جسمه أو عقله أو حواسه مما يؤثر على أدائه لوظائفه وأيضا ينعكس على درجة تواصله مع المحيط الأسري والاجتماعي.

ونظرا لهذه المشكلات التي تخلفها الإعاقة وعجز الأسر على التكفل بمعوقيها أنشأت مؤسسات رعاية اجتماعية خاصة تهتم بتقديم مختلف أوجه الرعاية التي يحتاجها المعاقين أو ذوي الاحتياجات الخاصة، وخير دليل هو دار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي التي من خلال تجربة العمل فيها كأخصائية اجتماعية قدمنا قراءة وصفية لواقع الخدمات الاجتماعية المقدمة لهذه الشريحة بها، والتي تمس مجالات عدة مثل: المجال الصحي والمجال النفسي والمجال الاجتماعي والمجال الترويحي.

قائمة المراجع:

1-أميرة بنت عيد الخالدي (2014). ***"دور الأسرة في تأهيل الطفل المعاق: دراسة وصفية على أسر الأطفال المعاقين في جمعية الأطفال المعاقين بمدينة الرياض"***. رسالة ماجستير في التأهيل والرعاية الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، قسم علم الاجتماع، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض. إشراف: وجدان الصديق عباس التيجاني.

2-العمري عيسات (2015/2014) ***"سياسة الرعاية الاجتماعية للمعاقين حركيا في الجزائر: دراسة ميدانية على عينة من المعاقين حركيا بالمجتمع المحلي ببرج بوعريريج"***. رسالة دكتوراه في علم اجتماع التنظيم والعمل، تخصص إدارة الموارد البشرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2. إشراف: عبد العالي دبلة.

3-سلمان أحمد السامرائي (د.س) ***"رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ودورهم المعرفي"***. قسم الكتب، شبكة الألوكة.

4-سلوى إبراهيم إسماعيل (أيلول2009). ***"تقييم لواقع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في العراق والخدمات المقدمة لهم"***. العراق: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، دائرة التنمية، قسم السياسات الاجتماعية.

5-ماجدة السيد عبيد، حزامة جودت(2009). ***"وقفة مع الخدمة الاجتماعية"***. ط1، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

6-ماهر اختيار (د.س) ***"الإعاقة الحركية والبصرية والعقلية: مفهوم إعاقة أم إعاقة مفهوم"***. محمد سيد فهمي (2007). ***"الخدمة الاجتماعية: التطور، الطرق، المجالات"***. ط1. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع.

7-معمر داود (2009). ***"مقاربة ثقافية للمجتمع الجزائري : دراسة لبعض الملامح السوسيونفسية والاقتصادية"***. ط1، الجزائر: دار طليطلة.

8-مقال صحفي (2016). ***"الجزائر تسجل 45 ألف معاق جديد كل سنة"***، جريدة الشروق ليوم 13 مارس 2016، تم استرجاع المقال يوم: 16 نوفمبر 2017، على الساعة: 11:04، من الموقع الالكتروني الآتي: https://www.echoroukonline.com/ara/articles/276721.html

9-منال طلعت محمود (2014). "***دراسات وتطبيقات ميدانية في مجالات الخدمة الاجتماعية***". الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. -منظمة الأمم المتحدة (2011) "***اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة***"، اللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، 10 أكتوبر 2011.

10-القانون رقم 05/85 (المؤرخ في 16 فيفري1985). "***المتعلق بحماية الصحة وترقيتها***". الجزائر: الجريدة الرسمية، العدد 08، السنة 22 المؤرخ في 17 فيفري 1985.

11- هبة عاطف السيد محمود عوض (2014). ***دور الجمعيات الأهلية في تفعيل حماية حقوق المعاقين: دراسة ميدانية على الأطفال ذوي الإعاقة بمحافظة الدقهلية***". رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة المنصورة. إشراف محمد أحمد غنيم وإقبال مصطفى صادق. ص

12-مكتب الإدارة (د.س). ***دار الأشخاص المسنين و/أو المعاقين بصالح باي***". مطوية تعريفية بالمركز، سطيف. الجزائر.

13-مكتب الإدارة (2017). "***إحصائيات المقيمين بدار المسنين و/أو المعاقين بصالح باي سنة2017***". سطيف، الجزائر.

*14- World Health Organization & The world Bank (2011). « **World Report on Disability** ». WHO, Malta.*

*15-World Health Organization & Unicef (2012). « **Early childhood Development and Disability : A discussion paper** ». WHO, Geneva.*

دور التعلم بالملاحظة والنمذجة في رصد الوعي المروري لدى الطفل (دراسة ميدانية).

د/ أيت مولود يسمينة ـ جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة.

د/ بعلي إكردوشن زاهية ـ جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة.

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى فحص مدى مساهمة الأسرة الجزائرية في غرس مبادئ الوعي المروري لدى الطفل وهذا ببناء استبيان تدور بنوده حول الوعي المروري ومدى فتح الأولياء لباب النقاش حوله مع الابن(ة). تم تطبيق هذا الاستبيان على عينة أولياء سائقين للسيارات، حيث قدر حجم عينتنا بـ (140) ولي تلميذ (أب/ أم)، وقد قمنا بسحب عينتنا بطريقة قصدية، إذ اتجهنا نحو الأولياء الذين يأخذون أولادهم إلى المدرسة.

بعد تفريغ النتائج تم استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة ثم مناقشتها على ضوء الدراسات السابقة والتراث النظري السيكولوجي ومنه الخروج بجملة من التوصيات والاقتراحات في سبيل الاستفادة منها لتحقيق وتعميم السلامة المرورية.

وقد بينت الدراسة أن الأخطاء المرورية التي تمارس من طرف الأولياء ونظرتهم لها وكيفية معالجتهم لها، سواء بتصحيحها أو الاستمرار عليها أو حتى تجاهلها، سيعاد إنتاجها من طرف الأبناء بطريقة غير شعورية؛ ذلك لأنها ثبتت في ذاكرتهم وأصبحت جزء من شخصيتهم. وبذلك خرجت دراستنا بتوصية مهمة، مفادها أهمية لعب الوالدين لدورهما في مجال الوعي المروري.

الكلمات المفتاحية : التعلم بالملاحظة والنمذجة – الوعي المروري – الطفل.

Abstract :

The study aimed to determine the extent to which the Algerian family contributes to inculcate the principles of raising awareness of the child to traffic. The study is based on a questionnaire focusing on traffic awareness and the extent to which parents open the discussion with their son / daughter on this topic (traffic). This questionnaire was applied to a sample of parents who were interviewed and whose sample size was estimated at 140 parents (father / mother). Our sample was deliberately chosen, questioning parents who take their children to school.

After the results were tabulated, we used appropriate statistical methods and then discussed the results in the light of previous studies and in the light of the psychological literature. Thus, we have come up with a number of recommendations and suggestions for using them to benefit and disseminate the means to achieve road safety.

The study showed that parents' movement errors and their point of view and how they behave towards these errors, whether correcting or persevering or even ignoring them, will be reproduced unconsciously by their children; this because parents' mistakes are rooted in their memory and are part of their personality. Our study resulted in an important recommendation that parents should play a role in traffic awareness.
Keywords: Learning by observation; modeling; Traffic awareness; Child.

مقدمة:

تمثل حوادث المرور بشكل كبير هاجساً للمجتمع، كونها تستهدف أهم مقومات الحياة والذي يكمن في العنصر البشري، كما تستنزف الموارد المادية والطاقات البشرية، إضافة إلى ما تكبده من مشاكل اجتماعية ونفسية وخسائر مادية ضخمة. فبالرغم من إقامة العديد من حملات التوعية طوال العقود الماضية، إلا أنها ما زالت عاجزة عن تحقيق النتائج المرجوة منها، ربما لكونها اجتهادات فردية لا ترتقي للتوعية المنظمة وفق سياسة واضحة وطويلة الأجل، إذ أنها قد تكون مجدية كلما استهدفت جيلا فتيا سينمو قوامه بشكل مستقيم إذا ما أسّسناه على بنية معرفية سليمة تنمو هي الأخرى كلما سقيناها بمفاهيم وسلوكيات ونقاشات صحية و صحيّحة.

1- الإشكالية:

يعد موضوع التعلم من المواضيع التي استقطبت اهتمام العديد من الباحثين من مجالات وتخصصات متعددة سواء النفسية أو الاجتماعية أو الطبية... كونها تمس الإنسان ووظائفه الحيوية، فساهمت بذلك دراساتهم ونتائجها في استثمار وتوظيف أسرار التعلم في المواقف الحياتية والأطوار النمائية المختلفة بما يتماشى وقدراته العقلية ، النفسية والجسمية.

فميزة التعلم تكمن في كونه يكسب الفرد أنماطا سلوكية ومهارات معرفية وانفعالية تساعده على التكيف مع بيئته الاجتماعية ومواجهة التحديات والإدراك بما يحيط من حوله، وعليه جاءت نظرية التعلم الاجتماعي أو التعلم بالملاحظة والنمذجة لتؤكد على أهمية التفاعل الاجتماعي في تعليم الفرد، آخذة بعين الاعتبار متطلبات وخصائص مرحلة النمو التي يجتازها.

فمن المسلم به أن إمكانية تعليم الفرد السلوك المرغوب فيه يكون بتنميته في شخصية الطفل التي تصبح بذلك رحم السلوكيات القاعدية التي نود حصدها في مرحلة الرشد. ويكون صقلها من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ذلك أن الطفل يمتص خلال أطوار طفولته أنماط السلوك السائدة في محيطه، كونه وليد البيئة الاجتماعية التي تهيئه لمقابلة المواقف الجديدة التي يواجهها وتعميمه الأنماط

السلوكية العملية أو الانفعالية من خلال ما يبديه من سلوكيات في المواقف المتماثلة أو المتقاربة (**هادي نعمان، 1988، ص 11**).

و يظل السياق الأسري سياق بالغ التفرد والخصوصية " ومن هنا كان تأثير الأسرة خطيرا على تكوين شخصية الفرد، فهي الجماعة الأولية التي تنمو في أحضانها شخصية الفرد في سنوات حياته المبكرة والحاسمة، وهي الجماعة الأولية التي تعلمه الاتجاهات التي تتحكم فيما يتعلمه من المؤسسات الأخرى إلى حد بعيد" (**علاء الدين كفافي، 1999، ص 5**) هذا ما كان قد أشار إليه سابقا كل من **روبرت سيرز Sears R** ، **اليونوماكوبيMaccoby E**، **ليفينLewin H** (دون سنة) أن الأنماط السلوكية تحدد ما سوف يفعله الوليد البشري في مقتبل حياته... وعلى ذلك فإن الأسرة هي التي تكوّن وتنمي شخصيته " (**سهير كامل أحمد،1998، ص 6**).

فقد بينت الدراسات التي أجريت على (**993**) شاب فرنسي بالغ من العمر بين (**18-25**) سنة في الفترة ما بين (**18-27**) أكتوبر (2016) أن التصرفات غير العقلانية وغير الحضارية الملاحظة من طرف الفرد في مراحل طفولته يعاد إنتاجها بطريقة لاإرادية، ذلك أن **37%**من الشباب الذين لاحظوا أولياءهم يقودون السيارة وهم سكارا نتيجة شرب المواد الكحولية، وشتم السائق أو عدم احترام الأضواء والتوقف في الأماكن الممنوعة... أعادوا القيام بنفس السلوك، وأن **77%**من الشباب الذين يقومون بالسرعة المفرطة صرحوا بأنهم لاحظوا مثل هذا التصرف من طرف أوليائهم(**LEFIGARO,FR, 2016**). مع العلم أن هذه السلوكيات هي بمثابة سلوكيات الخطر التي قد تؤدي إلى قتل ملايين من الأشخاص، فقد دلت الإحصائيات أن أكثر من **1,2مليون** يفقدون الحياة كل سنة وأن أكثر من (**1000**) شخص منهم لا يتجاوز (**25**) سنة يقتلون كل يوم، كما أن نسبة الرض الجمجمي الناتج عن حوادث المرور يحصد أرواح الفئة العمرية التي تتراوح بين (**15-19**) سنة (**Toroyan,T & Peden,M, 2007, P. 6**)

في المقابل بينت نفس الدراسات أن السلوكيات الحضارية يعاد تكرارها من طرف الأبناء، فـ **79%** من الشباب الذين لاحظوا أن أولياءهم يأخذون قسطا من الراحة عند القيام بسفر طويل سلكوا نفس السلوك، لذلك يرى الباحث **مورو برندات Moreau BRNADET** (دون سنة) أن هذه الارتباطات توحي بمسؤولية الأولياء الذين عليهم إدراك أنهم يمثلون الدور المثالي بالنسبة للأبناء عندما يكونون سائقي الغد.

لكن عملية امتصاص هذه السلوكيات لا تهدف إلى ملأ الوعاء المعرفي فحسب خاصة في مرحلة الطفولة المتأخرة أين يصبح وعي وإدراك الطفل على درجة من النضج الذي يسمح له بالنقد بهدف تمحيص مدخلاته التي هي بمثابة نماذج سلوكية تصقّل بها شخصيته " فهو يميّز بين الصواب والخطأ

والسلوك السيئ والجيّد، وبذلك تقع المسؤولية على المجتمع لتنمية فيه أنماطا سلوكية تساعده على شق طريقه وتحمل المسؤولية (**الدويبي عبد السلام، 1988، ص 25**).

أي أن الطفل على درجة من الوعي والإدراك لما يقدمه له الكبار خاصة الوالدين اللذان يمثلان القدوة الأولى له في الحياة، فالإدراك مصدر لا يستهان به في التغذية الرجعية للطفل الذي يصحح من سلوكه حتى يعجب الآخرين (**ساجدة عبد الأمير، 2010**)، و يتلاءم هذا التصحيح تقليد الوالدين أكثر من ترجمة البنية المعرفية على شكل سلوك، ذلك لأن الطفل كما يرى **بياجي Piaget (دون سنة)**" ينظر إلى القواعد الأخلاقية على أنها شيء مقدس لا يمكن مخالفتها " (**ساجدة عبد الأمير، 2010، مرجع سابق**) فالطفل إذا يقلد ما يصدر من أبويه تقليدا أعمى.

وبهذا نأتي ونقول أننا نشاطر رأي **البدري (2001)** الذي يرى أن " معرفة أسباب أي ظاهرة إنسانية سلبية تتطلب تفكيك مكوناتها بغية الوصول إلى وضع علاج لها أو التخفيف منها، لا سيما ما يتعلق بوجود الإنسان واستقراره وأمنه، وعندما تعرف المشكلات النفسية والاجتماعية على نحو مباشر نجد أن مشكلة السلوك الاجتماعي السيئ من أهم المشكلات التي تقف وراء الظاهرة (**ساجدة عبد الأمير، 2010، مرجع سابق**).

وعليه فلتحليل ظاهرة إرهاب الطرقات الذي خلقته حوادث المرور يتبادر إلى أذهاننا سؤال يطرح نفسه إجرائيا كما يلي:

هل تساهم الأسرة الجزائرية في غرس الوعي المروري لدى الطفل الجزائري؟

وعليه جاءت فرضية الدراسة كالتالي:

- **تساهم الأسرة الجزائرية في غرس الوعي المروري لدى الطفل الجزائري.**

2- مفاهيم الدراسة وتعريفاتها الإجرائية:

يشير كل من المفاهيم: **التعلم بالملاحظة و النمذجة، الوعي المروري و الطفل** إلى معانٍ وإشارات مُختلفة ومُتعدّدة، وتَعرض القواميس والمعاجم والمنظَّمات الدوليّة تعريفاتٍ خاصة منها نذكر ما يأتي:

2-1- التعلم بالملاحظة و النمذجة:

أو **التعلم الاجتماعي** أو **التعلم بالتقليد** أو التعلم الاجتماعي من خلال المحاكاة كلها مصطلحات تقف تحت سقف ملاحظة سلوك نموذجي يتضمن نقل فكرة أو خبرة بطريقة قصدية أو عفوية مما يؤدي إلى تغيير سلوك الفرد المتلقي، ويتم هذا الأسلوب أثناء عملية التفاعل الاجتماعي سواء الوجداني، الفكري والسلوكي.

- **اصطلاحا:**

يفترض هذا النموذج من التعلم أن الإنسان كائن اجتماعي يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم، أي يستطيع أن يتعلم منهم نماذج سلوكية عن طريق الملاحظة والتقليد .ويشير التعلم بالملاحظة إلى إمكانية التأثر بالثواب والعقاب على نحو بدلي أو غير مباشر (**أمجد قاسم، 2012، ص 2**).

- **إجرائيا:**

في مجال السلامة المرورية فهو ملاحظة الطفل لنماذج سلوكية تؤدى أمامه من قبل والديه أو أحدهما مما يكسبه أفكارا وقيما ومفاهيم خاصة بها بشكل يساعده على فهمه وإدراكه لها وفق إدراك أسرته لهذا المفهوم، ومنه تفسير خبراته في إطار ذلك الإدراك وبالتالي إنتاج سلوكيات تتوافق وتلك البنية المعرفية .

2-2-الوعي المروري:

- **اصطلاحا:**

هو السبيل إلى تأهيل الأفراد للتعامل مع عناصر السير على الطريق والتعاون لتحقيق السلامة العامة المرورية (**حسينة أحمد شاهين، 2007، ص 15**).

- **إجرائيا:**

هو تعليم الطفل المتمدرس في الطور الابتدائي قواعد المرور بما يتماشى و قدراته النمائية هذا ما يجعله أكثر إدراكا بمخاطر المرور راجلا كان أم راكبا في السيارة بهدف تحقيق السلامة المرورية.

2-3- تعريف الطفل:

- **اصطلاحا:**

تنص اتفاقية حقوق الطفل على تعريف الطفل بأنه " كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر سنة ولم يبلغ سن الرشد " وبذلك تعرّف مرحلة الطفولة المبكرة على أنها " الفترة الممتدة بين من تاريخ الميلاد إلى سن 8 سنوات " (**اتفاقية حقوق الطفل، 2005، ص 2**)

-**إجرائيا:**

الطفل هو ذلك الفرد الذي يدرس في الطور الابتدائي والذي يتراوح عمره بين 6 سنوات إلى 11 سنة.

3- نظريات التعلم:

وتصنف نظريات التعلم حسب الجانب الذي تركز النظرية عليه؛ فإما تركز على الجانب المعرفي والبنية المعرفية أو تركز على السياق الاجتماعي **(Social Context).**

وبذلك تصنف إلى نمطين:

3-1- نظريات التعليم المعرفية ***Cognitive Learning Theory***

يركز هذا النمط على البنية المعرفية للمتعلم وكيفية بنائها وإدخال المعارف الجديدة إليها عن طريق العديد من الاستراتيجيات المعرفية، مثل نظريات : برونر، أوزوبل، جانييه، بياجيه، بوجالسكي، سكينر .. وغيرهم من أصحاب الاتجاه المعرفي.

3-2-نظريات التعلم الاجتماعي ***Social Learning Theory***

والنمط الثاني من نظريات التعلم يركز على السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه التعلم، مثل البيئة المحيطة والسلوك والدافعية والحاجات. وتعد حاجات المتعلم هي أساس بناء المنهج وفق هذه النظريات، مثل نظريات: ألبرت باندورا، جوليان روتر، فيجوتسكي، دافيدوف وغيرهم من أصحاب المنحى الاجتماعي **(هشام علي راجح بركات، دون سنة).**

وفيما يلي سيتم التعرض لبعض نظريات التعلم إحداها تمثل النمط الأول وهذا بالتطرق إلى أعمال **جون بياجيه** والثانية تنوب عن باحثي التعلم المستند إلى السياق الاجتماعي بزعامة **ألبرت باندورا** .

أ- نظرية جان بياجيه ***(Jean piaget)***

يفترض " **بياجيه** " في نظريته أن أي فرد يمكن أن يتعلم أي موضوع بشرط أن يناسب مرحلة النمو العقلي للفرد . وأن أي فرد يولد بقدر ضئيل من الانعكاسات العضوية والقدرات الكامنة في صورة استراتيجيات وهي بذلك تعد عنصر هام في البناء المعرفي للمتعلم . والإستراتيجية– من وجهة نظر بياجيه – هي الطريقة التي يستطيع الطفل من خلالها أن يتعامل مع المتغيرات البيئية خلال مراحل نموه من أجل حدوث تفاعلات جديدة بينه وبين البيئة وتتغير هذه الاستراتيجيات تبعاً لنضج الطفل وما يكتسبه من خبرات.

لقد اكتشف **بياجيه (Piaget)** (دون سنة) أن الأطفال في نموهم العقلي يمرون بمراحل محددة، يتصف سلوك الطفل وتفكيره في كل منها بخصائص معينة ، كما يشير إلى أن مراحل النمو العقلي تتصف بالثبات في نظام تتابعها لدى كل طفل وفي كل ثقافة، ولا يعني هذا ثبات الحدود الزمنية، بل تختلف الحدود الزمنية من طفل لآخر في ذات الثقافة الواحدة.

قسم بياجيه النمو العقلي للطفل إلى أربع مراحل رئيسية وفق فئات عمرية:

1 – مرحلة التفكير الحس – حركي Sensory Motor Stage :

وتمتد من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية، وفيها يمتلك الطفل مجموعة من أساليب السلوك الفطرية الانعكاسية أساسيا، مثل المص والقبض وغيرها. وفي أثناء التفاعل مع البيئة ينمي الطفل أنماطاً سلوكية معينة ؛ إذ يكتسب مهارات وتوافقات حسية بسيطة وكذلك يكتسب القدرة على تحقيق التناسق بين المعلومات الصادرة عن أعضائه الحسية المختلفة .

وأهم ما يميز سلوك الطفل في هذه الفترة أنه يواجه الأشياء بحركات فيزيقية عشوائية دون تفكير ووجود الشيء بالنسبة للطفل مرهون بإدراكه له.

2 – مرحلة ما قبل العمليات (التفكير الرمزي) (Preoperational Stage):

تبدأ هذه المرحلة في النصف الثاني من السنة الثانية من عمر الطفل وحتى سن السابعة تقريباً ، وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل في تعلم اللغة والتمثيل الرمزي للأشياء وتكوين الأفكار البسيطة والصور الذهنية ويتحول تفكير الطفل تدريجياً من صورته الحركية إلى صورة تفكير رمزي .

3 – مرحلة العمليات العيانية(Concert Operational Stage):

تبدأ هذه المرحلة من سن السابعة حتى سن الحادية عشرة تقريباً أي تستغرق المرحلة الابتدائية وأول سنوات المرحلة الإعدادية. في هذه المرحلة يبدأ الطفل يفكر تفكيراً شبيهاً بتفكير الراشد ؛ فعن طريق التفاعل الاجتماعي يبدأ في التحرر من التمركز حول الذات ويأخذ في اعتباره وجهة نظر الآخرين .

وتظهر في تفكير الطفل القدرة على **المقلوبية** (Reversibility)، أي السير بالعكس حيث يمكنه أن يرتب بالعكس، وتظهر أيضاً فكرة الثبات للوزن والعدد والقياس، ومع ذلك فتفكير الطفل في هذه المرحلة يبقى تفكيرا محسوسا وغير مجرد.

4 –مرحلة العمليات الشكلية (التفكير المجرد) (Formal Operational Stage)

تمتد هذه المرحلة فيما بين الحادية عشرة والخامسة عشرة من العمر . وفيها يدخل الطفل مرحلة المراهقة والنضج، وفي هذه المرحلة تنمو قدرة الطفل على التفكير المجرد فيستطيع أن يعالج القضايا بعزل المتغيرات وتثبيت بعضها للتحقق من عمل البعض الآخر.

وهكذا عبر هذه المراحل ينتقل الوليد الذي جاء إلى هذا العالم من كائن بيولوجي فحسب إلى راشد يواجه العالم ويتفاعل معه ويفكر في مشكلاته تفكيراً منطقياً (**هشام بركات، دون سنة**).

ب-نظرية التعلم الاجتماعي لألبرت باندورا (Albert BANDURA)

حاول **ألبرت باندورا** بين الفترة الزمنية **(1073- 1977)** تطوير نظرية أكثر شمولا لمفهوم التعلم الاجتماعي، حيث يرى أن سلوك الفرد ما هو إلا نتاج ملاحظة سلوك الآخرين والذي يشار إليه بالنموذج **((Model)** والذي يعمل كمصدر للمعلومات اللازمة لتشكيل السلوك، لذلك فإن مشكلات الفرد وحلها تتوقف على مستوى محاكاة ذلك السلوك (**ساجدة عبد الأمير السعدي، 2010، ص ص 68-87**)

وتتأثر عملية التعلم بالملاحظة حسب **باندورا** باء على ثلاث عوامل:

- ✓ **عوامل التعلم بالملاحظة المتعلقة بالفرد الملاحظ:**

منها العمر الزمني والاستعداد العقلي العام والاتجاه نحو النموذج؛ إدراكه لمدى أهمية ما يصدر عن النموذج وتقديره للقيمة العلمية والمكانة الاجتماعية له كما يدركها الفرد، إضافة إلى الجاذبية الشخصية أو الارتياح النفسي القائم على التفاعل مع النموذج .

- ✓ **عوامل التعلم بالملاحظة المتعلقة بالنموذج الملاحظ:**

-المكانة الاجتماعية للنموذج، إذ يزداد الحرص على الانتباه له ومتابعته والاقتداء به كلما كان النموذج نجما أو ذا شهرة.

- ما يصدر عن النموذج من أنماط استجابية مصاحبة وتأثيره الشخصي على الفرد الملاحظ ودرجة حياده أو موضوعيته في العرض.

- جنس النموذج: وقد تباينت نتائج الدراسات ميل الفرد الملاحظ للاقتداء بالنموذج الملاحظ كلما زادت مساحة الخصائص المشتركة بينها.

- ✓ **عوامل التعلم بالملاحظة المتعلقة بالظروف البيئية أو المحددات الموقفية للتعلم بالنمذجة:**

- مدى التوافق بين القيم السائدة والمحددات الثقافية والاجتماعية والدينية والأخلاقية من ناحية وبين ما يصدر عن النموذج، فمثلا تصعب الدعوة إلى الأصالة والاعتماد الكلي على مآثر الماضي في ظل ظروف تفرض فيها التكنولوجيا المعاصرة نفسها على كافة مناشط المجتمع وحركته؛

- مدى ملائمة الظروف الموقفية التي يحدث فيها التعلم بالملاحظة من حيث الزمان والمكان والوسيلة وحجم التفاعل القائم بين الفرد الملاحظ والنموذج الملاحظ (**علي راجح بركات، دون سنة**).

بناء على ما توصل إليه الباحث **باندورا** فإن الإنسان يتعلم من خلال ملاحظة نموذج سلوكي والذي يصبح بمثابة قائد السلوكات المستقبلية إذ يهتدي به، وتعتمد هذه العملية على عدة عوامل منها المكانة الاجتماعية للنموذج، الظروف البيئية، العمر الزمني والاستعداد العقلي العام والاتجاه نحو النموذج...

4-التربية الوالدية:

هي بمثابة صيرورة تأثير تحدّد بالاستراتيجيات وتعكس المنطق الذي تهتدي به الأسرة.

تترجم التربية الوالدية على مستوى أربعة محاور أساسية تتمثل في :

1- العلم: وهو اكتساب المعرفة والمهارات اللاّزمة لمواجهة الحياة الاجتماعية.

2- الأخلاق: وهو ادماج المنطق والقيم الأسرية اللاّزمة للتفاعلات الاجتماعية.

3- تقنيات الاتصال: وهو إدماج المعايير التي تضبط هذه التفاعلات الاجتماعية.

4- **اكتساب الهوية الاجتماعية:** وهو اكتساب رموز الهوية الاجتماعية.(**Hbahab,H, 1998**)

يبدو مما سبق أن التربية الوالدية تترك بصمتها في شخصية الأبناء في أربعة محار أساسية منها ما هو ظاهري يترجم على مستوى السلوك كالأخلاق وتقنيات الاتصال ومنها ما هو باطني والذي يتمثل في البنية المعرفية للفرد كالعلم والهوية الاجتماعية

5- الدراسة الميدانية:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي، الذي يعتمد على وصف واقع معين و الذي يتمثل في مدى مساهمة الأسرة الجزائرية في غرس الوعي المروري لدى الطفل، تقدر حجم عينتنا بـ (140) ولي تلميذ (أب/ أم)، وقد قمنا بسحب عينتنا بطريقة قصدية، إذ اتجهنا نحو الأولياء الذين يأخذون أولادهم إلى المدرسة، وقد تم التطبيق في المدارس التالية من ولاية ورقلة:

جدول (01): يبين نسبة المشاركة في بعض المدارس الابتدائية لمدينة ورقلة

اسم الابتدائية	عدد الأولياء المشاركين		المجموع	النسبة المئوية
	رجال	نساء		
الطالب محمد خمقاني	10	23	33	**%23,57**
الأمير عبد القادر 1	15	08	23	**%16,42**
الأمير عبد القادر 2	06	09	15	**%10,71**
عائشة نواصر	24	17	41	**%29,28**
الشهيد أحمد مالك	12	16	28	**%20**
المجموع	**67**	**73**	**140**	**%100**

من خلال الجدول السابق، يتبين أن معدل المشاركة بلغ أقصاه في ابتدائية عائشة نواصر بنسبة 29,28%، تليها كل من ابتدائية **الطالب محمد خمقاني**23,57% وابتدائية **الشهيد أحمد مالك** ثم ابتدائية **الأمير عبد القادر (1)** بنسبة 16,42%، ومثلت ابتدائية **الأمير عبد القادر (2)** أدنى نسبة مشاركة 10,71%

وقد تم إجراء الدراسة في الفترة الممتدة بين 5 إلى14ماس 2014. أما بالنسبة للأداة المستعملة فقد قمنا ببناء استبيان يحتوي على (12) بند تسعى إلى إبراز مدى مساهمة الأسرة الجزائرية في غرس الوعي المروري لدى الطفل.

- بالنسبة للأساليب الإحصائية المعتمدة في دراستنا تتمثل في.

***النسب المئوية:**

تستخدم للمقارنة بين المتغيرات لكي يتضح عملية المقارنة سهلة بدلا من الاعتماد على لتوزيعات التكرارية فقط. ويعتمد عليها في استعراض النتائج الخاصة بخصائص عينة البحث، وحساب النسب المئوية لتكرار معين، يقسم التكرار على المجموع الكلي للعينة و يضرب × 100.

***اختبار كاف تربيع (كا^2):**

يستعمل للدلالة الإحصائية، الذي يعتبر من أهم الاختبارات البارامترية نظرا لسهولة تطبيقه وفوائده في تقدير العلاقة بين التكرارات الملاحظة و التكرارات المتوقعة.

*خصائص العينة:

جدول رقم (02): توزيع أفراد العينة حسب السن:

السـن	التكرارات	النسب المئوية
أقل من 30 سنة	20	%14,28
[30-40] سنة	22	%15.71
[41-50] سنة	75	%.53.57
أكثر من 50 سنة	23	%16,42
المجموع	**140**	**%100**

نلاحظ من خلال الجدول رقم (02) أن أغلبية الأولياء تتراوح أعمارهم ما بين [41-50] سنة وذلك بنسبة 53.57%، ثم تليها الفئة التي تفوق أعمارهم (50) سنة بنسبة 16,42% تعقبها كل من فئتي [30-40] سنة و أقل من 30 سنة بنسبتين على التوالي 15.71% ثم 14,28%.

جدول رقم (03): توزيع أفراد العينة حسب الجنس:

الجنس	التكرارات	النسب المئوية
رجال	67	%47.85
نساء	73	%52.14
المجموع	**140**	**%100**

نلاحظ من خلال الجدول رقم (03) أن عدد الاناث يبلغ (73) امرأة و بنسبة 67.85% وهي نسبة تفوق عدد الذكور الذين يمثلون(67) رجل أي ما يقارب نسبة 47.85%.

جدول رقم (04): توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	التكرارات	النسب المئوية
ابتدائي	21	%15.00
متوسط	33	%23.57
ثانوي	26	%18.57
جامعي	60	%42.85
المجموع	**140**	**%100**

نلاحظ من خلال الجدول رقم (04) أن أغلبية أفراد عينة دراستنا هم من مستوى تعليمي جامعي بنسبة 42.85%، تليها فئة المستوى التعليمي المتوسط وهذا بنسبة 23.57% ، ومثلت أدنى نسبة في المستوى التعليمي الابتدائي بنسبة 15.00% ثم الثانوي بنسبة 18,57%.

6- عرض وتحليل و تفسير نتائج الدراسة ومناقشتها:

جدول رقم (05): يبين قيمة كا^{2}المحسوبة وكا^{2}المجدولة لكل سؤال من أسئلة الاستبيان.

رقم السؤال	قيمة كا^2 المحسوبة	قيمة كا^2 المجدولة	مستوى الدلالة	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
01	02.40	3,84	0,05	01	**غير دالة إحصائيا**
02	33.02				دالة إحصائيا
03	03.52				**غير دالة إحصائيا**
04	01.25				**غير دالة إحصائيا**
05	03.29				**غير دالة إحصائيا**
06	22.40				دالة إحصائيا
07	03.30				**غيردالة إحصائيا**
08	02.06				**غير دالة إحصائيا**
09	03.68				**غير دالة إحصائيا**
10	01,02				**غير دالة إحصائيا**
11	23.22				دالة إحصائيا
12	0.88				**غير دالة إحصائيا**

نلاحظ من خلال الجدول رقم (05) أنّ كا^2 المحسوبة في أغلبية الأسئلة الخاصة بالاستبيان أصغر من قيمة كا^2 المجدولة التي تساوي (3,84) عند مستوى الدلالة 0,05 ودرجة الحرية (01) وهذا يعني أنه لا توجد دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 لهذا يمكن القول أن الفرضية القائلة :

- **تساهم الأسرة الجزائرية في غرس الوعي المروري لدى الطفل الجزائري** لم تتحقق على مستوى أفراد عينة الدراسة.

بمعنى أن الأسرة الجزائرية تساهم في غرس الوعي المروري لدى أبنائها في بعض المواقف وذلك بنسبة أقل وتمتنع عن ذلك في مواقف أخرى و بنسبة أكبر، سواء أكان ذلك إراديا وقصديا أم عفويا و

غير إرادي إلاّ أنها تقوم بسلوكيات نموذجية تمارس في مسرح أين يكون الطفل هو المتفرج والولي هو الممثل ليغدو بعد ذلك الطفل هو الممثل، فيقوم بإعادة إنتاج ما اكتسبه في المستقبل من وعي مروري وما سجله في ذاكرته البعيدة المدى.

وعليه فإذا جاءت نتائج أسئلة الاستبيان في معظمها غير دالة إحصائيا، فإن ذلك لدليل على أن الوعي المروري ليس من الأولويات التي تسعى الأسرة الجزائرية لغرسه في أبنائها، ربما ظنا منها أن الطفل لن يعير اهتماما لهذه المواقف التي تشير إليها بنود الاستبيان، بالرغم من أن التراث العلمي يرى أن النظام الأخلاقي (البنية المعرفية) للإنسان يستمد أصوله من النشاطات والممارسات السلوكية التي يعيشها في مراحل طفولته، حيث يقوم الوالدان بتوجيهه نحو معايير السلوك الذي يرونه صحيحا(**باسمة حلاوة ،2011، ص 82**)

ويستمد هذا البناء الفكري عن طريق **التقمص** التي هي عملية فطرية في الطفل،" تتمثل في الصيرورة التي بواسطتها يستوعب الفرد مظهر مميزات شخص معين ويصبح كليا أو جزئيا على نموذجه **(LALAGUE,A, 2014, p 23)**

أي أن الطفل يحاول من خلالها أن يتبنى خصال وخصائص النموذج الملاحظ كي يزيد من مقدار التشابه بينهما وبقدر ما ينجح أكثر في تقليد النموذج ، بقدر ما يصبح اعتقاده بالتشابه بينهما أقوى،ذلك لأنه يلاحظ سلوك الكبار في أدق تفاصيله ليعيد إنتاجه، وأن هذه العملية حسب الباحثة **جاكلين ناديل Jacqueline NADEL** (دون سنة) تسمح بالتعلم والتفاعل أو التواصل، فهذا الأخير يهدف إلى جذب اهتمام الآخر لأنه يهمنا أي أن محاكاة الطفل للوالد تكون قوية، ذلك أن هذه العملية تتطلب:

1- عاطفة الفرد اتجاه النموذج

2- الاحترام والتقدير

3- المثلنة في العمر **(Marilyne,Y, 2015, p 47)**

فتقمص السلوك الوالدي كبير عند الطفل، كون أن العملية تجمع بين الأول والثاني ومنه سيمتص أقوال وسلوك أبويه.وأكثر من ذلك يرى الباحث **مالتزوف (MALTZOFF)** (دون سنة) أن الطفل لا يهتم فقط بمحاكاة النموذج وإنما بنتيجة ما تم ملاحظته **(Marilyne,Y, 2015, p 47)**، فإذا استجاب الأب لطلب الابن بزيادة السرعة كما عبر عنه البند رقم (6) ورأى أن النتيجة هو سباق السيارة الموجودة في الأمام دون حدوث أي مشكلة، فإن ذلك سيترك في نفسه شعورا بالفخر والاعتزاز، مما سيدفعه إلى تكراره مرة أخرى مع تجاهل العواقب، لذلك يقوم الطفل بتبنى المعتقدات والسلوكيات الموجودة لدى النموذج

المتمثل في الوالد الذي يقوم بإعطاء نموذج الوعي المروري، وعلى هذا الأساس يرى **بياجي (Piaget) (دون سنة)** أن الطفل ينظر إلى القواعد الأخلاقية على أنها شيء مقدّس **(ساجدة عبد الأمير السعدي، 2010)** لذلك يقوم هذا الأخير بمحاكاة والديه باعتبارهما النموذج الأمثل ومنه تقمص شخصيتهما.

الاستنتاج العام:

بناء على ما سبق نرى أن الأخطاء المرورية التي تمارس من طرف الأولياء ونظرتهم لها وكيفية معالجتهم لها سواء بتصحيحها أو الاستمرار عليها أو حتى تجاهلها سيعاد إنتاجها من طرف الأبناء بطريقة غير شعورية، ذلك لأنها صقلت في ذاكرتهم وأصبحت جزء من شخصيتهم، "فدورنا كآباء هو بمثابة العمود الفقري لشخصية الابن، لذلك علينا أن نعطيهم القدوة الحسنة والتفكير فيما سيصبحون في المستقبل **(Marilyne,Y, 2015, p 47)**. فالبناء الشخصي للفرد كما يراه **فرويد (Freud) (والمذكور من طرف ساجدة عبد الأمير السعدي)** يتم في مرحلة الطفولة والذي يظهر في مرحلة الشباب والرشد على شكل سلوكيات إما أن تكون مناقضة للمجتمع أو مؤيدة له **(ساجدة عبد الأمير السعدي، 2010)**

لكن من منا لا يخطئ؟ فهناك أخطاء نتحكم فيها وهناك أخطاء نقوم بها عفويا، وإذا كان أبناءنا يتقمصون شخصياتنا هذا يعني أن أخطاءنا المرورية قد يتم إعادة إنتاجها من طرفهم كون أنهم سيكونون بمثابة صورة طبق الأصل لنا، فكيف إذن لعملية التقمص أن تساهم في صقل شخصية الابن بما أنها تعيد إنتاج شخصية الوالدين؟ ، و كيف لنا أن نساهم في التخفيف من العلة التي نعاني منها خاصة وأن الإحصائيات تدق ناقوس الخطر.

الجواب يكون بتقديم "للطفل الشرح الوفير أمام كل سلوك نقوم به سواء جيد أو سيء والطلب منه التفكير ونقد أي سلوك يراه وطرح أسئلة حوله، هذا ما يسمح له بالتقييم والتقويم أي بالتمييز بين ما هو جيد وما هو دنيء، وكذلك الابتعاد عن ما هو مألوف وتقليدي أي "**رأيت أبي يفعل هكذا ويقول ذلك" (Maryline,Y, 2015, p 47)**.

وعليه فالوعي المروري حسب رأينا يتطلب غرسه في شخصية الطفل وسقيه ببنية معرفية سليمة أساسها النموذج السليم، لتغدو بع ذلك سلوكيات تلقائية صحيحة مبنية على الوعي والاقتناع لا تحتاج لا إلى التقييم ولا إلى العقاب للتقويم ، فكم من مخالفة عوقبت وكم من جريمة ارتكبت وكم من نفوس شردت والثقافة المرورية لم تكتسب بعد، ذلك لأن التعلم الاجتماعي الأول في الطفولة يكون أكثر سهولة من إعادة تعلّمه في مرحلة الشباب، فقد بينت الدراسات أن امتصاص وتقليد سلوك جديد أهون من إطفاء

سلوك قديم، كون أن مقاومة هذا الأخير أقوى من تعلم سلوك جديد (**ساجدة عبد الأمير، 2010**) خاصة في مراحل نمائية متقدمة.

فكما يقول **ليفيغارو**LEFEGARO(**2016**) فإن الوعي المروري يتم تعليمه من طرف الأولياء قبل مدرسة تعليم السياقة بإصدار سلوكيات مثالية، فقد دلت دراسات أجريت على (**993**) شاب فرنسي تتراوح أعمارهم بين (**18-25**) سنة في الفترة ما بين (**18-27**) **أكتوبر 2016** أن الأولياء يؤثرون في سلوكيات الأمن المرورية لدى الشباب بنسبة **65%** ثم تليها مدرسة تعليم السياقة بنسبة **25%** وأخيرا المحيط بنسبة **10%** (**LEFEGARO,F,R, 2016**) .

المراجع:

1- اتفاقية حقوق الطفل، **أعمال حقوق الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة**، لجنة حقوق الطفل، الدورة الأربعون، (2005).

2- أمجد قاسم، **التربية والثقافة**، مصر، (2012).

3- باسمة حلاوة، **دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء**، كلية التربية، مجلة جامعة دمشق، (2011)، ى المجلد 27، العدد 3.

4-حسينة أحمد شاهين، **الأسرة ودورها في التوعية المرورية**، جامعة نليف العربية للعلوم الأمنية، كلية التدريب، قسم البرامج التدريبية، عمان، (2007).

5-الدويبي عبد السلام، **مدخل لرعاية الطفولة**، الدار الجماهيرية للنشر، (1988)، ط.2

6- ساجدة عبد الأمير السعدي، **دراسات مقارنة في السلوك الاجتماعي لتلاميذ الصف الأول ابتدائي الملتحقين وغير الملتحقين برياض الأطفال**، الكلية التربوية المفتوحة، مجلة دراسات تربوية، (2010)، العدد 10، ص ص 69-112.

7- سهير كامل احمد، **دراسات في سيكولوجية الطفولة**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، (1998).

8- علاء الدين كفافي، **الإرشاد النفسي الأسري** ، دار الفكر العربي ، القاهرة، (1999)..

9-علي راجح بركات، **نظرية باندورا في التعلم الاجتماعي**، قسم علم النفس، جامعة أم القرى، (دون سنة).

10- الهادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، (1988).

11-Lalague, Andrey, **Imiter l'autre pour devenir soi,** Mémoire en vue de l'obtention du diplôme d'état de psychomotricien, Institut de formation en psychomotricité, Université de BORDEAU, (2014) .

12-Hbahabob,H. **Pédagogie familiale**, Shumen, (1998).

13-LEFEGARO,F,R. , **Les parents prescripteurs de conduites,** France, (2016).

14-Maryline,Y. **Imiter pour Se construire**, Grandir autrement, Education, N°54, (2015).

15- Toroyan,T. &Peden, M. **Les jeunes et la sécurité routière**, Organisation mondiale de la santé, Genève, (2007).

تـــدريـــس الـــــثقافـــــة الشـــــــعـــــــــبية"شعر الملحون " انموذجا

الباحث / عبد الخالق صديقي ـ جامعة محمد الخامس الرباط ـ المغرب.

الملخص:

يتطرق هذا البحث إلى ضرورة تدريس الأدب الشعبي بالمؤسسات التعليمية بصفة عامة، وإلى تدريس شعر الملحون بصفة خاصة. وسنحاول من خلال هذا المقال إبراز أهمية الثقافة الشعبية والحديث عن مميزات وخصائص شعر الملحون، سواء من ناحية لغة الكتابة وجماليتها ومن خلال أيضا المواضيع والقيم التي يتطرق إليها شعراء الملحون، مما يمنحه سلطة تفرض حضوره داخل الجدران التعليمية، باعتباره جزء من الأدب الشعبي وباعتبار هذا الأخير جزء من الثقافة والهوية. فمن أجل ضمان المحافظة على هذه الهوية دعت الحاجة إلى العناية بهذا الأدب وحمايته، وهذا المقال دعوة للاهتمام بالأدب الشعبي وحمايته وتحصينه أكاديميا، وترسيخه عبر تدريسه للنشء.

الكلمات المفتاحية: تدريس، الثقافة الشعبية، شعر الملحون .

Résumé:

Cette recherche porte sur la nécessité d'enseigner la littérature populaire dans les établissements d'enseignement en général et d'enseigner la poésie d'Al-Malhoun en particulier. Dans cet article, nous essaierons de souligner l'importance de la culture populaire et d'évoquer les caractéristiques de la poésie malhoun, tant du point de vue de la langue que de la beauté de l'écriture, ainsi que des sujets et des valeurs abordés par les poètes d'Al-Malhun, ce qui lui donne l'autorité d'imposer sa présence dans les murs de l'éducation dans le cadre de la littérature populaire et en tant que telle Partie de la culture et de l'identité. Afin d'assurer la préservation de cette identité, il était nécessaire de prendre soin de cette littérature et de la protéger. Cet article est une invitation à s'intéresser à la littérature populaire ainsi qu'à la protection et à la vaccination de manière académique et inculquée par le biais de l'enseignement dispensé aux jeunes.

Mots-clés: enseignement, culture populaire, poésie du Malhon

مقدمة :

تضم كل المجتمعات ألوانا شعبية متنوعة ومتفردة ، أو ما يمكن أن نسميه بالأدب الشعبي، فكل الثقافات تعرف غننا وتنوعا في هذا الباب، الذي يشكل عتبة أساسية من هوية كل مجتمع وكل ثقافة، فلا توجد جماعة صغيرة ولا كبيرة لا تملك حظها ونصيبها من هذا الأدب الشعبي، الذي يميز حضارة على أخرى.

فالحديث عن الأدب الشعبي هو حديث عن أدب عامي، عامي اللغة، عن أدب مروي، بحيث يكون في غالب أمره شفهيا، يعبر عن الطبقات الشعبية بمختلف أصنافها خاصة الطبقة الشعبية الدنيا وهو أدب متوارث من جيل إلى جيل أخر.

وإذا أمحصنا النظر في مصطلح الأدب الشعبي، تلمسنا تشكله من لفظتين: أدب، وشعبي، فالأدب نجمله في الكلام الذي يمثل قيمة ثقافية وأيضا جمالية، نجد فيه اختلافا إلى حد ما عن اللغة العادية المستعملة في التواصل اليومي. أما الشعبي فبمعنى أنه وليد الشعب، وهذا الأخير هو الذي يملكه 'ينتجه ويستهلكه' وهي لفظة ضد نخبوي ورسمي. وتتعدد خصائص الأدب الشعبي منها: الشفاهية، التلقائية، البساطة، والإيقاع المتميز. ويعتبر شعر الملحون أو الشعر العامي جزأ أساسيا في الأدب الشعبي، فلا يمكن أن نتحدث عن الأدب الشعبي دون التطرق لشعر الملحون.

فالمهتم والمتتبع لفن الملحون، وهو في أول عتبات الدخول إلى أعماق هذا الفن الشعبي العريق، المشكل لجزء مهم من الهوية الثقافية الشعبية، يستشعر أيما استشعار أن الشعر الملحون عنصر أساسي في أدبنا الشعبي، الذي نفتخر ونعتز به كل الافتخار والاعتزاز، وأن هذا الشعر ذاكرة تحفظ للمغاربة الشيء الكثير عنهم من تقاليد، وقيم، وأعراف، وعادات. معبرا عن ألام وأحلام الجماهير الشعبية، التي انبثق منها بلغة فنية تفيض حكمة، محبة وعرفانا وسلاما.

لا ينكر أحدا أن شعر الملحون يمثل الثقافة والهوية المغربية بكل حفائرها، ويصور لنا ملامح حياة المغاربة في جل مجالاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية بل وحتى الأخلاقية، وهذه الصورة تميزت في غالبها بالشكل الشمولي المحيط بجميع مجالات الحياة، فلا يخفى علينا النزوح الديني والرؤية الدينية كذلك التي يتصف بها معظم شعراء الملحون، مما جعلهم في الغالب ينقلون لنا قيم روحية وأخلاقية وإنسانية.

فقد تميز هذا شعر الملحون بتركيزه على مجموعة من القيم التربوية العالية، منها الدعوة لتحلي بالأخلاق المثالية وأيضا الاتصاف بالأخلاق الوطنية، فجل أو أكثر شعرهم كان في المدح والتدين، وأيضا لم يتركوا الأنواع الأخرى، فنجدهم قد أوفوا واستوفوا في كل المجالات والألوان فلم يطرقوا بابا إلا أجادوا وأحسنوا فيه الإنشاد وذاك بطريقة رائعة وواضحة، بسيطة وسهلة.

فقد أنشد هؤلاء الشعراء في جل الأغراض المعروفة في الشعر العربي الفصيح، بل زادوا عليه بمواضيع لم يعرفها شاعر قبلهم ولن يستطيع الإنشاد فيها غيرهم، وكان كل ذلك بلغة رائعة ممزوجة بين الفصيح والعامي، لغة تاستهوي كل الناس وتروق لكل الطبقات، وتجذب كل الفئات.

وبهذا التنوع وهذا التفرد وهذه الجمالية الشعرية للشعر الملحون، يفرض هذا اللون نفسه علينا من أجل إدماجه وإدراجه في المقررات وتدريسه لكل الفئات، فله ما له مما يفرض علينا إدراجه في المقررات الدراسية.

ألا نجد في شعر الملحون فن التمثيل؟ أليس فيه نجد فن المسرح؟ أليس فيه نجد أدب الحكي؟ أليس فيه نجد أدب القصة؟ أليس فيه نجد تاريخ الشعوب والأقوام ؟.

إنها أسئلة نجد لها إجابات داخل دواوين الملحون وفي عمق تلك القصائد الشعرية للشعراء، فالملحون يتميز بلغته الراقية المتفردة، فهذه اللغة لها معجم غني بالألفاظ الشعرية الرائعة، مما يجعل شعر الملحون يحجز لنفسه مكانا بين الفنون الإبداعية التي تغني الروح وتطربها.

إن حضور الأدب الشعبي في مؤسساتنا التعليمة أمر أصبح يفرض نفسه، فهذا الأدب بصفة عامة يتميز بمجموعة من الخصائص والمميزات التي تجعل حضوره أمرا ضروريا، ولعلنا في هذا المقال سنكتفي بالحديث فقط عن شعر الملحون، وما يفرض علينا إدماجه وحضوره في مقرراتنا الدراسية وداخل مؤسستنا التعليمية.

مميزات وخصائص شعر الملحون:

أ.اللغة:

اللغة التي يستعملها شعراء الملحون، لغة فيها الكثير من المزج بين العربية الفصحى والعامية المتداولة، فهي لغة واضحة وبينة، تتميز بمميزات عدة منها تعدد الألفاظ والمعاني وتعدد المفردات الدالة على نفس الشيء فهي بهذا تعرف غنا لا مثيل له، لا نجده إلا في الشعر الملحون.

فشعر الملحون يتميز بلغة شعرية غنية، تكسبه الكثير من الدعائم الفنية التي تقوي هاته اللغة، وتجعل منها لغة قوية، فقد نسج شعراء الملحون الكثير من الصور البيانية منها التشبيه والاستعارة وغيرها، فنجد الصور التمثيلية التقريبية، بلغة لا تخلو من الحكي والحوار والوصف والقص، بل ونجد حتى التشخيص حاضرا.

فشعر الملحون فن غني بمجموعة من الصفات ومتفرد بمجموعة من المميزات التي تجعل منه لونا أدبيا متميزا يستحق وبقوة دمجه في المقررات الدراسية وتلقينه وتعليمه لكل الأجيال الصاعدة، جيلا بعد جيل.

فالباحث في شعر الملحون والمتتبع له، يجد أن شعراء الملحون اعتمدوا على صور فنية متعددة كثيرة، فلم تكن فقط الطبيعة ومحاكاتها المصدر الوحيد لهذه الصور الفنية المتنوعة بل الخيال الواسع الفسيح أيضا

لهؤلاء الشعراء، هذا الخيال الذي قاموا بتوظيفه لتعبير عن الحالة النفسية والاقتصادية والاجتماعية حتى السياسية في بعض الأحيان.

الملحون وثيقة تاريخية.

يمكننا أن نعتبر شعر لملحون وثيقة تاريخية: فجل الوقائع والأحداث التي يقدمها الشعر الملحون هي من وحي الوقائع التاريخية، التي تعمد إلى ذكر البطولات والمقاومات والسير البطولية التاريخية، مما يجعلنا نبصر فيه أكثر من جانب وأكثر من وجه ليس فقط التغني والاستمتاع والطرب بل أيضا التوثيق والتأريخ، يقول سيدي لحسن وعلي:

بعدْ الصْلاَ اعلَى رَسولْ الله انُوضَح بَيْيَــانْ

شْرُوطْ السَاعَا وَنَوْصَف حَال الزْمَانْ

بِهَا لْجفَار خَبْروا بَاقِي السْنــينْ

نَظْروا فالواحَ بَاحْوا بَالكْتــمَان

فْي عَام احْدَاشْ غَتْخُوضْ العِـــــينْ

وَيْتفَرعَن اجْرَان في جْميع الوِيْــدانْ

أتقوىَ الذيَابْ وَالسْبَع ارْجَع مَسْـــكِينْ

حْتَى مُوكَا تْصُولْ على جْمِيع البــيزانْ

وأهَلْ الرَّفْعَة تْخمَد وَيعْلُو من شِـــــينْ"[1]

وهو في هذا يصف حال الزمان الذي ستحتل فيه فرنسا المغرب، ففيه تتقوى الذئاب وتضعف السباع دليل على ما سيعرفه الوضع من تغير وقلب للموازين، بحيث تنزل مكانة أصحاب الهمة والشأن ويحل مكانهم السفلة من القوم والخونة، الذين يخدمون الاحتلال ويساعدونه.

ففي هذه السنوات التي سيعيش فيها المغرب تحت ظل الاستعمار، سيعرف ضيقا للعيش وكثرة للأهوال والمحن وهو ما كان بالطبع، فقد عانى الناس من ذل الاستعمار والاستعباد، فقد أرخ شاعرنا لهذه اللحظة بكل تفاصيلها.

أيضا تاريخ لمجموعة من الأحداث واللحظات الأخرى من بينها لحظة الانتصار والتغلب على المستعمر

[1] عباس الجراري، الزجل في المغرب "القصيدة"،أطروحة دكتوراه مرقونة بالمكتبة الوطنية المغرب ص351

ومَا يْقعْ عَام ارْبعَا وَثْلاثِيـــــــــــنْ بَعدْ شَدَّ اتدُوزْ وَاتْعَم البَـــــــــلدَانْ
تَدْمَع العِينْ عَام سَتَ اوخَمْـسينْ وَاتْمُوتْ النَاسْ بينْ شَعْبَان وَرمْضَان
يَظْهَر بْشَار عَام تْسعَا وَستِيـــنْ فيه لبْشَر ايْبَان مَا بْقَى تَمْـــــحَانْ
رِيحْ النَصَر فى عَام رَبْعَا وَسَبـعِينْ خْبَر الاجْفَار فيه يَرْتَادْ الوَلْـــــهَانْ"[1]

ويتحدث سيدي محمد بن الحسن السلاوي عن هجوم السفن الحربية على كل من مدينة الرباط وسلا وذلك يوم الأحد 26 أكتوبر من العام 1851

إو اللهِ في صْبَاح صَبْـــحُوا فِي نْهَار الأَرْبعاءَ كَانْ نْهَارَهْ شُـــــومْ
وَالكُورْ بْغِيظْ كثِير لَاحُوا وَبْقَى فى الدَّربْ مْسَيبْ مَقْسُـــــومْ
وَمْدَافْعنْاَ فْراعوا لْوَاحُـــوا هَذِي شْفَايْتَه بِين جْنُوس الـــــرُومْ
فْرَحْنَا وَسعدْنَا في مْدينة سَلوانَ عَلى الِجهَاد مَا كَانْ في مَاصَرْ
فِي مُدونْ الشَرق وَنَاْس الجْزَايرْ تعْطِي الاخْبَارْ"[2]

وغير هذا كثير، فالوقائع والأحداث التي تم تدوينها في سجلات ودواوين الشعر الملحون كثيرة جدا يصعب عدها وحصرها، فهو سجل تاريخي بامتياز وهذا أمر واضح في جل القصائد.

د.احتواء الملحون على مجموعة من القيم التربوية الإصلاحية:

فقد ضمت الدواوين والقصائد الشعرية الكثير من الدعاوى الإصلاحية التربوية الهادفة إلى بناء مجتمع مبني على قيم تربوية أخلاقية عالية، فنجد جل قصائد بعض الشعراء في الحديث عن التربية السلوكية المبنية على التعامل والسلوك القويم، داعين الناس إلى الاتعاظ والسير على نهج السلف الصالح، يقول أحمد الغرابلى:

لْزمْنَا الاسْتِغْفَـــــارْ فَالضْيَا وَلسْحَارْ
بَالذَل وَالاحْتِقَـــارْ لخُشوعْ لكَبِـــــيرْ
وَانتُوبُو للقَهَـــــارْ كْافَا ابْلجهَـــــارْ
وانْقُولُو يَا جبَـــارْ اجْبَر اللي اكْسير
امْحِي عَنَا لـــــوْزَار أمْقِيل الاعْثَـــار
فَضْلَكْ شَلاَ يَحْصَار جُدْ عَنَا ابْخـــــيرْ"[1]

[1] عباس الجراري، الزجل في المغرب 'القصيدة'،ص 352
[2] محمد الفاسي، معلمة الملحون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية الجزء الثالث ،ص69

ويقول بن علي:

ايَّاكْ لغْدَرْ وَالشْبهَا وَامْوَاقْف لشْيَاتْ اللي سَويا

خُوْك فالَنَّاس اللي وَتَاكْ كُن لوخَاه

نَوْصِيك لاَ تجس لاَ تَغْتَب لاَ تَنَمْ لاَ تْجهل ازْليا

وَاعظْ الخَلقْ افُوجْهُو لاَ تْسَبُو فُقفَاهْ"[2]

فهي دعوة صريحة واضحة إلى التحلي بالقيم العالية المثالية، دعوة للقطيعة مع الغدر والمكر والتجسس وكل الصفات السلبية بمقابلها تبرز دعوة لتشبث والتحلي بالأخلاق العالية ووعظ الناس وإرشادهم والتعامل معهم بإحسان.

ج .القيم الاجتماعية:

وفيها يصور لنا الشاعر صور الحياة اليومية الاجتماعية السائدة داخل المجتمع، فيقوم فبوصف للعلاقة بين الأفراد والأصحاب، بالإضافة إلى نمط العيش السائد داخل هذه الجماعة ونمط تفكيرها يقول ابن الصغير في قصيدة حربتها:

سُبْحَان الله في الطْبَايع ذَا النَاسْ×× مَا بْقَي مَن لا غْرَامه ×× النَاسْ أَحْوَال كُلْ وَاحْد فِي حَالةْ حَالْه

وَاحْد تَلقَاه فِي كَلاَمَـــــــهْ بَالطْيِبة غَايةْ الكْـــــلاَم

وَيْزِيدْ عَلى سْلاَمَـــــــــــه لأَهْل التَسْليم بَالسَلاَمْ

وَيْرُوم عَلى الرْضَى مْرَامَـه يَظْفَر بَشْمَايل المـــــرَامْ

وَاحْد تَلقَاهْ بَالشْجَاعة مَعْلوم ×× وَالعْمَر مَا تْفَنيه زْعَامَة ×× لو كَانْ نْشَد فِيه ميات أَلفْ رَامِـي

بْمكَاحْلهُمْ وَتْوَافل وَسْهُومْ ×× فِي القْفَار نْصِيبه يَتْرَامَى ×× تَحْت ظْلُول السْيوفْ وَطْنِينْ الِهند الظَامِي

وَاحْد مَن هِيبْة الضْرَاغَم مَسْهُوم ×× بَاشْ نَفعهْ قْدَه وَالقَامَة ×× خَلدْ في العَار كُل مَن أراد عَلِيه يِحَامِي

وَاحْد تْلقَاه غِير هَايْم مَهْمُوم ×× مَا يْعِبد وَلاَ يْدخَل للأُمَة ×× مَا يْفهَم كُوع من البُوع مَثْل الصَدْقَامِي"[3]

فهذا جزء من قصيدة طويلة يتحدث فيها الشاعر عن أحول الناس وصفاتهم فليس كل الناس على صفة الشجاعة والكرم وحسن الضيافة، وحسن القول وليس كل الناس يتصفون بالجبن، والشح، والقول الخبيث،

---

[1] عباس الجراري، الزجل في المغرب 'القصيدة'، ص353

[2] عباس الجراري، الزجل في المغرب 'القصيدة'، ص347

[3] محمد الفاسي، معلمة الملحون،الجزء الثالث، ص188

فالناس درجات ومقامات، وهذه القصيدة تبرز لنا أحوال هؤلاء الناس في هذه الدنيا والعلاقة التي تربطهم في الغالب.

هـ. تهذيب الذوق:

ففي ظل هذه الأغاني وهذه الموسيقى التي أصبحت سائدة اليوم والتي أقل ما يقال عليها ضجيج منظم يفسد الأذواق، فإذا اشتغلنا على إدخال شعر الملحون وأنغامه الرائعة في مقرراتنا فإننا سننجب متعالمين بأذواق رفيعة عالية، لا تاستهويه أي الأنواع وأي الأغاني فسيكون متعلما ذو حس نقذي تذوقي فني يعرف الموسيقى ويميزها عن الضجيج فما ولع الشباب اليوم بهذا النمط من الأغاني السائدة إلا دليل على تردي الذوق، بالإضافة إلى وجود فراغ موسيقي يجعل الشباب تنجرف مع أي لون ومع أي نمط، حتى وإن كان من الجلي ضعفه وعدم توازنه.

هذا جزء بسيط فقط من مميزات وخصائص شعر الملحون، مما يجعله يثبت نفسه أمام ضرورة حضوره وتواجده بالمقررات الدراسية، والسير نحو تعليمه وتلقينه لكل المتعلمين، في كل المستويات الدراسية، وضرورة حضوره أيضا في الساحات الجامعية، فقد كانت الدعوة صريحة للأدراج الأدب المغربي في الجامعات كشعبة خاصة وهي دعوة كانت من الأستاذ الكبير العلامة عباس الجراري وغيره من المهتمين بالأدب المغربي فصيحه وعاميه.

ومن بين الأشياء الكثيرة أيضا التي تفرض علينا إدماج شعر الملحون في المقررات وتعليمه:

اللغة:

وهي لغة يطلق علها العديد من النقاد لغة الشعراء، ففيها الفصيح والعامي، ولكن الشاعر بهذه اللغة يستطيع أن ينظم قصيدته ويعبر عن غرض إنشاده، محترما أدوات الخطاب الشعري، فقد عمد الشعراء إلى الاقتباس وإكثار المعاني حتى أحصي لهم في بعض الكلمة مثل وصف الغزال إلى أكثر من عشرين كلمة، وهي بذلك لغة قوية متشعبة.

فحفظ هؤلاء الشعراء كل أسماء الأطعمة، والطيور، والألوان، والأزهار، والأشجار، والحيوانات والملابس، والآلات الموسيقية، وأيضا عرفوا كل أسماء الأواني التي تستعمل في المنازل وجل أدوات الصناع ولغاتهم وأتقنوا كل هذه المفاهيم وهذه المصطلحات وأدرجوها في لغتهم وفي كتاباتهم، فأصبحت هذه اللغة من أغنى اللغات وأوسعها مفاهيما ومصطلحات، فكونوا بذلك رصيدا معجميا هائلا في دواوينهم الشعرية.

الرموز والدلالات:

ويحتوي أيضا الشعر الملحون على مجموعة من الرموز والدلالة، تجعل يضم معاني متعددة ومتنوعة، ففيه مفردات غزيرة، وصور بلاغية بيانية عديدة فلا تجد قصيدة إلا وجدت فيها الكثير والكثير من الصور البلاغية الدالة على فطنة وسليقة وسجية شاعر الملحون.

أليس كل هذا كافي لدلالة على قيمة الملحون؟، أليس هذا كاف للدلالة على وجوب إدماجه في المقررات التعليمية؟ أليس هذا كاف للدعوة من جديد لحماية الأدب الشعبي والعناية به كما دعا مجموعة من الباحثين من قبل؟أليس فيه تاريخنا وحضارتنا وتراثنا ؟

ومن هنا جاءت ضرورة:

ـ ضرورة إدماج شعر الملحون عامة وشعر الملحون الصوفي خاصة في المقررات الدراسية.

ـ إعطاء أهمية للشعر الملحون باعتباره سجل المغاربة وديوانهم الذي يظم جل تاريخهم ويحفظ ثقافتهم.

ـ التربية على التصوف السني، القائم على الروحانيات والمعتمد على الكتاب والسنة من خلال الشعر الملحون الصوفي.

ـ إدماج الشعر الملحون في المقررات هو إدماج للأدب الشعبي، الذي يشكل ترثا غنيا لهويتنا.

ـ العناية بالأدب الشعبي وبالملحون المغربي هو ضمان لاستمرار الثقافة المغربية العريقة.

ـ إعطاء الأدب الشعبي مكانة داخل القنوات الفضائية من أجل نشر هذه الثقافة المحلية الوطنية بين مختلف الأعمار.

ـ اعتماد الملحون والملحون الصوفي في التربية والتنشئة القائمة على القيم وحفظ الهوية المغربية.

ـ التركيز على شعر الملحون، كآلية ودعامة، من أجل فهم الأفراد لتقاليد محيطهم والتعرف على ثقافاتهم

ـ تدريس الملحون هو ترسيخ للثقافة المغربية واعتزاز وافتخار بها أمام الثقافات الأخرى.

ـ العمل على إدماج الملحون والملحون الصوفي كمشروع جماعي يهدف إلى تحقيقه كل الأطراف المؤطرة للمنظومة التعليمية.

ـ تحسين نظرة الناشئة للشعر الملحون، هو تحسين للنظرة العامة حول التراث المغربي.

ـ التربية على الهوية، أساس من أساسيات تدريس شعر الملحون بالمدارس والجامعات المغربية.

ـ العمل على ملء الفراغ الذي يعرف مجال الأدب الشعبي، من خلال دمج الملحون كوحدة أساسية في التعليم.

ـ العمل على إدراج الملحون، سبيل لإخراجه من ركوضه الذي يعيشه، وأيضا سبيل لتجديد القراءات فيه.

ـ ضرورة العمل على مشروع وطني يهدف إلى تعريف الناشئة بالأدب الشعبي وبخصوصيته وجمالياته.

2: وظائف شعر الملحون:

وشعر الملحون له وظائف أساسية لا يمكن الاستغناء عنها لا في التربية ولا في نقل الأفكار والقيم وترسيخ الهوية.

أ :شعر الملحون وحماية الهوية.

في ظل ما أصبح يصطلح عليه بالعولمة، أو إلغاء الحدود أصبحت هذه الهوية تضعف وتتلاشى، وأصبحت المجتمعات تنصهر فيما بينها من أجل خلق ثقافة عالمية واحدة تسعى إلى خلقها الدول العظمى خاصة.

ففي أحضان هذه الثورة الإعلامية الرقمية والثورة التي شهدها أيضا مجال الاتصالات، وهذا التطور الإعلامي الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت جل الثقافات تنصهر وتذوب لتشكل ثقافة واحدة داخل مجتمعات عديدة، فأصبح العالم يتجه نحو نشر ثقافة الدول العظمى على حساب ثقافة الدول الضعيفة، مما حرك الشعور بالخطر نحو ثقافتنا، وأصبحت الدعوة صريحة للاهتمام بالأدب الشعبي.

فالأدب الشعبي يجمع في طياته أدب جماعة ما، وهذا الأدب يتوارثه الناس جيلا عن جيل ففيه نجد ثقافة الأجداد وتقاليدهم التي ورثها الأبناء، هكذا دواليك بحيث "تتكامل فيه الأجناس والأشكال لتنقل طبيعة حياة الشعب وطبيعة احتفالاته، وتفسيره للوجود من حوله والأجناس اللفظية وغير لفظية من حكايات شعبية، أغاني شعبية، أمثال، ألغاز، مواويل وملحون، قد نقلت طموحات الشعب وأماله ومخاوفه."[1]

فالأدب الشعبي تعبير عن الوجدان وتعبير عن كل المسرات والأفراح، وأيضا الهموم والمضرات وذلك من خلال الأشياء الأصيلة والعريقة كالموسيقى، والأغاني (أغاني المناسبات) والأزجال والأمثال والحكايات وغيرها، كلها تعمل جاهدة مجتمعة على ترسيخ الطابع القومي الشعبي داخل المجتمع، وتخلق التلاحم والترابط بين مكوناته وذلك من خلال الحفاظ على هذه الهوية المشتركة.

فالاعتناء بالأدب الشعبي، يشكل حبلا رصينا في حماية الهوية، والحفاظ عليها وأيضا الحفاظ على التنوع الذي يعرفه، فليس ذلك التنوع اختلاف بقدر ما هو تكامل وانسجام يوحد جميع الفئات داخل هوية واحدة مشتركة بها نسهر على حماية أدبنا الشعبي.

[1] محمد فخر الدين، الحكاية الشعبية المغربية بنيات السرد والمتخيل، دار النشر المعرفة، الطبعة الأولى،ص 90

ب: شعر الملحون والتربية على الهوية

يلعب شعر الملحون دورا أساسيا في الحفاظ على الهوية وحمايتها، فقد قام الملحون بوظائف عدة داخل المجتمع، من بينها التأريخ لأحداث الوطن الحبيب، وتدوين جميع مسراته وأحزانه، وكانت فيه أيضا دعوات صريحة لتحلي بمجموعة من المواقف واتخاذ مجموعة من القرارات فنجد فيه الدعوة إلى الإسلام وإلى محاربة المستعمر، وسجله مملوء بالكثير من هذا.

بالإضافة إلى هذا يمكن أن نسجل له ما يمكن أن نسميه بالحكمة والإرشاد، بالإضافة للحديث عن مواقف للتسلية وتصوير لأنماط العيش وسلوك الأفراد وصفاتهم، فهو بهذا يحاول أن يسجل كل الوقائع والأحداث والعادات والتقاليد.

فشعر الملحون رمز تابت في الأدب الشعبي المغربي، ومكون أساسي من مكونات الهوية المغربية، فلا أحد يمكنه إنكار شعبية الشعر الملحون في جميع الأوساط، يجد الباحث عن الحكمة ضالته فيه، ويجد الباحث عن التسلية والترفيه مكانه أيضا، فنجد فيه الكثير من الترويح عن النفس التي تظل متأزمة في الواقع وقساوته، فالمنشد والمستمع يجد فيها متنفسا للهروب من الواقع إلى عالم التغني والإنشاد.

فهذا المتنفس وهذا الفن، الذي يعبر به الشاعر عن همومه، وأفراحه معبرا بهذا عن فئات وطبقات عديدة من الناس، نجد فيه الكثير من القيم التي يهدف إلى تمررها للناشئة، ويهدف إلى استمرارها داخل المجتمع وذلك من خلال الإنشاد والسماع أو ما يمكن أن نسميه بالتواصل الشفهي، فتنتقل هذه القيم من جيل إلى جيل فتعمل كمرتكزات وثوابت ثقافية تكون بذلك مشكلة للهوية.

فشعر الملحون بقصائده الرائعة التي ينشدها الشعراء ويتغنى بها المستمع تنتقل بهذه العملية من مكان لأخر، ومن جيل إلى أخر، حاملة في مضمونا مجموعة من الحمولات الثقافية والقيمية، التي تعمل على نقله إلى الجيل الناشئ، هذا بشكل دائم لضمان هذه الهوية وضمان استمرارها.

ويعمل الشعر الملحون دائما على ضمان هذه الاستمرارية، استمرارية العلاقات الاجتماعية، واستمرار تمرير القيم لناشئة خاصة ما نجده في الشعر الملحون الصوفي، فلا يعمل شاعر الملحون فقط على محاكاة الطبيعة ووصفها، والتغني بمواضيعها العديدة، بل من أهدافه أيضا نقل المعرفة والقيم وضمان انتشارها واستمرارها رغبة في تحصين الثقافة والهوية المغربية وتميزها عن غيرها.

لن يخف على أحد اليوم ما تعرفه وتشهده الثقافات من استهداف ومحاربة، من أجل فرض نمط واحد وثقافة واحدة، مما يستهدف معه أيضا تنميطا وتغير في الفكر وأيضا في القيم، والعادات الاجتماعية بما

في ذلك الأخلاق والتنشئة، سعيا ومحاولة لتهميش الثقافة الأصلية، وفرض لثقافة دخيلة وإلغاء لكل الحواجز والخصوصيات.

وهذا في جله يستهدف الطبقة الناشئة التي لازالت في طور تكوين ثقافتها، فالشباب والأطفال من أبرز الفئات المستهدفة باعتبارهم أكثر فئة استهلاكا وبحثا عن القيم، فالعالم اليوم أصبح يهدف إلى خلق نمط موحد، فأصبح البحث عن جيل يستهلك أشرطة "التسجيل نفسها والفيديو، والموسيقى، والأحذية والرياضة، والجينز وتي شرت التي تحمل شعارات الشركات العالمية المنتجة"[1]

فكل هذه الأمور مجتمعة تجعل الهوية والثقافة تتلاشى وبشكل خطير، وأصبح الأمن الثقافي يدق نقوس الخطر في ظل هذه الوضعية المزرية لثقافة والهوية المغربية، ففي ظل هذا التدفق للأفكار والمعارف والتطور الإعلامي، وكثرة البرامج الثقافية أصبحت ثقافة الدول العظمى هي التي تفرض نفسها.

وبالرغم من هذه الظروف وهذه المتغيرات العديدة، التي أصبحت تهدد الهوية والذاكرة الجماعية التي تزخر بالكثير والكثير من الأفكار والتصورات ذات الحمولة الإيجابية، وجب أ انتقاء واختيار بعض الأفكار من الثقافات الأخرى والتي تكون إلى حد ما مقبولة، فالتشبث بالهوية والثقافة لا يعنى إلغاء الهويات الأخرى، لكن في ظل الحوار والتكامل، لا في ظل السيادة والإقصاء، فالحديث هنا عن الانفتاح الثقافي لكن مع ضمان حماية الهوية بكل جزئياتها.

فالملحون في أصله وجوهره يحمي ثقافة الأمة، ففيه تراكم لتجارب سابقة متعددة، فهو الديوان الذي نجد فيه أصل المغاربة وتاريخهم، ومن خلاله يتم اكتساب مجموعة من الخبرات المتنوعة، ففي جوهره دليل على وحدة تماسك المجتمع وإتحاد أفراده، فلعب دورا أساسيا في صيانة الهوية وحمايتها من الضياع.

وصون الملحون وحمايته هو تأكيد على التمسك بالهوية والتعلق بها، بكل رموزها، وحماية الهوية دليل على الاستمرارية واستمرار التواجد، فلا مجتمع بدون هوية ولا مجتمع بدون ثقافة والملحون جزء من هوية المغاربة وثقافتهم.

فالملحون من هذا المنطلق سبيل للحفاظ على الهوية، والحفاظ على جل مميزاتها وخصائصها بالإضافة إلى حفظ الخصوصية المغربية، فمعظم قصائد الشعر الملحون تغنت وأنشدت حول العادات المغربية، وحول الطبخ، واللباس، وعن العادات في الأعياد والأعراس، فالشعر الملحون ديوان عني بالثقافة المغربية، وهو سجل يحمل داخله الهوية بكاملها.

[1] سمير ابراهيم حسن، المجتمع الثقافة، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى،ص425

فاستمرار تداول الشعر الملحون والتغني به، دليل على استمرا ر الهوية ودليل على حمايتها والحفاظ عليها من الضياع، فبه نضمن جزءا كبيرا من هويتنا وثقافتنا. مما يفرض علينا نشره وتعليمه على أوسع نطاق ممكن.

ومن أجل حماية الشعر الملحون بكل أنواعه، وضمان إستمراريته تعلب مجموعة من الأطراف دورا أساسيا ومركزيا في هذا ومنها: المجتمع، الأسرة، الإعلام. فكيف يمكن لهم المساهمة في نشر الشعر الملحون وحماية للهوية؟.

شعر الملحون والمجتمع:

ظل الملحون من أبرز الفنون انتشارا في جل الأوساط المغربية، سواء ما بين الطبقات المثقفة أو غير المثقفة، فهو جزء من الهوية المغربية، بحيث عرف انتشارا واسعا في جل المناطق والأقطار، تتمتع وتطرب لأشعاره الأذان كبيرها وصغيرها، فكانوا يحفظونه ويتداو لونه ويستدلون به في حديثهم، لما كان له من المكانة فيما بينهم.

فحفظت المطولات من الشعر الملحون عن ظهر قلب، بعضهم حفظها فقط بكثرة الاستماع والتكرار وبكثرة المنافسة في إعادة التغني بها، وضرب الأمثال والحكم بأبياتها خاصة من شعر الملحون الصوفي لما كان يحمله من قيم إسلامية إنسانية كبرى.

فالمغاربة يميلون إلى الجانب الديني وينزحون له، ويحفظون كل ما يتصل به، وهكذا عرف الشعر الملحون إقبالا وقبولا كبيرا، بالرغم مما يعرفه التراث عموما من تهميش وإقصاء والشعر الملحون أيضا لحقه ما لحق التراث، إلا أن ولع المغاربة بالملحون سيظل حاضرا طول السنين، فجل المغاربة لا زالوا يحنون إلى قصائد الشعر الملحون ويتغنون بها في جل أفراحهم ومناسباتهم بحيث لازال الرواة والحفاظون في كل أقطار المغرب.

من هنا يبرز لنا أن الولع بالشعر الملحون لا زال قائما وإن قل، فكلما ذكر الشعر الملحون وبدأ أحد الشعراء أو الحفاظين التغني به، إلا وجدت أذانا صاغية، وعيونا مترقبة متتبعة، وقلوبا مرهفة عاشقة، لتدل مجتمعة على الترحيب الواسع من الجمهور لهذا الفن بالرغم مما لاحق المجتمع من تغير خصوصا في ظل هذه الألوان الموسيقية السائدة حاليا.

لا يمكننا أن ننكر أو ننفي التهميش والإقصاء الذي طال الشعر الملحون داخل مجتمعاتنا، رغم ماله من القيمة والمكانة الرفيعة داخل قلوب الناس، فالمجتمع لم يعد يؤدي دوره كاملا في تربية الناشئة على

الهوية، بحيث أن للمجتمع دورا مهما في التربية على الهوية والتعريف بها والتربية عليها، ونشر جل التراث عامة.

فجل العائلات المغربية كانت تستمع للشعر الملحون في إطار عائلي وبشكل جماعي، فلم تكن موجات المذياع تتوقف عن بث قصائد الملحون، ومن المعلوم أن بعض المناطق كانت تميز يوم الأربعاء وتجعله للاستمتاع والاستماع لقصائد الملحون كما تخصص الجمعة لتلاوة القران والاستماع إليه.

ومن أدوار المجتمع التي يمكنه القيام بها من أجل نشر الملحون وإعادته إلى أوجه، وأيضا تربية الناشئة عليه، ومن أجل تثبيت للهوية المغربية المتميزة، فمن بين مهامه:

ـ محاولة إعادة خلق تلك الحلقات التي يتنافس الشعراء ويثبرون فيها، في قول الشعر الملحون فيها.

ـ إدماج الشعر الملحون عامة، والتركيز على الصوفي خاصة في جل الأغاني الشعبية التي تذكر في الأفراح والمناسبات.

ـ اجتماع الأسر والأصدقاء من أجل التذاكر حول الملحون وقيمه.

ـ إدماج الشعر الملحون في المؤسسات التعليمية.

ـ الدعوة إلى خلق شعب خاصة بالأدب المغربي يكون الشعر الملحون من بين تخصصاتها.

وغير هذا من المهام الكثيرة التي يمكن للمجتمع أن يقوم بها في إطار التربية والحفاظ على الشعر الملحون ضمانا للهوية ولاستمرارها.

الشعر الملحون ودور الأسرة:

تشكل الأسرة نقطة أساسية في نقل القيم إلى الأبناء وتربيتهم عليها، وتثبيت الهوية في روحهم، فأول من يضع أصبعه على تربية الناشئة هي الأسرة، فلها السبق والبداية في هذه التربية، فلها الدور الأول في تمرير جل الأفكار والمعتقدات إلى أذهان الناشئة وتربيتهم عليها.

فالأسرة تقوم بغرس الهوية في روح الأبناء، وتلعب الدور الأساس في التربية، فالأبناء في الغالب دائما يحاولون تقليد أبائهم في جل أعمالهم وتصرفاتهم، فتتسرب إليهم جل الأفكار بالفطرة حتى وإن غاب التلقين فجل الأفكار تمرر بشكل غريزي.

وأصبحت جل الأسر اليوم تعاني من شتات وتفرقة لما ظهر من حركات فردانية، أثرت وبشكل ملموس على التكتل التي كانت تعرفه الأسر، فقد ظهرت مجموعة من الأفكار الجديدة كالأسرة النووية، وزمن السرعة وزمن الثقافة العالمية... .

لكن على الرغم من هذا فلا زالت الأسر في مجتمعاتنا في الغالب تقوم بدور هام وأساسي في تمرير الأفكار، والقيم، والمعتقدات. فهي المربي الأساس للناشئة على الهوية والتقاليد والحث على التشبث بالأعراف.

ومن بين الأدوار التي يمكن أن تقوم بها الأسرة في نشر الملحون و المحافظة على الهوية والحرص الكامل على حمايتها نجد:

-خلق جلسات أسرية للاستماع للملحون.

-خلق تنافس بين الأبناء في حفظ قصائد الملحون عامة والصوفي خاصة.

-تشجيع الأبناء على محاولة الكتابة والإنشاد.

-الاستدلال قدر المستطاع بالشعر الملحون.

-الاستماع بشكل رسمي للقصائد والتغني بها أمام العائلة والأصدقاء.

ونجد للأسرة أدوار كثيرة يصعب حصرها في ظل مهمة نشر الملحون وترسيخ الهوية من أجل تربية أصيلة خالصة، تحمل هوية ثابتة.

الشعر الملحون والإعلام:

ازدهر الشعر الملحون في جل الأوساط المغربية، وكثر إنشاده والتغني به، وأيضا كثر ذكره في المحافل والمناسبات، فحضي بقيمة عالية وملأ الموجات الإذاعية، ونقل عبر الشاشات التلفزية، وعقد مع شعراءه حوارات أكثر من مرة.

والملحون ظل يشكل صورة من صور المجتمع المغربي وجزءا أصيلا من ثقافته، لكن في ظل ما شهده العالم من تغير وشاهدته الهوية المغربية من تحول، تعددت محاولات تهميش الشعر الملحون وتقليص مكانته، وهو ما تبلور إعلاميا وهذا ما نشاهده اليوم للأسف، فقد تم تهميش الشعر الملحون وتقزيم نصيبه من العرض الإعلامي أو إلغاءه نهائيا.

فانعدمت السهرات التي كانت تقام للشعر الملحون وأيضا انعدمت الحوارات مع الشعراء والمنشدين، مرد ذلك إلى الإهتمام المتزايد بالبرامج الربحية والأفلام التي تحقق نسبة مشاهدات عالية مع أنها تختلف عن قيمنا وهويتنا، رغم أن لها خطرا كبيرا على المجتمع بنشرها لثقافة دخيلة داخل جل الأوساط المغربية، لكن جل القنوات لم يعد لها هدف سوى الربح والاعتماد على البرامج الربحية.

ولا يمكن أن ننكر الدور الهام للإعلام في نشر أي ثقافة وأي أفكار، فله دور فعال في المجتمع، فرأي العديد من الطبقات وأفكارهم تبنى من خلال الإعلام، متجاهلين صحتها أو عدم صدقها، لكن المهم أن الإعلام أصبح يشكل سلطة لها تأثيرها على الرأي العام، وأيضا سلطة تؤثر حتى على الأذواق.

فمن بين المهام التي يمكن أن يقوم بها الإعلام من أجل نشر الملحون والتربية على الهوية:

-إنشاء برامج تهتم بالشعر الملحون والشعر الملحون الصوفي.

-خلق برامج تهتم بالشعراء وتعرف بحياتهم.

-إنجاز تقارير عدة حول الشعر الملحون.

-إقامة سهرات أسبوعية حول الشعر الملحون.

-التتبع المستمر لتطور الشعر الملحون.

-تقديم أفلام وثائقية حول الملحون، محاولة لإبراز دوره الهام في تاريخ المغرب.

-إنجاز لقاءات مع أساتذة ومحللين، لهم اهتمام بالشعر الملحون.

-بث القصائد عبر جل الإذاعات الوطنية.

فالإعلام يلعب دورا هام في نشر أي ثقافة ، فدوره أساسي في حماية التراث وحماية الهوية من كل الشوائب التي أصبحت تهددها يوما بعد يوم، فهو اليوم وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها، وهذه مهمة له دور أساسي في إنجاحها.

هكذا إذن فالشعر الملحون جزء أساسي ومكون مركزي من مكونات الهوية المتمثلة في الأدب الشعبي، فوجب تضافر الجهود والعمل بين المجتمع والأسرة والإعلام من أجل ضمان حمايته -الشعر الملحون- من الضياع فبه حماية لهوية وحماية هذه الأخيرة ضمان لحماية الثقافة وحماية الثقافة دليل على وجد شعب عريق وأمة لها تاريخ وهمة.

الخاتمة:

إجمالا ما نستخلصه هو أن شعر الملحون ما هو إلا جزء بسيط داخل عالم الأدب الشعبي، هذا الأدب الذي يتميز بالغنى والتنوع والذي يتميز بمجموعة من المميزات كنا قد أشرنا إليها في الحديث عن شعر الملحون هذا الأخير الذي يشكل فقط نقطة بسيطة داخل هذا الأدب. فمجموعة من الخصائص تفرض علينا إدماج الأدب الشعبي ككل داخل المقررات الدراسية وبالخصوص شعر الملحون لما فيه من غنى لا على مستوى الموضوعات ولا على مستوى اللغة والدلالات، وإلى ما فيه من رقي أفكار وقيم

ستسهم وبالملموس في إحداث أثر على المتعلم، ولا شك أنها ستجعله يتعلق بأدبه الشعبي الذي يشكل جزأ من هويته.

المراجع:

-أحمد السهوم، الملحون المغربي، من منشورات شؤون جماعية، الطبعة الأولى 1993

-سمير ابراهيم حسن، المجتمع الثقافة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى

-عباس الجراري، "الزجل في المغرب" القصيدة أطروحة دكتوراه، مرقونة بالمكتبة الوطنية المغرب.

-عبد الله شقرون، الأدب الشعبي على أمواج الإذاعة، منشورات إتحاد إذاعات الدول العربية 1987

-محمد الفاسي، الأدب الشعبي المغربي، مجلة البحث العلمي، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط العدد الأول 1964

-محمد الفاسي، معلمة الملحون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1987

-محمد فخر الدين، الحكاية الشعبية المغربية، بنيات السرد والمتخيل، دار المعرفة الطبعة الأولى 2014

-نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة مصر القاهرة، سنة 2000

تقدير الذات وعلاقته بالاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي ـ دراسة ميدانية مقارنة ـ

الباحث/ عمر حسيني
جامعة الجزائر 2

الباحثة/ أسماء خلاف
جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2-

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن مستوى بعض المتغيرات النفسية " تقدير الذات – الاكتئاب " لدى عينة من التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي، والذين يدرسون بمرحلة المتوسط و عينة من أقرانهم تلاميذ العاديين، وكذا التعرف عما إذا كانت هناك فروق في مستوى هذه المتغيرات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين. وقد تكونت عينة الدراسة من (24) تلميذ من ضحايا التنمر، و(31) تلميذ من التلاميذ العاديين، و تمّ الاعتماد على " المنهج الوصفي" في إنجاز الدراسة. أمّا الأدوات المستخدمة في هذا الإطار فتمثّلت في مقاييس: تقدير الذات و الاكتئاب الخاصة بالتلاميذ في هذه المرحلة و المناسب لعينة الدراسة .

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- توجد علاقة بين تقدير الذات و الاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر

2- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى تقدير الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين

3- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الاكتئاب بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين

الكلمات المفتاحية : الاكتئاب – تقدير الذات- التنمر المدرسي .

Résumé :

Cette étude visait à révéler le niveau de certaines variables psychologiques "estime de soi" Dans un échantillon d'élèves victimes d'intimidation, Qui étudient dans la phase intermédiaire et un échantillon de leurs pairs étudiants ordinaires, Ainsi que d'identifier s'il existe des différences dans le niveau de ces variables entre les étudiants et les victimes de l'intimidation et d'autres étudiants ordinaires.

L'échantillon de l'étude était composé de (24) étudiants victimes d'intimidation, Et (31) étudiants d'étudiants ordinaires, et était basé sur la "approche descriptive" dans la réalisation de l'étude. Les outils utilisés dans ce cadre sont: Estime de soi et dépression pour les étudiants à ce stade et appropriés pour l'échantillon de l'étude.

L'étude a trouvé les résultats suivants:

1 - Il existe un lien entre l'estime de soi et la dépression chez les élèves victimes d'intimidation
2 - Il existe des différences statistiquement significatives dans le niveau d'estime de soi des élèves victimes d'intimidation et d'autres élèves ordinaires
3 - Il existe des différences statistiquement significatives dans le niveau de dépression chez les élèves victimes d'intimidation et autres élèves ordinaires
Mots-clés: dépression - estime de soi - école d'intimidation.

مقدمة:

إن تعرض الطفل للعنف من طرف أي شخص داخل أسرته أو للتنمر من طرف زملائه الذين يدرسون معه بالمدرسة نفسها أو غيرها من المدارس قد يترتب عليه ظهور العديد من المشكلات والاضطرابات النفسية و السلوكية والاجتماعية التي قد تؤذي بناء شخصيته. مؤدية بذلك إلى ظهور فرد مضطرب نفسيا في المستقبل ومتذبذب في علاقاته الاجتماعية مع الأشخاص المحيطين به.

حيث أن هذا التلميذ وبسبب ما يتعرض له قد يصاب بعدد من الأمراض النفسية و التوترات العصبية نتيجة القلق والغضب والإحساس بعدم الأمان، كما يصاب أيضا بحالات فقدان الثقة بالنفس ونقص في تقدير ذاته بسبب الخبرات السلبية السابقة من سوء معاملة و عنف و..الخ. فضلا عن افتقادهم للتقدير الاجتماعي و الإحساس بالانتماء.

إن طبيعة الحياة داخل المدرسة و بحكم تواجد التلميذ فيها لفترات لا بأس بها تستدعي إحساسه بالأمن والتقدير بداخلها وإلا فان هذا لن يؤثر على المسار الدراسي للتلميذ فحسب، بل سيؤثر أيضا على شخصيته بكل أبعادها.

كما أن احترام الفرد لنفسه وحبه لها وإحساسه بشخصه وبقيمته أمام الآخرين يختلف من فرد لأخر، فقد يرى لفرد نفسه بصورة ايجابية أو سلبية، وهذا هو ما يعرف بمفهوم " تقدير الذات" عند الفرد، والذي يتطور من خلال الخبرات والمواقف التي يتعرض لها في مختلف مراحل حياته، مرورا بتلك المحاولات للتكيف مع البيئة التي ينتمي إليها والمحيط من حوله.

إن اثر هذه المواقف والخبرات لا يتوقف عند مجرد نمو تنظيمات سلوكية خاصة، أو دوافع فردية منعزلة، وإنما يتعدى ذلك ليشمل أبعاد الفرد كلها عن طريق تقييم أثر الخبرات الانفعالية والإدراكية على هذا الفرد، مما يؤدي في النهاية إلى تطور مفهوم عام عن الذات. (**خلف شاكر عقلة، 2000**).

يعد تقدير الذات من الأبعاد المهمة للشخصية، بل يراه البعض بان ه الاهم والأكثر تأثيرا في السلوك، ويؤكد آخرون أن الأشخاص الذين لديهم تقدير ايجابي لذواتهم يكونون في الغالب اسعد حالا

وأفضل صحة وأكثر إنتاجية ممن لديهم تقدير متدن لذواتهن. وتجدر الإشارة إلى أن اهتمامهم بتقدير الذات يكون عاملا مهما في الحياة المدرسية، فهم يؤكدون أن " تقدير الذات الايجابي أكثر أهمية لديهم من النتائج المدرسية، وان ضعف تقدير الذات يرتب بشكل ملموس بالعديد من الاضطرابات النفسية كالاكتئاب، والقلق والتوتر والعصبية، والنزوع إلى العدوانية والخجل وقلة الشعور بالرضا عن الحياة. **(عمر الريماوي، د- س، ص97)**

هذا وتعتبر ظاهرة "التنمر المدرسي " من بين الظواهر التي أصبحت تظهر وبشكل واضح في الآونة الأخيرة داخل مدارسنا، بكل ما لها من أثار جانبية على الطفل، سواء على الجانب النفسي لديه بما في ذلك نظرته لنفسه وتقديره لذاته ، أو نظرته للمدرسة التي ينتمي إليها، والى المجتمع بصفة عامة، ذلك أن لهذه الظاهرة أبعاد خطيرة تمتد على بعد زمني غير محدود من عمر الطفل الضحية.

بل إن الكثير من الدراسات الأجنبية والعربية أيضا قد توصلت إلى أن هؤلاء الأطفال الضحايا قد يفكرون بالتخلص من حياتهم، عن طريق الانتحار أو على الأقل التفكير فيه نتيجة ما يتعرضون له من طرف زملائهم بالمدرسة من عنف وتهديد ، لا لشيء إلا لأن هؤلاء المتنمرين يتميزون عليهم ببعض الخصائص التي قد يفتقدون هم لها، مثل ضخامة الجثة أو لأنهم اكبر منهم بالعمر .

وقبل أن يمر الطفل أو يفكر في الانتحار فانه عادة ما يمر بمرحلة اكتئابية قد يلاحظها الناس الأقرب إليه وقد لا يلاحظونها، تكون بمثابة التمهيد لأي فعل قد يؤذي النفس أو الجسد .

الإشكالية: وتكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

ما مدى العلاقة بين تقدير الذات و الاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي؟ وهل توجد فروق بينهم وبين التلاميذ العادين في متغيري تقدير الذات والاكتئاب ؟ وقد تفرع عن السؤال الرئيسي عدد من التساؤلات هي :

1- هل توجد علاقة بين تقدير الذات و الاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر ؟

2- هل توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى تقدير الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين ؟

3- هل توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الاكتئاب بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين ؟

فروض الدراسة :

1- توجد علاقة بين تقدير الذات و الاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر .

2- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى تقدير الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين.

3- توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الاكتئاب بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين.

وكذا عينة من التلاميذ العاديين .

- **حدود مكانية:** أجريت الدراسة بعدة (4 مؤسسات إكمالي) تابعة لدائرة بريكة- ولاية باتنة - (حيث توفرت فيه العينة المطلوبة للدراسة).

- **حدود زمانية:** افريل/ ماي 2017. (هذه الفترة كانت كافية لإجراء الدراسة، ولم نحتج لفترة أطول)

تحديد مصطلحات الدراسة:

1- تقدير الذات (Self-esteem): عرفه عسكر بأنه" الشعور بالفخر والرضا عن النفس، ويكتسب الفرد التقدير من خلال خبرات النجاح التي يمر بها، ويستند الفرد في حكمه نظرة الآخرين على له ومن الشعور الذاتي.

ويعرفه سميث (**Smith.1981**) " من خلال الرعاية القائمة بين الطفل ووالديه وعلاقتهما بتقدير الذات فان الحب والقبول والاهتمام والتقدير والتعزيز من قبل الوالدين وحل الأزمات يجعل الطفل يشعر بالأهمية والانجاز والفاعلية، في حين أن إدراك الطفل الرفض والإهمال تجاه حاجات الطفل تجعله يشعر بانخفاض في تقدير الذات.

و **يعرّف إجرائيا** في هذه الدراسة على أنّه: " ما يقيسه مقياس تقدير الذات ".

2- الاكتئاب: هو حالة انفعالية وقتية أو دائمة، يشعر فيها الفرد بالانقباضات والحزن والضيق، وتشيع فيها مشاعر الهم والغم والشئم فضلا عن مشاعر القنوط والجزع واليأس والعجز.وتصاحب هذه الحالة أعراض محددة متصلة بالجوانب المزاجية والمعرفية والسلوكية ومنها نقص الاهتمامات، وتناقص الاستمتاع بمباهج الحياة، وفقدان الوزن، واضطرابات في النوم والشهية، بالإضافة إلى سرعة التعب، وضعف التركيز، والشعور بنقص الكفاءة. والميل للانتحار.(**هندية، 2003، ص11**).

و يعرّف إجرائيا في هذه الدراسة على أنّه: " ما يقيسه مقياس الاكتئاب ".

3-التنمر: يقصد به مجموعة السلوكيات العنيفة والعدوانية التي تصدر من شخص متنمر اتجاه شخص أخر (ضحية التنمر) بصفة متكررة، وبأشكال سلبية متعددة قد تكون جسدية أو نفسية.

الإطار النظري والدراسات السابقة :

أولا- تقدير الذات :

1- تعريف تقدير الذات :

إن الأطفال يبدأون بتكوين مشاعرهم الأولية لتقدير ذواتهم منذ الأسبوع السادس من حياتهم، وذلك استنادا إلى تقويمهم للكيفية التي يستجيب بها للعالم من حولهم لاحتياجاتهم الانفعالية و الحسية، ويتفاوت تقدير الذات لدى الأطفال خلال مراحل نموهم المختلفة، وذلك تبعا للكيفية التي يستجيب بها الأشخاص المهمون في حياتهم لاحتياجاتهم وتبعا لدرجة النجاح التي يحققونها في اجتيازهم كل مرحلة من مراحل النمو.

فتقدير الذات يكشف حقيقة هوية الفرد ويوضح اتجاهاته نحو نفسه، سواء كانت اتجاهات ايجابية أو سلبية، ولذلك بدأ هذا المصلح يحظى باهتمام كبير في نظريات الشخصية وهناك تعريفات عديدة لتقدير الذات منها:

تعريف (**Cattle**) الذي يرى أنه: " حكم شخصي لقيمة الذات، حيث يقع بين نهايتين إحداهما موجبة، والأخرى سالبة، مما يبين أهمية تقدير الذات في حياة الأفراد." (**صالح عواطف ،1994، ص 217**)

ويعرفه (شعيب علي) بأنه حكم شخصي يعني القيمة التي يعبر عنها بالاتجاه الذي يشعر به الفرد نحو نفسه، وهو خبرة موضوعية يقدمها الفرد للآخرين من خلال التعليق اللفظي والسلوكيات الأخرى. وهذا يبين أنه عندما نتكلم عن تقدير الذات فإننا نرجع إلى حكم شخصي للفرد عن الاستحقاق وعدم الاستحقاق التي يتم التعبير عنها في الاتجاهات التي يحملها اتجاه نفسه . (**شعيب على ، 1988، ص 135**)

أما **(1986)** **Harox** فيعرفها " هي الصورة التي يكونها الفرد عن نفسه وسلوكه وحكمه على نفسه وشعوره نحوها، وهو يعكس درجة احترام الفرد لنفسه والقيمة التي يعطيها لذاته" . (**القسوس، 1985، ص 10**).

أما كوبر سميث (**Cooper smith**) فقد ذهب إلى أن تقدير الذات مفهوم متعدد الجوانب، وان علينا أن نستفيد منها جميعا لتفسير الأوجه المتعددة لهذا المفهوم، ويتضمن تقدير الذات عند عمليات تقييم الذات وردود الأفعال أو الاستجابة الدفاعية، فهو الحكم الذي يصدره الفرد على نفسه متضمنا الاتجاهات التي يرى أنها تصفه على نحو دقيق.(**صالح احمد ابوجادو،د-س، ص 153**)

وترى الباحثة من خلال التعريفات السابقة أن **تقدير الذات** هو: " مفهوم يعبر عن مدى إحساس الفرد بقيمته الشخصية، وبأهمية ذاته داخل المجتمع الذي يعيش فيه ".

2- أهمية تقدير الذات :

إن كثيرا من مشكلات الطفولة تنجم عن الشعور بانخفاض تقدير الذات ، فالشعور الذي يحمله الأطفال نحو أنفسهم هو احد المحددات الأساسية للسلوك، وشعور الطفل بأنه شخص بدون قيمة يفتقر إلى احترام الذات، ويؤثر على دوافعه واتجاهاته وسلوكه، فهو ينظر إلى كل شيء بمنظار تشاؤمي.

إن الأطفال الذين يفتقرون إلى الثقة بالذات لا يكونون متفائلين حول نواتج جهودهم، فهم يشعرون بالعجز والنقص ويفتقدون حماسهم بسرعة، وتبدو الأشياء بالنسبة لهم وكأنها تشير دائما بشكل غير سليم، وهم يستسلمون بسهولة وغالبا ما يشعرون بالخوف ويصفون أنفسهم بصفات سلبية مثل "سيئ- عاجز - فاشل"، ويتعاملون مع الإحباط والغضب بطريقة غير مناسبة ، حيث يتوجهون بسلوك انتقامي نحو أنفسهم ونحو الآخرين ويرى **(erich fromm) 1931** أحد الأوائل الذين لاحظوا الارتباط الوثيق بين تقدير الشخص لنفسه ومشاعره نحو الاخرين، حيث اشار الى ان الاحساس ببغض الاخرين، وان تقدير الذات المنخفض يعتبر شكلا من اشكال العصاب. وبعد سنوات لاحظ **(rogers)** هذه العلاقة الوظيفية لدى العديد من مرضاه، ولاحظ ان الاشخاص الذين يبدون تقديرا مرتفعا للذات، يبدون تقبلا كبيرا للاخرين. وقد حدا هذا "بروجرز" الى الاشارة الى حاجة أساسية وهي "تقدير الذات" والى تأكيد أهميتها في تحقيق الصحة النفسية للافراد. **(عبد ربه على شعبان،2010، ص53).**

ويرى الباحث أن تقدير الذات مهم جدا من حيث انه السبيل الى كل انجاز او تطوير للذات، وكذا النجاح وتحقيق التوافق و...

3- تقدير الذات والمدرسة:

تقدير الذات والمدرسة: تلعب المدرسة دورا كبيرا في تقدير الطفل لذاته،حيث يشير "جيرسيلد" **1952م Jersild** إلى أن المدرسة تحتل المرتبة الثانية بعد البيت للعديد من الأطفال في تأثيرها على تكوين تصور الطفل عن نفسه، وتكوين اتجاهات نحو قبول ذاته أو رفضها. كما رأى " توماس" **Thomas 1974** إن نمط المدرسة والنظام المدرسي والعلاقة بين المعلم والتلميذ عوامل تؤثر كلها في تقدير الطفل عن نفسه.

كما أشار " **حامد زهران**" إلى أن المعلم له تأثير على مستوى مفهوم الطفل عن نفسه، إذ باستطاعة المعلم أن يخفض من هذا المستوى أو يرفع منه، ويؤثر بذلك في مستوى طموحات الطفل وأدائه.

وقد وجد "**لورانس**" أن درجات الأطفال على مقياس "لويزك" لتقدير الذات يرتبط ارتباطا دالا بدرجات الأطفال في التقدم في القراءة. وقد بين "المطوع" أن الرغبة في تحقيق تقويم ايجابي للذات والاحتفاظ به لأطول فترة ممكنة يؤثر على مستوى دافعية الانجاز و النجاح، بالإضافة إلى أن حالة السرور المتوقعة

من النجاح أو الإحباط والفشل يزعزع ثقة الفرد بنفسه، والتي تعتبر عماد الحياة النفسية، لذلك تظهر إلى جانب الضعف في التحصيل نتيجة عدم التكيف مع المدرسة بعض الأعراض الدالة على الاضطراب الانفعالي كالخوف والانسحاب، والعناد وكراهية المدرسة، أو الاضطراب الاجتماعي: كالكذب والهروب من المدرسة.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن خبرة التعلم المدرسي عندما تكون مرضية ومكافئة لأي خبرة ناجحة، فان الطالب يميل إلى الدخول في مواقف التعلم الجديدة وكله ثقة في نفسه في أن تلك المواقف ستكون خبرة ناجحة بالنسبة له، أما الطالب الذي يعتبر المدرسة خبرة فاشلة بالنسبة له أو محبطة، فانه غالبا مايميل إلى البحث عن تحقيق رضاه في أمور أخرى.

فالتكيف والنجاح في المدرسة يؤدي إلى زيادة تقدير الفرد لذاته، على حين يؤدي الفشل إلى فقد الفرد الثقة في نفسه أولا ثم في الآخرين بعد ذلك، وهذا يؤدي إلى انخفاض تقدير الفرد لذاته. (**الحميدي محمد ضيدان الضيدان، 2004،ص 31)**

من خلال ما تم عرضه حول " تقدير الذات" تتضح أهمية هذا المتغير في حياة الإنسان بصفة عامة، وفي حياة الطفل والمراهق بصفة خاصة.

ذلك انه من منطلق تقدير الذات المرتفع يمكن أن ينطلق التلميذ نحو تحقيق استقراره النفسي و شعوره بهويته الذاتية، و كذا الانطلاق إلى تحقيق ذاته و نجاحاته، و من دون ذلك (أي في حالة تدني تقدير الذات) سيبقى رهين إحساساته السلبية اتجاه نفسه ومن حوله. ويكون عرضة للكثير من الاضطرابات النفسية والعلائقية .

ثانيا– الاكتئاب :

يعتبر الاكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية انتشارا لدى الأشخاص البالغين، إلا أن هذا الاضطراب قد يشمل أيضا نسبة مهمة من الأطفال والمراهقين، ويعود هذا لعدة أسباب منها ما يتعلق بعوامل داخلية تتعلق بالطفل في حد ذاته، ومنها ما يتعلق بالبيئة الخارجية وبما قد يتعرض له الطفل من ضغوطات خارجية تؤدي به تدريجيا إلى مجموعة من المشاكل و الاضطرابات التي قد يكون مصيرها إصابة الطفل بالاكتئاب وبالتالي إلى مشاكل أكثر تعقيدا .

ويعتبر **الاكتئاب** واحد من الأنماط الرئيسية الأربعة المكونة لما يعرف بالاضطرابات أو المتلازمات المرضية الداخلية والتي تشمل بالإضافة إلى **الاكتئاب ، القلق، الانسحاب الاجتماعي، الشكاوي البدنية أو الجسمية.** وتشكل الاضطرابات الداخلية نمطا أو مجالا فرعيا رئيسيا للمشكلات الانفعالية والسلوكية. **(ستيوارت واطسون، www. Gulfkids.com)**

قد يعاني الطفل أو المراهق من شكل معين من أشكال الاضطرابات أو المتلازمات المرضية الداخلية كالاكتئاب أو القلق أو الانسحاب الاجتماعي، أو الشكاوي الجسدية بصورة منفردة، إلا انه من الشائع أن يقترن شكلين أو أكثر من هذه الأشكال معا، فعادة ما يقترن الاكتئاب بالشكاوي البدنية أو بالانسحاب الاجتماعي أو بسيطرة حالة من الكدر والضيق الانفعالي العام.

تعريف الاكتئاب:

يعرف الاكتئاب بأنه اضطراب نفسي يصاحبه مجموعة من الأعراض الإكلينيكية التي توضح الحالة النفسية والمزاجية للفرد التي تتمثل في الحزن الشديد والإحباط وفتور الهمة وعدم الاستمتاع بأي شيء، والشعور بالتعب والإرهاق عند القيام بأي عمل وضعف القدرة على التركيز وعدم القدرة على اتخاذ القرارات والشعور بالذنب والإحساس بالتفاهة وعدم القيمة وعدم القدرة على النوم وانعدام الثقة بالنفس (**خليفة ،2003،ص124**).

أسباب الاكتئاب: تعددت الآراء التي حاولت تفسير أسباب حدوث الاكتئاب، حيث نجد على سبيل المثال لا الحصر:

النظرية البيولوجية: والتي ترى أن الخبرات الانفعالية تؤثر على النشاط الكيميائي للدماغ ومن ثم فالمشاعر والأفكار والسلوك قد تتغير تبعا للمتغيرات الكيميائية في الدماغ، ويفترض الباحثون انه في حالة الاكتئاب تكون المواد الكيميائية العصبية مثل: السيروتونين والدوبامين **Serotonin – Dopamine** ناقصة في الدماغ، وهذا النقص هو ما يسبب الشعور بالاكتئاب.

النظرية التحليلية: والتي تعد من أوائل النظريات التي شغلت بتفسير الاكتئاب والبحث عن أسبابه، وعلى رأسها فروي دان الاكتئاب يحدث نتيجة لفقدان موضوع الحب سواء بالموت أو الهجر أو الخسارة، فالخبرات الضاغطة الصدمية التي يواجهها الفرد في السنوات المبكرة من عمره قد تجعله مستهدفا بشكل أساسي للاكتئاب.

النظرية السلوكية: والتي تعتبر أن الاكتئاب ينجم عن تدني مستوى التدعيم الايجابي وارتفاع مستوى الخبرات السلبية غير السارة.

النظرية المعرفية: تشير هذه النظرية التي على رأسها " **Beck.1976**" أن التشويه المعرفي لدى المكتئبين في خبرات الفشل والنجاح، وتحريف الإدراك والذاكرة ، إذ ينخفض نسيان الأحداث السلبية المرتبة بالتوقعات السلبية المرتبطة بالتوقعات السلبية وبالشعور بعدم السرور واللذة، ويكثر نسيان الأحداث الايجابية المتعلقة بالمتعة والسعادة. (**اليحفوني نجوى،2003،ص 127**)

معدلات شيوع الاكتئاب بين الأطفال والمراهقين : يصعب بصورة عامة القطع بتقديرات محددة لمعدلات شيوع الاكتئاب بين الأطفال والمراهقين، ويتعذر الإجابة الدقيقة عن السؤال الخاص : بكم عدد الأطفال والمراهقين الذين يعانون من الاكتئاب؟ وبناءا على نتائج مجموعة متنوعة من الدراسات والتقديرات يمكن القول أن معدل شيوع الأعراض الاكتئابية التي تصل درجة شدتها إلى تكوينها لاضطرابات أو مشكلة الاكتئاب يتراوح بين 3 إلى 6 % من إجمالي الأطفال والمراهقين في المجتمع. ومعدلات شيوع الاكتئاب بين الإناث أعلى من معدلات شيوعه بين الذكور، وهذا الأمر حقيقي خاصة بعد مرحلة المراهقة عندما تصبح الفروق بين الجنسين أكثر وضوحا .إذ تشير نتائج الكثير من التقارير العلمية أن معدل شيوع الاكتئاب بين الإناث بعد مرحلة المراهقة ضعف معدل شيوعه بين الذكور، حيث يقابل كل ذكر مصاب بالاكتئاب اثنتان من الإناث تعانين من الاكتئاب الإكلينيكي (المشخص). (**ستيوارت واطسون، www. Gulfkids.com**)

الأعراض الاكتئابية: بالعودة إلى مصطلح الاكتئاب فإننا نجد أن المقصود به هو" اكتئاب التوافق "، أو ما اصطلح عليه في الدليل الرابع التشخيصي الإحصائي للجمعية الأمريكية للطب النفسي **DSM-IV** باضطراب توافق مع اكتئاب، وفي تعريفه نجد انه " اضطراب يحدث بعد شيء ضاغط **Stresor** محدد (الطلاق – الفصل من العمل – مرض جسمي أو كارثة طبيعية...الخ) وتكون استجابة الفرد لهذا الضغط استجابة حادة أو أكثر مما يتوقعه بطريقة عادية، أو تحدث عجزا واضحا ومؤثر في نشأة الفرد الاجتماعية أو المهنية أو الشخصية، ويفترض أن تزول الأعراض مع الوقت، أو في حالة انتهاء الموقف الضاغط أو عندما يتم تنمية مستوى جديد من التفاعل الكفء أو التوافق.(**غريب عبد الفتاح، 1999، ص 446**)

قياس وتشخيص الاكتئاب لدى الأطفال والمراهقين:

يجب أن يؤسس قياس وتقييم الاكتئاب على رسم بروفيل نفسي (المخطط النفسي أو الصفحة البيانية النفسية للحالة بما تتضمنه من ملامح أو خصائص شخصية – بدنية– حسية– انفعالية– اجتماعية– عقلية– فريدة تجعل للفرد للفرد طابعا مميزا في التكيف أو التوافق مع عالم الخبرة الاجتماعية من حوله) شامل ودقيق للأداء النفسي الوظيفي للطفل أو المراهق في المواقف الحياتية المختلفة. وفوق كل ذلك يجب أن تؤسس إستراتيجية القياس أو التقييم على استخدام ما يعرف بـ" مدخل القياس أو التقييم المرتكز على الحل "– "**Solution-Focused Approach**" وهو مدخل قياس أو تقييم يركز على تبين الروابط بين المشكلات المرضية التي يظهرها طفل أو مراهق معين والأدوات والوسائل أو بالأحرى الحلول التي يمكن بموجبها مواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها.

وربما تشمل رقم القياس أو التقييم الاجتماعي الانفعالي التي يستخدمها خبراء علم النفس المدرسي (الأخصائي النفسي المدرسي): الملاحظة المباشرة، مقاييس تقدير السلوك، المقابلات الإكلينيكية المقننة، مراجعة سجلات تاريخ الحالة، مقاييس التقرير الذاتي ، والأساليب الاسقاطية، ولما كان الاكتئاب يرتبط بصورة واضحة بالادراكات والحالات الداخلية فان استخدام مقاييس التقرير الذاتي التي تطبق على الطفل أو المراهق ذاته أمرا مهما جدا لعملية تقييم وقياس الاكتئاب.

وربما يتم الحصول على معلومات القياس القياس أو التقييم من الطفل أو المراهق نفسه، الآباء أو غيرهم من أعضاء الأسرة، المعلمين، الأخصائي النفسي المدرسي، الأقران. أو غيرهم من أعضاء المجتمع الذين تتاح لهم فرص ملاحظة السلوكيات الاجتماعية والانفعالية للطفل أو المراهق، الآباء، والمعلمين هم أكثر مصادر معلومات القياس أو التقييم ثباتا ودقة. (**ستيوارت واطسون**، **www. Gulfkids.com**)

العلاقة بين تقدير الذات والاكتئاب:

يرى **هيلسمان وجاري** أن الادراكات والأفكار السالبة عن الذات قد ارتبطت بالاكتئاب ، فقد افترض بناء على ذلك أن تقدير الذات والمنظومات الذاتية السالبة تلعب دورا في نشوء ودوام الاكتئاب.

ويستشهد الباحثان بدراسات قاما بها، وحيث أوضحت احدها، انه وعلى الرغم من أن اغلب الطلاب الذين حصلوا على تقدير دراسي اقل مما يتوقعون لأنفسهم–موقف ضاغط – قد اظهروا مشاعر اكتئابية في حال معرفتهم بهذه النتيجة، إلا الذين اتصف منهم بنمط أعزائي عام وثابت (تفكير سلبي) هم فقط الذين استمروا في المعاناة من المشاعر الاكتئابية لعدة أيام، ومعنى ذلك أن التفاعل بين نمط الأعزاء والحادثة السالبة قد تنبأ بدلالة إحصائية بالاكتئاب. ووجد ميتالسكي وزملاؤه أيضا (**Metalsky et al.1993**) نتائج مشابهة، حيث وجدوا تفاعل بين نمط الأعزاء والضغوط في التنبؤ بالأعراض الاكتئابية وبالذات لدى الطلاب ذوي المستوى المنخفض في تقدير الذات. وقد اقترح براون وهاريس (**Brown & Harris.1978 In Metalsky et al.1993**) أن اليأس يعتبر سبب محوري للاكتئاب واقترحا الباحثان أن الانخفاض في تقدير الذات يعتبر عامل استهداف ربما يسهم في وقوع الأعراض الاكتئابية من خلال عملية اليأس لذلك اعتبر ميتاليكس وزملائه أن نظريات تقدير الذات يمكن النظر إليها على أنها تتضمن استهداف – ضغط، ومكونات متوسطة **mediators**..أي أن تقدير الذات المنخفض هو عنصر الاستهداف، وان اليأس هو الوسيط وقد اقترح الباحثون أن تقدير الذات الايجابي وربما يعمل كمخفف **buffer** ضد الاكتئاب وذلك بتحطيمه العلاقة المفترضة بين الاستهداف العزوي **attribution diathesis** واليأس، وهذا يتماشى مع منطق نظرية اليأس، و هذا يتماشى مع منطق نظرية اليأس، والذي يفترض

بوضوح أن متغيرات أخرى عبر الاستهداف العزو يمكن أيضا أن تكون لها اثر **impact** على اليأس ونمو الأعراض الاكتئابية .

وهناك الكثير من الدراسات التي ركزت على تقدير الذات كمتغير هام في ظهور الاكتئاب، وأيضا كمتغير مخفف للاكتئاب والأعراض الاكتئابية وذلك مثل دراسة (**Flippo & Lewinsohn.1971. & In Lewinsohn..Gotlib& Seeley.1997...)** إن العلاقة بين انخفاض تقدير الذات والاكتئاب كانت أقوى لدى الأفراد الذين يعانون من انخفاض مزمن في تقدير الذات مقارنة بالأفراد الذين يتغلب تقديرهم لذواتهم، كما وجد حديثا (**Roberts et al.1996 In Lewinsohn.. Gotlib & Seeley1997 . ...**) إن مستوى تقدير الذات يعتبر عامل حاسم في الاكتئاب، وانه ليس مجرد متغير محدد أو مخصص لهذا الاضطراب، بل هو أكثر من ذلك ، فانه ينبئ بالاكتئاب ، ولذلك يرى بعض العاملين في المجال أن تقدير الذات أو مفهوم الذات المنخفض ربما كان عامل استهداف والذي بالتفاعل مع مصدر الضغط يؤدي إلى مزيد من الانخفاض في تقدير الذات ، أو يجعل الجوانب السلبية من الذات أكثر بروزا ويزيد من خطر الإصابة بالاكتئاب. (**غريب عبد الفتاح غريب، www.gulfkids.com**)

ثالثا- التنمر:

لقد حظي سلوك التنمر باهتمام كبير من قبل الباحثين المهتمين بدراسة العلاقات بين الأقران كل حسب اهتمامه ومنطقة في التفكير. ولهذا اختلفت الرؤى وتعددت بشأن هذا السلوك. حيث يرى فريق من الباحثين أن " **سلوك التنمر**" ما هو إلا وصف لجميع المشكلات التي تحدث بين تلاميذ المدارس. والتي تمارس من طرف احد التلاميذ ضد تلميذ أخر "الضحية" والذي عادة ما يكون ضعيف وقليل الحيلة. ولا يقوى على المواجهة أو الدفاع عن نفسه. (**Hodges & Perry.1996**) وان هذا السلوك الذي يوجه من المتنمر ضد أخر ضحية قد يأخذ أشكالا متعددة: جسدية، أو انفعالية، أو لفظية مباشرة أو غير مباشرة. **(Robyn.2004)**

ويعد التنمر المدرسي شكلا من أشكال التفاعل العدواني غير المتوازن، وهو يحدث بصورة متكررة باعتباره فعلا روتينيا يتكرر يوميا في علاقات الأقران في البيئة المدرسية. ويعتمد على (النموذج الاجتماعي- المعرفي) القائم على السيطرة والتحكم والهيمنة والإذعان بين طرفين، احدهما متنمر وهو الذي يقوم بالاعتداء، والأخر ضحية Victim وهو المعتدى عليه. تسبقها نية وقصد متعمد تعكسه ثقافة الأقران باعتبارها سلوكا ثابتا لتلك الثقافة التي تعاملت مع مفهوم التنمر بوصفه مصطلحا خاصا للعنف المدرسي. **(Smorti.Ortega & Ortega.2006)**

وللتنمر المدرسي الكثير من الآثار السلبية على الصحة النفسية للتلميذ سواء متنمرا أو ضحية للتنمر (**Black & Jackson.2007**) وقد بين " ستوري وسلابي 2008) إن التنمر المدرسي مشكلة سلوكية لها أثارها الخطيرة على الأطفال، فعندما يقع الطفل ضحية للتنمر نجده يعاني من العديد من المشكلات مثل: الخوف، العزلة الاجتماعية، قصور في تقدير الذات، والغياب من المدرسة، وانخفاض في التحصيل الدراسي...الخ. أما ضحية التنمر فيعاني القلق ، وتدني تقدير الذات، والحزن ويشعر بعدم المساندة من قبل الآخرين، ولوم شديد للذات والعزلة والانسحاب من المواقف الاجتماعية ، وقصور في المهارات الاجتماعية وقلة عدد الأصدقاء أو عدم وجود أصدقاء على الإطلاق.

– مفهوم التنمر : تعددت تعريفات التنمر **Bullying** بسبب تعدد معانيه وثراء محتواه، ولهذا اختلفت الرؤى والاتجاهات التي تناول من خلالها الباحثون هذا السلوك. ففي استراليا اعتبروا " رجبي" **Rigby** رائدا في مجال الأبحاث الخاصة بسلوك التنمر التي بدأت مسيرتها عام (1991).

هذا ويعتبر مفهوم التنمر من بين المفاهيم التي ذاع صيتها في الآونة الأخيرة في مجال الدراسات النفسية. وعلى الرغم من كثرة التعاريف التي اقترحت لهذا المفهوم إلا أنها تشترك في سمة عامة يتم من خلالها تعريف التنمر وهي انه سلوك عدواني " (**حنان اسعد خوج، 2012**)

تعريف بانكس **Banks.1997 و رجبي 1999 Rigby**) سلوك التنمر بأنه: تكرار ممارسة مجموعة من الهجمات والمضايقات وبعض السلوكيات المباشرة كالتوبيخ والسخرية، والتهديد بالضرب من قبل شخص ما. يعرف بالمتنمر تجاه شخص أخر ضحية بهدف السيطرة والهيمنة عليه، واكتساب القوة التي لا تأتي إلا بجعل هذا الأخر ضحية.

كما يعرف التنمر المدرسي بأنه احد أشكال العنف الذي يلحق الضرر بالآخرين، وعادة ما يحدث التنمر في المدرسة أو أثناء الأنشطة المختلفة، عندما يستخدم طالب أو مجموعة طلاب قوتهم في إيذاء الأفراد أو المجموعات الأخرى.ويكون أساس قوة المتنمرين أما قوة جسدية أو العمر الزمني لهم أو الحالة المالية، أو حتى المستوى الاجتماعي أو المهارات التكنولوجية. وقد يكون أساسها أن رابطة تحميهم مثل الأسرة. **(Quiroz.Arnette.& Stephens.2006)**

ومن التعريفات السابقة يمكن أن نعرف " **التنمر**" هو سلوك عدواني متكرر، يكون من طرف معتدي (المتنمر) على طرف أخر اضعف منه يكون (ضحية التنمر).

أنماط التنمر المدرسي :

يحدث التنمر المدرسي بأشكال مختلفة ومتعددة ومستويات أيضا مختلفة، فهي تشتمل على التنمر الجسدي مثل الإيذاء، والدفع، والضرب. وغيرها، أو تنمر لفظي مثل إطلاق التسميات أو التوبيخ.

قام سميث (**Smith.2001**) بتقسيم التنمر إلى أربعة محاور رئيسة هي:

1- **تنمر انفعالي:** ويشتمل على (التهديد – الشتائم – السخرية من الضحية، والاستعباد من الأقران، الإذلال)

2- **تنمر جسدي:** ويتضمن (الدفع – الضرب– الاصطدام بالضحية – سرقة الممتلكات الخاصة والأدوات المدرسية)

3- **تنمر جنسي:** ويشتمل على(التعليقات **Comments** المخجلة على الآخرين والتحرش الجنسي

4- **تنمر عنصري:** ويتضمن (الإيماءات أو التلميحات، القذف أو السب للآخرين بصورة متعمدة في نسبهم وآبائهم ومكانتهم الاجتماعية) (**حنان اسعد خوج، 2012)**

ويمكن تقسيم اشكال التنمر ايضا الى :

1- **الاستقواء الجسمي:** كالضرب أو الصفع أو القرص، أو الرفس أو الإيقاع أرضا أو السحب أو الإجبار على فعل شيء.

2- **الاستقواء اللفظي:** السب والشتم واللعن، أو الإثارة أو التهديد أو التعنيف، أو الإشاعات الكاذبة أو إعطاء ألقاب ومسميات للفرد، أو إعطاء تسمية عرقية.

3- **الاستقواء الجنسي:** استخدام أسماء جنسية ينادى بها، أو كلمات قذرة أو لمس أو تهديد بالممارسة.

4- **الاستقواء العاطفي والنفسي:** المضايقة والتهديد والتخويف والإذلال والرفض من الجماعة.

5- **الاستقواء على الممتلكات:** اخذ أشياء الآخرين والتصرف فيها عنهم أو عدم إرجاعها، أو إتلافها.

وهنا لابد من القول أن هذه الأشكال السابقة قد ترتبط معا فقد يرتبط الشكل اللفظي مع الجسدي أو الجسدي مع الاجتماعي وغيرها.

كما يمكن أن يكون الاستقواء اليوم أكثر تطورا من خلال الوسائل الحديثة كالانترانت مثل: إرسال رسائل عن طريق البريد الالكتروني، أو الهاتف الخلوي، أو نشر إشاعات على صفحات الانترانت، وهذا يعطي مساحة إضافية للاستقواء. (**على موسى الصبحين، 2013،ص ص10-11)**

الدراسات السابقة :

أولا- الدراسات التي تناولت العلاقة بين التنمر وتقدير الذات

دراسة " **سوبرر وآخرون** " **Swearer.Song.Cary.Eagle.& Mickelson.2001**" بدراسة هدفت إلى الوقوف على الفروق بين المتنمرين والضحايا بالنسبة للأمراض النفسية المتمثلة في القلق والاكتئاب على

عينة بلغت (133 تلميذا وتلميذة) بالصف السادس الابتدائي ممن تتراوح أعمارهم مابين (11-13عام)، وقد توصلت نتائج هذه الدراسة إلى وجود فروق بين المتنمرين ونظرائهم غير المشاركين في مواقف التنمر في متغيري القلق والاكتئاب. كما يعاني المتنمرين من الاكتئاب بدرجة اكبر مما يعاني ضحية التنمر.

- دراسة " **كيرين**" **Kerryn" 2001** التي هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين وقوع المرء كضحية، وأعراض القلق والاكتئاب المصاحبة على عينة من تلاميذ المدارس بلغت (268 تلميذ) ممن بلغ متوسط عمرهم (13 سنة) ويدرسون في الصف الثامن ، توصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ ضحايا التنمر ونظرائهم من غير الضحايا في متغيري القلق والاكتئاب.

- دراسة " **راضي 2001**" وهدفت إلى معرفة الفروق بين التلاميذ ضحايا التنمر في المدرسة والتلاميذ غير الضحايا في متغيرات "تقدير الذات والاكتئاب والوحدة النفسية"، وذلك على مجموعة من التلاميذ (503)إناثا وذكورا بالمدارس الابتدائية و المتوسطة.وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات التلاميذ ضحايا التنمر ومتوسط درجات نظرائهم غير الضحايا في كل من تقدير الذات والاكتئاب والوحدة النفسية، وذلك لصالح غير الضحايا .

-دراسة " **جريلز و اولندك Grills & Ollendick. 2002"** التي هدفت إلى بحث العلاقة بين وقوع التلميذ كضحية للتنمر داخل المدرسة وكل من متغيري القلق وقيمة الذات. وذلك على عينة بلغت (279 تلميذ) بالصف السادس ممن تراوحت أعمارهم مابين(11-13سنة) من الجنسين، وقد توصلت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الضحايا الذكور والضحايا الإناث على مقياس الوقوع كضحية للأقران. وذلك لصالح الذكور . كما ودت أيضا فروق في القلق بين ضحايا الذكور والإناث وهذا لصالح الضحايا من الإناث.

ثانيا - الدراسات التي تناولت العلاقة بين تقدير الذات والاكتئاب

- **دراسة " باركر .Parker.1980"** بدراسة للعوامل المهيئة للاكتئاب السوي Normal، ضمت مجموعة المفحوصين 236 (124 أنثى 112 ذكر) من طلاب الدراسات العليا.وكان متوسط السن 24 سنة بانحراف معياري 3.9، وقد استخدمت عدة مقاييس أهمها مقياس ايزنك للشخصية **EPI** ومقياس (روزنبرج) لتقدير الذات ، ومقياس كاستيلو - كومري لسمة الاكتئاب، ومقياس ميدليتون للاغتراب **MiddletonK**، ومقياس **PBI** لقياس الاهتمام والحماية الوالدية، كما استخدمت 9 عبارات فقط من مقياس روتر للضبط الداخلي- الخارجي. كما طلب من المفحوص تقدير درجات ست من عوامل معجلة أو مترسبة **PRECIPITANTS** المناسبة أو المصاحبة لنوبات الاكتئاب التي تعرضوا لها، وذلك على

مقياس من نوع ليكارت يتكون من أربع نقاط، والعوامل المعجلة الست هي: انقطاع علاقة هامة، الرفض أو الأبعاد من علاقة، الانخفاض في تقدير الذات، الفشل في الحصول على هدف هام، الفشل في الحياة حسب المستوى الذي يتطلع إليه المفحوص، تغيرات عديدة حياتية في فترة ما، وقد أوضحت النتائج أن من أهم معجلات حدوث الاكتئاب هي : المواقف التي تقترح الخلل في العلاقات البينشخصية، اما بالنسبة للعامل السادس وهو تراكم احداث الحياة في حد ذاته، بدا انه اقل ارتبا بوصفه احد مسببات الاكتئاب.وفي تحليل تال كان الغرض منه تحديد الدرجة التي عندها ينبىء أي من المتغيرات النفسية المدروسة بحدوث الاكتئاب. اظهرت النتائج ان متغير مستويات العصابية كان الاوضح تلي ذلك مباشرة تقدير الذات بوصفه المتغير النفسي الثاني من ناحية الاهمية في التنبؤ بالمرور بخبرة الاكتئاب.

2- دراسة جرين (**Green.1981**) التي هدفت إلى بيان شيوع الاكتئاب وشدته ، ودراسة بعض المتغيرات المرتبة به في مرحلة المراهقة المبكرة، تكونت مجموعة المفحوصين من 630 مفحوصا من الصف السادس الابتدائي والصفين الأول والثاني الإعدادي من مدرستين متشابهتين. استخدمت الباحثة مقياس الاكتئاب (د) للصغار **CDI** ومقياس كوبر – سميث لتقدير الذات بالإضافة إلى بعض المقاييس الأخرى. وأظهرت نتائج الدراسة أن الاكتئاب يوجد عند مستوى منخفض نسبيا لدى المفحوصين، ولم تظهر فروق بين الجنسين ولا بين الأعمار في الاكتئاب، وأظهرت النتائج أيضا وجود علاقة واضحة دالة بين الاكتئاب وتقدير الذات حيث ارتبط الانخفاض في تقدير الذات بالمستويات المرتفعة في الاكتئاب ، وأخيرا اظهر أسلوب معادلة الانحدار المتعدد أن تقدير الذات كان مؤشرا مفيدا لمعرفة درجات الاكتئاب لدى المفحوصين.

3- دراسة ويسيل **Wessel.1981**) التي كان هدفها فحص علاقة مفهوم الذات والجنس بالقلق والاكتئاب والعدوان بين الطلاب السود الجامعيين، وسعت الدراسة للتحقق مما إذا كان الطلاب ذوي مفهوم الذات المنخفض أكثر قلقا واكتئابا وعدوانية مقارنة بأقرانهم ذوي مفهوم الذات المرتفع، وأيضا ما إذا كانت الطالبة الأنثى أكثر قلقا واكتئابا واقل عدوانية مقارنة بالطالب الذكر.ضمت مجموعة المفحوصين 206 من طلاب الجامعة المبتدئين **Freshmen** (87 ذكر و 119 أنثى) كانت المتغيرات المعتمدة في الدراسة هي : القلق، الاكتئاب، والعدوان وتم قياسها بقائمة السمات الانفعالية (**MAACL**) وكان المتغير المستقل هو مفهوم الذات. وتم قياسه بمقياس تنسي لمفهوم الذات. استخدم تحليل التغاير المتعدد.

أظهرت النتائج كما توقع الباحث أن:

– الطلاب ذوي مفهوم الذات المنخفض كانوا كثر اكتئابا وقلقا وعدوانية بدلالة إحصائية من ذوي مفهوم الذات المرتفع.

– لم تكن الطالبات الإناث أكثر قلقا واكتئابا من الطلاب الذكور .

– كان الطلاب الذكور أكثر عدوانية من الطالبات الإناث.

– لم يتفاعل مفهوم الذات بدلالة إحصائية مع الجنس في قياسات القلق والاكتئاب والعدوانية.

4– قام **كاسيلو وآخرون** (**Kaslow.Rehm & Siegel1984**) بدراسة هدفت إلى فحص الارتباطات الاجتماعية – المعرفية باكتئاب الصغار. تكونت عينة الدراسة من مجموعة من المفحوصين 108 من الصغار العاديين من الصفوف الدراسية الأول والرابع الابتدائي ، والثاني الإعدادي (53 ذكور 55 إناث)ن واستخدم مقياس الاكتئاب (د) للصغار **CDI** ومقياس (كوبر – سميث) لتقدير الذات وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة سالبة دالة إحصائيا بين الاكتئاب وتقدير الذات.

5– **دراسة (غريب 1992)** التي عمد فيها إلى دراسة مفهوم الذات في مرحلة المراهقة و علاقته بالاكتئاب في دراسة مقارنة بين مصر والإمارات العربية المتحدة، تكونت عينة المفحوصين من 904 من طلاب المدارس الإعدادية، 483 من المصريين (243 أنثى و 240 ذكر) و 421 من الامارتيين (208 أنثى و 213 ذكر) واستخدم في البحث مقياس الاكتئاب (د) للصغار **CDI** ومقياس (بايرز– هاريس) لمفهوم الذات.

وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة سالبة بين مفهوم الذات والاكتئاب لدى مجموعة المفحوصين ككل، ولدى المفحوصين من مصر والإمارات كل على حدة. ولدى الذكور والإناث.كما أكدت نتائج الدراسة بشكل قاطع وباستخدام أسلوب الانحدار أن مفهوم الذات ينبئ بقدر كبير من الدقة بالاكتئاب لدى كل المجموعات المدروسة.

واستخلص الباحث أن النتائج تجعلنا وبشيء كبير من الاطمئنان نفترض أن مفهوم الذات في مرحلة المراهقة من بين ما يؤثر في المشاعر الاكتئابية لدى المراهقين، وليس العكس بالنسبة للتلاميذ في المرحلة الإعدادية .

6– دراسة محمود عطا 1993 حول "تقدير الذات وعلاقته بالوحدة النفسية والاكتئاب، وكان من بين أهداف الدراسة فحص العلاقة بين تقدير الذات كمتغير مستقل وكلا من مشاعر الوحدة والاكتئاب كمتغيرات تابعة، علاوة على فحص دور تقدير الذات كمتغير وسيط يعمل على تعديل العلاقة الارتباطية بين مشاعر الوحدة والاكتئاب . تكونت مجموعة المفحوصين من 136 من طلاب الجامعة تراوحت

أعمارهم بين 19-24 سنة بمتوسط 21.89 سنة.واستخدم في الدراسة مقاييس الشعور بالوحدة والاكتئاب. الصورة المختصرة. وتقدير الذات.

وقد أوضحت نتائج الدراسة فيما يتعلق بالبحث الحالي أن تقدير الذات بوصفه متغير مستقل قد ارتبط بالوحدة النفسية والاكتئاب كمتغيرات تابعة بمعامل ارتباط 0.17 بالنسبة لمتغير الوحدة النفسية .وبمتغير الاكتئاب بمعامل مقداره 0.283- وهو دال عند مستوى 0.01 .

الجانب الميداني للدراسة :

1-منهج الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة الارتباطية بين متغيري تقدير الذات و الاكتئاب لدى عينة من التلاميذ الذين يعتبرون ضحايا تنمر وأيضا تلاميذ عاديين. وكذا البحث عن الفروق في مستوى هذين المتغيرين بين هؤلاء التلاميذ (الضحايا – العاديين)، وبالتالي فان المنهج الملائم لطبيعة الدراسة الحالية هو "المنهج الوصفي الارتباطي- المقارن " باعتباره يقوم على جمع البيانات وتحليلها إحصائيا بطرق ارتباطيه وأخرى فارقيه.

2-عينة الدراسة :

اشتملت هذه الدراسة على عينة من التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي (الذين تم التوصل إليهم والتعامل معهم عن طريق مساعدة وإرشاد من الأخصائي المدرسي المتواجد بهذه المؤسسات) والتلاميذ العاديين.

ويمكن إدراج خصائص العينة كما يلي :

جدول رقم (01) يبين خصائص عينة الدراسة

العينة	التلاميذ ضحايا التنمر	التلاميذ العاديين	المجموع
العدد	24	31	55
النسبة	43.63%	56.36%	100 %

يشير)، الجدول رقم(**01**) إلى أن عدد أفراد العينة بلغ (55 تلميذ)، بحيث كان عدد التلاميذ ضحايا التنمر هو (24 تلميذ) أي بنسبة (43.63 %)، وعدد التلاميذ العاديين هو (31) بنسبة (%56.36)

3- أدوات الدراسة وخصائصها السيكومترية :

أولا – مقياس تقدير الذات لكوبر سميث (Cooper Smith)

وصف المقياس: مقياس تقدير الذات لكوبر سميث – ترجمة عبد الفتاح والدسوقي (1981) هو مقياس أمريكي صمم سنة 1967 لقياس الاتجاه نحو الذات الاجتماعية والعائلية، و الحكم الشخصي للفرد نحو نفسه ، وعن الصورة الصادقة التي يكونها الفرد نفسه، تعتمد بالدرجة الأولى على تقديره لذاته، وعدد فقراته 25 فقرة يقابل كل منها زوجان من البدائل(تنطبق- لا تنطبق) وعلى المفحوص أن يستجيب لكل عبارة بوضع علامة .

طريقة تصحيح الاختبار: تعطي العلامة 1 إذا أجاب بـ " تنطبق "- وتعطى العلامة 0 إذا أجاب بـ " لا تنطبق ". وهذا بالنسبة للعبارات الموجبة وهي : 1-4-5-8-9- 14-19- 20 . وتعطى العلامة 1 إذا أجاب بـ " لا تنطبق " – والعلامة 0 إذا أجاب بـ " تنطبق "، هذا بالنسبة للعبارات السالبة وهي : -25 -21-22-23-24. 2-3-6-7-10-11-12-13-15-16-17-18

وبذلك تكون الدرجة المرتفعة دليل على تقدير ذات مرتفع ، و الدرجة المنخفضة على تقدير ذات منخفض.

صدق وثبات المقياس:

1- **الصدق:** تمّ الاعتماد على طريقة الصدق التمييزي(المقارنة الطرفية)؛ حيث وجد أنّ قيمة "ت " بلغت(11.26)، وهي قيمة دالة عند مستوى(0.01)، و هو ما يعني أنّ هذا المقياس صادق.

2- **الثبات:** تمّ الاعتماد على طريقة الاتساق الداخلي(التجزئة النصفية)؛حيث بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون(0.74)، و بتطبيق معادلة تصحيح الطول سبيرمان – براون كانت النتيجة النهائية هي(0.82)، و هذه القيمة دالّة عند مستوى(0.01)، و هو ما يعني أنّ هذا المقياس ثابت.

ثانيا- مقياس بيرلسون للاكتئاب (B D S) (Birleson et al,1987)

وصف المقياس: لقد تطور هذا المقياس كأداة إكلينيكية لتقييم درجة الاكتئاب عند الأطفال والمراهقين (Birleson et al , 1987)، بعد أن كان يعتقد لسنوات عديدة أن الاكتئاب موجود فقط عند المراهقين ويتكون هذا المقياس من بنود مناسبة للأطفال، وتُغطي معظم أعراض الاكتئاب المسجلة لدى الأطفال، ومع ذلك فإن التشخيص الإكلينيكي يجب أن لا يعتمد على الدرجات العالية في هذا المقياس لوحده. وتكون إرشادات كيفية تعبئة هذا المقياس مكتوبة في أعلى صفحة المقياس، ويُطلب من الأطفال أن يحكموا إلي أي مدى ينطبق البند عليهم خلال فترة أسبوع سابق.

طريقة تصحيح الاختبار: يتكون هذا المقياس من 18 بند، ويُطلب من الطفل وضع إجابته على كل بند في الخانة التي تنطبق على حالته، وهذه الخانات هي (لا، أحياناً، دائماً). حيث أن "لا" تأخذ صفر، "أحياناً" تأخذ 1، و" دائماً" تأخذ 2، ويتم تسجيل ذلك من البنود 18، 17، 15، 14، 10، 6، 5، 3. وهناك دراسة وجُدت أن ليس هناك طفل طبيعي لديه عدد نقاط أكثر من 11، ومع ذلك فإن الأطفال الذين يتم تشخيصهم إكلينيكياً على أنهم يعانون من الاكتئاب، تكون مجموع علاماتهم 17، ولقد تم استخدام هذا المقياس في عدة دراسات على الأطفال الذين يعيشون في بيئة ضاغطة من النكبات وممن تعرضوا للحروب **(Yule et al, 1990)**.

صدق وثبات المقياس:

1- **الصدق**: تمّ الاعتماد على طريقة الصدق التمييزي(المقارنة الطرفية)؛ حيث وجد أنّ قيمة "ت " بلغت (8.29)، وهي قيمة دالة عند مستوى(0.01)، و هو ما يعني أنّ هذا المقياس صادق.

2- **الثبات**: تمّ الاعتماد على طريقة الاتساق الداخلي(التجزئة النصفية)؛حيث بلغت قيمة معامل **ارتباط بيرسون** (0.70)، و بتطبيق معادلة تصحيح الطول سبيرمان – براون كانت النتيجة النهائية هي(0.78)، و هذه القيمة دالّة عند مستوى(0.01)، و هو ما يعني أنّ هذا المقياس ثابت.

4- **الأساليب الإحصائية**:لاختبار صحة فروض الدراسة فقد تم استخدام برنامج Spss لتطبيق الأساليب الإحصائية التالية:

- معامل ارتباط بيرسون (للكشف عن العلاقة بين تقدير الذات والاكتئاب، وكذا ثبات المقياسين)
- اختبار T (للكشف عن الفروق ذات الدلالة بين التلاميذ ضحايا التنمر والعاديين)
- المتوسط الحسابي – الانحراف المعياري – معادلة سبيرمان براون.

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها :

1- عرض نتائج الفرضية الأولى:

والتي تنص على أنه: " **توجد علاقة بين الاكتئاب والتنمر لدى التلاميذ ضحايا التنمر** ".

جدول رقم(02) يبين نتائج العلاقة بين تقدير الذات و الاكتئاب لدى عينة الدراسة

	عدد أفراد العينة	معامل بيرسون	الدلالة	مستوى الدلالة
تقدير الذات / الاكتئاب	56	-0.31*	0.020	دال عند 0.05

يتّضح من الجدول **رقم (02)** وجود علاقة ارتباطيه عكسية دالّة إحصائيا بين تقدير الذات و الاكتئاب لدى عينة الدراسة؛ حيث بلغ معامل ارتباط بيرسون(0.31*)، وهي قيمة دالّة عند مستوى المعنوية(0.05)؛ و بناء على ذلك، تمّ رفض الفرض الصفري و قبول الفرض البديل الذي ينصّ على وجود علاقة ارتباطيه سلبية بين الفعّالية تقدير الذات و الاكتئاب لدى التلاميذ ضحايا التنمر

2- عرض نتائج الفرضية الثانية:

والتي تنص على انه: " **توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى تقدير الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين**".

جدول رقم(03) يبين نتائج الفروق في تقدير الذات بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العاديين

	العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار "T"	مستوى الدلالة	الدلالة
تقدير الذات	ضحايا تنمر	24	8.46	2.949	3.873-	0.000	دال عند 0.01
	عاديين	31	11.56	2.983			

يبين الجدول رقم **(03)** أن المتوسط الحسابي لاستجابات التلاميذ ضحايا التنمر على مقياس تقدير الذات كان(8.46) وبانحراف معياري قدره (2.94)، بينما كان المتوسط الحسابي للتلاميذ العاديين هو (11.56) وانحراف معياري(2.98).ويتبين من الجدول أن قيمة اختبار " T" تساوي (3.87-)، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01.

و بناء على هذا فإننا **نرفض الفرض الصفري** القائل بعدم وجود فروق، ونقبل الفرض البديل القائل بوجود فروق بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العادين وهذا لصالح فئة التلاميذ العاديين.

3- عرض نتائج الفرضية الثالثة:

والتي تنص على انه: " **توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الاكتئاب بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين** ".

جدول رقم(04) يبين نتائج الفروق في مستوى الاكتئاب بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العاديين

	العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار "T"	مستوى الدلالة	الدلالة
الاكتئاب	ضحايا تنمر	24	24.38	8.144	7.640	0.000	دالة عند 0.01
	عاديين	31	11.97	3.711			

يبين الجدول **رقم (04)** أن المتوسط الحسابي لاستجابات التلاميذ ضحايا التنمر على مقياس الاكتئاب كان (24.38) وبانحراف معياري قدره (8.14) ، بينما كان المتوسط الحسابي للتلاميذ العاديين هو (11.97) وانحراف معياري(3.71).ويتبين من الجدول أن قيمة اختبار " **T**" تساوي (7.64)، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01.

و بناء على هذا فإننا **نرفض الفرض الصفري** القائل بعدم وجود فروق، ونقبل الفرض البديل القائل بوجود فروق بين التلاميذ ضحايا التنمر والتلاميذ العادين وهذا لصالح فئة التلاميذ ضحايا التنمر.

مناقشة نتائج الدراسة:

1-مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

لقد تبيّن من خلال النتائج السابقة وجود علاقة ارتباطيه عكسية قويّة بين الاكتئاب والتنمر لدى التلاميذ ضحايا التنمر. وبذلك يمكننا القول بأن هذه الفرضية قد تحققت.

وهذه النتيجة تعتبر منطقية إلى حد كبير، ذلك أن تقدير الذات سواء كان لدى الراشد أو الطفل مرتبط ارتباط ايجابي و إلى حد كبير بالعوامل النفسية الايجابية، ومرتبط ارتباط سلبي بالعوامل النفسية السلبية والتي من بينها الاكتئاب الذي تناولناه في هذه الدراسة.

ويمكننا تفسير هذه النتائج بأن الأطفال الذين لديهم تقدير ذات مرتفع سيكون لديهم مستوى متدني من الاكتئاب، و هذا مالاحظناه لدى التلاميذ العاديين، بينما التلاميذ ضحايا التنمر والذين كثيرا ما يتعرضون للإيذاء من زملائهم الذين يفوقونهم من حيث السن أو القوة الجسدية، فإنهم عادة ما يميلون إلى الشعور بالاكتئاب وهذا بسبب شعورهم الدائم بالتهديد والعجز وعدم الإحساس بالأمان، مما يؤدي بهم تدريجيا إلى نقص الثقة بالنفس و كذا نقص تقدير الذات ويمكن أن تصل إلى درجة تشوه صورة الذات وكرهها.

وتتوافق نتيجة هذه الفرضية مع نتائج عدة دراسات أخرى نذكر من بينها نتائج دراسة: دراسة كاسيلو وآخرون (Kaslow .Rehm & Siegel 1984) ، و دراسة ويسيل (Wessel.1981)، وأيضا دراسة جرين

(Green.1981) و دراسة (غريب 1992)- وأيضا دراسة **باركر** Parker.1980. والتي توصلت إلى نفس النتائج مع هذه الفرضية.

2-مناقشة نتائج الفرضية الثانية :

لقد تبيّن من خلال النتائج أنه توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى **تقدير الذات** بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين، وهذا لصالح التلاميذ التلاميذ العاديين، وبذلك يمكننا القول بأن هذه الفرضية قد تحققت.

ويمكن أن تفسر هذه النتيجة: يعتبر تقدير الذات من أهم الصفات التي تنمو وتتطور مع الطفل منذ مراحل نموه الأولى، ولكنها في مرحلة المراهقة (مثل عينة دراستنا) تتعزز أكثر وتكون ابرز ما لدى الطفل أو المراهق، و يرتبط تقدير الذات بعدة عوامل نفسية واجتماعية تحيط به.

وكلما كانت البيئة المحيطة بالطفل ايجابية و مشجعة له يرتفع تقديره لذاته، وكلما كان المحيط محبط له ومؤذي ، كأن يتعرض للاعتداءات أو الاهانات أو ...الخ. سيؤدي به ذلك إلى تدني ونقص في تقديره لذاته، وهذا بالفعل ما توصلت إليه نتائج هذه الفرضية. وهو ما يمكن أن نفسر به نتائج هذه الفرضية.

و تتوافق نتيجة هذه الفرضية مع الكثير من الدراسات والتي نذكر من بينها : دراسة " **راضي 2001**" التي توصلت هي الأخرى إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين درجات التلاميذ ضحايا التنمر ومتوسط درجات نظرائهم غير الضحايا في كل من تقدير الذات والاكتئاب والوحدة النفسية، وذلك لصالح غير الضحايا . و دراسة **اسبينوزا 2006 Espinoza**.

3-مناقشة نتائج الفرضية الثالثة :

لقد تبيّن من خلال النتائج أنه توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى **الاكتئاب** بين التلاميذ ضحايا التنمر وغيرهم من التلاميذ العاديين، وهذا لصالح التلاميذ ضحايا التنمر. وبذلك يمكننا القول بأن هذه الفرضية قد تحققت.

ويمكن أن تفسر هذه النتيجة بأن الأطفال أو التلاميذ في سن المراهقة يكونون بصدد تشكل شخصيتهم، ويكون لديهم مقدار مرتفع نسبيا من النرجسية وحب الذات في هذا السن بالذات، ويفترض أنهم يكونون في مرحلة حساسة على الصعيد النفسي، فهم بحاجة إلى الشعور بقدراتهم وتميزهم بين الأقران ، واي سلوك قد يؤذي هذه المشاعر أو حتى مجرد إحساسهم بالأمان من شأنه أن يؤدي بالطفل أو المراهق إلى الإحساس بالعديد من المشاعر السلبية اتجاه نفسه واتجاه الآخرين، ويعتبر الاكتئاب من بين ابرز تلك المشاعر السلبية التي قد يقع الطفل الذي تم إيذاءه جسديا أو حتى معنويا فريسة له.

وبالفعل هذا ما توصلت إليه نتائج هذه الفرضية، حيث وجدنا أن نسبة الاكتئاب مرتفعة لدى عينة الدراسة لدى التلاميذ ضحايا التنمر، بينما وجدناها منخفضة لدى اقرأنهم من التلاميذ العاديين الذين يعيشون حياة طبيعية ولا يمرون بالصعوبات والأزمات النفسية التي يمر بها التلميذ ضحية التنمر.

وبالتالي فان هذا يؤكد لنا مدى الأضرار النفسية التي يمكن أن تصيب التلاميذ جراء وقوعهم ضحايا للتنمر، بل قد يؤدي ذلك إلى ما هو اخطر من الاكتئاب ، حيث أن نسبة كبيرة من هؤلاء التلاميذ قد يحاولون الانتحار هربا مما يصيبهم يوميا من ضغوطات واستفزازات من التلاميذ المتنمرين.

وتتوافق نتائج هذه الدراسة مع اغلب نتائج الدراسات التي تم عرضها في هذه المداخلة مثل دراسة: دراسة **اسبينوزا 2006 Espinoza** التي توصلت إلى أن التلاميذ المساء إليهم من طرف زملائهم ارتبط سلبيا بمتغيرات الثقة بالنفس و تقدير الذات والنتائج المدرسية. و دراسة " **كيرين**" **2001 Kerryn** ، توصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ ضحايا التنمر ونظرائهم من غير الضحايا في متغيري القلق والاكتئاب. و دراسة " سوبرر وآخرون " **Swearer.2001** وجود فروق بين المتنمرين ونظرائهم غير المشاركين في مواقف التنمر في متغيري القلق والاكتئاب، كما يعاني المتنمرين من الاكتئاب بدرجة اكبر مما يعاني ضحية التنمر.

خاتمة:

يعتبر الأطفال والتلاميذ هم مستقبل الأمة، و تعتبر صحتهم النفسية وسلامة علاقاتهم الشخصية والاجتماعية أساس مهم جدا لتكوين شخصية راشدة سليمة، لذلك كان من المهم جدا الاهتمام بهؤلاء الأطفال وفي كل مراحل حياتهم والحرص على نموهم نموا طبيعيا قدر الإمكان.

ومن بين أهم الأماكن التي يجب أن يعيش فيها الطفل حياة سوية و خالية من المشاكل والضغوط، وان يحس فيها بالأمان واثبات للذات وللقدرات هي المدرسة التي يتعلم فيها.

لذلك كان من الضروري أن لا يتعرض التلميذ لتلك الأساليب التي من شأنها أن تسبب له أضرار معنوية وجسديه تستمر معه ول العمر. والتي من أهمها عرضه لمظاهر التنمر من طرف أصدقاءه و الأشخاص الآخرين من حوله.

مقترحات الدراسة :

من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية يمكننا الإشارة إلى بعض الاقتراحات التي نراها مهمة وهي:

– ضرورة توعية المعلمين والأساتذة بظاهرة التنمر التي أصبحت أكثر انتشارا من ذي قبل لدى التلاميذ، وتعريفهم بإشاراتها و علاماتها سواء على الطفل المتنمر أو الطفل الضحية. وهذا من اجل اتخاذ الإجراءات اللازمة معهما.

– ضرورة تواجد أخصائي نفساني في المؤسسات التربوية بكل الأطوار، من اجل التوعية و الوقاية من ظاهرة التنمر وأثارها السلبية على التلاميذ، والعمل على علاجها في الوقت المناسب إن وقعت.

– توعية الآباء بالعلامات و الإشارات التي قد تنبئ بأن ابنهم ضحية للتنمر من أصدقائه، من اجل الحماية و العمل مع الأطراف التي يمكن أن تساعدهم في الحفاظ على الصحة النفسية لأولادهم.

قائمة المراجع :

1– الأنصاري بدر محمد،(2007)، **الفروق في الاكتئاب بين طلاب والطالبات الجامعة – دراسة مقارنه في عشرين بلد إسلامي**–، مجلة دراسات عربية في علم النفس، المجلد6،العدد1، القاهرة.

2– الحميدي محمد ضيدان الضيدان،(2004)، **تقدير الذات وعلاقته بالسلوك العدواني لدى طلبة المرحلة المتوسطة**، الرياض، رسالة ماجستار منشورة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.

3–خلف شاكر عقلة، (2000)، **الاعتمادية وعلاقتها بتقدير الذات لدى طلبة المرحلة الأساسية العليا في الأردن**، أطروحة دكتوراه .كلية التربية.الجامعة المستنصرية.

4–ستيوارت واطسون، ترجمة: محمد السعيد أبو حلاوة، **الاكتئاب لدى الأطفال والمراهقين**، **www. Gulfkids.com**)

5– حنان اسعد خوج، التنمر المدرسي وعلاقته بالمهارات الاجتماعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بمدينة جدة، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، العدد4 ديسمبر 2012

6– شعيب علي،(1988): **نمذجة العلاقة السببية بين تقدير الذات والقلق والتحصيل الدراسي لدى المراهقين من المجتمع السعودي**،جامعة الكويت، مجلة العلوم الاحصائية، المجلد السادس عشر،العدد الثاني.

7– صالح عواطف،(1994)، **التنشئة الوالدية وعلاقتها بفعالية الذات لدى المراهقين من الجنسين**، مجلة كلية التربية،جامعة المنصورة.

8– صالح محمد أبو جادو، (د– س)، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار المسيرة، عمان.

9– عبد ربه على شعبان،(2010)، **الخجل وعلاقته بتقدير الذات ومستوى الطموح لدى المعاقين بصريا**، الجامعة الإسلامية، كلية التربية – قسم علم النفس–

10– عبد اللطيف محمد خليفة، (2003)، **علاقة الاغتراب بكل من التوافق وتوكيد الذات ومركز التحكم والقلق والاكتئاب**، مجلة دراسات عربية في علم النفس، المجلد2، العدد2، القاهرة.

11– عمر الريماوي، (د– س)، **مفهوم تقدير الذات لدى الطلبة الأيتام في مدارس ضاحية القدس**. جامعة السلطان قابوس.مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية.

12– غريب عبد الفتاح غريب، (1988)، **دراسة مستعرضة للفروق بين الجنسين في الاكتئاب**، مجلة دراسات عربية في علم النفس، المجلد2، العدد2، القاهرة.

13- غريب عبد الفتاح غريب، (1999)، **علم الصحة النفسية**، القاهرة، الانجلو المصرية.

14- غريب عبد الفتاح غريب، **نمذجة العلاقة السببية بين التحصيل الدراسي ومفهوم الذات والأعراض الاكتئابية: دراسة للتأثيرات المباشرة وغير المباشرة على الأعراض الاكتئابية في المرحلة الإعدادية بدولة الإمارات العربية**، **www.gulfkids.com**

15- على موسى الصبحين- محمد فرحان القضاة، 2013، **سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين(مفهومه-أسبابه-علاجه)** ،جامعة نايف العربية للعلوم الامنية- مركز الدراسات والبحوث-

16-هندية محمد سعيد سلامة، (2003)، **مدى فاعلية برنامج علاجي معرفي-سلوكي في تخفيف حدة الاكتئاب لدى الأطفال**، رسالة دكتوراه ، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، مصر.

17- اليحفوني نجوى، (2003)، **الاكتئاب وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية- الديمغرافية لدى طلاب الجامعة اللبنانية**، المجلة التربوية، المجلد 18، العدد69، الكويت.

مراجع أجنبية:

18- Quiroz.H.Arnette.J.& Stephens.R.(2006).Bullying in schools fighting the bully Battle.Eribaum :National School Safety Center.NJ

19- Robyn.C.(2004).SMS bullying.(Bulling & Violence) .**Youth Studies Australia**.23 (2).3-5

20- Smorti.A.Ortege.J.& Ortega.R.(2006).Discrepant Story Task (DST) : An instrument used to explore narrative strategies in bullying.**Electronic Journal of Research in Educational Psychology**.9(2).397-426

صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الرياضية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية.

د/ علي لطفي علي قشمر ـ جامعة الاستقلال ـ أريحا ـ فلسطين.

ملخص الدراسة:

تعد الرياضيات من المواد التي تساعد الطالب على تنمية تفكيره، وجعله قادراً على اتخاذ القرارات والحلول المناسبة لما يواجه مشكلات ومواقف في حياته اليومية والمستقبلية وتهيئه للتعامل معها.

ولكنه لا يخفي على كثير من المهتمين بالرياضيات وتعليمها من معلمين ومشرفين ومعدي المناهج بل وكثير من عامة الناس ضعف الطلبة في هذه المادة وخوفهم ونفورهم منها لدرجة أنها اصبحت لدى بعض الطلبة شبحاً مخيفاً وربما كانت سبباً لانقطاع بعضهم عن الدراسة أو انصرافهم إلى الأقسام التي لا تدرس الرياضيات عندما يتاح لهم ذلك، ولكن هذا الضعف والنفور يختلف كما يلاحظ ذلك المعلمون والمشرفون التربيون الميدانيون من موضوع لآخر، ومن الموضوعات التي يتجلى فيها هذا ضعف معظم الطلبة في جميع المراحل الدراسية موضوع حل المسائل الرياضية، فالطلبة يستطيعون أن يصلوا في حلهم للمسائل الرياضية بناءً على فهم المفاهيم والمبادئ الحسابية.

ولمعالجة هذا الضعف جاءت هذه الدراسة لتحديد كشف العلاقة بين صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية فيحل المسائل الرياضية وإلى الكشف عن أية فروق ذات دلالة إحصائية في ذلك تبعاً لمتغيرات النوع الاجتماعي، الامتحانات المدرسية، أسلوب التعلم، التطور المهني، المنهاج المدرسي.

ضم مجتمع الدراسة معلمي المباحث العلمية للصفوف الأساسية (4-1) في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية. وتم اختيار (130) معلماً ومعلمة بطريقة العينة العشوائية. وتضمنت أداة الدراسة التي أعدها الباحث قسمين: صفحة للمعلومات الشخصية، ومقياس صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الحسابية في حل المسائل الرياضية المكون من (20) فقرة يجب عنها أفراد العينة، وتم التأكد من صدق الأداة من خلال عرضها على عينة من المختصين من أعضاء الهيئات التدريبية في كليات التربية وإعداد المعلمين في الجامعات الفلسطينية، وجرى التأكد من ثباتها بطريقة كرونباخ ألفا (0.92)، وقد استخدمت المتوسطات الحسابية والنسب المئوية واختبار (ت) وتحليل التباين الأحادي لتحليل المعلومات.

وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق إحصائية دالة عند (α≤0.05) في صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية على تقدم طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير النوع الاجتماعي، الامتحانات المدرسية، أسلوب التعلم، التطور المهني،

الكلمات المفتاحية: صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم، طلبة المرحلة الأساسية (4-1)، حل المسائل الرياضية، معلمي المباحث العلمية، المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية.

Abstract :

Mathematics is one of the materials that helps students develop their thinking and make them able to make decisions and solutions appropriate to the problems and situations in their daily and future life and prepare to deal with them.

But it does not hide on many of the interested in mathematics and teaching teachers and supervisors and curriculum teachers, and even the general public weakness of students in this article and fear and alienation so much that some students have become a frightening ghost and may have caused some of them to drop out of study or leave to the sections that do not study mathematics when But this weakness and discontent is different, as noted by the field educators and supervisors from one topic to another. One of the subjects that reflects this weakness is that most students at all levels are the subject of solving mathematical problems. Students can reach their solution to touch.

In order to address this weakness, this study was used to identify the relationship between the difficulties of using concepts and mathematical principles among the students of the basic stage in solving mathematical problems and to detect any significant differences in this according to gender variables, school exams, learning method, professional development, and school curricula.

The society of the study included the teachers of the scientific investigation of the basic grades (1-4) in the basic Palestinian government schools. A total of 130 teachers were selected in the random sampling method. The study tool prepared by the researcher included two sections: a page for personal information, and a measure of the difficulties of learning the principles and mathematical concepts in solving the mathematical problems, consisting of (20) paragraphs to be addressed by the sample members. The tool was verified by presenting them to a sample of specialists from the Cronbach's alpha (0.92). The mathematical averages, percentages, T-test, and analysis of mono-variance were used to analyze the information.

The results indicated that there were no statistically significant differences in (0.05≥α) in the difficulties of using concepts and mathematical principles on the progress of the basic stage students (1-4) in solving mathematical problems due to the gender variable, school exams, learning method,

key words: Difficulties in learning principles and concepts, basic stage students (1-4), solving mathematical problems, teaching teachers, basic Palestinian government schools.

المقدمة:

اعتاد المعلمون على ممارسة و استخدام التلقين في تنفيذ مواقفهم التعليمية و هذا يتناقض تناقضا جوهريا مع ظاهرة الانفجار المعرفي و تضخم المادة التعليمية التي تسود عصر المعلومات الذي نعيشه حاليا و في ضوء معطيات هذا العصر تغير دور المدرسة و لم يعد محصورا في تقديم المادة التعليمية و استرجاعها بل تجاوزه إلى تنمية مهارات الوصول إلى المعرفة و الحصول عليها و توظيفها و توليد المعارف الجديدة و يأتي ذلك من خلال التعلم ذي المعنى و الذي لا يتحقق إلا من خلال التركيز على الأفكار الرئيسية و المفاهيم الأساسية للمادة التعليمية دون اللجوء إلى الحشو و التفاصيل التي تذهب بأهمية المفاهيم المستهدفة .

و نظراً لأهمية المفاهيم الرياضية في فهم و إدراك مكونات المعرفة الرياضية الأخرى مبادئ وقوانين وقواعد ونظريات وتعليمات وفي حالة التدريس فأن هذه العملية تكون من مسؤوليات المعلم الذي يحتاج إلى جهد كبير لتحقيقها ، لذا فطريقة التدريس هي إحدى العوامل المهمة و المؤثرة في مدى تكوين الطلبة للمفاهيم لذلك بجدر بالمعلم تحديد أهدافه التي تتفق مع خصائص الطلبة و خلفياتهم السابقة ، ثم تحديد استراتيجيات تدريس مناسبة و اختيار أدوات و وسائل تسهم في تحقيق الأهداف المتوخاة و كذلك اختيار طريقة التدريس الفعالة التي تسهم في تعلم أفضل للمفاهيم و من اجل تحسين تحصيل الطلبة في مادة الرياضيات و زيادة وعيهم بأهميتها في الحياة العلمية و العملية زاد وعي التربويين إلى كيفية تعلم الطلبة و مساعدتهم على تعلم المفاهيم ، لذلك كان لابد من استخدام استراتيجيات و طرق تدريس حديثة وفعالة ، كما اتجهت أفكارهم إلى البحث عن طرق يكون فيها المعلم مرشدا و موجها مساعدا للطلبة على فهم المعرفة و كيفية استخدامها و توظيفها في الحياة العلمية ، واتجهت الأبحاث نحو استقصاء أساليب تعلم المفاهيم و تكوينها لدى الطلبة ، وقد توصلت هذه الجهود إلى أن الصورة الذهنية التي شكلها الأطفال للفهم لذلك تختلف باختلاف الخبرات التي يمرون بها ، و طريقة تفكيرهم فيه ، أو تصورهم له ، ولذلك فان عملية تكون المفهوم تنتج عن انطباع أو تصور فردي يختلف باختلاف الأفراد أنفسهم .

مشكلة الدراسة:

بلا شك أن الطلبة يعانون من ضعف حل المسائل الرياضية، إما بسبب عدم القدرة على فهم المفاهيم والمبادئ الحسابية أو لعدم قدرة المعلم على إيصال المفهوم والمبدأ إلى الطالب بصورة بسيطة مما يؤدي بالطلبة إلى عدم قدرتهم على حل المسائل الرياضية وفهمها.

وجاءت الدراسة للإجابة عن:

- ما هي صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية.
- هل تختلف صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية تبعاً للمتغيرات (النوع الاجتماعي، الامتحانات المدرسية، أسلوب التعليم، التطور المهني، المنهاج المدرسي).

أهمية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على العلاقة بين قدرة الطالب على فهم المفاهيم والمبادئ في تقدم الطلبة في حل المسائل الرياضية، كما تهدف إلى معرفة ما إذا كانت قدرة الطالب على حل المسالة الرياضية تختلف تبعاً لاختلاف درجة المجهول المستخدم في حل المسالة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- معرفة الأسباب وتحديد الصعوبات التي يواجهها طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية.
- معرفة الأسباب وتحديد الصعوبات التي يواجهها طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية تبعاً للمتغيرات (النوع الاجتماعي، الامتحانات المدرسية، أسلوب التعليم، التطور المهني، المنهاج المدرسي).

أسئلة الدراسة:

- ما صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الرياضية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية؟
- ما دور كل من المتغيرات (النوع الاجتماعي، مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي، أسلوب التدريس، المؤهل العلمي للمعلم، عدد الدورات التدريبية للمعلم) في استجابة المعلمين نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الرياضية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية؟

فرضيات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للتحقق من صحة الفرضيات التالية:

- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير النوع الاجتماعي.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير أسلوب التدريس.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير المؤهل العلمي للمعلم.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير عدد الدورات التدريبية للمعلم.

حدود الدراسة:

تنحصر هذه الدراسة في ثلاث محددات:

المحدد الزمني: خلال الفصل الأول من العام الدراسي (2020/2019م).

المحدد البشري: تقتصر هذه الدراسة على عينة من معلمي المباحث العلمية للصفوف الأساسية (4-1) في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية.

المحدد المكاني: اقتصرت هذه الدراسة على المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية.

مصطلحات الدراسة:

المفهوم: تكوين عقلي ينشأ عن تجريد خاصية (أو أكثر)، من مواقف متعددة يتوفر في كل منها هذه الخاصية، حيث تعزل هذه الخاصية مما يحيط بها في أي من المواقف المعينة. **(أبو أسعد، 2010، ص55)**

المبادئ: علاقة ثابتة بين مفهومين أو أكثر وهي سلسلة من المفاهيم التي تربطها علاقات محددة. **(عبد الهادي، 2000)**

التعميم: يعرفه علماء النفس بأنه استجابات متشابهة لمثيرات متشابهة. **(عبيد، 2009، ص84)**

المسالة: موقف جديدة ومميز يواجه الفرد ولا يكون له عند الفرد حل جاهز في حينه. **(جامعة القدس المفتوحة، 2010، ص112)**

التمارين الرياضية: مجموعة من الأسئلة والتدريبات وتهدف إلى فهم المفاهيم والمبادئ والقوانين. **(جامعة القدس المفتوحة 2010، ص216)**

استراتيجيات التدريس: هي خطة يستخدمها المعلم تتضمن الأهداف والمحتوى وطرق التدريس والوسائل التعليمية وأساليب التقوية. **(جامعة القدس المفتوحة، 2010، ص76)**

أسلوب التدريس: هو نمط التدريس المفضل لدى المعلم عند استخدامه طريقة تدريس معين، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالخصائص الشخصية للمعلم. **(أبو أسعد، 2010، ص23)**

الرياضيات: صورة ذهنية يعبر عنها بالأرقام التي يمكن أن تجرب أو تدرك بالحدس أو بالعلاقات الشكلية بين الرموز. **(وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية: 2017، ص115)**

مرحلة التعليم الأساسي (4-1): هي إحدى مراحل التعليم الإلزامي، التي اقرتها وزارة التربية والتعليم العالي في فلسطين، وهي تتمثل في مرحلة التعليم الأساسي التي تمتد من سن (6-9) سنة وتقدم هذه المرحلة للأطفال اللغة الأساسية (اللغة العربية)، القراءة، الكتابة، الدين، الحساب، العلوم الاجتماعية بالإضافة إلى العلوم المختلفة والتربية الرياضية والموسيقى **(وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، 2017، ص12)**

المدارس الأساسية الفلسطينية: أي مؤسسة تعليمية غير رياض الأطفال بغض النظر عن عدد طلبتها وتركيبها الصفي، حيث أن أدنى صف فيها لا يقل عن الصف الأول وأعلى صف لا يزيد عن الصف العاشر الأساسي. **(وزارة التربية والتعليم العالي، 2018، ص14).**

المعلم: هو الشخص الذي يمتلك الكفايات الأساسية الضرورية لتنظيم التعلم وتيسيره لتحقيق الأهداف المتوخاة بشكل يوظف مصادر التعلم المتاحة وكل الإمكانيات البشرية الممكنة. **(وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية، 2017، ص14)**

الطالب: وهو فرد طالب للمعرفة أو دارس في مؤسسة تعليمية. **(وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية: 2017، ص14)**

طريقة التدريس: هي مجموعة من الإجراءات أو الأفعال المرتبة التي يقوم بها المعلم داخل حجرة الصف بهدف أن يتعلم الطلبة موضوعا دراسيا معينا أو جزءا منه. **(أبو اسعد، 2010، ص48)**

صعوبة التعلم: هي الحالة التي يظهر صاحبها مشكلة أو أكثر في الجوانب الآتية: القدرة على استخدام اللغة أو فهمها، القدرة على الإصغاء، أو التفكير، أو الكتابة، أو العمليات الحسابية والرياضية. **(أبو اسعد، 2010، ص15)**

الموهبة: هي أقصى درجات الاستعداد أو القابلية أو القدرة أو القدرة في مجال أو أكثر من مجالات التعلم. **(أبو اسعد، 2010، ص15)**

الكتاب المدرسي: مصدر من مصادر التعلم المقروءة يشتمل بطريقة منظمة على الجانب المعرفي المنوي اكتسابه وعلى جوانب مساندة على اكتساب المتعلم بهذا الجانب بأقل جهد ووقت وكلفه بأعلى إنتاجية. **(وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية: 2017، ص13)**

مواصفات الكتاب المدرسي: هي شروط تحدد محتوى الكتاب وشكله في حالة مراعاتها والأخذ بها وتعمل عمل المعايير. **(جامعة القدس المفتوحة،2008، ص111)**

المحتوى: هو ما اشتمل عليه الكتاب من معلومات ومهارات واتجاهات، ومن المفروض أن يكون عرض المادة في الكتاب بشكل يسهل معه تعلم المادة أي الاهتمام بالعلاقات بين أجزاء المادة أو سهولة إجراء العمليات العقلية المختلفة عليها بسهوله ويسر. **(جامعة القدس المفتوحة، 2008، ص122)**

المواد المساندة المساعدة: هي كل أنواع الأنشطة والوسائل التعليمية وحيل الإخراج التي تساعد المتعلم على تعلم مادة الكتاب تعلما ذاتيا ما أمكن. **(جامعة القدس المفتوحة، 2008، ص111)**

الوسيلة التعليمية: هي تلك المعينات الحسية المادية التي تستخدم في عمليتي التعلم والتعليم بهدف توضيح ما ورد في الكتاب المقرر من معرفة ومعلومات من شانها إن تسهل وتثري عملية تعلم الطالب. **(طعيمة، 2008، ص56)**

الأنشطة: ترد الأنشطة في ثنايا الكتاب وفي نهاية كل موضوع وفي نهاية كل وحدة وتظهر عندما يطلب من المتعلم أن يجري أو يقوم بملاحظة أو دراسة أو العودة إلى ما في البيئة من أشياء. **(عبيد، 2009، ص72)**

الأهداف: هي النتاجات التعليمية الكبرى المخططة التي يسعى المجتمع والنظام التعليمي والمدرسة إلى مساعدة المتعلم في بلوغها وبالقدر الذي تسمح به إمكاناته وقدراته. **(جامعة القدس المفتوحة،2008، ص111)**

أولاً: الإطار النظري:

يتمتع علم الرياضيات بجاذبية خاصة وسحر أخاذ وبريق مبهر فهو مادة إيقاد الفكر وشحذ المواهب وبناء العقول، أما مادة الرياضيات هي مادة البناء في أبحاث الفضاء والفلك والأجهزة الالكترونية التي دخلت جميع مجالات الحياة وتغلغلت بها وانتقلت بالناس من عالم إلى عالم آخر.

وبالرغم من أن الرياضيات مادة مشرقة، تميل إلى النفس في دراستها والبحث فيها إلا أنها في كثير من الأحيان تكون حجر عثرة أمام الكثيرين منا، وذلك بسبب عدم استيعابنا لأصولها ونظرياتها وقوانينها.

ومما لا شك فيه أن هذا العجز لم يكن عبا في ذات الأداة ولاكته نابع من ذاتنا نحن. يعد تطوير قدرات التلميذ الابتدائي على حل المسائل الرياضية من أكثر اهتمامات التربويين الرياضيين فهي المدخل الأساسي لتعليم أسلوب حل المشكلات بمعناه العام حيث هو الأسلوب المنادى به من قبل التربويين في جميع المجالات والتخصصات المعرفة.

ويعد موضوع أثر تدريس فهم المفاهيم والمبادئ على تقدم الطلبة من الموضوعات المناسبة ذات المجال الخصب لتحقيق هذه الأهداف ولان حل المسائل الرياضية من الموضوعات المقررة في مناهج مادة الرياضيات في معظم الصفوف الدراسية ونظراً لضعف الطلبة فيها وإعراضهم عنها وعدم تقبلهم لها، فانه يؤمل أن تسهم هذه الدراسة في البحث عن بعض العوامل.

التي تعيق التلاميذ عن فهم هذه المسائل الرياضية ومن ثم تقديم توصيات واقتراح حلول لهذه العوائق في ضوء ما تصل إليه نتائج الدر اسه وكذلك تزويد المسؤولين عن خطة مناهج الرياضيات بأهم ما تتوصل إليه الدر اسه من نتائج وتوصيات.

كانت المعرفة الرياضية تصنف مسبقا إلى وحدات منفصلة من الحساب والهندسة والجبر، ومع التقدم الذي طرأ على الرياضيات وتطور النظرة إليها على أنها مادة متكاملة، صنفه المعرفة الرياضية بناء على ذالك الى التصنيفات الأربعة التالية:

- المفاهيم والمصطلحات والرموز.

- المبادئ والتعميمات الرياضية.
- الخوارزميات والمهارات.
- المسائل الرياضية. (**طربيه، 2007**)

المفهوم:

المفهوم فكرة مجردة تشير إلى مجموعة من العناصر التي تلتقي جميعا في مجموعة من السمات المميزة والمشتركة. أي أن المفهوم يتحدد بمجوعة من السمات الأساسية المميزة المشتركة التي يلتقي عندها جميع أفراد الفئة الواحدة. السمات المميزة هي مجموعة من الصفات الأساسية التي تشترك في تكوين المفهوم وغياب أي صفة منها يلغي اعتبارنا لذالك المفهوم. (**عقلان، 2000**)

تتشكل المفاهيم من تصورات وتأملات ونتاج الفكر الخيالي وتختلف الصورة الذهنية التي تتشكل لدى المتعلم عن المفاهيم باختلاف الخبرات التي يمر بها وطرق التفكير المختلفة، لذا تجدر الإشارة إلى أن طلبة الصف الواحد قد تتشكل لديهم مفاهيم متقاربة نتيجة لتعرضهم للخبرات نفسها داخل الغرفة الصفية ولكن تختلف درجة اكتسابهم لها.

لكل معلم أسلوبه في عرض مادته، وتوضيح المفاهيم التي عليه عرضها على الطلبة خلال الدرس، وقد ينوع المعلم في أسلوبه من اجل تبسيط المادة، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.

تعلم الرياضيات في الصفوف الابتدائية (مثلا) قد يكون الموضوع الذي ينوي عرضه، هو (الإعداد الأولية) فيرى، أن يبدأ (مثلا)بتحديد المفهوم، ثم يضرب الأمثلة، ثم يطلب من الطلبة الإتيان بأمثلة على ذلك.

أو قد يبدأ بعرض أمثلة على الإعداد الأولية ويطلب من الطلبة أن يحلوها إلى عواملها، فلا يجدون، عوامل لأي من هذه الأعداد سوى الأعداد نفسها، والعدد واحد وهذا يلفت انتباه الطلبة إلى ما بين الأمثلة المعروضة من عامل مشترك مما يمهد بالوصول إلى مفهوم الأعداد الأولية. (**جامعة القدس المفتوحة، 2008**).

تشكيل المفهوم:

يبنى المفهوم عادة من تصورات تحصل من خلال الحواس الخمس، ومن الذكريات والتخيلات، ومن نتاج الفكر الخيالي.

وهذا يعني أن الطفل قبل أن يبدأ في تشكيل المفهوم، لا بد وأن يتعامل مع المدركان الحسية الخاصة بذلك المفهوم. فكلمة تفاحة، بحر، سيارة ... الخ مفاهيم تتكون لدى الطفل نتيجة لمدلولات حسية، وتستخدم الرموز، أو الكلمات للإشارة إليها.

المبادئ والقواعد العامة التي يجب مراعاتها عند تدريس المفاهيم وهي:

- تحديد طبيعة المفهوم، أي نوع المفهوم (أولي، ثانوي، حسي، مجرد، فردي، جمعي، .....)
- تحديد السمات الأساسية المميزة للمفهوم قيد التدريس.
- ضرب أمثلة ايجابية من المجموعة المرجعية للمفهوم، وأخرى سلبية من غير المجموعة المرجعية مع التفسير في كلتا الحالتين.
- ربط المفهوم بالخبرات السابقة الأزمة للتعلم.
- صياغة تعريف المفهوم بالغة واضحة تتضمن جميع السمات الحرجة للمفهوم بحيث يفهمها المتعلم بسهولة.
- إضافة الفرصة للمتعلمين للتدريب على المفهوم واستخدامه في بناء مفاهيم أخرى.
- تبني نموذج تعلم يساعد الطالب على بناء المفهوم.
- الحرص على تشكيل الصورة الذهنية للمفهوم في الدماغ. لان ذلك يساعد ويسهل على المتعلم عملية استدعائه عند الحاجة إليه.
- صون المفهوم من خلال تدريبات منتمية كلما لزم ذلك.

استراتيجيات تدريس المفاهيم الرياضية:

يعرف كوفي وزملائه **(conney et al 1975)** الاستراتيجية التعليمية بأنها " مجموعة من التحركات المتتابعة التي تكرر عند المعلم في أثناء تدريسه أحد أصناف المعرفة الرياضية. "مجموعة الأفعال التعليمية التي يقوم بها المعلم للانتقال من جهة إلى أخرى "كأن ينتقل من تقديم تعريف المفهوم إلى تقديم أمثلة عليه، وتقديم الأمثلة عليه وبالتالي فانه يستخدم استراتيجية تقوم على ثلاثة تحركات هي تحرك التعريف وتحرك المثال وتحرك الأمثلة.

وحلل هندرسون مناقشات المعلمين الصفية أثناء تعلم المفاهيم الرياضية، وصنف على أثرها التحركات التي استخدمها المعلمون إلى فئتين هما:

- تحركات الوصف: وفيها يتم التحدث عن الصفة أو السمات المميزة للمفهوم
- تحركات الأمثلة: وفيها تقديم أمثلة توضح من خلالها السمات المميزة للمفهوم وأحيانا يعرف المثال بتبريد يوضح أسباب اعتباره مثالا على المفهوم ويسمى هذا التحرك بتحرك التبريد. **(أبو اسعد، 2010)**

وعند تعليم أي مفهوم يقوم المعلم بإعطاء أمثلة (تحريك المثال) يتبع هذا بتحريك المثال نفسه، ثم يقدم تعريفاً للمفهوم، ومن المعلمين من يقوم بهذه التحركات بتتابع مختلف، ومنهم من يكتفي بتحريك واحد

أو اثنين، وكل مجموعة متتابعة من التحركات تسمى استراتيجية تعليم ذلك المفهوم ومن الاستراتيجيات الشائعة:

- الاستراتيجية المكونة من سلسلة من تحركات أمثلة الانتماء.
- الإستراتيجية المكونة من أمثلة الانتماء وأمثلة عدم الانتماء.
- استراتيجية تعريف، أمثلة الانتماء وأمثلة عدم الانتماء.
- الإستراتيجية المكونة من أمثلة الانتماء وعدم الانتماء ولكن ليس بترتيب ثابت أو محدد.
- استراتيجية تحرك الرسم، وتحرك المقارنة.
- استراتيجية تعريف أمثلة، انتماء وأمثلة عدم انتماء حتى يستطيع المعلم تقويم مدى فاعلية الإستراتيجية المستخدمة لا بد من تعيين معايير يتم بها إتقان فهم الطلبة للمفهوم. **(الخطايبة، 2001)**

ومن أمثلة المفاهيم الرياضية:

- مبدأ العد: إذا أمكن إجراء عملية ما بطرق عددها n1، وأمكن إجراء عملية ثانية بطرق عددها n2، أمكن إجراء العمليتين معا بطرق عددها $n1 \times n2$.
- $\log a \times b = \log a + \log b$ حيث a، b عددان حقيقيان موجبان.

يلاحظ من الأمثلة السابقة كيف أن كل تعميم رياضي حدد علاقة بين مجموعة من المفاهيم أو الرموز، فالتعميم: "كل عدد نسبي يمكن كتابته بصورة كسر عشري أو كسر عشري دوري" ويتضمن المفاهيم التالية: عدد نسبي، كسر عشري منته، كسر عشري دوري.

وكيفية ارتباط هذه المفاهيم بعضها ببعض.

ومن غير المعقول أن يتعلم الطالب هذا التعميم إلا إذا كن قد تعلم أصلا المفاهيم المكونة له. أي أن المتطلبات السابقة لتعلم المبادئ والتعميمات هي تعلم المفاهيم التي تكون هذه المبادئ والتعميمات. **(أبو زينة،1997)**

بعد إدراكنا للمفهوم الرياضي لشيء ما مثل مفهوم الدالة أو الدائرة أو التفاضل فإننا نستطيع دراسة خواص تلك المفاهيم والعلاقات التي تربط بين عناصر أو أشياء ذلك المفهوم الواحد ويستنتج من هذه الدراسة صيغ تسري على مجموعة من الأشياء تسمى تعميمات، فالتعميم الرياضي هو عبارة رياضية أو جمله خبريه تنطبق على مجموعة من الأشياء أو العناصر. **(أبو أسعد، 2009)**

التعميم الرياضي هو عبارة رياضية على هيئة جملة خبرية تربط بين مفهومين او أكثر من المفاهيم الرياضية والتعميمات الرياضية هي في الغالب عبارات رياضية يتم برهنتها أو استنتاجها واكتشافها والبعض منها تتسم بصحتها المسلمات والبديهيات.

فالنظريات هي تعميمات رياضية:

أمثلة:

- في المثلث القائم الزاوية يكون مربع الوتر يساوي مجموع مربعي ضلعي القائمة (نظرية فيتاغورس)
- مجموع قياسات زوايا المثلث تساوي180.

القوانين الرياضية أو المبادئ:

كما يطلق عليها، هي تعميمات رياضية.

أمثلة:

- قانون توزيع الضرب على الجمع س ×(ص+ع) = س × ص + س×ع.
- قانون ديمورغان $\overline{أ \cup ب} = \bar{أ} \cap \bar{ب}$.

$\overline{أ \cap ب} = \bar{أ} \cap \bar{ب}$

المسلمات الرياضية والبديهيات هي تعميمات رياضية.

أمثلة:

- إذا أضيفت أشياء متساوية إلى أشياء متساوية تكون النتائج متساوية.
- يمكن رسم مستقيم وحيد يصل بين نقطتين مفروضتين. **(عابد، عدنان، 1989)**

طرق تدريس التعميمات:

أن هذا التتابع في تدريس التعميمات الرياضية، والذي يمكن أن يستخدمه المتعلم أو الكتاب، يتم عادة بطريقتين هما: طريقة العرض المباشر (الشرح)، طريقة الاكتشاف الموجه.

سواء كان التدريس بطريقة العروض أو الاكتشاف، يكون تدريس التعميم بالخطوات التالية:

1. وضع الأهداف التعليمية المتوقع اكتسابها بعد المفهوم.
2. التأكد من أن المتعلم مكتسب للمفاهيم القبلية المكونة للتعميم.
3. ربط المفاهيم السابقة مع التعميم المراد تعلمه وبترتيب يتلاءم مع تكوين التعميم وذلك عن طريق الأمثلة والأسئلة.
4. يعطى الطالب أمثلة على بعض خواص التعميم قبل الصياغة النهائية للتعميم.
5. صياغة التعميم: ويمكن أن تكون هذه الصياغة صياغة لفظية أو رمزية، مثل كتابة القانون. **(حمدان، 2005)**

التحركات في تدريس التعميمات الرياضية:

تختلف التحركات المستخدمة في تدريس التعميمات الرياضية وتشكل هذه التحركات في طريقة تسلسلها وتتابعها استراتيجية التدريس. ومن أهم التحركات التي يمكن استخدامها في تدريس التعميمات ما يلي:

1. تحرك التقديم (المقدمة).
2. تحرك صياغة التعميم.
3. تحرك الأمثلة.
4. تحرك اللامثال.
5. تحرك التفسير.
6. تحرك التبرير.
7. تحرك التصنيف. **(القواسمة، عبد الرحيم، 1989)**

وهناك قواعد عامة يجب مراعاتها عند تدريس التعميمات الرياضية منها ما يأتي:

1. اختبار معرفة الطلبة في المفاهيم التي ترد في التعميم قيد التدريس، وإدراكهم لمعنى العلاقة التي تربط بينها.
2. الكشف عن فهمهم للخبرات السابقة اللازمة لتدريس التعميم، وإعداد البنود الاختيارية اللازمة لقياسها.
3. عدم صياغة التعميم بعد ضرب مثال واحد، فمن الواجب ألا يقل عدد التدريبات والأمثلة المستخدمة عن ثلاثة ولا يزيد عن ستة، فان قلة العدد لا تفي بالغرض، كما أن الكثرة تبعث على الملل.
4. تسوير التعميم، ويقصد بذلك بيان الشروط التي يجب توافرها حتى يكون استخدام التعميم جاهزا، فلا يجوز استخدام نظرية فيثاغورس، إلا إذا كان المثلث قائم الزاوية.
5. استخدام الأمثلة الايجابية التي من شأنها أن تيسر الوصول إلى التعميم بسهولة.
6. إتاحة الفرصة للطلبة لإعطاء أمثلة لا يجوز فيها استخدام التعميم، وتسمى هذه الأمثلة "الأمثلة السلبية ".
7. إعداد مجموعة من التدريبات يستخدم فيها التعميم مباشرة، ضمن شروطه المحددة، ويعطى الطلبة فرصة كافية لحلها بمفردهم أو بعون قليل من المعلم.
8. نقل التعميم من خلال التدريبات المدرجة في الصعوبة إلى مستويات ارقي.
9. إتباع طريقة العرض المباشر أو طريقة الاستقراء أو الاكتشاف الموجه في تعليم التعميم. **(جامعة القدس المفتوحة، 2010)**

المسألة الرياضية:

تعتبر المسالة الرياضية من أكبر الموضوعات التي شغلت المقيمين والعاملين في مجال تدريسه للرياضيات بها وبطريقة تدريسها. ويعتقد بعض معلمي الرياضيات أن المسالة الرياضية هي مسائل كلامية نظيف فيها التعميمات الرياضية والعمليات الحسابية. ولكن في الواقع انه ليست كل مسالة كلامية هي مسالة رياضية كما أن المسائل الرياضية ليست كلامية فقط، واعتبار سؤال ما مسالة رياضية يعتمد على مستوى المعرفة والخبرة التي يمتلكها الفرد. وما هو مسالة عند فرد ما قد لا يعتمد مسالة عند فرد أخر أو عند نفس الفرد في وقت لاحق. **(رواشدة وآخرون، 2004)**

شروط لمسألة الجيدة:

والمسالة الجيدة هي المسألة التي تتوفر فيها الشروط التالية:

1. تتضمن المسألة استيعاب مفهوم رياضي محدد، واستخدام مبدأ أو تعميم واحد أو أكثر.
2. يمكن تعميم المسألة أو طريقة حلها على عدد من المواقف الأخرى.
3. أن تسلم المسألة نفسها لعدة حلول وليس لحل واحد فقط. **(سلامة، 2007)**

أهمية حل المسألة:

ان حل المسألة له أهمية كبيرة في تعلم وتعليم الرياضيات لعدة أسباب منها:

1. حل المسائل وسيلة ذات معنى للتدرب على المهارات الحسابية واكسابها معنى.
2. من خلال المسائل تكتسب المفاهيم العلمية معنى ووضوحا لدى المتعلم.
3. عن طريق حل المسألة يتم تطبيق القوانين والتعميمات في مواقف جديده.
4. تنية أنماط التفكير لدى الطلبة والتي يمكن أن تنتقل الى مواقف أخرى.
5. حل المسألة وسيلة لإثارة الفضول الفكري وحب الاستطلاع.
6. استخدام مسائل رياضية مناسبة تثير دافعية المتعلم وتحفزه على التعلم ومتابعة نشاطه ومواصلة خطوات حل المسألة. **(رواشدة وآخرون، 2008)**

العوامل المؤثرة في إنجاح حل المسألة الرياضية:

وضع (Lester) أربعه عوامل رأى أنها تؤثر في الوصول إلى المسألة الرياضية، وهذه العوامل:

1. المسألة نفسها: والمقصود هنا الطريقة التي تقدم بها المسألة وكذلك بناء المسألة من ناحية لغويه أو منطقيه.

2. الطالب أو الفرد الذي يقوم بحل المسألة: وهي شخصيه الفرد الذي يحل المسألة، ويتضمن ذلك المعلومات السابقة لديه، أو ما يسمى الخلفية الرياضية، وكذلك الخبرات السابقة في حل مسائل مختلفة ومتشابه، والقدرة على فهم المقروء وعلى التفكير، وغير ذلك. فالأفراد الجيدون في حل المسائل يبدون استجابات بناءة لفهم غير كاف للمسألة الرياضية، بينما لا يريد أن يتعرف الآخرون بالنقص في معلوماتهم الرياضية السابقة، مما يؤدي بهم إلى استخدام الظن واستراتيجيات غير صحيحة.
3. طريقة حل المسألة: وهذا العامل ذو علاقة وثيقة بالعاملين السابقين، إذ تحدد الطريقة من قبل الفرد أو الطالب بناء على طبيعة المسألة، المسائل المتشابهة التي يعرفها.
4. المناخ الذي تجري فيه عملية حل المسألة: ويتعلق ذلك بالمؤثرات الخارجية مثل: نوعيه التعليمات المعطاة للفرد أثناء حل المسائل، والظروف التي يجب على الفرد أن يعمل من خلالها والوقت الذي يتقيد به أثناء الحل. **(كامل وآخرون،2010)**

الدراسات السابقة

الدراسات العربية:

دراسة علاء الدين سعد (2005). عنوان البحث: فعالية استخدام الأمثلة المضادة في تصويب تصورات الخطأ لبعض المفاهيم والتعميمات لدى الطلبة المعلمين شعبة الرياضيات. ويحاول البحث الإجابة عن السؤال التالي:

ما مدى فاعلية استخدام الأمثلة المضادة في تصويب التصورات الخطأ لبعض المفاهيم والتعميمات لدى الطلبة المعلمين شعبة الرياضيات بكلية التربية بصور بسلطنة عمان؟ **هدف البحث:** التعرف على أثر برنامج تعليمي مقترح قائم على استخدام الأمثلة المضادة في تصويب التصورات الخطأ عن بعض المفاهيم والتعميمات لدى الطلبة المعلمين شعبة الرياضيات.

وتمثلت عينة البحث في: مجموعة من الطلبة المعلمين شعبة الرياضيات بالسنوات الدراسية الثانية والثالثة والرابعة بكلية التربية بصور بسلطنة عمان. واعد الباحث أدوات الدراسة التالية:

إعداد الاختبار التشخيصي بهدف تشخيص التصورات الخطأ الأكثر شيوعاً عند طلبة شعبة الرياضيات بكلية التربية بصور.

وتوصلت الدراسة التجريبية إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- شيوع العديد من التصورات الخطأ لدى الطلبة المعلمين شعبة الرياضيات في المفاهيم والتعميمات الرياضية المدرسية، والشيء الملفت للانتباه أن مدى نسبة الأخطاء لدى طلبة الفرقة الرابعة كان أكبر مدى حيث تراوحت نسبة الأخطاء لديهم بين (30%،4)، (95%،6) لا يعني استمرار التصورات الخطاء لبعض المفاهيم والتعميمات الرياضية موضع الدراسة الحالية لدى بعض الطلبة المعلمين رغم انتقالهم من سنة دراسية إلى أخرى.
- استخدام الإستراتيجية القائمة على الأمثلة المضادة والمتناقضات أدى إلى خفض نسبة التصورات الخطأ إلى الربع تقريبا مما يعني فعالية الإستراتيجية المستخدمة في تصويب التصورات الخطأ للمفاهيم والتعميمات والرياضية الدراسية لدى طلبة كلية التربية شعبة الرياضيات.

دراسة موسى محمد عبد الرحمن جودة. عنوان الدراسة: أثر إثراء بعض المفاهيم الرياضية بالفكر الإسلامي على تحصيل طلبة الصف الخامس الأساسي في مادة الرياضيات واتجاهاتهم نحوها.

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر إثراء بعض المفاهيم الرياضية بالفكر الإسلامي على تحصيل طلبة الصف العاشر الأساسي بغزة في مادة الرياضيات واتجاهاتهم نحوها. وقد نبعت الفكرة من أنني أردت أن تصل المفاهيم الرياضية المجردة للطلبة محمولة على مبادئ الفكر الإسلامي ، والتي تخلو منها مقررات الرياضيات الحالية ، لذلك فقد تم إعداد هذه المادة الإثرائية لسد هذه الفجوة بعد التحليل المفاهيمي لمقررات الرياضيات في مرحلة التعليم الأساسي ، ثم اختيرت عينة الدراسة وعددها (30 طالباً وطالبة) من الصف الخامس الأساسي ، من مدرستين بواقع فصل واحد من كل مدرسة ، وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي حيث تم التعامل مع العينة بنظام المجموعة الواحدة باعتبارها الصف الأعلى الذي سبق له وأن تلقى المفاهيم المختارة في الدراسة بالطريقة التقليدية، وبالتالي لم يكن معنى لوجود المجموعة الضابطة. وقد تم تصميم أدوات الدراسة وهي عبارة عن اختبار تحصيلي ومقياس للاتجاه نحو الرياضيات تم تطبيقها قبلياً على طلبة عينة الدراسة، ثم تطبيق المادة المثراة في كل من وبعد الانتهاء من تطبيق المادة التي تمت إثراؤها، طبقت أدوات الدراسة تطبيقاً بعدياً، ثم جمعت النتائج وحللت لمعرفة أثر تطبيق المادة التي تمت إثراؤها، وقد تم استخدام اختبار (ت) بمستوى الدلالة (a£ 0،05) لاختبار دلالة الفروق، وكذلك حساب قيمة (h^2) لمعرفة حجم التأثير.

وكانت النتائج كما يلي: هناك أثر كبير للمادة الإثرائية على أفراد العينة من الذكور والإناث في تحصيلهم للرياضيات واتجاهاتهم نحوها، وبالنسبة لمتغير النوع الاجتماعي فقد وجد الباحث أن هناك فروقاً في التحصيل البعدي لصالح الذكور، وليس هناك فروق ذات دلالة في الاتجاه نحو الرياضيات

تعزى لمتغير النوع الاجتماعي. هذا وقد خرجت الدراسة بعدة توصيات كان من أهمها: يجب أن يراعي مصممو المناهج المشاعر الإسلامية الكامنة في نفوس الطلبة، ويضعوا نصب أعينهم كنوز الفكر الإسلامي أثناء تصميم المناهج، وكذلك زيادة الاهتمام بالأنشطة الإثرائية في أثناء تدريس مادة الرياضيات وتدريب المعلمين على إعداد المواد الإثرائية حتى يتم تعديل النظرة لمنهاج الرياضيات من منهج تحصيلي إلى منهج إثرائي في تطور مستمر.

دراسة أحمد سالم السميري. عنوان الدراسة: تحديد صعوبات تعلم الرياضيات لتلاميذ الصفوف العليا بالمرحلة الابتدائية واقتراح الاستراتيجيات المناسبة لحلها. هدفت الدراسة إلى تحديد خصائص التلاميذ الذين لديهم صعوبات تعلم الرياضيات في الصفوف العليا من المرحلة الابتدائية، وتحديد أي الصعوبات أكثر ظهوراً لدى تلاميذ هذه الصفوف، ومن ثم تحديد أهم الاستراتيجيات التي تساعد في حل هذه الصعوبات.

وقد استخدم الباحث المنهج التشخيصي العلاجي، وكانت أداة الدراسة عبارة عن استبانتين: إحداهما لتحديد خصائص التلاميذ الذين لديهم صعوبات تعلم الرياضيات، والأخرى لتحديد الاستراتيجيات المناسبة لحل صعوبات تعلم الرياضيات. وطبقتا على عينة من المعلمين والمشرفين وأساتذة الجامعات عددهم (220)، واختبار تشخيصي طبق على (184) تلميذاً للصف الرابع الابتدائي، (170) تلميذاً للصف الخامس الابتدائي، (117) تلميذاً للصف السادس الابتدائي. وتم تحليل بيانات الاستبانة الأولى باستخدام المتوسطات، وتحليل التباين الاحادي، واختبار شافيه (Scheffe)، واختبار توكي (Tukey)؛ واختبار (Lsd) البعدية لتحديد الفروق في أي اتجاه من المتغيرات (المؤهل – الوظيفة)؛ والاستبانة الثانية وتم تحليل نتائجها باستخدام التكرارات واختبار (Chi-Square Tests)، والاختبار التشخيصي لتحديد أكثر الصعوبات استخدم لتحليل نتائجه المتوسطات. وقد توصلت نتائج الدراسة إلى:

- تحديد خصائص التلاميذ في كل صعوبة من صعوبات تعلم الرياضيات من وجهة نظر كل من معلمي ومشرفي ومختصي الرياضيات.
- أكثر الصعوبات ظهوراً عند تلاميذ الصف الخامس والصف السادس هي صعوبات في حل المسائل الرياضية، أما الصف الرابع هي صعوبات لغة الرياضيات.
- – في الصف الرابع كان ترتيب الصعوبات من حيث الأكثر ظهوراً لدى التلاميذ: صعوبات لغة الرياضيات، ثم صعوبات حل المسائل الرياضية، ثم الصعوبات المكانية والبصرية أو صعوبات

الترتيب، ثم صعوبات في التعرف على الرموز ثم صعوبات في إتقان الحقائق الأساسية للأعداد وتعلم المفاهيم والإجراءات الرياضية الأولية.

- في الصف الخامس كان ترتيب الصعوبات من حيث الأكثر ظهوراً لدى التلاميذ: صعوبات حل المسائل الرياضية، ثم صعوبات لغة الرياضيات، ثم صعوبات في التعرف على الرموز، ثم الصعوبات المكانية والبصرية أو صعوبات الترتيب ثم صعوبات في إتقان الحقائق الأساسية للأعداد وتعلم المفاهيم والإجراءات الرياضية الأولية.
- في الصف السادس كان ترتيب الصعوبات من حيث الأكثر ظهوراً لدى التلاميذ: صعوبات حل المسائل الرياضية، ثم الصعوبات المكانية والبصرية أو صعوبات الترتيب، ثم صعوبات لغة الرياضيات، ثم صعوبات في التعرف على الرموز ثم صعوبات في إتقان الحقائق الأساسية للأعداد وتعلم المفاهيم والإجراءات الرياضية الأولية.
- من وجهة نظر المعلمين والمشرفين وأساتذة الجامعات كانت إستراتيجية حل المشكلات أكثر الاستراتيجيات فعالية في حل صعوبات إتقان الحقائق الأساسية للأعداد وتعلم المفاهيم والإجراءات الرياضية الأولية ، وكانت إستراتيجية التعلم التعاوني أكثر الاستراتيجيات فعالية في حل الصعوبات المكانية والبصرية أو صعوبات الترتيب ؛ وكانت إستراتيجية التعلم البنائي أكثر الاستراتيجيات فعالية في حل صعوبات لغة الرياضيات ؛ وكانت إستراتيجية التفكير الإبداعي أكثر الاستراتيجيات فعالية في حل صعوبات التعرف على الرموز، وكانت إستراتيجية الطريقة الاستقرائية أكثر الاستراتيجيات فعالية في حل صعوبات حل المسائل الرياضية ، وكانت إستراتيجية مشاركة الأهل في التعلم من أكثر الاستراتيجيات فعالية في حل صعوبات قلق الرياضيات .

منهج الدراسة:

اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي نظرا لملاءمته طبيعتها حيث يتم في هذا المنهج جمع البيانات وإجراء التحليل الإحصائي لاستخراج النتائج المطلوبة.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من معلمي المباحث العلمية للمرحلة الأساسية (1-4) في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية في العام الدراسي 2012/2011.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة مكونة من (130) معلمي المباحث العلمية للصفوف الأساسية (4-1) في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية خلال الفصل الأول من العام الدراسي (2020/2019م). وتم اختيارهم بطريقة عشوائية على مستوى (النوع الاجتماعي، الامتحانات النهائية للمادة، أسلوب التدريس، المنهاج الدراسي المؤهل العلمي للمعلم عدد الدورات التدريبية) والجداول (1)، (2)، (3)، (4)، (5) تبين توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغيراتها المستقلة.

جدول رقم (1): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	61	%47
أنثى	69	%53
المجموع	**130**	**%100**

جدول رقم (2): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي

مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي	التكرار	النسبة المئوية
وزارية	74	%57
مدرسية	56	%43
المجموع	**130**	**%100**

جدول رقم (3): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير أسلوب التدريس

أسلوب التدريس	التكرار	النسبة المئوية
أسلوب ذاتي	75	%58
باستخدام دليل المعلم	55	%42
المجموع	**130**	**%100**

جدول رقم (4): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي للمعلم

المؤهل العلمي للمعلم	التكرار	الدرجة المئوية
بكالوريوس وأقل	76	%58
ماجستير فأعلى	54	%42
المجموع	**130**	**%100**

جدول رقم (5): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير عدد الدورات التدريبية للمعلم

عدد الدورات التدريبية للمعلم	التكرار	النسبة المئوية
أقل من (3) دورات	23	%18
من (3- 5) دورات	85	%65
أكثر من (5) دورات	22	%17
المجموع	**130**	**%100**

أداة الدراسة:

اعتماداً على أدبيات البحث والدراسات السابقة واستشارة الخبراء تم بناء استبانه لجمع البيانات من عينة الدراسة اشتملت على (20) فقرة موزعة إلى أربعة أبعاد كما في الجدول رقم (6)

جدول رقم (6): فقرات الاستبانة تبعا لمجالات الدراسة

#	البعد	عدد الفقرات	الفقرات
1	مجال أسلوب التعلم	5	05-01
2	مجال المنهاج التعليمي	5	10-06
3	مجال المعلم	5	15-11
4	مجال الطالب	5	20-16

تقنين أداة الدراسة:

صدق الأداة:

تم عرض أداة الدراسة على مجموعة من الأكاديميين الجامعيين والمشرفين التربويين وأوصوا بصلاحيتها بعد إجراء تعديلات أشار إليها، وقد تم إجراء تلك التعديلات وإخراج الاستبانة بصورتها النهائية.

ثبات الأداة

للتحقق من ثبات الأداة استخدمت معادلة كرونباخ ألفا لاستخراج الثبات فبلغت نسبته الكلية على فقرات الاستبانة (0.92) وهي نسبة ثبات تؤكد إمكانية استخدام الأداة.

المعالجة الإحصائية:

بعد جمع البيانات تم إدخال بياناتها للحاسب لتعالج بواسطة البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وقد استخدمت النسب المئوية والمتوسطات الحسابية الموزونة واختبار (ت) وتحليل التباين الأحادي.

نتائج الدراسة

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي نصه:

ما صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الرياضية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية؟

من أجل الإجابة عن هذا السؤال، استخدمت المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لكل فقرة من فقرات كل مجال من مجالات الاستبانة.

وقد أعطي للفقرات ذات المضمون الإيجابي (5) درجات عن كل إجابة (موافق بشدة)، و(4) درجات عن كل إجابة (موافق)، و(3) درجات عن كل إجابة (محايد)، ودرجتان عن كل إجابة (معارض)، ودرجة واحدة عن كل إجابة (معارض بشدة)، ومن أجل تفسير النتائج أعتمد الميزان الآتي للنسب المئوية للاستجابات:

جدول رقم (7): ميزان النسب المئوية للاستجابات

النسبة المئوية	درجة الاستجابات
أقل من 50%	منخفضة جداً
من 50%-59%	منخفضة
من 60% - 69%	متوسطة
من 70% - 79%	مرتفعة
من 80% فما فوق	مرتفعة جداً

وتبين الجداول (8)، (9)، (10)، (11) النتائج، ويبين الجدول (12) خلاصة النتائج.

1) النتائج المتعلقة بالبعد الأول (مجال أسلوب التدريس)

جدول رقم (8): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الأول

#	فقرات مجال أسلوب التدريس	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
1	أتدرج في عرض المادة من السهل إلى الصعب.	4.80	%96	مرتفعة جداً
2	أحاول مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة في عرض المبادئ والمفاهيم.	4.43	%89	مرتفعة جداً
3	أراعي الخبرات السابقة للطلبة أثناء عرض المبادئ والمفاهيم.	4.20	%84	مرتفعة جداً
4	أقوم بتوفير فرص للطالب لتوظيف المبادئ والمفاهيم في حل المسائل.	4.37	%87	مرتفعة جداً
5	ألجأ إلى توضيح مبادئ ومفاهيم أساسية في بداية العام الدراسي.	4.53	%91	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	**4.47**	**%89**	**مرتفعة جداً**

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (8) السابق أن استجابات معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية كانت مرتفعة جداً على جميع الفقرات (5-1) حيث كان مستوى الاستجابة عليها أكثر من (80%) وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة جدا بدلالة النسبة المئوية (89%).

2) النتائج المتعلقة بالبعد الثاني (مجال المقرر الدراسي)

جدول رقم (9): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الثاني

#	فقرات مجال المقرر الدراسي	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
6	يناسب المقرر الدراسي مستوى الطالب من حيث الصف والمرحلة التي أعد لها	2.57	%51	منخفضة
7	يتضمن المقرر الدراسي كثافة في المبادئ والمفاهيم.	4.27	%85	مرتفعة جداً
8	يتم تبسيط المقرر الدراسي وفهمه بواسطة المبادئ والمفاهيم.	3.90	%78	مرتفعة
9	يركز المقرر الدراسي على أساسيات المعرفة الرياضية.	4.37	%87	مرتفعة جداً
10	تعمل المبادئ والمفاهيم على تركيز الطالب على الفهم وليست الحفظ للمقرر الدراسي.	4.67	%93	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	**3.95**	**%79**	**مرتفعة**

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (9) السابق أن استجابات معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات استخدام المفاهيم و المبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (1-4) في حل المسائل الرياضية كانت مرتفعة جداً على الفقرة (7، 9، 10) حيث كان مستوى الاستجابة عليها أكثر من (80%) وكانت مرتفعة على الفقرات (8) حيث كانت نسبتها المئوية بين (70%- 79%) وكانت منخفضة على الفقرة (6) حيث كانت نسبتها المئوية بين (50%- 59%) وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة بدلالة النسبة المئوية (79%).

3) النتائج المتعلقة بالبعد الثالث (مجال المعلم)

جدول رقم (10): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الثالث

#	فقرات مجال المعلم	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
11	أعتمد على الأمثلة المحلولة دون الاجتهاد على حل مسائل جديدة.	1.67	%33	منخفضة جداً
12	أتبع طرق تجذب الطالب لفهم المبادئ المفاهيم.	4.57	%91	مرتفعة جداً
13	أسلوب عرض المبدأ والمفهوم يتناسب مع طبيعة المسألة الرياضية.	4.43	%89	مرتفعة جداً
14	أقوم بعرض المبدأ والمفهوم بطريقة جمالية جذابة.	4.50	%90	مرتفعة جداً
15	اللغة التي تتناولها المبادئ والمفاهيم سهلة وواضحة للطالب.	4.57	%91	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	**3.95**	**%79**	**مرتفعة**

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (10) السابق أن استجابات معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية كانت مرتفعة جداً على الفقرة (12، 13، 14، 15) حيث كان مستوى الاستجابة عليها أكثر من (80%) وكانت منخفضة جداً على الفقرة (11) حيث كانت نسبتها أقل من (50%) وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة بدلالة النسبة المئوية (79%).

4) النتائج المتعلقة بالبعد الرابع (مجال الطالب)

جدول رقم (11): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الرابع

#	فقرات مجال الطالب	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
16	أوفر فرصة للطالب لتطبيق ما تعلمه من مبادئ ومفاهيم رياضية في المسائل الرياضية.	4.47	%89	مرتفعة جداً
17	أحاول استخدام خامات البيئة لتوصيل المبادئ والمفاهيم لدى الطلبة.	4.20	%84	مرتفعة جداً
18	أصيغ المسألة بلغة الطالب لتساعده في حل المسألة الرياضية.	4.30	%86	مرتفعة جداً
19	أنمي أنماط التفكير لدى الطلبة لتساعدهم في حل المسألة الرياضية.	4.60	%92	مرتفعة جداً
20	أحلل المسألة للطالب وأعرفه بالمعطيات والمطلوب لتساعده في حل المسألة.	4.53	%91	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	**4.42**	**%88**	**مرتفعة جداً**

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (11) السابق أن استجابات معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية كانت مرتفعة جداً على جميع فقرات البعد (16-20) حيث كان مستوى الاستجابة عليها أكثر من (80%) وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة جداً بدلالة النسبة المئوية (88%).

5) خلاصة النتائج وترتيب الأبعاد والدرجة الكلية للاستجابات:

جدول رقم (12): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للأبعاد والدرجة الكلية للاستجابات

#	البعد	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
1	مجال أسلوب التدريس	4.47	%89	مرتفعة جداً
2	مجال المقرر الدراسي	3.95	%79	مرتفعة
3	مجال المعلم	3.95	%79	مرتفعة
4	مجال الطالب	4.42	%88	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	**4.20**	**%84**	**مرتفعة جداً**

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (13) السابق أن استجابات معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات استخدام المفاهيم والمبادئ الحسابية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية كانت مرتفعة جداً على الابعاد (1، 4) حيث كان مستوى الاستجابة عليها أكثر من (80%) وكانت مرتفعة على الابعاد (2، 3) حيث كانت نسبتها المئوية بين (70%- 79%) وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة جداً بدلالة النسبة المئوية (84%).

ثانيا: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني الذي نصه:

ما دور كل من المتغيرات (النوع الاجتماعي، مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي، أسلوب التدريس، المؤهل العلمي للمعلم، عدد الدورات التدريبية للمعلم) في استجابة المعلمين نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم الرياضية لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية من وجهة نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية؟

وتتعلق بهذا السؤال فرضيات الدراسة، والجداول (13، 14، 15، 16، 17) يبين نتائج فحصها.

نتائج فحص الفرضية الأولى التي نصها:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير النوع الاجتماعي.

لفحص الفرضية تم استخدام اختبار (t) والجدول رقم (14) يبين النتائج:

جدول رقم (13): نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي

#	البعد	ذكر		انثى		(ت)	الدلالة *
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
1	مجال أسلوب التدريس	4.4267	.18310	4.5067	.21202	-1.106	.278
2	مجال المقرر الدراسي	3.8533	.21996	4.0400	.39424	-1.601	.121
3	مجال المعلم	3.8533	.21996	4.0400	.39424	-1.601	.121
4	مجال الطالب	4.4133	.23258	4.4267	.26040	-.148	.883
	الدرجة الكلية	**4.1367**	**.15637**	**4.2533**	**.22478**	**-1.650**	**.110**

*دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (13) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤0.05) في متوسطات إجابات عينة أفراد الدراسة بالنسبة لصعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (1-4) تعزى لمتغير النوع الاجتماعي على جميع الأبعاد وعلى الدرجة الكلية حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا نقبل الفرضية الصفرية.

نتائج فحص الفرضية الثانية التي نصها:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤0.05) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (1-4) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي.

لفحص الفرضية تم استخدام اختبار (t) والجدول رقم (15) يبين النتائج:

جدول رقم (14): نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي

#	البعد	وزارية		مدرسية		(ت)	الدلالة *
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
1	مجال أسلوب التدريس	4.4917	.18631	4.3667	1.400	.173	.278
2	مجال المقرر الدراسي	3.9583	.34379	3.9000	.384	.704	.121
3	مجال المعلم	3.9583	.34379	3.9000	.384	.704	.121
4	مجال الطالب	4.4500	.23774	4.3000	1.375	.180	.883
	الدرجة الكلية	**4.2146**	**.19698**	**4.1167**	**1.080**	**.290**	**.110**

*دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (14) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات إجابات عينة أفراد الدراسة بالنسبة لصعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (1-4) تعزى لمتغير مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي على جميع الأبعاد وعلى الدرجة الكلية حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا نقبل الفرضية الصفرية.

نتائج فحص الفرضية الثالثة التي نصها:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤0.05) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير أسلوب التدريس.

لفحص الفرضية تم استخدام اختبار (t) والجدول رقم (16) يبين النتائج:

جدول رقم (15): نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير أسلوب التدريس

	البعد	ذاتي		باستخدام دليل المعلم		(ت)	الدلالة*
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
1	مجال أسلوب التدريس	4.4560	.20429	4.5200	.17889	-.650	.521
2	مجال المقرر الدراسي	3.9520	.34293	3.9200	.26833	.196	.846
3	مجال المعلم	3.9520	.34293	3.9200	.26833	.196	.846
4	مجال الطالب	4.4240	.25377	4.4000	.20000	.198	.844
	الدرجة الكلية	**4.1960**	**.21258**	**4.1900**	**.12942**	**.060**	**.952**

*دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (15) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤0.05) في متوسطات إجابات عينة أفراد الدراسة بالنسبة لصعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) تعزى لمتغير أسلوب التدريس على جميع الأبعاد وعلى الدرجة الكلية حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا نقبل الفرضية الصفرية.

نتائج فحص الفرضية الرابعة التي نصها:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير المؤهل العلمي للمعلم.

لفحص الفرضية تم استخدام اختبار (t) والجدول رقم (17) يبين النتائج:

جدول رقم (16): نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير المؤهل العلمي للمعلم

#	البعد	بكالوريوس وأقل		ماجستير		(ت)	الدلالة *
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
1	مجال أسلوب التدريس	4.4615	.20991	4.5000	.11547	-.355	.725
2	مجال المقرر الدراسي	3.9385	.33832	4.0000	.28284	-.344	.733
3	مجال المعلم	3.9385	.33832	4.0000	.28284	-.344	.733
4	مجال الطالب	4.4231	.24869	4.4000	.23094	.174	.863
	الدرجة الكلية	**4.1904**	**.20834**	**4.2250**	**.14434**	**-.318**	**.753**

*دال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (16) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات إجابات عينة أفراد الدراسة بالنسبة لصعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (4-1) تعزى لمتغير المؤهل العلمي للمعلم على جميع الأبعاد وعلى الدرجة الكلية حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا نقبل الفرضية الصفرية.

نتائج فحص الفرضية الخامسة التي نصها:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤0.05) في وجهات نظر معلمي المباحث العلمية في المدارس الأساسية الحكومية الفلسطينية نحو صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (1-4) في حل المسائل الرياضية تعزى لمتغير عدد الدورات التدريبية للمعلم.

لفحص الفرضية استخدم تحليل التباين الأحادي (ANOVA) والجدول (18) يبين النتائج

الجدول (17): نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في متوسطات صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم لدى طلبة المرحلة الأساسية (1-4) والتي تعزى لمتغير عدد الدورات التدريبية للمعلم

البعد	مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة*
1	بين المجموعات	.027	2	.013	.321	.728
	داخل المجموعات	1.120	27	.041		
	المجموع	**1.147**	**29**			
2	بين المجموعات	.048	2	.024	.211	.811
	داخل المجموعات	3.067	27	.114		
	المجموع	**3.115**	**29**			
3	بين المجموعات	.048	2	.024	.211	.811
	داخل المجموعات	3.067	27	.114		
	المجموع	**3.115**	**29**			
4	بين المجموعات	.036	2	.018	.288	.752
	داخل المجموعات	1.672	27	.062		
	المجموع	**1.708**	**29**			
الدرجة الكلية	**بين المجموعات**	**.019**	**2**	**.009**	**.225**	**.800**
	داخل المجموعات	**1.133**	**27**	**.042**		
	المجموع	**1.152**	**29**			

*دال إحصائيا عند مستوى (0.05)ANOVA

يتبين من الجدول رقم (17) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α≤0.05) في متوسطات إجابات عينة أفراد الدراسة بالنسبة لصعوبات صعوبات تعلم المبادئ والمفاهيم

لدى طلبة المرحلة الأساسية (1–4) تعزى لمتغير عدد الدورات التدريبية للمعلم على جميع الأبعاد وعلى الدرجة الكلية حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا نقبل الفرضية الصفرية.

مناقشة النتائج:

- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المفروضة تبعاً للمتغيرات (النوع الاجتماعي، مستوى الامتحانات النهائية للمقرر الدراسي، أسلوب التدريس، المؤهل العلمي للمعلم، عدد الدورات التدريبية للمعلم).
- مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة في عرض المبادئ والمفاهيم.
- صياغة المسألة بلغة الطالب لتساعده في حل المسائل الرياضية.
- العمل على فهم الطالب للمبادئ والمفاهيم وليست الحفظ للمقرر الدراسي.
- تحليل المسألة للطالب وتعريفه بالمعطيات المطلوبة لتساعده في حل المسألة.

التوصيات:

في ضوء الإجابات التي حصل عليها الباحث من المعلمين، الذين أجابوا على فقرات الاستبانة، فإن الباحث يوصي بالآتي:

- حل مشكلة الاكتظاظ في الصفوف الدراسية بما يساعد على تعزيز إمكانية الاستفادة من شرح المعلم في وقت الحصة بشكل أفضل.
- إجراء دراسة حول صعوبة فهم الطلبة للمبادئ والمفاهيم والعمل على الحد من هذه الصعوبات.
- تفعيل عناصر الإثارة والتشويق المستخدمة في الحصص الدراسية والواردة في الكتب المدرسية وذلك عن طريق إدخال برامج توضيحية في هذه الكتب والمقررات.
- تجهيز الغرف الصفية بالوسائل اللازمة لاستخدام الافلام التعليمية والشرائح وغيرها وذلك من أجل تشجيع الطلبة وتوضيح المواد، إضافة لفهم المفاهيم والمبادئ الرياضية بشكل أفضل.
- وضع الخطط المناسبة التي تساعد المشرفين ومدراء المدارس والمعلمين على تبسيط المواد للطلبة لسهولة فهم المفاهيم والمبادئ.
- حث الجامعات على تطوير اساليب التدريس لديها بما يساعد على سهولة استيعاب المواد الدراسية من خلال إعداد المعلمين بشكل جيد.
- توفير الموارد المادية الكافية ليتسنى تطوير المناهج التعليمية واستخدامها.
- استخدام التقنية الحديثة والتكنولوجيا في توضيح بعض المبادئ والمفاهيم الرياضية.

المصادر والمراجع:

مراجع اللغة العربية

- أبو أسعد، صلاح عبد اللطيف، (2010م)، **أساليب تدريس الرياضيات**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين.
- أبو زينة، فريد كامل، (1997م)، **تدريس الرياضيات للمبتدئين**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- جامعة القدس المفتوحة، (2010م)، **أساليب تدريس الرياضيات**، برنامج التعليم المفتوح، رام الله، فلسطين.
- جامعة القدس المفتوحة، (2008م)، **المنهاج التربوي الجزء الثاني**، برنامج التعليم المفتوح، رام الله، فلسطين.
- جامعة القدس المفتوحة، (2008م)، **طرائق التدريس والتدريب العامة**، برنامج التعليم المفتوح، رام الله، فلسطين.
- جامعة القدس المفتوحة، (2007م)، **المنهاج التربوي الجزء الأول**، برنامج التعليم المفتوح، رام الله، فلسطين.
- حبايب، علي حسين، (1991م)، **واقع التعليم الفلسطيني في المرحلة الأساسية (1987 -1991)**، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، فلسطين
- الخطايبة، ماجد، (2001م)، **رؤى مستقبلية في بناء المنهج المدرسي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين.
- الصوص، عماد محمد حسن، (1996م)، رسالة ماجستير، **تقويم كتاب الرياضيات**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- طربية، عصام محمد (2007م)، **صعوبات التعليم**، دار حمورابي، ودار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- طعيمة، رشدي أحمد، (2008م)، **المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة**، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، فلسطين.
- عبد الهادي، نبيل، (2000م)، **بطء التعليم وصعوباته**، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
- عبيد، ماجدة السيد (2009م)، **صعوبات التعليم وكيفية التعامل معها**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عقلان، إبراهيم محمد، (2000م)، **مناهج الرياضيات وأساليب تدريسها**، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
- اللولو، فتحية صبحي (2004م). **تقويم محتوى مناهج العلوم الفلسطينية للمرحلة العليا من التعليم الأساسي في ضوء المستحدثات العلمية المعاصرة**، مؤتمر التربوي الأول "التربية في فلسطين وتغيرات العصر"،23-11/24، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

- وزارة التربية والتعليم العالي (2018م). **ملخص عام لإحصاءات مؤسسات التعليم العام الفلسطينية للعام الدراسي (2018/2017م)**، رام الله، فلسطين.

- وزارة التربية والتعليم العالي (2017م). **نظام التعليم العام الفلسطيني**، رام الله، فلسطين.

معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر التدريسيين.

صاحب أسعد ويس الشمري ـ جامعة سامراء ـ العراق.

الملخص:

تم إجراء البحث في العراق وهدف إلى التعرف على معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر التدريسيين في جامعة سامراء، تألفت عينة البحث الحالي من (93) تدريسياً وتدريسيةً، شكلت نسبة (54%) من المجتمع الكلي للبحث، طَبَقَ الباحث عليهم استبانة قام بإعدادها واستخراج صدقها وثباتها، استخدم البحث من الوسائل الإحصائية : مربع كاي، معامل إرتباط بيرسون، التكرارات، والمتوسطات الحسابية، وتوصل البحث إلى أن المعوقات المادية كانت بالترتيب الأول من وجهة نظر التدريسيين، في حين جاءت المعوقات الإدارية بالترتيب الثاني، وحلت المعوقات العلمية بالترتيب الثالث، وأخيراً فقد جاءت المعوقات الذاتية (المتعلقة بالباحث) بالترتيب الرابع.

وفي ضوء النتائج التي تم التوصل إليها قام الباحث بتقديم مجموعة من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، معوقات إجراء البحوث، التعليم العالي.

Abstract :

The research was conducted in Iraq and seeks to identify the obstacles to conducting research in higher education from the teaching staff point of view at the University of Samarra, The current research sample consisted of 93 teaching staff, 54% of the total society formed to research, the researcher applied a questionnaire . He prepared and extracted the validity and reliability, the search used of statistical methods: Chi-square, Pearson correlation coefficient, duplicates, and averages , Find recommends that physical barriers were the first order from the point of view of the teaching staff, while administrative obstacles came second while scientific obstacles at third order and finally self-obstacles (on the searcher) came fourth in the order .In light of the results that have been reached , the researcher submitted a set of recommendations.

Key words: Obstacles to conducting research, Higher Education

مقدمة البحث وأهميته:

كلمة (البحث) تعني في اللغة الطلب والتفتيش وتقصي حقيقة أمر من الأمور، كما يعني الإحاطة والإلمام بالحقائق وكل ما يتصل بها، (**الأسدي، 2008، ص 2**)، أما البحث العلمي فهو التفحص الناقد والتجريبي والمنضبط والمنظم لفرضيات تتعلق بالعلاقة بين الظواهر الطبيعية، (**داود وعبد الرحمن،**

1990، ص 19) وهو الاستقصاء الذي يتميز بالتنظيم الدقيق لمحاولة التوصل إلى معلومات أو معارف أو علاقات جديدة والتحقق من هذه المعلومات والمعارف الموجودة وتطويرها باستخدام طرائق أو مناهج موثوق في مصداقيتها (**ابراهيم، 2000، ص 15**).

ويشير (**عبيدات وآخرون 1999**) إلى وجود **نوعين للبحث العلمي** هما:

1. البحوث التطبيقية (**Applied Research**)

ويهدف هذا النوع من البحوث إلى معالجة مشكلات قائمة لدى المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، حيث يقوم الباحثون المعنيون بتحديد واضح للمشكلات التي تعاني منها تلك المؤسسات مع التأكد من صحة أو دقة مسبباتها ميدانياً، وذلك من خلال استخدام أو إتباع منهجية علمية ذات خطوات بحثية متدرجة وصولاً لمجموعة من الأسباب الفعلية نسبياً التي أدت إلى حدوث هذه المشكلات أو الظواهر، مع اقتراح مجموعة من التوصيات العلمية التي يمكن أن تسهم في التخفيف من حدة هذه المشكلات أو معالجتها نهائياً.

2. البحوث النظرية (**Theoretical Research**)

لا يرتبط هذا النوع من البحوث بمشكلات آنية بحد ذاتها، إذ إن الهدف الأساسي والمباشر لها إنما يكون لتطوير المعارف الأساسية المتاحة في مختلف حقول العلم والمعرفة الإنسانية، كما يطلق عليها أيضاً البحوث الأساسية (Basic Research) أو البحوث المجردة (Pure Research) والتي تهدف بغض النظر عن مسماها إلى إضافات معرفية وعلمية لدعم حياة المجتمعات الإنسانية، وذلك من خلال وضع تصورات للبناءات النظرية للظواهر الاجتماعية والإنسانية ذات العلاقة المباشرة بالنماذج المثالية أو ما يجب أن تكون عليه المفاهيم من حيث اعتمادها على معايير قابلة للقياس العلمي (**عبيدات وآخرون، 1999، ص 6 – 7**).

ويذكر (**شحاته 2001**) إن البحث الأساسي يتطلب روحاً ابتكارية، وجسارة ذهنية وتفتحاً وتحمساً كبيراً وتفانياً وفيضاً مستمراً من الباحثين، ويشكل البحث التطبيقي في الدول النامية أهمية كبيرة ذلك أن نفعه ظاهر، ونتائجه أسرع، وهو قبل ذلك كله مطلب اجتماعي لدفع حركة التنمية وتطوير الانتاج، وإن نجاح البحث العلمي وفاعليته في تحقيق التقدم يتوقف إلى حد كبير على التفاعل الوثيق بين كلا النوعين (البحث الأساسي والبحث التطبيقي) حيث يفتح البحث الأساسي آفاقاً جديدة، أمام البحث التطبيقي، في الوقت الذي يوفر فيه البحث التطبيقي فرصاً جديدة للبحث الأساسي (**شحاته، 2001، ص 60**).

بينما يذكر (**الشريف 1996**) **تصنيفات مختلفة للبحث العلمي** منها:

1. من حيث ميدان البحث تصنف إلى: بحوث تربوية، تاريخية، أدبية، علمية، اجتماعية، فلسفية وغيرها.
2. من حيث منهج البحث، وتصنف إلى: وصفية، تاريخية، تجريبية،تنبؤية، مسحية وغيرها.
3. من حيث المكان، وتصنف إلى: معملية، وميدانية.
4. من حيث طبيعة البيانات، وتصنف إلى: كمية، وكيفية (نوعية).
5. من حيث صيغ التفكير، وتصنف إلى : استنتاجية، واستقرائية.
6. من حيث المدخل للبحث العلمي، وتصنف إلى: بحوث ذات مدخل واحد، وبحوث ذات مداخل متعددة.
7. من حيث القائمين بالبحث، وتصنف إلى: بحوث فردية، وبحوث جماعية.
8. من حيث مستوى البحوث، وتصنف إلى:

أ . بحوث أكاديمية: في مستوى الدراسات الجامعية وفي مستوى الدراسات العليا لنيل درجة الماجستير والدكتوراه.

ب . بحوث أكاديمية متخصصة.

ج . بحوث متخصصة غير دراسية تقدم للمؤتمرات العلمية والهيئات المتخصصة (**الشريف، 1996، ص 16 – 17**).

كما أن هناك **شرطان أساسيان للبحث العلمي** هما:

1. الأصالة: ويقصد بذلك السلوك العلمي في كل طرق البحث ووسائله ومنهجه لتحقيق الهدف منه، وذلك في ذكاء، ونظام، ومنطق، وأمانة علمية.
2. الابتكار: وذلك بعمل إضافة جديدة، أو بالكشف عن شيء جديد، لم يأت به أحد من السابقين، ويعني ذلك القراءة الواسعة لما كتبه السابقون والمعاصرون في الموضوع.

فإذا اجتمع بالبحث هذين الشرطين، كان بحثاً على غاية الأهمية، وإذا توفر عنصر واحد كان على درجة ما من الجودة، وإذا خلا البحث من الأمرين كان بحثاً رديئاً (**مبارك، 1992، ص 25**).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك مجموعتان من **الدوافع التي تحرك البحث العلمي** هي:

1. الدوافع الذاتية: ومنها: حب المعرفة، الحضير لدرجة علمية، الحصول على جائزة، الحصول على ترقية، الوفاء بمطالب الوظيفة، الرغبة في تحقيق فكرة، عدم الرضا برأي معين، حب الشهرة والظهور، والاهتمام الشخصي بموضوع معين .
2. الدوافع الموضوعية: ومنها:وجود مشكلات اقتصادية أو سياسية أو علمية أو صحية أو غيرها، ظهور حاجات جديدة،الرغبة في إيجاد بدائل للمواد الطبيعية النادرة أو التي يتناقص وجودها، الرغبة في تحسين

الانتاج، الرغبة في زيادة الدخل القومي، الرغبة في تفسير بعض الظواهر، الرغبة في التنبؤ،الرغبة في السيطرة على القوى الطبيعية، والرغبة في تطبيق بعض النظريات (**إبراهيم، 2000، ص 20 – 24**).

وبنظرة فاحصة إلى بلداننا العربية نجد أن واقع البحث العلمي في البلدان العربية بحاجة ماسة إلى مراجعة شاملة لمنظومة المعلومة التقنية والمدخلات والمخرجات والعمليات والمؤسسات والبيئة المحيطة، إذ تكاد معظم الأدبيات تجمع في تحليلها لهذا الواقع على مجموعة من الأمور منها: انخفاض عدد الباحثين بالمقارنة مع البلدان المتقدمة ومع المتوسط العالمي، ضعف البنية المؤسسية العلمية، نقص مردودية الباحثين العرب، هجرة الأدمغة العربية إلى الدول المتقدمة، وغياب استراتيجية شاملة لمعالجة هذه المشكلات ووضع تصورات واقعية لمجابهة هذه المعوقات الكبيرة (**ياقوت، 2007 ، ص 50 – 51**).

فإذا ذكرنا ما يتعلق بعدد الباحثين تشير الإحصاءات إن عدد الباحثين في البلدان العربية بلغ عام 1996 (19.100) باحث فقط، في حين يضم المركز القومي للبحث العلمي في فرنسا بمفردها (31.000)، وتشير إحصاءات اليونسكو إن عدد الباحثين لكل مليون نسمة في العالم العربي كان في عام 1990 (363)، في حين بلغ (3.359) في أمريكا الشمالية و (2.206) في أوربا للسنة ذاتها (المجيدل وشماس، 2005، ص17 – 59) كم أن العدد الأكبر من العلماء والمهندسين والأخصائيين تعمل في الدول المتقدمة حيث تبلغ نسبتهم (93%) مقابل (7%) تعمل في الدول النامية (**التميمي والسامرائي، 2012، ص17**).

أما في يتعلق بالإنفاق فنذكر إن ما صرف على البحث والتطوير في الدول العالمية يفوق بكثير جداً ما صرف في البلاد العربية، إذ وصلت ميزانيات البحث العلمي في الدول المتقدمة إلى ما يقرب من (3%) في حين لم يتجاوز في البلدان العربية (ومنها العراق) نسبة (0.37%)، حيث كان المبلغ المخصص للبحث العلمي في سبع دول عربية مجتمعة هي: العراق، مصر، الأردن، المغرب، سورية، السعودية، والإمارات عام 1992 هو (325) مليون دولار، في حين كان نصيب جامعتين في نفس العام في " إسرائيل " هو (330) مليون دولار من ضمن مبلغ (650) مليون دولار رصدت لغرض البحث العلمي هناك (**كنعان، 1999، ص59 – 103**).

وتشير (محسن 2011) أن هناك تدني وضعف في مستوى البحث العلمي، وضعف القدرة على الابتكار والإبداع والتجديد، وهو (كما ترى) يعد مظهر من مظاهر الخلل والقصور، وناتج عن وضع السياسات القاصرة، وضعف في الخطط والاستراتيجيات للنهوض بواقع البحث العلمي وتطويره، فضلاً عن قلة التخصيصات المالية ورصدها، وقلة الحوافز والدوافع والابتكار (**محسن، 2011، ص257 – 283**)،

ومن منطلق أن التشخيص جزء أساسي في أي محاولة للمعالجة، وأي تدخل للإصلاح، فإن مشكلة البحث الحالي تتحدد في الكشف عن المعوقات التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي .

وللبحث العلمي أهمية بالغة لا تخفى على أحد، فهو الوسيلة الأساسية في التقدم العلمي، والتكنولوجي، والاقتصادي، والاجتماعي، ولا تنمو الأمم ولا تتقدم إلا بالتطور العلمي الذي يكون أساساً للتطور في كافة مناحي الحياة، والبحث العلمي هو الأساس للتطور العلمي،وللبحث العلمي أهمية كبيرة في تصحيح معلوماتنا عن الأمور التي يتناولها البحث فهو يصحح معلوماتنا عن الكون الذي نعيش فيه وعن الظواهر وكيفية حدوثها، كما يفيدنا في التخطيط للتغلب على الصعوبات التي قد نواجهها إما نتيجة عوامل بيئية أو طبيعية، وكذلك التنقيب عن الحقائق التي يستفيد منها الإنسان في التغلب على مشكلاته، ومعوقات تقدمه في مجالات الحياة كافة (**إبراهيم، 2000، ص 19**)، وقد أدركت الدول المتقدمة أهمية البحث العلمي فأنشأت وزارات ومؤسسات للبحث العلمي، وأولت عناية خاصة لتطوير التربية والتعليم بأسلوب علمي يقوم على البحث العلمي، كما يعد نشاط البحث دعامة أساسية ملازمة لأي تطور تقني في أي مجتمع، ويعد مستوى الاهتمام بالبحث والتطوير أحد المؤشرات الرئيسة لطبيعة التطورالذي يشهده ذلك المجتمع (**الجرجاوي وحماد، 2005، ص 12**).

ويشير (**إبراهيم 2011**) إلى أن للبحث العلمي لعضو هيئة التدريس أهمية كبيرة في التعليم ومن ثم في المجتمع ككل، إذ من خلال البحث العلمي ينمو المستوى العلمي والمعرفي لعضو هيئة التدريس، وهذا ينعكس بشكل إيجابي على كمية ونوعية المعلومات التي يزود بها الطلبة (**إبراهيم، 2011، ص 193 – 220**)، ومن ثم نقل الطلبة للمعلومات إلى نواحي حياتهم المختلفة، والتأثير في المجتمع.

في ضوء كل ما ذكر،هدف البحث الحالي إلى:

1. الكشف عن المعوقات التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر الأساتذة الجامعيين في جامعة سامراء.
2. التعرف على ترتيب المجالات في تأثيرها على البحث العلمي من وجهة نظر عينة البحث.
3. التعرف على ترتيب المعوقات الذاتية (المتعلقة بالباحث) التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي.
4. التعرف على ترتيب المعوقات المادية التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي .
5. التعرف على ترتيب المعوقات العلمية التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي .
6. التعرف على ترتيب المعوقات الإدارية التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي .

منهج البحث وإجراءاته

أولاً: مجتمع البحث

تألف مجتمع البحث الحالي من (170) تدريسياً وتدريسيةً موزعين على كليات جامعة سامراء (التربية، العلوم الإسلامية، الآثار، العلوم التطبيقية).

ثانياً: عينة البحث

تألفت عينة البحث الحالي من (93) تدريسياً وتدريسيةً، تشكل نسبة (54%) من المجتمع الكلي للبحث، موزعين على كليات جامعة سامراء (التربية، العلوم الإسلامية، الآثار، العلوم التطبيقية).

ثالثاً: أداة البحث

من أجل تحقيق هدف البحث، قام الباحث بإعداد استبانة للكشف عن المعوقات التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

1. تقديم استبانة مفتوحة إلى مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة تضمن سؤالاً حول أبرز المعوقات التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظرهم.
2. جمع الإجابات على الاستبانة المفتوحة.
3. الإطلاع على الأدبيات وبعض الدراسات السابقة المتقاربة في الهدف مثل: دراسة (كنعان 1999) ودراسة (الفرا 2001) ودراسة (الأغبري والمشرّف 1427 هـ) ودراسة (الخوالدة ومعاقلة 2008) ودراسة (سكيك وبارود 2011) ودراسة (محسن 2011).
4. إعداد استبانة أولية مكونة من (23) فقرةً، موزعة على أربعة مجالات هي:مجال المعوقات المتعلقة بالجانب العلمي، مجال المعوقات المتعلقة بالجانب الإداري،مجال المعوقات الذاتية (المتعلقة بالباحث)، ومجال المعوقات المادية.
5. عرض الاستبانة بصورتها الأولية على مجموعة من الخبراء والمحكمين*، لبيان مدى صلاحية الاستبانة، وكل فقرة من فقراتها لتحقيق أهداف البحث، وقد أتفق على الخبراء على حذف فقرة من

---

* أسماء السادة الخبراء:

1. أ.د. قصي محمد لطيف — كلية التربية / جامعة تكريت
2. أ.م.د. حازم مجيد أحمد — كلية التربية / جامعة سامراء
3. أ.م. مهدي عبد الحميد حسين — كلية التربية / جامعة سامراء
4. م.رشيد حميد أحمد — كلية التربية / جامعة سامراء

الفقرات، وعلى صلاحية الاستبانة بعد إجراء مجموعة من التغييرات الطفيفة التي عززت الاستبانة بعد أن أخذ بها الباحث، وبهذا تكونت الاستبانة بصورتها النهائية من (22) فقرةً موزعة على أربعة مجالات هي:

أ . مجال المعوقات المتعلقة بالجانب العلمي: وضم (8) فقرات.

ب . مجال المعوقات المتعلقة بالجانب الإداري: وضم (7) فقرات

ج . مجال المعوقات الذاتية (المتعلقة بالباحث): وضم (5) فقرات.

د . مجال المعوقات المتعلقة بالجانب المادي: وضم فقرتان فقط.

. صدق الاستبانة

يقصد بالصدق أن يقيس الاختبار فعلاً القدرة أو السمة أو الاتجاه أو الاستعداد الذي وضع لقياسه، أي يقيس فعلاً ما يقصد أن يقيسه وليس شيئاً آخر (عيسوي، 1999، ص 45)، وكل اختبار يجب أن يتمتع بالصدق حتى يستطيع الباحث أن يستخدمه، وقد تم الحصول على صدق الاستبانة المستخدمة في البحث الحالي من خلال عرضها على مجموعة من الخبراء والمحكمين من ذوي الخبرة في مجال الاختصاص وكما مبين في إجراءات إعداد الأداة.

. ثبات الاستبانة

يقصد بالثبات أن تعطي الأداة نفس النتائج إذا أعيد تطبيقها على نفس الأفراد وفي نفس الظروف (الإمام وآخرون، 1990، ص 145)، ومن أجل الحصول على ثبات الاستبانة قام الباحث باستخدام طريقة إعادة الاختبار حيث قام الباحث بتطبيق الاستبانة على عينة من التدريسيين بلغ عددهم (20) تدريسياً وتدريسيةً، وبعد ثلاثة أسابيع تم إعادة تطبيق الاستبانة على نفس العينة فتبين أن معامل ثبات المقياس هو (0.84).

رابعاً: الوسائل الإحصائية

استخدم الباحث في معالجة البيانات إحصائياً الوسائل الآتية:

1. مربع كاي.
2. معامل إرتباط بيرسون.
3. التكرارات.
4. المتوسطات الحسابية.

عرض النتائج وتفسيرها

بعد جمع البيانات ومعالجتها إحصائياً بالوسائل الإحصائية توصل البحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: كان ترتيب المعوقات التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر العينة كما مبين في جدول (1).

جدول (1) ترتيب المعوقات وفقاً لعينة البحث

التسلسل	الفقرات	المرتبة	المتوسط
4	صعوبة الإجراءات المتعلقة بالإيفادات والسفر لحضور الندوات والمؤتمرات	الأولى	2.60
6	قلة المحفزات المادية والمعنوية للباحثين (خاصةً المتميزين منهم)		
10	قلة الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي	الثانية	2.54
15	قلة الإيفادات إلى البلدان المتقدمة علمياً		
22	قلة التطبيق العملي لنتائج البحوث العلمية	الثالثة	2.51
11	عدم توفّر المناخ اللائق الذي يحفز الباحث على الإبداع	الرابعة	2.48
5	ضعف الاهتمام بأصالة البحث العلمي	الخامسة	2.45
3	السلبية والاتكالية لدى الباحث	السادسة	2.36
17	ضعف التعاون بين المؤسسات العلمية المختلفة فيما يتعلق بالبحث العلمي		
9	تأخر وصول التقنية الخاصة بالبحث العلمي إلى البلد	السابعة	2.33
7	ضعف الموضوعية في تقييم البحوث العلمية	الثامنة	2.27
12	قلة المصادر والمراجع العلمية الحديثة التي يحتاجها الباحث	التاسعة	2.24
20	ضعف امتلاك المهارات الخاصة بالبحث العلمي		
21	ضعف فاعلية الباحثين في التعامل مع التقنية الحديثة		
8	ضعف اهتمام القيادة الإدارية بالبحث العلمي والباحثين	العاشرة	2.18
1	التأخر في نقل المعلومات من الدول المتقدمة علمياً	الحادية عشر	2.15
19	ضعف دور المراكز البحثية		
18	ضعف تنمية النظام التعليمي لروح البحث	الثانية عشر	2.03
16	التأخر في الإجراءات الخاصة بنشر البحوث	الثالثة عشر	2.01

2	إزدحام الجدول اليومي وقلة الوقت المخصص للبحث العلمي	الرابعةعشر	2.00
14	ضعف دافعية الباحث للبحث العلمي	الخامسة عشر	1.96
13	تباين مناهج البحث العلمي واختلافها	السادسة عشر	1.66

ثانياً: كان ترتيب المجالات وفقاً لعينة البحث كما مبين في جدول (2).

جدول (2) ترتيب مجالات الاستبانة

ت	المجال	المتوسط
1	مجال المعوقات المادية	2.57
2	مجال المعوقات الإدارية	2.33
3	مجال المعوقات العلمية	2.18
4	مجال المعوقات الذاتية (المتعلقة بالباحث)	2.15

ثالثاً: كان ترتيب الفقرات للمجال الأول (مجال المعوقات المتعلقة بالجانب المادي) كما مبين في جدول (3).

جدول (3) ترتيب فقرات المجال الأول (المعوقات المتعلقة بالجانب المادي)

التسلسل	الفقرات	المرتبة	المتوسط
6	قلة المحفزات المادية والمعنوية للباحثين (خاصةً المتميزين منهم)	الأولى	2.60
10	قلة الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي	الثانية	2.54

يتبين من الجدول (3) أن فقرة **قلة المحفزات المادية والمعنوية للباحثين (خاصةً المتميزين منهم)**، جاءت بالمرتبة الأولى،وفي هذا إشارة واضحة إلى ضرورة تخصيص الكثير من المحفزات للباحثين، وتأكيد لما تذكره الكثير من النظريات التربوية من أهمية الحوافز في خلق الدافعية، أما المرتبة الثانية فقد حلت فيها فقرة **قلة الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي**، فمن أجل أن يستطيع الباحثون القيام بالبحوث التي من شأنها رفع المستوى العلمي وتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي لابد من أن تتوفر لهم الموارد المالية اللازمة لشراء الأجهزة والمعدات والمستلزمات الخاصة بالبحث، وإذا كانت بعض البحوث قد لا تحتاج إلى أموال كثيرة من أجل تحقيق أهدافها، فهناك الكثير من البحوث تحتاج إلى

ميزانيات ضخمة وموارد مالية كبيرة، ولا ننسى أن نشير أن بلدنا من البلدان الغنية التي من المفترض أن تكون المبالغ المخصصة بالبحث العلمي فيها مبالغ ضخمة.

رابعاً: كان ترتيب الفقرات للمجال الثاني (مجال المعوقات المتعلقة بالجانب الإداري) كما مبين في جدول (4)

جدول (4) ترتيب فقرات المجال الثاني (المعوقات المتعلقة بالجانب الإداري)

التسلسل	الفقرات	المرتبة	المتوسط
4	صعوبة الإجراءات المتعلقة بالإيفادات والسفر لحضور الندوات والمؤتمرات	الأولى	2.60
15	قلة الإيفادات إلى البلدان المتقدمة علمياً	الثانية	2.54
22	قلة التطبيق العملي لنتائج البحوث العلمية	الثالثة	2.51
17	ضعف التعاون بين المؤسسات العلمية المختلفة فيما يتعلق بالبحث العلمي	الرابعة	2.36
8	ضعف اهتمام القيادة الإدارية بالبحث العلمي والباحثين	الخامسة	2.18
19	ضعف دور المراكز البحثية	السادسة	2.15
16	التأخر في الإجراءات الخاصة بنشر البحوث	السابعة	2.01

وبالنظر إلى جدول (4) يتبين أن فقرة **صعوبة الإجراءات المتعلقة بالإيفادات والسفر لحضور الندوات والمؤتمرات**، حلت في المرتبة الأولى، وهنا نشير إلى ضرورة تذليل كافة الصعوبات التي تعيق إيفاد الباحثين وسفرهم لحضور الندوات والمؤتمرات العلمية المهمة، ولا ننسى الإشارة إلى ما تذكره الأدبيات مثل (المشوخي 2002) من أن استمرارية متابعة المؤتمرات والمنتديات العالمية، ومتابعة أحدث التطورات والاكتشافات تعد من مقومات البحث العلمي (المشوخي، 2002، ص 23)، أما فقرة **قلة الإيفادات إلى البلدان المتقدمة علمياً**، فقد جاءت بالمرتبة الثانية، وعلى الرغم من التقدم الحاصل في هذا الجانب إلا أنه ما زال دون مستوى الطموح، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإيفادات التي تخصص للقيادات الإدارية قد لا يكون لها أي أثر في رفع مستوى البحث العلمي أو التقدم العلمي بصورة عامة.

وجاءت بالمرتبة الثالثة فقرة **قلة التطبيق العملي لنتائج البحوث العلمية**، وهذا المعوّق من المعوقات الكبيرة التي تواجه البحث العلمي، فإذا كان البحث بعد كل الجهد المبذول فيه يلقى على الرّف،

فإن ذلك يضعف من دافعية الباحث نحو البحث مما يعيق تقدمه، وبالمرتبة الرابعة جاءت فقرة **ضعف التعاون بين المؤسسات العلمية المختلفة فيما يتعلق بالبحث العلمي**، وهذا المعوّق من المعوقات المهمة كونه يقلل من حرية الحركة والبحث بالنسبة للباحث، وكذلك يقلل من التطبيق العملي لنتائج البحوث العلمية في المؤسسات المختلفة مما يشكل تحدياً واضحاً وملحاً للبحث العلمي، وكذلك قد يؤدي إلى تكرار العمل البحثي من قبل أكثر من جهة بسبب ضعف التنسيق، مما يؤدي إلى هدر الكثير من الأموال والطاقات، وجاءت فقرة ضعف **اهتمام القيادة الإدارية بالبحث العلمي والباحثين** بالمرتبة الخامسة، فمدى جدية واهتمام القيادة بالبحث ينعكس إيجاباً على التقدم في هذا المجال وبالتالي التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي.

وجاءت **فقرة ضعف دور المراكز البحثية**بالمرتبة السادسة، وهنا نؤكد على ضرورة تفعيل دور المراكز البحثية والانتقال من الطابع الإداري نوعاً ما إلى الطابع العلمي التخصصي، ونشير أيضاً إلى ضرورة توفير كافة المستلزمات الخاصة بهذه المراكز والتي قد يؤدي النقص فيها إلى ضعف دور هذه المراكز، وفي المرتبة الأخيرة على هذا المجال جاءت فقرة **التأخر في الإجراءات الخاصة بنشر البحوث**، فالكثير من البحوث العلمية ذات النتائج المهمة قد تقل أهميتها نتيجة التأخر في نشرها مما يسبب تقادم الزمن على النتائج، أو توصل العديد من الدراسات إلى نتائج مقاربة.

خامساً: كان ترتيب الفقرات للمجال الثالث (مجال المعوقات المتعلقة بالجانب العلمي) كما مبين في جدول (5)

جدول (5) ترتيب فقرات المجال الثالث (المعوقات المتعلقة بالجانب العلمي)

التسلسل	الفقرات	المرتبة	المتوسط
11	عدم توفّر المناخ اللائق الذي يحفز الباحث على الإبداع	الأولى	2.48
5	ضعف الاهتمام بأصالة البحث العلمي	الثانية	2.45
9	تأخر وصول التقنية الخاصة بالبحث العلمي إلى البلد	الثالثة	2.33
7	ضعف الموضوعية في تقييم البحوث العلمية	الرابعة	2.27
12	قلة المصادر والمراجع العلمية الحديثة التي يحتاجها الباحث	الخامسة	2.24
1	التأخر في نقل المعلومات من الدول المتقدمة علمياً	السادسة	2.15
18	ضعف تنمية النظام التعليمي لروح البحث	السابعة	2.03
13	تباين مناهج البحث العلمي واختلافها	الثامنة	1.66

يتبين من الجدول (5) أن فقرة **عدم توفّر المناخ اللائق الذي يحفز الباحث على الإبداع** جاءت بالمرتبة الأولى، وهذا المعوّق يلعب الدور الكبير لأنه كما ذكرنا يقلل دافعية الباحث نحو البحث العلمي ويضعف روح الإبداع، أما فقرة **ضعف الاهتمام بأصالة البحث العلمي** فقد جاءت بالمرتبة الثانية وحصول هذه الفقرة على هذه المرتبة دليل على أهمية أن يحظى البحث العلمي بالأصالة من أجل أن يكون ذا فعالية في التقدم العلمي للمجتمع، في حين جاءت فقرة **تأخر وصول التقنية الخاصة بالبحث العلمي إلى البلد** بالمرتبة الثالثة، وهذه النقطة تعد من المعوقات الخطيرة التي تواجه إجراء البحوث في التعليم العالي لأن التقدم في مجال البحث يتطلب معدات وأدوات تقنية كثيرة، وهي متوفرة في أغلب الأحيان في الدول المتقدمة فقط، لذا يحتاج البلد إلى استيرادها بأسرع وقت ممكن من اجل السير في خطى التقدم العلمي والتكنولوجي واللحاق بالدول المتطورة.

وبالمرتبة الرابعة جاءت فقرة **ضعف الموضوعية في تقييم البحوث العلمية**، ففي حالة غياب التقييم الموضوعي للبحوث العلمي قد يصاب الباحث بالإحباط لأن البحث الذي بذل فيه الكثير من الوقت والجهد والمال لم يحظ بالعدالة في تقييمه، مما يؤدي إلى قلة الرغبة في القيام بالبحوث العالية المستوى، لأن النتيجة قد تكون واحدة في ظل غياب الحكم الموضوعي، وجاءت فقرة **قلة المصادر والمراجع العلمية الحديثة التي يحتاجها الباحث**بالمرتبة الخامسة، ومن الطبيعي أن يتأثر البحث العلمي بنوعية ومدى توفر المصادر، فكثير من البحوث العلمية قد تتوقف أو تتعثر نتيجة لنقص مصادر المعلومات الخاصة بها أو نقص المستلزمات الخاصة بها.

وبالمرتبة السادسة جاءت فقرة **التأخر في نقل المعلومات من الدول المتقدمة علمياً**، وإذا كنا قد أشرنا سابقاً إلى ضرورة استيراد التقنية الخاصة بالبحث العلمي، فإن تأخر نقل المعلومة قد يكون له من الأثر ما يفوق الأثر الذي يتركه تأخر نقل التقنية، ففي حالة سرعة نقل المعلومة فإن الباحث قد يستطيع الاستفادة منها في وضع خطة لبحثٍ مهم، أو يطورها في مجال علمي أو عملي، أما إذا تأخر نقل هذه المعلومة، فإن ذلك سيؤدي بالتأكيد إلى زيادة الفجوة بين البلد والبلدان المتقدمة، وإلى أن تكون البحوث العلمية الخاصة بالبلد تسير في نطاق زمني متأخر عما توصلت إليه الدول المتقدمة.

وجاءت بالمرتبة السابعة فقرة **ضعف تنمية النظام التعليمي لروح البحث**، وهذا المعوّق من المعوقات المهمة التي أعتقد الباحث أنها ستحصل على ترتيب أعلى بكثير، فمن الملاحظ على نظامنا التربوي أنه لا يوجه الطلبة نحو البحث بصورة فاعلة أو حتى بصورة مقبولة، ففي حين يزرع النظام التعليمي في الدول المتقدمة روح البحث لدى الطلبة من البداية (المدرسة الابتدائية) نجد أن نظامنا

التعليمي يهمل ذلك ولا يدخله ضمن المناهج التعليمية إلا في مرحلة الدراسة الجامعية، فلابدّ من أن تأخذ هذه النقطة على محمل الأهمية، إذا ما أردنا أن نخلق جيلاً يهتم بالبحث العلمي، وفي المرتبة الأخيرة على هذا المجال جاءت فقرة **تباين مناهج البحث العلمي واختلافها**، وعدم حصول هذه الفقرة على متوسط أعلى من (2) دليل على عدم كونها تحدياً مهماً من وجهة نظر العينة.

سادساً: كان ترتيب الفقرات للمجال الرابع (مجال المعوقات الذاتية) كما مبين في جدول (6).

جدول (6) ترتيب فقرات المجال الرابع (المعوقات الذاتية (المتعلقة بالباحث))

التسلسل	الفقرات	المرتبة	المتوسط
3	السلبية والاتكالية لدى الباحث	الأولى	2.36
20	ضعف امتلاك المهارات الخاصة بالبحث العلمي	الثانية	2.24
21	ضعف فاعلية الباحثين في التعامل مع التقنية الحديثة	الثالثة	2.24
2	إزدحام الجدول اليومي وقلة الوقت المخصص للبحث العلمي	الرابعة	2.00
14	ضعف دافعية الباحث للبحث العلمي	الخامسة	1.96

يتبين من الجدول (3) أن فقرة **السلبية والاتكالية لدى الباحث** حصلت على المرتبة الأولى، وهذا يشير إلى أهمية هذا المعوّق، وإلى ضرورة تمتع الباحث بالإيجابية، واعتماده على نفسه في تحديد الموضوعات التي تستحق الدراسة، ومتابعة البحث فيها حتى تحقيق النتائج، وبالمرتبة الثانية جاءت فقرة **ضعف امتلاك المهارات الخاصة بالبحث العلمي**، فالبحث العلمي يحتاج الكثير من المهارات التي تحتاج إلى مران وتدريب، وقد يكون جزء من هذه المشكلة ملقى على عاتق النظام التعليمي الذي – كما أشرنا سابقاً – لا ينمي روح البحث لدى الطلبة، ولكن لا ننسى أن نشير إلى الدور الذي يلعبه النشاط الذاتي في هذا المجال.

وحلت فقرة **ضعف فاعلية الباحثين في التعامل مع التقنية الحديثة** بالمرتبة الثالثة، وهنا نؤكد على ضرورة أن يلمّ الباحث بالتقنيات اللازمة للبحث العلمي في ميدان عمله، وإن كان بعضها يتطلب منه الإطلاع الواسع على المنجزات العلمية، أو الانتظام في الدورات العلمية التي تبين طرائق التعامل مع التقنية الحديثة، أما فقرة **إزدحامالجدول اليومي وقلة الوقت المخصص للبحث العلمي** فقد جاءت بالمرتبة الرابعة، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنه على الرغم من كثرة مشاغل الحياة الوظيفية والاجتماعية، إلا أن هناك ضرورة للتأكيد على أولوية البحث العلمي، وعلى تخصيص الوقت الكافي للبحث العلمي ضمن الجدول اليومي للباحث.

ولم تحصل فقرة **ضعف دافعية الباحث للبحث العلمي** والتي جاءت بالمرتبة الخامسة على متوسط أعلى من (2) وفي هذا نقطة إيجابية تحتسب لصالح العينة، إذ تشير هذه النتيجة إلى أنه وعلى الرغم من كل المعوقات المذكورة في سياق هذا البحث، إلا أن العينة تمتاز بأن لديها دافعية جيدة نحو البحث العلمي.

ـ الاستنتاجات

توصل البحث إلى الاستنتاجات الآتية:

1ـ كان للمعوّقات المادية ومنها: قلة المحفزات المادية والمعنوية للباحثين (خاصةً المتميزين منهم) ، وقلة الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي الأثر الأكبر في إجراء البحوث في التعليم العالي .

2ـ حلت المعوقات الإدارية ومنها: صعوبة الإجراءات المتعلقة بالإيفادات والسفر لحضور الندوات والمؤتمرات، وقلة الإيفادات إلى البلدان المتقدمة علمياً، بالمرتبة الثانية.

3ـ كانت المعوقات العلمية ومنها: عدم توفّر المناخ اللائق الذي يحفز الباحث على الإبداع، وضعف الاهتمام بأصالة البحث العلمي، في المرتبة الثالثة من حيث التأثير على البحث العلمي.

4ـ بالترتيب الأخير جاءت المعوقات الذاتية ومنها: السلبية والاتكالية لدى الباحث، وضعف امتلاك المهارات الخاصة بالبحث العلمي.

ـ التوصيات

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث بما يأتي:

1. ضرورة توفير المصادر العلمية الحديثة التي يحتاجها الباحثين.
2. الاهتمام بتوفير التقنية العلمية اللازمة للبحوث العلمية فيما يخص المعدات والمستلزمات.
3. ضرورة الإعداد العلمي الجيد للطلبة من أجل زرع روح البحث لديهم، وتمكينهم من المهارات المختلفة التي يحتاجها الباحث خلال عملية البحث العلمي.
4. ضرورة الاهتمام بتقديم المحفزات التي تنمي روح البحث لدى الباحثين سواء أكانت تلك المحفزات مادية أم معنوية.
5. إقامة الدورات التدريبية والتطويرية للباحثين في طرائق التعامل مع التقنية الحديثة الخاصة بالبحث العلمي.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم، ليث حمودي (2011) **مدى ممارسة الأستاذ الجامعي للأدوار التربوية والبحثية وخدمة المجتمع بصورة شاملة**، بحث منشور في مجلة البحوث التربوية والنفسية، ع (30).

2. إبراهيم، مروان عبد المجيد (2000) **أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية**،عمان، الأردن، مؤسسة الوراق.

3. الأسدي، سعيد جاسم (2008) **أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والتربوية والاجتماعية**، ط 2،البصرة، العراق، مؤسسة وارث الثقافية.

4. الأغبري، عبد الصمد قائد، وفريدة عبد الوهاب المشرّف (1427 هـ) **واقع البحث العلمي في ضوء بعض المتغيرات بكليتي المعلمين بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية)**، بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج (13) ع (4) ديسمبر 2012، ص ص 485 – 511.

5. الإمام، مصطفى محمد وآخرون (1990) **التقويم والقياس**،بغداد، العراق، مطابع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

6. التميمي، عباس علي، وسحاب خليفة السامرائي (2012) **البحث الجغرافي، منهج وتطبيق**، لندن، بريطانيا، دار الحكمة.

7. الجرجاوي، زياد علي، وشريف علي حماد (2005) **معوقات البحث العلمي في جامعة القدس المفتوحة ودور الجامعة في تطويره**، بحث مقدم إلى ندوة (واقع البحث العلمي وآفاق تطويره) جامعة القدس المفتوحة، رام الله، تموز 2005 ص ص 3 – 18.

8. الخوالدة، تيسير محمد، وعاطف يوسف مقابلة (2008) **مستوى المعوقات التي تواجه المعلم الأردني في إجراء البحوث العلمية**، بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج (14) ع (1) مارس 2013، 7ص ص 1 – 100.

9. داود، عزيز حنا، وأنور حسين عبد الرحمن (1990) **مناهج البحث التربوي**،بغداد، العراق، مطابع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

10. سكيك، سامية إسماعيل، وبسمة مصطفى بارود (2011) **واقع البحث العلمي في المرحلة الثانوية في محافظة غزة – معيقات وتطلعات**، من وقائع مؤتمر البحث العلمي مفاهيمه.. أخلاقياته.. توظيفه، الذي تنظمه الجامعة الإسلامية بغزة للفترة 14 – 15 /5/ 2011.

11. شحاته، حسن (2001) **البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق**، القاهرة، مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب.

12. عبيدات، محمد، وآخرون (1999) **منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات**، ط2، دار وائل للطباعة والنشر، عمان.

13. عليان، ربحي مصطفى، عثمان محمد غنيم (2000) **مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق**،عمان، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع.

14. عيسوي، عبد الرحمن محمد (1999) **القياس والتجريب في علم النفس والتربية**، الإسكندرية،مصر، دار المعرفة الجامعية.

15. الفرا، ماجد محمد (2001) **الصعوبات التي تواجه البحث العلمي الأكاديمي بكليات التجارة بمحافظات غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس فيها**، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية – غزة، مج (12) ع (1) 2004.

16. كنعان، أحمد علي (1999) **البحث العلمي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق: الأهداف والمعوقات وسبل التطوير**، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، مج (17) ع (4) 2001، ص ص 59 – 103.

17. مبارك، محمد الصاوي محمد (1992) **البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته**، القاهرة، مصر، المكتبة الأكاديمية.

18. المجيدل، عبدالله، وسالم مستهيل شماس (2005) **معوقات البحث العلمي في كليات التربية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية (دراسة ميدانية – كلية التربية بصلالة أنموذجاً)**، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، مج (26) ع (2+1) 2010، ص ص 17 – 59.

19. محسن، منتهى عبد الزهرة (2011) **الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في جامعة بغداد من وجهة نظر التدريسيين**، بحث منشور في مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (32)، ص ص 257 – 283.

20. المشوخي، حمد سليمان (2002) **تقنيات ومناهج البحث العلمي: تحليل أكاديمي لكتابة الرسائل والبحوث العلمية**، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي.

21. ياقوت، محمد مسعد (2007) **أزمة البحث العلمي في مصر والوطن العربي**، القاهرة، مصر، دار النشر للجامعات.

الملاحـــق:

ملحق (1)

استبانة معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر التدريسيين

السادة التدريسيون المحترمون

يروم الباحث إجراء البحث الموسوم **(معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر التدريسيين)** لذا يرجو منكم الإجابة على فقرات الاستبانة الموضوعة بين يديكم بكل صدق وصراحة، وعدم ترك أي فقرة دون إجابة، علماً إن إجاباتكم ستبقى سرية ولا يطلع عليها سوى الباحث، وإنه لا حاجة لذكر الاسم فقط أذكر:

الجنس	ذكر		أنثى		الاختصاص	علمي		إنساني	
الكلية				القسم					

شاكرين تعاونكم خدمة للبحث العلمي

الباحث أ. م. صاحب أسعد ويس .

استبانة معوقات إجراء البحوث في التعليم العالي من وجهة نظر التدريسيين

ت	الفقرات	معوق كبيرجداً	معوق كبير	لا يعد معوقاً
1	التأخر في نقل المعلومات من الدول المتقدمة علمياً			
2	إزدحام الجدول اليومي وقلة الوقت المخصص للبحث العلمي			
3	السلبية والاتكالية لدى الباحث			
4	صعوبة الإجراءات المتعلقة بالإيفادات والسفر لحضور الندوات والمؤتمرات			
5	ضعف الاهتمام بأصالة البحث العلمي			
6	قلة المحفزات المادية والمعنوية للباحثين (خاصةً المتميزين منهم)			
7	ضعف الموضوعية في تقييم البحوث العلمية			
8	ضعف اهتمام القيادة الإدارية بالبحث العلمي والباحثين			
9	تأخر وصول التقنية الخاصة بالبحث العلمي إلى البلد			
10	قلة الموارد المالية المخصصة للبحث العلمي			
11	عدم توفّر المناخ اللائق الذي يحفز الباحث على الإبداع			
12	قلة المصادر والمراجع العلمية الحديثة التي يحتاجها الباحث			
13	تباين مناهج البحث العلمي واختلافها			
14	ضعف دافعية الباحث للبحث العلمي			
15	قلة الإيفادات إلى البلدان المتقدمة علمياً			
16	التأخر في الإجراءات الخاصة بنشر البحوث			
17	ضعف التعاون بين المؤسسات العلمية المختلفة فيما يتعلق بالبحث العلمي			
18	ضعف تنمية النظام التعليمي لروح البحث			
19	ضعف دور المراكز البحثية			

20	ضعف امتلاك المهارات الخاصة بالبحث العلمي			
21	ضعف فاعلية الباحثين في التعامل مع التقنية الحديثة			
22	قلة التطبيق العملي لنتائج البحوث العلمية			

دور الوسيلة التعليمية في إثراء الموقف التعليمي.

د/ حورية بوراس — جامعة الأغواط ـ الجزائر.
الباحثة/ مليكة بن العربي — جامعة الأغواط ـ الجزائر.
الباحث/ صدام حسين بن يحي — جامعة الأغواط ـ الجزائر.

ملخص الدراسة:

إن فلسفة التعليم حاليا تتجه نحو التعليم المتمحورة حول الطالب الذي يجعل الطالب ديناميكياً في عملية التعلم ،ولأجل تحقيق ذلك كان الاهتمام بتطوير التعليم في كل جوانبه وخاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا التعليم التي تساعد المعلمين على تحقيق مطالبهم النبيلة، فالوسائل التعليمية جزء لا يتجزأ من أي نظام تعليمي وركنا أساسيا من أركان العملية التربوية لذا أصبح من المستحيل الاستغناء عنها في المواقف التدريسية حتى يتمكن الطالب من الاستيعاب والتحصيل بأقل جهد ممكن ،كونها تؤدي دورًا جوهريًّا في إثراء التعليم ،إن هذا الدور للوسائل التعليمية يعيد التأكيد على أن نتائج الأبحاث حول أهمية الوسائل التعليمية في توسيع خبرات المتعلم ناجحة ولها دور فعال مثل تيسير بناء المفاهيم، وتخطي الحدود الجغرافية والطبيعية، ولا ريب أن هذا الدور تضاعف حاليًا بسبب التطورات التقنية المتلاحقة, التي جعلت من البيئة المحيطة بالمدرسة تشكل تحديًا لأساليب التعليم والتعلم المدرسية؛ لما تزخر به هذه البيئة من وسائل اتصال متنوعة، تعرض الرسائل بأساليب مثيرة، وهذا ما أثبتته الدراسات التربوية أنه كلما أحسن اختيار التقنيات التربوية واستخدمت بطريقة علمية سليمة أدى ذلك إلى تطوير العملية التربوية بشكل ايجابي في المستقبل .

Abstract:

Recently, the philosophy of education is heading towards learner-centered education wherein the student is a dynamic factor in the learning process, and in order to achieve that there had to be an interest in developing education in all its aspects, particularly that related to educational technology which helps teachers to achieve their noble goals, so, the means of learning are an essential part in any educational system and an important cornerstone in the educational process, so it became impossible to do without them in the teaching process so that the student can comprehend and learn with minimal effort, as they play a crucial role in enriching education.

This role of educational means reaffirms that research findings about the importance of teaching means in expanding a successful learner's experience and have a crucial role, such as facilitating the construction of concepts, and exceed the geographical and natural boundaries, and no doubt that this role has been doubled now because of the rapid technical developments, that made the surrounding environment of the school form a challenge for school teaching and learning methods; due to what this environment contains of a variety of

communication means, that display messages in exciting ways, and this is what have been proved by educational studies that as the better the choice of educational techniques and used in a scientific way that will lead to the development of the educational process positively in the future.

مقدمة:

لقد ظل تطوير العملية التربوية والتعليمية هماً لا يفارق أذهان المهتمين والمتحمسين، لتحسين نوعية ما يتعلمه أبناؤنا في مؤسساتنا التربوية والتعليمية وكيف يتعلمون، وما هي أفضل الوسائل والسبل التي لو سلكناها لاستطعنا أن نخرج بجيل يحمل على عاتقه مسؤولية النهوض والرقي بمجتمعه وأمته ودفعها للأمام خطوات لتقف جنبا إلى جنب في مصاف الدول المتقدمة التي سبقتنا بمراحل في مجال التعليم وتقنياته ،وبالفعل فقد تم في هذا المضمار إنجاز مشاريع كثيرة هدفت في الأصل إلى تحسين عمليتي التعلم والتعليم ، وألفت في ذلك كتب وخرجت دراسات متعمقة كلها تصب في هذا المجال. ولم تعد التربية في العصر الحديث كما كانت في العصور الغابرة مجرد تلقين لدرس أو تسميع لنص، ولم تعد حرفة يمارسها المعلم بطريقة آلية، كما لم تعد عبئا على الطالب يقوم فيها بحفظ النصوص وتسميعها. فقد تحولت العملية التعليمية داخل الصف وخارجه إلى نشاط له أهداف ونتائج تخضع للقياس والتقنين، وأصبح للتقنيات التعليمية دور فاعل بين مدخلات هذا النشاط ومخرجاته. و فضلاً عن ذلك فقد صارت تلك التقنيات تلعب دوراً هاماً في تطوير عناصر النظام التربوي كافة بوجه عام ،وعناصر المنهج على وجه الخصوص ، وجعلها أكثر فاعلية وكفاية ، وذلك من خلال الاستفادة منها في عملية التخطيط لهذه المناهج وتنفيذها وتقويمها ومتابعتها وتطويرها بما يسهم بشكل كبير في تحقيق أهدافها المنشودة حيث أحدثت الثورة التكنولوجية تغييراً شاملاً لكثيراً من المتغيرات والنظريات التعليمية التقليدية فأصبحت موضعاً للتعديل والتحدي، مما دفع خبراء التربية لتقديم اقتراحات لتعديل المناهج ووسائل تقديمها حيث اقترحوا مواد تعليمية ووسائل جديدة تزيد من فاعلية الاستخدام في ظل الظروف الحالية والمتوقعة ويعد مجال الوسائل التعليمية من بين المجالات التي تتسم بسرعة التطور والتغير سواء فيما يتعلق بمعارفه أو بالأجهزة والبرامج والمواد التعليمية التي تنتمي إليه ، لهذا فإن الحاجة إلى تدريب المعلمين وإعادة تدريبهم مرات عديدة خلال فترة حياتهم المهنية على تصميم وإنتاج الوسائل التعليمية واستخدامها يُعد أمراً ضرورياً من أجل نموهم المهني ، الأمر الذى ينعكس بالإيجاب على كفاءة وفاعلية العملية التعليمية، لهذا فإن الوسائل التعليمية تجعل المتعلم في اتصال مباشر مع موضوع تعلمه وتفسح له مجال الملاحظة والقياس والتجريب والتفكيك والتركيب ، وبذلك يتحقق مبدأ أساسي يتجلى في إفساح المجال للنشاط الذاتي للمتعلم

ومشاركته وانخراطه الإيجابي في سيرورة التعلم وهو ما تسعى إليه النظريات البيداغوجية الحديثة، عكس البيداغوجيا التقليدية التي تعتبر الوسيلة التعليمية مجرد أداة في خدمة المحتوى لتوضيح غموضه وتبسيط صعوبته ونظرا لأهمية الوسائل التعليمية لما لها من دور بارز في نقل الخبرات والمعلومات إلى الطلبة من قبل المدرس، إلى جانب استعمال طرائق التدريس المناسبة ، ونظرًا للتطور الهائل في كم المعلومات المتاحة وللتطور الكبير في تكنولوجيا تلك المعلومات أصبح من الواجب الاهتمام بالوسائل التعليمية بكل أنواعها والعمل على استغلالها بشتى الطرائق لغرض الاستفادة منها وجعل التعلم أكثر رسوخاً في عقول الطلبة ومساعدتهم على استعمالها ليتسنى لهم الاستفادة منها في حياتهم العملية والمستقبلية .

والدراسة الحالية جاءت تأكيداً على ضرورة النظر في أهمية الوسائل التعليمية من قبل المعلمين والمدرسين وضرورة استعمالها لمواكبة التطورات الحاصلة في شتى ميادين المعرفة، ودورها في إثراء المواقف التعليمية وتحقيق الأهداف التربوية المؤمل بلوغها من خلال تنفيذ مقررات دراسية متكاملة وبالتالي بلوغ الأهداف التربوية المسطرة.

ومنه سنحاول من خلال دراستنا التعرف على:

– ما المقصود بالوسيلة التعليمة؟ ما دور الوسيلة التعليمية في إثراء الموقف التعليمي؟

1/<u>الأساس التاريخي للوسيلة التعليمية</u>:

يمتد ظهور الوسائل التعليمية إلى عهود قديمة منذ خلق الله الإنسان على الأرض، حيث إن مظاهر اتصال مثل: اللغة التي تحدّث بها الإنسان، والنقوش الأثرية والرسومات والمجسمات والصور التي حفرها الإنسان في العصور المختلفة يمكن اعتبارها أشكالا لوسائل تعليمية ،هدفت لإيصال رسالة ما إلى متلق آخر بطريقة تتلاءم مع مستوى الإنسان الإدراكي والزماني والمكاني لكل عصر ،وفي مرحلة الحضارة الإسلامية تعددت طرق التدريس وعرض المعرفة، وقد عمل العديد من علماء المسلمين على تطبيق استخدام الوسائل التعليمية في تعليم الطالب؛ فمن ذلك: " **الحسن بن الهيثم** " الذي استخدم الطريقة العلمية الاستقرائية في القياس والمشاهدة عندما طرح على تلاميذه في وعاء الوضوء في صحن المسجد كيف تتم نظرية الانكسار الضوئي مستخدماً لذلك عصا خشبية وبركة الماء ليروا التجربة بالمشاهدة الحقيقية مباشرة وبالتمثيل. وكذلك " الإدريسي" الذي عمل أول نقش للكرة الأرضية من الفضة ليصور كروية الأرض. ثم تتابعت جهود العلماء المسلمين الذين أوصوا في مؤلفاتهم إلى العناية باستخدام وسائل التعليم وطرق وأساليب التدريس في منهجية العملية التعليمية التعليّمية ، وقد بدأت الدعوة لاستخدام الوسائل التعليمية في التربية بشكل واضح في عصر النهضة الأوربية، فقد دعا **(رابليه 1483–**

1554) إلى التشويق في التعليم عن طريق اللعب، وهو ما يسمى بالألعاب المحاكية، وفى نفس الفترة ظهر (**ايراسموس 1466- 1546**) مؤكداً على استعمال وسائل الإيضاح في التعليم وخاصة تعليم الصغار، وحث" **مونتينى**" في كتاباته على الاستفادة من الزيارات الميدانية في التعليم، ثم جاء(**كومينوس 1592-1670**) والذي اعتبره البعض الأب الحقيقي لوسائل تكنولوجيا التعليم حيث أكد على أهمية استخدام الحواس في التعليم مع المواضع والأشياء الحقيقية والصور التوضيحية ودعا المؤسسات التعليمية لتكون بالمواد الواقعية والتوضيحية، ثم جاء بعد ذلك مجموعة كبيرة من العلماء والذين وظفوا الوسائل التعليمية في التعليم مثل "**بستالوزى وفروبل وديوى**" في الفترات التالية **لكومنيوس** وحتى منتصف القرن العشرين، وقد أكد معظم هؤلاء العلماء على ضرورة الاستعانة بالوسائل الرمزية كالصور والأشكال والرسوم التوضيحية والنماذج المجسمة. وخلال العقد الثالث من القرن العشرين بدأ دخول الوسائل التعليمية في عالم التربية بصورة شرعية وبصفتها التقنية الحديثة واستخدامها النظم المقصود، حيث بدأ عدد من المدارس والجامعات بالولايات المتحدة وبعض الدول الغربية باستخدام بعض أنواع الوسائل التعليمية السمعية والبصرية كالصور والشرائح والأفلام ، وفى بداية العقد السادس من القرن العشرين أصبحت الوسائل التعليمية جزءاً أساسياً من برامج ومناهج التعليم بالمؤسسات التربوية المختلفة وهكذا نرى التطور في استخدام الوسائل التعليمية المتاحة في كل عصر وفى كل فترة من الزمن وما بها من وسائل وتقنيات؛ حتى توصلنا إلى الكمبيوتر والأنترنت. **(محمد محمود الحيلة ،2001،ص32)**

/تعريف الوسائل التعلمية :2

انتشر استخدام الوسائل التعليمية في مجال التعلم وأصبحت عنصراً أساسيا في العملية التعليمة، تختلف التعريفات لهذه الوسائل نظراً لاختلاف وجهات النظر بين المربين واختلاف ما تقدمه هذه الوسائل من إسهامات ووظائف متعددة في مجالات التعلم المختلفة وفيما يلي نتعرف لبعض هذه التعريفات:

يعرف عبد الرحمان الخطيب الوسائل التعليمية على أنها:

إن الوسائل التعليمية تمثل الأدوات والأجهزة والمواقف التعليمية التي يستخدمها المعلم في مجال الاتصال التعليمي لتوضيح فكرة أو تفسير مفهوم غامض أو شرح أحد الموضوعات بهدف تحقيق المتعلم لأهداف محددة سابقا. **(علم الدين عبد الرحمان الخطيب ،1997،ص45)**

اما عبد الحافظ سلامة يعرفها" الوسائل التعليمية أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم ".

هي أداة أو جهاز أو حركة تساعد المعلم على توضيح موضوعات الدرس وكلماته بغية إيصال المعلومة إلى ذهن الطالب وتزويده بخبرة أو أكثر دون عناء أو تعب. **(حمزة حسين عبيد، ب س،209).**

وعرفها **أيضا" محمد محمود الحيلة** "على أنها أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم وتقصير مدتها، وتوضيح المعاني، وشرح الأفكار وتدريب التلاميذ على المهارات، وغرس العادات الحسنة في نفوسهم وتنمية الاتجاهات، وعرض القيم دون أن يعتمد المدرس على الألفاظ والرموز والأرقام، وذلك للوصول بطلبته إلى الحقائق العلمية الصحيحة، والتربية القويمة بسرعة وقوة وبتكلفة أقل.

وقد أطلق على الوسائل التعليمية المستخدمة في التعليم تسميات متعددة ويعود هذا إلى تطور الوسائل نفسها، وإلى اختلاف المربين في إلحاحهم على وظيفة دون أخرى، ومن التسميات الشائعة:

أ–وسائل الإيضاح، وسائل الإيضاح السمعية والبصرية.

ب –الوسائل المعينة على التدريس، معينات التدريس، المعينات الوسطية.

ج –الوسائل السمعية البصرية.

د–الوسائل التعليمية.

هـ–الوسائل الحسية المتعددة.

و –وسائل الاتصال التعليمية.

ز–وسائط التعليم.

ح –تكنولوجيا التعليم أو التدريس: وتأتي هذه التسمية من الطبيعة التقنية المركبة التي تتكون منها هذه الوسائل وتستخدم في التربية.

ط –الوسائل الاختيارية (الإغنائية): حيث تستعمل هذه الوسائل كأنشطة إضافية تتكون منها هذه لإغناء الخبرات المنهجية للتلاميذ أو لمجرد الترفيه وقضاء الوقت.

ي –الوسائل الأساسية: وهي التي يجب استخدامها لتحقيق الأهداف التربوية للمنهج.

ك –الوسائل المعيارية: وهي التي تمثل جزءا لا يتجزأ من المواقف مثل: الصور والخرائط والأشياء الحقيقية حيث يطلب من المتعلم وصف نهر أو بحر أو واد أو سلسلة جبلية أو تفسير أو تحديد مكان أو خاصية أو مفهوم أو تطوير فكرة أو نموذج على غرار الواقع.

ل –الوسائل الوسيطة: وهي تدل على ما يستعمله المعلم أو المتعلم نفسه للمعاونة في إحداث التعلم بمعنى أنها ليست جزءاً من التعلم نفسه وإنما هي معينة له ووسيطة.

م –وسائل تكنولوجيا التعليم: هذه التسمية إشارة إلى كافة الوسائل التي يمكن الاستفادة منها في إنتاج العملية التربوية سواء كانت تكنولوجية كالكمبيوتر والأفلام أو بسيطة كالسبورة والرسوم التوضيحية أم بيئية حقيقية كالمعارض والآثار. **(مصطفى عبد السميع واخرون ،2004،ص50-51).**

3/انواع الوسائل التعليمية:

بعد أن كان صوت المعلم هو الوسيلة الوحيدة لانتقال المعرفة إلى التلاميذ وفي عصور غابرة انتشر استخدام وسائل متعددة في العملية التعليمية خاصة في وقتنا هذا حيث اصبحت لها مكانة مهمة في العملية التعليمية فلم يعد بالإمكان تصور أي موقف تعليمي بدون استخدام وسيلة من الوسائل، وتقسم الوسائل التعليمية إلى أنواع:

1/الوسائل البصرية:

تضم مجموعة من الأدوات والطرق التي تستغل حاسة البصر وتعتمد عليها وتشمل هذه المجموعة الصور الفوتوغرافية، والصور المتحركة العامة وصور الأفلام والشرائح بأنواعها المختلفة والرسوم المتحركة والعينات والنماذج والخرائط والكرات الأرضية كما تتضمن هذه الوسائل أيضا التمثيلات والرحلات وتجارب العرض والمعارض والمتاحف واستخدام الصورة واللوحة الوبرية ومجلة الحائط ولوح النشرات. **(احمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد جابر،2007،ص41).**

2/الوسائل السمعية:

تضم الوسائل التي تعتمد على حاسة السمع في عملية التعلم واكتساب الخبرات كعنصر أساسي وهي ما يسمع في الراديو والمسجل ومكبرات الصوت.

3/الوسائل السمعية والبصرية:

يشمل جميع الوسائل التي تعتمد في استقبالها على حاستي السمع والبصر وتشمل التلفاز التعليمي والأفلام التعليمية الناطقة والمتحركة والشرائح عندما تستخدم بمصاحبة التسجيلات الصوتية للشرح والتفسير. **(محمد محمود الحيلة ،2000،ص110).**

4–وسائل جمع الحواس:

وهي التي تخاطب عدداً من حواس التلاميذ منها العروض التوضيحية وإجراء التجارب وعمليات الفك والتركيب للنماذج ودراسة العينات والمعارض وكلها تتطلب عدداً من الحواس بحيث تتفاعل هذه الأخيرة مع بعضها البعض داخل موقف تعليمي واحد.

5-الوسائل الفردية:

وهي وسائل تستخدم بواسطة فرد واحد فقط من أمثلتها الميكروسكوب الكمبيوتر الشخصي، وهذه الوسائل إن لم يكن من المقرر استخدامها داخل القسم ممكن للتلميذ استخدامها في أي مكان مثل المنزل أو المكتبة.

6-الوسائل الجماعية:

يشترط للاستفادة منها تواجد التلاميذ في المكان المحدد وهي تستخدم لتعليم التلاميذ في وقت واحد ومن أمثلتها أجهزة العرض الضوئي ولوحات العرض المختلفة أي كل ما هو موجه لتعليم جماعة التلاميذ. **(اقبال بهيباني وزاهر الغريب،1999،ص66).**

4-مصادر الوسائل التعليمية:

إن الوسائل التعليمية كثيرة ومتنوعة ومصادرها ميسورة ومتوفرة للمعلم، فما عليه إلا أن يلتفت حوله في بيئته ليجد عدداً كبيراً من الوسائل التعليمية التي يمكن أن يوظفها لخدمة العملية التعليمة وتسهيلها، وتصنف مصادر الوسائل التعليمة إلى ما يلي:

أولا /البيئة المحلية:

يقصد بالبيئة المحلية كل ما يحيط بالمعلم، والتلميذ على حد السواء داخل حدود القطر الذي يعيشون فيه، وهذه البيئة غنية بالوسائل التعليمية التي يمكن أن يستغلها المعلم في شرح درسه، ولا يستطيع المعلم استغلال موجودات البيئة إلا إذا كان:

1-مستوعبا لموجودات البيئة المحلية ومعطياتها.

2-مستوعبا للمنهج الدراسي بجميع جوانبه وتخصصاته.

3-أن يبدأ المعلم بنفسه، وتلاميذه وما يلبسون ويشربون وبموجودات بيوتهم. **(عبد الحافظ سلامة ،2008،ص57).**

أهم محتويات البيئة المحلية هي:

1-البيت: يعيش المتعلم في البيت الذي يبدأ فيه رحلته في الحياة، ويستطيع أن يتعلم المعلومة والاتجاهات، حيث أن البيت الغني بما فيه من أدوات حيث به مكتبة الوالد، ويتوفر فيه وسائل الاتصال مثل المذياع والتلفزيون والمجلات وغيرها والتي تسهم في تثقيف الطفل وتساعده على اكتساب الخبرة، كذلك نجد أن الوالدين هما القدوة في تعليم الطفل الاتجاهات المختلفة. **(عبد الحافظ سلامة ،2000،ص45)** .

2-المدرسة: يمكن أن يتوفر للمعلم في المدرسة قدر مناسب من مختلف أنواع الوسائل التعليمة التي تخدم أغراض المناهج الدراسية، مما يتيح له أن يستفيد ويفيد من الوسائل التعليمية الموجودة، ويمكن أن تحصل المدرسة على حاجاتها من هذه الوسائل التعليمية من مصادر كثيرة منها:

-ما قد يصرف للمدرسة من الإدارة العامة للوسائل التعليمية كالأنواع الدقيقة من الخرائط والأفلام العينات المجسمات التسجيلات الصوتية والمرئية.

-ما تقوم الإدارة التعليمية بتدبيره من الوسائل الجاهزة المتوفرة بعد فحصها والتأكد من صلاحيتها لأغراض المناهج الدراسية.

-ما يقوم به مدرسو المدرسة بإنتاجه من أصناف الوسائل من خدمات محلية في حدود الإمكانات المدرجة.

-ما يقوم به الطلبة أثناء الأنشطة التعليمية.

-ما تقوم المدرسة باستعارته من مكتبة إدارة الوسائل التعليمية المحلية بالإدارة أو عن طريقها مثل أجهزة العرض والأفلام السينمائية وأفلام الفيديو والتسجيلات **(عبد الحاكم مخلوف،2005،ص129)** .

4-الزيارات الميدانية: عند اقتراح الزيارة الميدانية ينبغي أن يحدد أسلوب الزيارة والقيمة التعليمية لها والتخطيط للأنشطة اللازمة لتحقيق الأهداف المرجوة من الزيارة مع ملاحظة إشراك الفصل في إعداد الأنشطة اللازمة، وتتم الزيارة الميدانية بواحد من الأسلوبين:

* زيارة ميدانية قصيرة سيراً على الأقدام بدون ترتيبات مسبقة من الأهل.

* زيارة ميدانية طويلة تحتاج إلى واسطة نقل وتخطيط مسبق.

وتتبع الزيارة الميدانية ببعض الأنشطة التي يمكن ممارستها داخل الفصل الدراسي، ويتحقق قسم كبير من التعلم عن طريق أنشطة المتابعة التي تنفذ عقب الزيارة، ويتم ذلك إذا شارك الطلبة في إعداد وتقديم نتائج مشاهداتهم مع الخبرات التي حققوها، ويمكن لهذه الزيارة أن تحفز الطلبة على الكتابة المبدعة مثل: الشعر، أو القصص المصورة أو عرض الشرائح أو المعروضات أو لوحات الإعلان وغير ذلك.

كما توجد هناك مصادر متعددة ذات إمكانيات تعليمية وثقافية يمكن للمدرسة التخطيط للاستفادة من إمكانياتها في تدريس المقررات الدراسية المختلفة وما يتصل بها من نشاط تعليمي هادف وفيما يلي لبعض هذه المصادر:

- المعارض والمتاحف، حدائق الحيوانات.

-الحدائق النباتية ومحطات التجارب والبحوث الزراعية.

-المؤسسات الصناعية والاقتصادية والتجارية.

-المؤسسات التعليمية والثقافية كالجامعات والمعاهد المختلفة والمكتبات العامة.

-دور الإذاعة والتلفزيون.

-دور الطباعة والنشر.

-المطارات والمكاتب البريدية. (**أ حمد خيري كاظم ،2007،ص309**).

ثانيا /البيئة الخارجية:

ويقصد بها كل ما هو خارج حدود قطر الطالب والمعلم وبتحديد إمكانات البيئة الخارجية يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

الوطن العربي: من خلال الإمكانات الاقتصادية والجغرافية، فلابد للطالب، أن يتعرف على وطنه ويعرف مزاياه وخصائصه وتضاريسه وكل ما يتصل به واستغلال المعلم لمعطيات الوطن العربي من خلال الزيارات والرحلات.

العالم: يشكل العالم البيئة الأكثر شيوعا وشمولا للطالب والمعلم على حد سواء، ويمكن أن يستغل المعلم الأفلام والشرائح والمجلات والصور والجرائد والإذاعات التي تتوافر لديه سواء عن طريق الشراء من الأسواق المحلية أو الاستيراد أو المراسلات أو عن طريق السفارات والمراكز الثقافية لجلب عالمهم إلى غرفة الصف متخطين البعد المكاني والزماني. (**ماجدة السيد عبيد ،2001 ،ص74-75**)

5/ خصائص الوسيلة التعليمية:

-أن تكون الوسيلة متطابقة مع المنهج وموضوعه وتحديد أهدافه.

-أن تكون الوسيلة التعليمية بسيطة، واضحة خالية من المؤثرات التشويشية حتى لا يتشتت انتباه الطلبة وبالتالي صرفهم عن المادة التعليمية.

- أن تكون خالية من العطب وفي حالة جيدة، أي الأمان يجب الابتعاد عن استخدام الوسائل التعليمية التي قد تشكل خطراً على المتعلم أو المعلم، فتطبيق بعض التجارب الكيميائية في المختبر قد يسبب الخطورة للمتعلم بسبب خروج غازات سامة من التفاعل مثلاً، أو استخدام جهاز غير آمن من الناحية الكهربائية.

-أن تضيف الوسيلة التعليمية شيئا جديدا لما ورد في الكتاب المدرسي، وبالتالي يكون الهدف منها إثراء للمادة التعليمية.

-أن يتناسب حجمها أو مساحتها مع عدد الدارسين حتى يتسنى لجميعهم فرصة الفهم.

-التنظيم في عرض الوسيلة من السهل إلى الصعب، ومن الكل إلى الجزء ومن المعلوم الى المجهول ضروري لنجاحها.

-الواقعية أي أن تمثل الوسيلة، ما هو موجود في الواقع ويندرج أيضا تحت الواقعية أيضا إمكانية إنتاج الوسيلة، وتوافر موادها في البيئة.

-أن تكون متناسبة والتطور التكنولوجي والعلمي للمجتمع. **(محمد علي السيد ،1999،ص19)**.

-أن تتصف بالجمال والشكل المقبول والمنطقية لأن الشكل له دور بارز في جذب انتباه الطلبة واهتماماتهم وتشويقهم للدرس.

-أن تتناسب مع قدرات التلاميذ العقلية وقابليتهم وخصائص المرحلة العمرية التي ينتمي إليها المتعلم.

-أن تتلاءم مع طبيعة المادة المراد إيصالها إلى التلميذ.

-أن تعمل على نمو شخصية المتعلم من النواحي جميعها (العقلية، الانفعالية، الحركية، الثقافية.)

(ربيع هادي مشعان وطارق الدليمي،2009،ص165).

- الوسائل التعليمية ليست منفصلة عن المنهج وإنما هي جانب رئيسي من جوانبه، لا تنفصل عنه تعمل وتؤثر فيه.

-الوسائل التعليمية حليفة وليست خليفة للمعلم، فهي لا تغني عنه وإنما تعينه على أداء مهمته، وهي مكملة لعمله إذا أحسن اختيارها وتقديمها في الموعد والموقف التعليمي المناسب.

-الوسائل التعليمية ليست ترفيهية فحسب ولكنها تعليمية أيضا، فهي تحقق أغراضا وأهدافا تعليمية، ولها أدوارها المختلفة في عملتي التعلم والتعليم.

-الوسائل التعليمية لا يقتصر استخدامها على مادة أو مرحلة تعليمية معينة، فهي يمكن أن تخدم جميع المواد دون استثناء كما أنها تخدم أغراض التعلم في المراحل التعليمية المختلفة، وذلك لتفاوت هذه الوسائل من حيث درجة التجريد وسهولة أو صعوبة الخبرات التي تقدمها.

6/القواعد العامة لاستخدام الوسائل التعليمية وتقيميها:

أصبحت الوسائل التعليمية عنصراً هاما من العناصر التعليمية الأخرى مثل المنهج وأهدافه، وطريقة التدريس والتقييم، وبذلك على المعلم أن يضع خطة واضحة للاستفادة منها في تحقيق الأهداف التربوية، وقد يخطئ المعلم في اعتقاده بأن الوسيلة التعليمية كافية لتوضيح الرسالة التعليمية ومن ثم استخدامه لها يتميز بالشكلية كما يجب على المعلم أن يتبع مجموعة من الخطوات، التي تكون خطة عامة متكاملة لاستخدام مثل هذه الوسائل، وتشمل المراحل التالية:

1-مرحلة الإعداد:

في هذه المرحلة يحتاج المعلم إلى إعداد أمور تؤثر كلها في استخدام الوسيلة التعليمية ،وبالتالي في الأهداف التي تسعى لتحقيقها ، كما يجب على المعلم قبل استخدامه للوسيلة التعليمية أن يتعرف عليها كمعرفة كل محتوياتها ودراسة خصائصها ، ومدى جودتها و صلاحيتها ، كما يجب عليه أن يجرب الوسيلة التعليمية و يتعرف عليها ، فمثلاً أن يشاهد الفيلم قبل عرضه على التلاميذ ليعرف مدى مناسبته لموضوع الدرس ،ومدى ارتباطه بخبرات المتعلم السابقة ، وفي هذه المرحلة أيضا يجب عليه إعطاء صورة مبسطة عن موضوع الوسيلة المستخدمة بتلخيص الأفكار التي تقدمها الوسيلة وأهميتها كي يدرك المتعلمون وضوح الغرض من استخدامها **(محمد عبد الباقي احمد ،2003،ص90-91).**

2-مرحلة الاستخدام:

يتوقف الاستفادة من الوسائل التعليمية إلى حد كبير على الأسلوب الذي يتبعه المدرس في استخدام الوسائل، ومدى اشتراك التلميذ اشتراكا إيجابياً في الحصول على الخبرة عن طريقها، ولمسؤولية المدرسة في هذه المرحلة عدة جوانب، فمسؤوليتها الأولى هي تهيئة المناخ المناسب للتعلم، ولذلك يجب أن يتأكد أثناء استخدام الوسائل التعليمية أن كل شيء يسير على ما يرام، والأمر الثاني أن يحدد لنفسه الغرض من استخدام الوسيلة في كل خطوة أثناء سير الدرس. **(حسين حمدي الطوبجي ،1987،ص64).**

3-مرحلة التقييم:

بعد مرحلة الاستخدام هناك مرحلة أخرى وهي مرحلة التقييم، للتأكد من أن الأهداف التي حددها قد أنجزت وأن التعلم المنشود قد تحقق وأن الوسيلة التي استعملها تتناسب مع هذه الأهداف المراد تحقيقها يجب على المعلم أن يحددها بتوقعه من التلميذ عند المرور في الخبرة التعليمية وفي ضوء البيانات التي يحصل عليها المعلم من تقسيم الخبرات التعليمية، فإنه يعدل من طريقته في التدريس أو إعادة عرض مادة الوسيلة كلها أو أجزاء منها لتوضيح النقاط الغامضة في الدرس حتى يحقق التلميذ كفاءة عالية من التعليم. **(محمد عبد الباقي احمد ،2003،ص94).**

4-مرحلة المتابعة:

من المفروض أن اكتساب الخبرة يؤدي إلى زيادة الرغبة في تنميتها أكثر واكتساب خبرات جديدة، وينبغي أن يعمل المدرس عن طريق استخدام الوسائل التعليمية التي تحقق ذلك، ولا شك أن مشاهدة الفيلم أو إجراء تجربة، أو القيام برحلة والاستماع إلى شريط مسجل سوف يجيب على بعض الأسئلة، كما يختلف التلاميذ بدرجة متفاوتة في مدى الاستفادة من هاته الوسائل التعليمية، ولذلك يعقب استخدام الوسائل

التعليمية الكثير من المناقشة للإجابة عما أثير من أسئلة وتوضيح المفاهيم الجديدة وربطها بالخبرات السابقة عن طريق بيان أوجه الشبه ولاختلاف بينهما. **(حسين حمدي الطونجي ،1987،ص67-68)**.

7/دور الوسائل التعليمية في العملية التعليمية:

يمكن للوسائل التعليمية أن تلعب دوراً هاماً في النظام التعليمي ورغم أن هذا الدور أكثر وضوحاً في المجتمعات التي نشأ فيها هذا العلم كما يدل على ذلك النمو المفاهيم للمجال من جهة والمساهمات العديدة لتقنية التعليم في برامج التعليم والتدريب كما تشير إلى ذك أدبيات المجال ، إلا أن هذا الدور في مجتمعاتنا العربية عموماً لا يتعدى الاستخدام التقليدي لبعض الوسائل إن وجدت دون التأثير المباشر في عملية التعلم وافتقاد هذا الاستخدام للأسلوب النظامي الذي يؤكد علية المفهوم المعاصر لتقنية التعليم .

ويمكن أن نلخص الدور الذي تلعبه الوسائل التعليمية في تحسين عملية التعليم والتعلم بما يلي:

1-إثراء التعليم : أوضحت الدراسات والأبحاث (منذ حركة التعليم السمعي البصري) ومروراً بالعقود التالية أن الوسائل التعليمية تلعب دوراً جوهرياً في إثراء التعليم من خلال إضافة أبعاد ومؤثرات خاصة وبرامج متميزة ، إن هذا الدور للوسائل التعليمية يعيد التأكيد على نتائج الأبحاث حول أهمية الوسائل التعليمية في توسيع خبرات المتعلم وتيسير بناء المفاهيم وتخطي الحدود الجغرافية والطبيعية ولا ريب أن هذا الدور تضاعف حالياً بسبب التطورات التقنية المتلاحقة التي جعلت من البيئة المحيطة بالمدرسة تشكل تحدياً لأساليب التعليم والتعلم المدرسية لما تزخر به هذه البيئة من وسائل اتصال متنوعة تعرض الرسائل بأساليب مثيرة ومشرقة وجذابة.

2-إقتصادية التعليم: ويقصد بذلك جعل عملية التعليم اقتصادية بدرجة أكبر من خلال زيارة نسبة التعلم إلى تكلفته، فالهدف الرئيسي للوسائل التعليمية تحقيق أهداف تعلم قابلة للقياس بمستوى فعال من حيث التكلفة. **(محمد الياس حسين،2011،ص12)** .

3-تساعد الوسائل التعليمية على استثارة اهتمام التلميذ وإشباع حاجته للتعلم: يأخذ التلميذ من خلال استخدام الوسائل التعليمية المختلفة بعض الخبرات التي تثير اهتمامه وتحقيق أهدافه، وكلما كانت الخبرات التعليمية التي يمر بها المتعلم أقرب إلى الواقعية أصبح لها معنى ملموساً وثيق الصلة بالأهداف التي يسعى التلميذ إلى تحقيقها والرغبات التي يتوق إلى إشباعها.

4-تساعد على زيادة خبرة التلميذ مما يجعله أكثر استعدادا للتعلم: هذا الاستعداد الذي إذا وصل إليه التلميذ يكون تعلمه في أفضل صورة، ومثال على ذلك مشاهدة فيلم سينمائي حول بعض الموضوعات الدراسية تهيأ الخبرات اللازمة للتلميذ وتجعله أكثر استعداداً للتعلم.

5-تساعد الوسائل التعليمية على اشتراك جميع حواس المتعلم: إنّ اشتراك جميع الحواس في عمليات التعليم يؤدي إلى ترسيخ وتعميق هذا التعلّم والوسائل التعليمية تساعد على اشتراك جميع حواس المتعلّم، وهي بذلك تساعد على إيجاد علاقات راسخة وطيدة بين ما تعلمه التلميذ، ويترتب على ذلك بقاء أثر التعلم.

6-تساعد الوسائل التعليمية على تحاشي الوقوع في اللفظية: والمقصود باللفظية استعمال المدّرس ألفاظا ليست لها عند التلميذ الدلالة التي لها عند المدّرس ولا يحاول توضيح هذه الألفاظ المجردة بوسائل مادية محسوسة تساعد على تكوين صور مرئية لها في ذهن التلميذ، ولكن إذا تنوعت هذه الوسائل فإن اللفظ يكتسب أبعاداً من المعنى تقترب به من الحقيقة الأمر الذي يساعد على زيادة التقارب والتطابق بين معاني الألفاظ في ذهن كل من المدّرس والتلميذ.

7-يؤدي تنويع الوسائل التعليمية إلى تكوين مفاهيم سليمة.

8-تساعد في زيادة مشاركة التلميذ الإيجابية في اكتساب الخبرة: تنمي الوسائل التعليمية قدرة التلميذ على التأمل ودقة الملاحظة وإتباع التفكير العلمي للوصول إلى حل المشكلات، وهذا الأسلوب يؤدي بالضرورة إلى تحسين نوعية التعلم ورفع الأداء عند التلاميذ.

9-تساعد في تنويع أساليب التعزيز التي تؤدي إلى تثبيت الاستجابات الصحيحة (نظرية سكنر).

10-تساعد على تنويع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين.

11-تؤدي إلى ترتيب واستمرار الأفكار التي يكونها التلميذ.

12-تؤدي إلى تعديل السلوك وتكوين الاتجاهات الجديدة .

<u>ومن شروط اختيار الوسائل التعليمية أو إعدادها:</u>

لكي تؤدي الوسائل التعليمية الغرض الذي وجدت من أجله في عملية التعلم، وبشكل فعال، لا بد من مراعاة الشروط التالية:

1- أن تتناسب الوسيلة مع الأهداف التي سيتم تحقيقها من الدرس.

2-دقة المادة العلمية ومناسبتها للدرس.

3- أن تناسب الطلاب من حيث خبراتهم السابقة.

4-ينبغي ألا تحتوي الوسيلة على معلومات خاطئة، أو قديمة، أو ناقصة، أو متحيزة، أو مشوهة أو هازلة، وإنما يجب أن تساعد على تكوين صورة كلية واقعية سليمة صادقة حديثة أمينة متزنة.

5- أن تعبر تعبيراً صادقاً عن الرسالة التي يرغب المعلم توصيلها إلى المتعلمين.

6-أن يكون للوسيلة موضوع واحد محدد، ومتجانس، ومنسجم مع موضوع الدرس، ليسهل على الدارسين إدراكه وتتبعه.

7- أن يتناسب حجمها أو مساحتها مع عدد طلاب الصف.

8-أن تساعد على إتباع الطريقة العلمية في التفكير والدقة والملاحظة.

9- توافر المواد الخام اللازمة لصنعها، مع ترخص تكاليفها.

10- أن تتناسب ومدارك الدارسين، بحيث يسهل الاستفادة منها.

11 -أن يكون استعمالها ممكنا وسهلا .

12 -أن يشترك المدرس والطلاب في اختيار الوسيلة الجيدة التي تحقق الغرض. **(محمد عودة التميمي،2010،ص140،139)**

8-عوائق استخدام الوسائل التعليمية:

1-عدم قدرة المعلم على التخلص من الأسلوب اللفظي في التعليم.

2-النقص الواضح في استعدادات كثيرة في المباني المدرسية، مثل: انعدام الإضاءة في حجرات الدراسة.

3-قلة الحوافز المادية والأدبية لتشجيع الابتكار والتجديد في المدارس.

4-عدم تخصيص ميزانية مناسبة في معظم المدارس لإنتاج التقنيات التعليمية الأساسية التي يحتاجها.

5-عدم تخصيص نسبة من درجات التقديرات الفنية السنوية للمعلمين لكفاءاتهم في استخدام التقنيات التعليمية.

6-عدم كفاية الساعات المخصصة لتدريس مادة تقنيات التعليم في مؤسسات إعداد المعلم أو كليات التربية.

7-ينظر البعض من التلاميذ إلى الوسائل التعليمية على أنها أدوات للتسلية والترفيه؛ مما يجعلهم يعرضون عن الاهتمام والانتباه للدرس.

8-صعوبة تداول الوسائل التعليمية والتخوف من استخدامها، وخشية كسرها، أو فقدها، أو تلفها من قبل المعلمين.

9-عدم توافر فني الوسائل التعليمية في معظم المدارس العربية؛ مما يزيد من مقاومة المعلم لاستخدام الوسائل التعليمية .

10-إكتظاظ التلاميذ داخل القسم فمن الصعب خلق جو من التواصل مع كل التلاميذ في القسم المكتظ واستيعاب الرسالة التعليمية من طرف كل التلاميذ لن يتحقق بالفعل.

11-عدم الراحة لأن الجو العام للقسم يؤثر على الراحة النفسية والبدنية لكل من المعلم والمتعلمين، كارتفاع درجة الحرارة أو في حالة شعور المعلم أو المتعلم بالمرض.... الخ كل هذا يؤثر سلبا على سير العملية الاتصالية.

12-التشويش الذي قد يكون ناجما عن عدم قدرة المعلم ضبط النظام في القسم، أو عدم وضوح الصوت، كما يمكن أن يكون ناجما عن تشويش خارجي كطرق السيارات.**(سالم محمد احمد و سرايا، 2003، ص364)**

استنتاج:

اذاً فالوسيلة التعليمية ليست ترفاً أو شيئاً مكملاً للعملية التعليمية بل هي عنصر أساسي في العملية التعليمية لا غنى لكل معلم عنها وهي ليست عبئاً على المعلّم بل هي أداة مساعدة له توفر وقته وجهده وتيسر عمله ،فهي تحتل مكانة مرموقة بين المدخلات التربوية لتعدد فوائدها وتحظى بأهمية بالغة لدى المعلمين والمخططين التربويين نظراً لما تؤديه من استثارة اهتمام المتعلم وإشباع حاجاته التعليمية ، وتقدم خبرات متنوعة يأخذ منها كل متعلم ما يحقق أهدافه ويثير اهتماماته فتصبح بذلك حقلا لنمو المتعلم في جميع الاتجاهات ويعمل على إثراء مجالات الخبرة التي يمر بها .

المراجع:

1-أحمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد جابر(2007)، **الوسائل التعليمية والمنهج**، ط1، دار الفكر لنشر والتوزيع، عمان.

2-اقبال بهيباني وزاهر الغريب(1999)، **تكنولوجيا التعليم نظرة مستقبلية، ط1**، دار الكتاب الحديث، مصر.

3- حسين حمدي الطوبحي(1987)، **وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم**، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

4-حمزة حسين عبيد (ب س)، **اهمية الوسائل التعليمية في بيان العقيدة الاسلامي**، المجلد الاول، العدد (24)، الجامعة العراقية، قسم التربية الاسلامية.

5-ربيع هادي ميشعان وطارق الدليمي(2009)، **معلم القرن الحادي والعشرون (اسس اعداده وتأهيله)، ط1**، مكتبة المجتمع العربي، الاردن.

6-سالم أحمد محمد وسرايا عادل السيد (2003)، منظومة تكنولوجيا التعليم، ط1، مكتبة الرشد الرياض.

7-عبد الحافظ سلامة (2000)، **الوسائل التعليمية والمنهج**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.

8-عبد الحافظ سلامة (2008)، **تصميم الوسائل التعليمية وانتاجها لذوي الاحتياجات الخاصة**، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان.

9-عبد الحاكم مخلوف(2005)، **الوسائل التعليمية وسيكولوجية التعلم للمعوقين بصريا، ط1**، مكتبة الأنجلو المصرية.

10-علم الدين عبد الرحمان الخطيب(1997)، **اساسيات طرق التدريس، ط2**، منشورات الجامعة المفتوحة.

11-مصطفى عبد السميع محمد واخرون (2004)، **تكنولوجيا التعليم مفاهيم وتطبيقات**، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة.

12-محمد عودا التميمي (2010)، **طرائق التدريس العامة، دار** الجوراء، العراق.

13-محمد الياس حسين(2011)، **وسائل التعليم في تدريس المواد الدينية، مجلة القسم العربي**، العدد الثامن عشر، الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ بنغلاديش.

14-محمد علي السيد(1999)، **الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم، ط1**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

15-محمد محمود الحيلة (2000)، **تصميم وانتاج الوسائل التعليمية**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

16-محمد محمود الحيلة (2001)، **اساسيات تصميم وانتاج الوسائل التعليمية** دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن

17-ماجدة السيد عبيد(2001)، **الوسائل التعليمية في التربية والتعليم، ط1**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

18-محمد عبد الباقي احمد(2003)، **المعلم والوسائل التعليمية، ط1**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.

الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالالتزام التنظيمي لدى عمال مراكز التكوين المهني بالأغواط

الباحث/ محمد زعيلق
جامعة الأغواط ـ الجزائر.

الباحث/ طاهر بوجمل
جامعة الأغواط ـ الجزائر.

الباحث/ بشير حبيش
جامعة الأغواط ـ الجزائر.

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة الى معرفة طبيعة العلاقة الموجودة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي لدى العمال الإداريين بقطاع التكوين المهني، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي الإرتباطي المقارن، كما شمل بحثنا على عينة من العمال الإداريين بمراكز التكوين المهني وعددهم 70 عامل، اضافة الى اعتمادنا على استبيانين استبيان خاص بالثقافة التنظيمية واستبيان خاص بالالتزام التنظيمي أما المجال المكاني والزماني فقد أجريت الدراسة ببعض مراكز بولاية الأغواط للسنة الدراسية 2014/2013. اضافة الى اعتمادنا على ألأساليب التحليل الإحصائي كالمتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل الارتباط بيرسون، أسلوب جوتمان، الأسلوب الإحصائيT ، الأسلوب الإحصائي فا . واستطعنا من خلال بحثنا هذا الوصول إلى أنه توجد علاقة ارتباطيه بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي وخلصنا إلى أن هناك فروق بين العمال الإداريين في الالتزام التنظيمي تعزى إلى المستوى التعليمي و انه لا توجد فروق بين العمال الإداريين في الالتزام التنظيمي تعزى إلى الأقدمية وانه لا توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية تعزى إلى المستوى التعليمي وانه لا توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية تعزى إلى الأقدمية

الكلمات المفتاحية: الثقافة التنظيمية. الالتزام التنظيمي. مراكز التكوين المهني.

Study summary :

The study aimed to find out the relationship between organizational culture and the organizational commitment to administrative workers in the training sector.we relied on the comparative descriptive approach.Our research also included a sample of administrative workers in vacational training cemters and their number is 70 workers.In addition to that , we relied on two questionnaires , the first one on organizational culture and the second one on the organizational commitment. For the spatial and temporal area, the study conducted in some centers in the state of Laghouat for the school year 2013/2014 .In addition to our reliance on statistical analysis methods such as arithmetic mean , standard deviation , Pearson correlation and statistical methods (T.F). In this research we found that there is a correlation between organizational culture and commitment. We also concluded that there are differences and there are no differences between adminostrative workers in organizational commitment due to seniority

Keywords: Organizational culture. Organizational commitment. Vocational training centers.

مقدمـــة:

تعبر الثقافة التنظيمية لأي منظمة عن أسلوب سير العمل، وكذلك الدوافع والمعوقات التي تدفع أو تحد من تطور مستوى الأداء، فالثقافة التنظيمية المرنة التي تقوم على أساس تشجيع المشاركة والشورى تجلب البيئة المناسب للإبداع والابتكار من خلال سعي العاملين لبذل قصار جهودهم في سبيل تحقيق أهدافهم بصف خاصة وأهداف المنظمة بصفة عامة، بينما تؤدى الثقافة التنظيمية الجامدة التي تعتمد على المركزية وعدم تفويض السلطة للآخرين إلى عدم الانضباط إلى الجمود والتخلف والخوف من تقديم الأفكار الجديدة خوفا من فشلها والتعرض للعقاب والمسائلة، مما يترتب عليه عدم القدرة على تطوير الأداء، في ضوء انخفاض معدلات الرضا الوظيفي، وزيادة الرغبة لدى العاملين في التسرب الوظيفي، وما يتبع ذلك من عوامل أخرى تتضمن الولاء والانتماء للمنظمة، فضلا عن ضعف الالتزام التنظيمي وكذلك ضعف الفاعلية التنظيمية

و تتسم الأدبيات المتعلقة بالالتزام التنظيمي بالندرة بصفة عامة، والأدبيات العربية بصفة خاصة، والمتوفر منها ينطلق من الدراسات الغربية، وتركز على القطاع الخاص والقليل منها تناول الالتزام التنظيمي في القطاع العام.

والالتزام (Commitment) والولاء (Loyalty) لفظان اختلف على كونهما مترادفين وقد ورد في كثير من أدبيات الالتزام التنظيمي، والولاء التنظيمي على أنهما كلمتان مترادفتان بالعربية وهي ترجمة لكلمة (Commitment) على الرغم من أن الترجمة الحرفية لهذين المصطلحين تظهر في القاموس مختلفين حيث تعني (Commitment) الالتزام، بينما الولاء هي ترجمة لكلمة (Loyalty) وقد ورد في عدد من الدراسات والأدبيات أن عددًا كبيرًا من الباحثين في مجال الولاء أو الالتزام، اعتبروهما كلمتين مترادفتين عبارة عن ترجمة للمصطلح (Commitment)، حيث إن جميع الدراسات السابقة التي اتخذت كمراجع لهذهالدراسة أو كدراسات سابقة معنونة بمصطلح (Organizational Commitment) ولم يظهر أن هناك وجودًا لمصطلح (Organizational Loyalty)

1. تحديد الإشكالية:

تسعي كل المؤسسات الإدارية إلى رفع مستوى أداء موظفيها وأكيد أن هذا الأداء مرتبط بشتى المتغيرات التي تحيط بالفرد العامل داخل أي مؤسسة ، وأكيد أن الالتزام التنظيمي مرتبط بالأداء ولكن للالتزام التنظيمي مؤثرات خارجية لعل أبزها الثقافة التنظيمية السائدة في تلك المؤسسات التي تؤثر يشكل كبير على مدى التزام الفرد العامل بالنظام السائد في الوسط المهني ،ولعل الدول المتقدمة خطت

خطوة هامة في إبراز دور الثقافة التنظيمية واستغلاها في جلب العامل إلى وسطنه المهني بحيث يحس كأن المؤسسة جزء منه ولا يمكن أن يتخلى عنها وذلك لربط النظام السائد داخل تلك المؤسسة بالثقافة التنظيمية بشتى إشكالها وطرقها ولعل أبرز ما لوحظ في السنوات الأخيرة ،خاصة إذا تكلمنا عن الدول المتقدمة هو اهتمامهم بالعنصر البشري في مجال العمل وذلك بمراعاة جميع الجوانب التي تحيط بالفرد داخل وخارج العمل خاصة إذا تكلمنا عن المعتقدات والقيم التي يتبناها ،وذلك بربط جسور التواصل بين العمال والنظام السائد في المؤسسة، عكس ما كان يلقاه العامل في العصور الوسطى وكان ينظر إليه كالآلة التي تنتج فقط ،أو يمكن استغلال قدراته بطريقة آلية ، دون مراعاة الجانب السيكولوجي والسوسيولوجي للفرد العامل .

ولربط دور الثقافة التنظيمية في الوسط المهني يجب علينا التركيز على دورها مهما كان وذلك في مدى التزام الموظف بعمله وبالنظام السائد داخل المؤسسة ولذلك طرحنا هذا الإشكال التالي:

هل توجد علاقة ارتباطية موجبة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي لدى العمال الإداريين في قطاع التكوين المهني؟

ومن خلال ما طرح من إشكالية تنبثق عنها إشكاليات جزئية كالأتي:

1-هل توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى المستوى التعليمي ؟

2-هل توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى عامل الأقدمية؟

3-هل توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى المستوى التعليمي؟

4-هل توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى عامل الأقدمية؟

2. فروض الدراسة:

ـ الفرضية العامة:

- توجد علاقة ارتباطيه موجبة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي لدى العمال الاداريين.

- **الفرضيات الجزئية:**

- توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى المستوى التعليمي.
- توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى عامل الأقدمية.
- توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى المستوى التعليمي.
- توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى عامل الأقدمية.

3.أهداف الدراسة:

- معرفة العلاقة القائمة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي.
- معرفة هل للثقافة التنظيمية علاقة ارتباطيه قوية بأداء الموظف داخل الوسط المهني.
- معرفة هل للمتغيرين الأقدمية والمستوى التعليمي تأثير على الالتزام التنظيمي.
- معرفة هل للمتغيرين الأقدمية والمستوى التعليمي تأثير على الثقافة التنظيمية.
- تطوير المعرفة الإدارية في مجال الالتزام التنظيمي لدى العمال الإداريين.
- تطوير المعرفة الإدارية في مجال الثقافة التنظيمية لدى العمال الإداريين.
- إعطاء دراسة وافية وكافية عن أهمية الثقافة التنظيمية في الوسط المهني.

4.أهمية الدراسة:

لكل بحث أهمية كبيرة لابد من التطرق إليها حتى يكون البحث جديرا بالدراسة وقد تمثلت أهميته فيما يلي:

4-1- الأهمية النظرية:

- ثقافة العاملين توجه الوظائف والدوافع الإنسانية طبقا للافتراضات والقيم والاعتقادات الخاصة بهم
- أهمية الولاء والالتزام التنظيمي في التأثير على سلوك الموظف العام كون أن الالتزام التنظيمي لم ينالا حظهما من الدراسة الكافية والوافية ولا نجد إلا دراسات قليلة في هذا المجال.

التعرف على أهم ما يؤثر على الثقافة التنظيمية وتأثيرها على العامل.

- إثراء المكتبة الجامعية في مجال الالتزام التنظيمي.
- ربط جسور التواصل بين قطاع التكوين المهني والجامعة.
- فهم واقع التنظيمات الإدارية وفق المنظور النفس.
- فتح باب الحوار أمام العمال للادلاء بآرائهم واقتراحاتهم.

4-2- الأهمية التطبيقية:

وأما من الناحية التطبيقية فيمكن الاستفادة منه وذلك من خلال النتائج التي سنتوصل إليها في فهم دور القيم السائدة في قطاع التكوين المهني التي تؤثر بدورها على الالتزام التنظيمي ويمكن النظر الى الدراسة كونه تركز على ثقافة الموظف وربط تلك الثقافة بالجانب المهني حتى تصبح لها دور في الحياة المهنية للفرد العامل وكذلك لبث القيم السائدة وربطها بأداء الموظف حتى تتماشى مع وتيرة العمل قصد التخلص من الروتين الممل داخل الوسط المهني ويمكن بذلك أن نخلص إلى النقاط التالية :

ـ إتخاذ قرارات إستراتيجية تساعد في تنظيم محكم بمراعاة ثقافة العاملين.

ـ التحكم في التسيير وذلك بالتعرف على ثقافة العاملين.

ـ اتخاذ قرارات ملائمة لادارة وتطوير قطاع التكوين المهني.

ـ ربط جسور التواصل ين العمال الإداريين والإدارات العليا.

ـ أهمية الثقافة التنظيمية في التأثير على أداء العامل.

وعلى هذا فإن هذا الموضوع لا يولى له أهمية كبيرة لا من الناحية النظرية (بحوث دراسات) ولا من الناحية التطبيقية قصد التطرق إلى أهم النتائج التي سنتوصل إليها ومحاولة استغلالها في اتخاذ أهم الإجراءات التي تساهم في ربط الفرد العامل بمؤسسته والعلاقة التى تربط العامل بالمؤسسة وذلك بتأثير كثير من المتغيرات عليه ولعل أهمها الثقافة التنظيمية، وذلك فمن الضروري الأخذ بعين الاعتبار دور الجوانب التي تحيط بالأفراد العاملين من التخلص من الروتين اليومي الذي لا يخدم لا المؤسسة ولا العامل، وذلك بالتركيز على دور الثقافة التنظيمية في مدى التزام الفرد العامل بنظام المؤسسة.

5.المصطلحات الاجرائية للدراسة:

1.5 الثقافة التنظيمية: هي القيم(مجموعة من المعتقدات) التي يتمسك بها الأفراد ذوي النفوذ في المؤسسة ، كما تحدد الطريقة المناسبة للموظفين في اتخاذ القرارات وإدارتهم لمرؤوسهم ومؤسساتهم.

2.5 الالتزام التنظيمي: هو تمسك الفرد بالعمل والجهد والأداء والوقت الذي يبذله لهذا الغرض، والى أي مدى ارتباط الفرد بالعمل وواجباته الوظيفية.

العمال الإداريين: مجموعة من الموظفين يتمتعون بمؤهلات ومهارات تكوينية إدارية موزعين على عدة مصالح إدارية.

6.الاطار النظري:

1.6 مفهوم الثقافة التنظيمية :

تعرف الثقافة التنظيمية بأنها مجموعة القيم والمفاهيم الأساسية التي يتم إيجادها وتنميتها داخل مجموعات العمل في المنظمة وتعليمها للعاملين لتحديد طريقة تفكيرهم وإدراكهم وشعورهما تجاه بيئة العمل الداخلية والخارجية وتحدد سلوكهم وتؤثر في أدائهم وإنتاجيتهم.

عرف **الكبيسي** الثقافة التنظيمية بأنها: نظام من المعاني المشتركة يتضمن اللغة واللباس والقيم والاتجاهات والتفاعلات والمعايير التي تحكم سلوك الأفراد. (**علي عبد الله، 2002: ص9**).

ومن هذا المنطلق نعرف الثقافة التنظيمية بأنها : معاني مشتركة تنتقل بين الأفراد من خلال اللغة واللباس والقيم والمشاعر و الاتجاهات والتفاعلات والمعايير السلوكية وتسهم في تكوين شخصية المنظمة وسمات العاملين بها لتحديد ومواجهتها. بما يعبر عن قيم المنظمة.

وكل هذه التعريفات جاءت ملمة بالثقافة التنظيمية لان اي تنظيم يتأثر بالثقافة السائدة في ذلك المجتمع أو تلك البيئة وتختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان وسوف نوضح دور الثقافة التنظيمية وأهميتها من خلال هذه العناصر التي تلم بالثقافة التنظيمية.

2.6 مفهوم الالتزام التنظيمي:

أدى الاهتمام بمفهوم الالتزام التنظيمي، خلال العقدين الماضيين، إلى شيوعه لدى المديرين والأكاديميين. على اعتبار أن الموظف الملتزم يكون أكثر التصاقاً بمنظمته وأكثر اجتهاداً في تحقيق أهدافها، إضافة إلى ارتباط مفهوم الالتزام بمفهوم الولاء (Loyalty)، كما أن زيادة المعرفة بمفهوم الالتزام تكون عاملاً مساعداً في فهم الطبيعة السيكولوجية لعملية الاندماج لو على الرغم من الاهتمام الذي نال الالتزام التنظيمي من قبل الباحثين والأكاديميين، إلا أنهم لم يتفقوا على تعريف محدد له، ويعود ذلك إلى تعدد المنطلقات والزوايا التي نظر الباحثون إليه من خلالها، الأمر الذي أدى إلى تعدد تعريفاته وتصنيفاته. فقد أشار (mowday) إلى عشرة منها، فيما حدد له (Morrow) تسعه وعشرين مفهومًا ويعزى السبب في هذا الاختلاف إلى النظرإليه من حيث النتائج من قبل بعض الباحثين، بينما ينظر البعض الآخر إليه من خلال الحالات السابقة والأهداف، وقد ينظر له على أنه واحد أو أكثر من هذه الأنواع والمداخل.

ومن أوائل من قدموا تعريفًا للالتزام التنظيمي كان"بورتر"و"سميث (porter and smith) سنة 1970م، حيث نظرا إليه من منظور نفسي ووصفاه بأنه": توجه يتسم بالفعالية والإيجابية نحو المنظمة وهو التعريف الذيأخذ به أغلب الباحثين في مجال الالتزام التنظيمي. فقد أخذ به "هيجان" في تعريفه للولاء والالتزام التنظيمي، إذ عرفه بأنه قوة تطابق واندماج الفرد مع منظمته وارتباطه بها. **(هيجان،1998: ص 9).**

7. الدراسات السابقة:

الدراسات العربية:

01_دراسة محمد بن غالب العوفي 2005: تناولت هذه الدراسة أهمية الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالالتزام التنظيمي،وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور الثقافة التنظيمية ومدى التزام الموظف في

هيئة الرقابة والتحقيق بمنطقة الرياض إضافة إلى التعرف على مستوى الالتزام التنظيمي،كذلك الوقوف على مدى اختلاف مستويات الالتزام التنظيمي باختلاف الخصائص الشخصية لدى منسوبي هيئة الرقابة والتحقيق بمنطقة الرياضة كما هدفت إلى كشف طبيعة العلاقة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي في هيئة الرقابة والتحقيق إضافة إلى كشف أثر القيم المكونة للثقافة على الالتزام التنظيمي في هيئة الرقابة والتحقيق بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية.**(محمد العوفي 2005)**

02_دراسة حمد الشلوي 2005: بعنوان الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالانتماء التنظيمي : وهي دراسة وصفية هدفت الى الكشف عن العلاقة بين الثقافة التنظيمية بالانتماء التنظيمي من خلال التعرف على مستوى الثقافة التنظيمية في كلية الملك خالد في المملكة العربية السعودية، وتحديد مستوى الانتماء التنظيمي، والعلاقة بين الثقافة التنظيمية والانتماء التنظيمي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان كأداة للدراسة ، وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج من أهمها:

_ يرتفع مستوى الثقافة التنظيمية نسبيا في كلية الملك خالد العسكرية.

_ يرتفع مستوى الانتماء التنظيمي بمختلف أبعاده.

_ توجد علاقة طردية موجبة بين الثقافة التنظيمية والانتماء التنظيمي بمختلف أبعاده، وبين قيم قيم الثقافة التنظيمية والانتماء التنظيمي .

_ أهم المتطلبات الواجب توافرها لايجاد قيادات قادرة على تطوير الثقافة التنظيمية هي: الحرص على سيادة القيم المكونة للثقافة التنظيمية كقيم القوة والفاعلية والكفاءة والعدالة وفرق العمل والمكافأة والعدل والقانون والنظام واستخدام التفكير الابتكاري في حل المشكلات. **(محمدالشلوي2005)**.

03_دراسة منصور أل سعود (2003)بعنوان الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالسلوك القيادي في الإدارة المحلية بالمملكة العربية السعودية : وهي دراسة وصفية هدفت الى الكشف عن علاقة الثقافة التنظيمية بالسلوك القيادي في الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية من خلال الكشف عن الخصائص الإدارية والتنظيمية لإمارتي منطقة الرياض ومنطقة مكة مكرمة ، وأبعاد الثقافة التنظيمية في كلا الإمارتين ، وأبعاد السلوك القيادي للمسؤولين في الإمارتين ، وعلاقة الثقافة التنظيمية لكل إمارة بالسلوك القيادي للمسؤولين بها وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان كأداة للدراسة ، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

_تحتل قضية التطوير المرتبة الأولى لدى المبحوثين، تليها تدرج السلطة، ثم التركيز على المصداقية.

_توجد علاقة قوية بين تفسير القائد والأبعاد التالية:البعد التنظيمي، البعد الإداري، البعد الإنساني.

_ هناك علاقة ضعيفة بين الأداء الإداري للقائد والبعد التنظيمي والبعد الإداري .

_أهم المتطلبات الواجب توافرها لإيجاد قيادات قادرة على تطوير الثقافة التنظيمية السائدة هي : توفير هياكل الثقافة التنظيمية تعتمد على تفويض السلطة واللامركزية ومشاركة القوة ، ودعم القيادة العليا لجهود التطوير.(**منصور آل سعود2003**)

04_ دراسة نايف الفالح (2001) بعنوان الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالرضا الوظيفي: وهي دراسة هدفت إلى التعرف على العلاقة بين الثقافة التنظيمية والرضا الوظيفي في الأجهزة الأمنية من خلال تحديد مستوى قيم الثقافة التنظيمية في هيئة التحقيق والادعاء العام بالمملكة العربية السعودية ، ومستوى الرضا الوظيفي لدى منسوبي هيئة التحقيق والادعاء العام ، وطبيعة العلاقة بين الثقافة التنظيمية والرضا الوظيفي ، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان كأداة للدراسة وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

_ يرتفع مستوى الثقافة التنظيمية بالهيئة بصفة عامة في ثلاث مجموعات من القيم التنظيمية تمثل إدارة المهمة وإدارة العلاقات وإدارة البيئة.

_تحتل قيم القوة والتنافس والدفاع والكفاية والفعالية مراكز متقاربة في ترتيب الأهمية لمنظومة قيم الثقافة التنظيمية بالهيئة _ساهمت الثقافة التنظيمية السائدة في ارتفاع معدلات الرضا الوظيفي للعاملين بالهيئة.

أهم المتطلبات الواجب توافرها لإيجاد قيادات قادرة على تطوير الثقافة التنظيمية السائدة هي: سيادة مجموعة قيم تتضمن قيم القوة والفاعلية والكفاءة والعدالة وفق العمل والمكافأة والقانون والنظام ، الى التفكير ألابتكاري في حل المشكلات. (**نايف الفالح، 2001**).

05_دراسة عبد العزيز أل حسن (2001) بعنوان الثقافة التنظيمية وعلاقتها بفعالية التطوير التنظيمي : وهي دراسة وصفية هدفت الى التعرف على علاقة الثقافة التنظيمية السائدة في الإدارة العامة للمجاهدين بالمملكة السعودية ، والكشف عن مستوى فعالية التطوير التنظيمي والعلاقة بين الثقافة التنظيمية وفعالية التطوير التنظيمي ، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان كأداة للدراسة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

_ للتطوير التنظيمي في الإدارة العامة للمجاهدين فعالية متوسطة.

_ ابراز القيم التي يدركها العاملون بالإدارة العامة للمجاهدين هي قيم القوة الفعالية الكفاءة وفرق العمل كقيم تسود الثقافة التنظيمية بدرجة عالية . (**عبد العزيز ال حسن2001**،)

06_ دراسة حسين القحطاني (2000) بعنوان أثر الثقافة التنظيمية على كفاءة أداء موظفي جمارك مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة : وهي دراسة وصفية هدفت الى الكشف عن أثر الثقافة التنظيمية على كفاءة العاملين بجمارك مطار الملك عبد العزيز بجدة من خلال دراسة التأثيرات للمتغيرات المتعلقة بالثقافة التنظيمية بالثقافة التنظيمية وعلاقتها بأداء العاملين ومستوى تطبيقها، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بمدخل المسح الاجتماعي واعتمد على الاستبيان لجمع البيانات على عينة عشوائية مكونة من 150 فردا من العاملين في الجمارك بمطار الملك عبد العزيز بجدة ، وتوصلت الى عدة نتائج من أهمها :

_ عدم الاهتمام بالثقافة التنظيمية كوسيلة لتحسين وتطوير مستويات الأداء .

_ لا يعرف غالبية المديرين والرؤساء والموظفين معنى الثقافة التنظيمية وأهدافها ومكوناتها.

_ إبراز القيم التنظيمية الشائعة بين موظفي جمارك مطار الملك عبد العزيز هي: المشاركة في اتخاذ القرارات، وعدم اهتمامك بوجود الطبقية، أو العوائق التي تحد من الفعالية الوظيفية.

07_ دراسة نجوى الطبلاني (1996)بعنوان تأثير ثقافة المنظمة على الفعالية التنظيمية بالتطبيق على منظمات صناعة الدواء في مصر: وهي دراسة وصفية هدفت إلى مدى تأثير ثقافة المنظمة على الفعالية التنظيمية لمنظمات الأعمال في مصر ، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان والمقابلة كأدوات للدراسة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

_ للثقافة التنظيمية تأثير جوهري على التنظيم.

_ أهم العناصر الجماعية التي تؤثر إيجابا على الفعالية التنظيمية هي: سيادة روح الفريق، والمشاركة في صنع القرار، والإيمان بالعمل، وروح الانتماء، والمساواة كأساس للتعامل مع جميع العاملين وتبادل الآراء والأفكار والمقترحات لانجاز العمل.

_ الثقافة التنظيمية التي تتسم بالقدرة على التكيف تؤثر بشكل مباشر على الفعالية التنظيمية

_ توثر الثقافة التنظيمية التي تتسم بالابتكار تأثيرا جوهريا ايجابيا على الفعالية التنظيمية.

_ تساهم الثقافة التنظيمية في تحسين أداء العاملين بدرجات متباينة. **(نجوى الطبلاني،1996)**.

08 _ دراسة عبد الرحمن هيجان (1992) بعنوان أهمية قيم المديرين في تشكيل ثقافة منظمتين سعوديتين : وهي دراسة وصفية استهدفت التعرف على قيم أصحاب ذوي النفوذ في منظمتين سعوديتين وتحديد مدى أبعاد الثقافة التنظيمية بمنظماتهم سواء فيما يتعلق بأسلوب إدارتهم لمهام منظماتهم، أو

كيفية إدارتهم لمهام منظماتهم، أو علاقاتهم مع العاملين معهم، أو كيفية أدارتهم لبيئة منظماتهم، ومدى تأثير قيمهم في جوانب ونماذج السلوك الموجودة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان والمقابلة كأدوات للدراسة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

_ قيم المديرين ومديري الإدارات العليا هي العامل الرئيسي في تشكيل ثقافة منظماتهم.

_ الأفراد في مستوى القيادة ، أو في مستوى الإشراف هم الثروة الحقيقية للمنظمة.

_ من أهم ايجابيات الثقافة التنظيمية السائدة الحرص على الأداء الجيد في أعمال المنظمتين.

_ تسعى الثقافة التنظيمية السائدة الى الاهتمام بالجوانب الانسانية في العمل من خلال إشاعة الشعور الأسرى داخل المنظمتين ، وأهمية المديرين في تشكليها.

_ مراعاة القواعد والأنظمة السائدة في المنظمتين لتحقيق أهدافها.

_ تشكل روح المنافسة قيمة أساسية في اتخاذ أي قرار. **(عبد الرحمن هيجان ،1992)**

09_ دراسة القطان (1987) بعنوان العلاقة بين الولاء التنظيمي والصفات الشخصية والأداء الوظيفي : وهدفت الدراسة إلى قياس ومقارنة مستويات الولاء التنظيمي ،وتقرير طبيعة العلاقة بين الولاء التنظيمي وثلاث صفات شخصية هي العمر ومدة الخدمة في المنظمة الخالية والمستوى التعليمي وتقرير طبيعة العلاقة بين الولاء التنظيمي للأفراد وقد شملت عينة الدراسة على 820 عاملا يعملون في منظمات مختلفة في المملكة العربية السعودية والمجموعة العربية والمجموعة الأسيوية والمجموعة الغربية وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك علاقة ايجابية معنوية ذات دلالة إحصائية بين الولاء التنظيمي والأداء الوظيفي لأفراد المجموعة وأرجع الباحث ذلك إلى انخفاض أجورهم مقارنة بالمجموعات الأخرى وبالتالي فان أدائهم الوظيفي متناسب مع أجورهم لذا يميل الأسيويون بعض الأحيان إلى الكسل والتهاون في عملهم.

الدراسات الأجنبية:

01 دراسة DALE(2005) بعنوان تحليل العلاقة بين الرضا الوظيفي والثقافة التنظيمية والخصائص القيادية: هدفت بالكشف عن مدى مساهمة هذه العوامل في التخطيط الاستراتيجي واتخاذ القرارات وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي عن طريق مدخل المسح الاجتماعي الذي اعتمد على الاستبيان كأداة للدراسة ، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

_ تتشابه رؤية المبحوثين نحو العلاقة بين الرضا الوظيفي والثقافة التنظيمية والخصائص باختلاف المتغيرات

_توجد فروق ذات دلالة إحصائية في رؤية المبحوثين للعلاقة بين الرضا الوظيفي والثقافة التنظيمية والخصائص الوظيفية باختلاف متغير مدة الخبرة الوظيفية

_ تساهم الثقافة التنظيمية في ارتفاع معدات الرضا الوظيفي، ويحتل نمط القيادة التحويلية المرتبة الأولى في تطوير الثقافة التنظيمية وانعكاسها على الأداء، مما يستفيد الباحثان في التعرف على مفاهيم الثقافة التنظيمية والتأثيرات المتبادلة بينها وبين الأداء.(دال، 2005)

02_ دراسة (SCHNEIDER) (2000) بعنوان لماذا تفشل الأفكار الإدارية الجيدة الطاقة المهملة للثقافة التنظيمية :وهي دراسة وصفية هدفت إلى توضيح أهمية الثقافة التنظيمية اللازمة، لان الأفكار الإدارية لا تكفي للنجاح في حالة عدم توفر الثقافة التنظيمية اللازمة لتنفيذ هذه الأفكار، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي عن طريق مدخل المسح الذي اعتمد على الاستبيان كأداة للدراسة ، وتخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

_ يتم تصنيف الثقافات التنظيمية السائدة وفقا لتأثير النمط القيادي إلى: ثقافة الضبط والرقابة وثقافة المشاركة والتعاون، وثقافة الأداء العالي، الثقافة، التهذيب، الرعاية.

_ ثقافة المشاركة والتعاون هي الثقافة السائدة في الجامعات المبنية التي تقوم على فلسفة فرق العمل.

_ ثقافة الأداء العالي هي الثقافة السائدة في الجامعات والمعاهد العلمية.

_ ثقافة التهذيب والرعاية هي الثقافة السائدة في المنظمات التربوية والدينية. (سكيندر،2000)

8. الاجراءات المنهجية والميدانية للدراسة:

1.8 المنهج : إن موضوع دراستنا "الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالالتزام التنظيمي" يتطلب منهجا مناسبا يتناسب مع طبيعة الدراسة ولهذا اخترنا المنهج الوصفي حيث يعتبر من أكثر المناهج استعمالا وشيوعا في الدراسات النفسية بصفة خاصة والاجتماعية بصفة عامة ويركز على ما هو كائن في وصفه وتفسيره للظاهرة موضوع البحث

2.8 حدود الدراسة:

1.2.8 الحدود المكانية : تم إجراء الدراسة في مدينة الأغواط كل من :

- مركز التكوين المهني أحمد ليناني.
- مركز التكوين المهني موتح قدور.

- مركز التكوين المهني حدباوي خديجة.
- مركز التكوين المهني للمعاقين.

2.2.8 الحدود الزمنية : تم إجراء الدراسة ابتداء من 20 جانفي إلى غاية 20 ماي 2014.

3.2.8 الحدود البشرية: تم الاعتماد على العمال الإداريين في مراكز التكوين المهني

3. أدوات جمع البيانات :

يسعى كل بحث علمي أو دراسة لاكتشاف وفهم العلاقات الموجودة بين ظواهره ولتحقيق هذا الغرض يستخدم الباحثون والعلماء مجموعة من التقنيات والأساليب لاكتشاف وفهم هذه العلاقات والارتباطات المختلفة، إلا أن طبيعة كل موضوع وخصوصيته وطبيعة التساؤلات والفروض والبيانات المراد الحصول عليها تفرض على الباحث اختيار الأداة أو التقنية الملائمة لذلك وتماشيا مع طبيعة موضوعنا. كما يلجأ أي باحث في دراسته إلى استخدام أدوات البحث العلمي، وذلك بمختلف التقنيات التي يتطلبها الموضوع، وتلعب الأداة دورا هاما في البحث العلمي حيث تعتبر المحرك الرئيسي للباحث وتختلف باختلاف طبيعة الموضوع ونوعه

لذلك استعملنا تقنية الاستمارة: وقد تم توزيع استبيانين استبيان خاص بالثقافة التنظيمية واستبيان خاص بالالتزام التنظيمي ويحتوي الاستبيان الأول على 28بند موزعة على ستة قيم وهي:

القوة_الفاعلية_الكفاءة_ النظام_النزاهة_العدل، وذلك أمام البدائل المتاحة:

- موافق بشدة_موافق_غير متأكد_غير موافق_غير موافق بشدة.

وأما الاستبيان الثاني الخاص بالالتزام التنظيمي فيحتوي على (14) بند موزعة على ثلاث قيم: وهي روح العمل _الفاعلية_الدافعية، وذلك أمام البدائل المتاحة:

- موافق بشدة_ موافق_ غير متأكد _غير موافق_غير موافق بشدة.

وقد تم تطبيق هذين الاستبيانين على هيئة الرقابة بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية في دراسة حول الثقافة التنظيمية ودورها في مدى التزام الموظفين بهيئة الرقابة.

وقد تم تمثيل كل بديل برقم معين لحساب الدرجة الكلية.

4.8 مجتمع الدراسة ومواصفات العينة : تم الاعتماد على العينة العشوائية البسيطة والعينة هي تمثل العمال الإداريين فقط ولا تعني العمال الآخرين كالأساتذة مثلا وعدد أفراد العينة 70 يمثلون المجتمع الأصلي البالغ عدده 400 من العمال الاداريين والجدول التالي يوضح ذلك.

(جدول رقم 01 يمثل نسبة أفراد العينة)

العينة	عدد الأفراد	النسبة
المجتمع الأصلي	500	%100
عينة الدراسة	70	%14

من خلال الجدول رقم01: نلاحظ أن نسبة أفراد العينة (14%) من نسبة المجتمع الأصلي وهذه النسبة مناسبة لاجراء الدراسة باعتبارها قد تجاوزت (10 %) بحيث أن عدد أفراد المجتمع الأصلي (500)

(جدول رقم 02: يمثل توزيع النسب المئوية حسب الأقدمية)

الأقدمية	عدد الأفراد	النسبة
من 1 إلى 10 سنوات	39	%56
من 10 إلى 20 سنة	16	%23
من 20 سنة فما فوق	15	%21
المجموع	70	%100

نلاحظ من خلال الجدول رقم02 أن نسبة العاملين ذو الأقدمية من (1إلى 10 سنوات) هي (56%) وأن نسبة العاملين ذو الأقدمية من (10 إلى 20 سنة) هي (23%) وأن نسبة العاملين ذو الأقدمية من (20 سنة فما فوق) هي (21%) ويوضح هذا أن العاملين ذوي الأقدمية من (0 إلى 10 سنوات) يحتلون نسبة كبيرة من حجم العمال وهذا يدل على أن قطاع التكوين المهني بالأغواط يقوم بالاعتماد على الطاقات الجديدة في تسيير قطاع ضخم مثل قطاع التكوين المهني الذي يتطلب تسيير محكم باعتباره يستقبل شريحة كبيرة من الشباب تتزايد عام بعد عام.

(جدول رقم 03: يمثل توزيع النسب المئوية للمستوى التعليمي)

المستوى التعليمي	عدد الأفراد	النسبة
متوسط	7	%10
ثانوي	30	%42
جامعي	33	%48
المجموع	70	%100

نلاحظ من خلال الجدول رقم03 أن نسبة العاملين ذو المستوى التعليمي المتوسط هي (10%) ونسبة العاملين ذو المستوى التعليمي الثانوي والجامعي هي (42%) و (48%) على التوالي. وهذا يوضح أن النسب الكبيرة للعاملين هم من ذوي المستوى الجامعي ومستوى الثالثة ثانوي حيث يهتم قطاع التكوين المهني بتوظيف حاملي الشهادات العليا وحاملي شهادات التقني والتقني سامي.

5.8 الدراسة الاستطلاعية:

- **الصدق:** تم استخدام الصدق التميزي للتحقق من صدق الاستمارة.

وهو ما توضحه النتائج في الجدول التالي:

(جدول رقم04 : يوضح صدق مقياس الثقافة التنظيمية)

المتغير المقاس	مجموعات المقارنة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الثقافة التنظيمية	المجموعة الدنيا	7	75.2	38.2	10.23	2.89	8	0.01
	المجموعة العليا	7	109.2	6.24				

نلاحظ من خلال الجدول رقم04 وجدنا أن المجموعة الدنيا ومتوسطها الحسابي يساوي (75.2) والتباين يساوي (38.2) أما المجموعة العليا فمتوسطها الحسابي يساوي (109.2) وانحراف معياري يساوي (6.24)، ويبين الجدول أيضا أن "ت" المحسوبة تساوي (10.23) و"ت" المجدولة (2.89) ودرجة الحرية تساوي (8) ومستوى الدلالة يساوي (0.01).

ونلاحظ أن قيمة "ت" دالة إحصائيا وبالتالي توجد فروق بين المجموعتين الطرفيتين مما يدل على صدق المقياس. وهذا يدل على أن الاستمارة مناسبة لموضوع البحث ويمكن الاعتماد عليها في اجراء الدراسة وتطبيقها على العينة.

أما متغير الالتزام التنظيمي وجدنا أن مجموعات المقارنة الموزعة كالتالي:

(جدول رقم05: يوضح صدق مقياس الالتزام التنظيمي).

المتغير المقاس	مجموعات المقارنة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الالتزام التنظيمي	المجموعة الدنيا	7	75.2	38.2	17.28	2.896	8	0.01
	المجموعة العليا	7	109.2	6.24				

نلاحظ من خلال الجدول رقم05 المجموعة الدنيا ومتوسطها الحسابي يساوي (75.2) والتباين يساوي (38.2) أما المجموعة العليا فمتوسطها الحسابي يساوي (109.2) وانحراف معياري يساوي (6.24)، ويبين الجدول أيضا أن "ت" المحسوبة تساوي (17.28) و"ت" المجدولة (2.896) ودرجة الحرية تساوي (8) ومستوى الدلالة يساوي (0.01).

ونلاحظ أن قيمة "ت" دالة إحصائيا وبالتالي توجد فروق بين المجموعتين الطرفيتين مما يدل على صدق المقياس.

الثبات:

تم حساب الثبات باستعمال طريقة جوتمان التي يتم فيها حساب معامل الارتباط ثم تصحيحه بمعادلة جوتمان وتشترط هذه الطريقة أن يكون عدد البنود في الاستبيان زوجي وهو متوفر في المتغيرين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي حيث قمنا بتجزئة الاستبيان إلى قسمين ثم قمنا بتطبيق معادلة جوتمان.

ويوضح الجدول التالي النتائج المتحصل عليها لحساب معامل الثبات لاستبيان الثقافة التنظيمية

(جدول رقم 06: معامل الثبات لمقياس لثقافة التنظيمية)

عدد البنود	عدد الأفراد	معامل الثبات قبل التصحيح	معامل الثبات بعد التصحيح
28	20	0.55	0.74

نلاحظ من خلال الجدول رقم06 ومن خلال النتائج المتحصل عليها بالنسبة لمقياس الثقافة التنظيمية وعند المقارنة وبالرجوع إلى الجداول الإحصائية المتعلقة بمعامل الارتباط "بيرسون" نلاحظ أن قيمة معامل الارتباط المحسوبة (0.55) أكبر من معامل الارتباط المجدول (0.22)عند مستوى الدلالة 0.05 وبالتالي نقول أن الاختبار ثابت.

ويوضح الجدول التالي النتائج المتحصل عليها لحساب معامل الثبات لاستبيان

(جدول رقم07: يوضح معامل الثبات الخاصة باستبيان الالتزام التنظيمي)

عدد البنود	عدد الأفراد	معامل الثبات قبل التصحيح	معامل الثبات بعد التصحيح
14	20	0.58	0.78

نلاحظ من خلال الجدول رقم 07 وعند المقارنة وبالرجوع إلى الجداول الإحصائية المتعلقة بمعامل الارتباط "بيرسون" نلاحظ أن قيمة معامل الارتباط المحسوبة 0.58 أكبر من معامل الارتباط المجدول(0.22) عند مستوى الدلالة 0.05 وبالتالي نقول أن الاختبار ثابت.

9. عرض ومناقشة النتائج:

1.9 عرض ومناقشة نتائج الفرضية العامة:

نص الفرضية: توجد علاقة ارتباطية موجبة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي لدى العمال الإداريين.

ولأجل معرفة الارتباط الموجود بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي استعملنا معامل الارتباط "بيرسون" ،والنتائج مبينة في الجدول التالي:

(جدول رقم08 يبين العلاقة بين درجات الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي)

المؤشرات الاحصائية / المتغير	العينة	درجة الحرية	معامل الارتباط المجدول	مستوى الدلالة 0.05	معامل الارتباط المحسوب
الثقافة التنظيمية	70	27	0.33	دالة	0.64

تشير النتائج الإحصائية المبينة في الجدول رقم08 أن معامل الارتباط المحسوب يساوي (0.64) ومعامل الارتباط المجدول يساوي (0.33) عند مستوى الدلالة (0.05) ودرجة الحرية (27).

وتدل هذه القيم على وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا من النوع الموجب أي أنه توجد علاقة ارتباطيه طردية بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي. وهذا يؤكد على أن الفرضية قد تحققت.

2.9 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

نص الفرضية: توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى المستوى التعليمي

ولإيجاد الفروق الموجودة بين العمال الإداريين تم استعمال طريقة "تحليل التباين"، والنتائج مبينة في الجدول التالي:

(جدول رقم09: يبين الفروق بين العمال الإداريين في الالتزام التنظيمي ترجع للمستوى التعليمي)

المؤشرات الاحصائية / المتغير	متوسط المربعات	مجموع المربعات	درجة الحرية	"فا" المحسوبة	"فا" المجدولة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	18.20	910.58	5	22.71	6.60	0.15
داخل المجموعات	8.00	8.00	1			

تشير النتائج الإحصائية المبينة في الجدول أن متوسط المربعات الذي بين المجموعات يساوي (18.2) ومجموع المربعات يساوي (910.58) وأما داخل المجموعات فإن متوسط المربعات يساوي (8.00) ومجموع المربعات يساوي (8.00) وتم الحصول على "فا" المحسوبة وهي (22.71)عند مستوى الدلالة (0.15) ودرجة الحرية (6) مابين المجموعات و (1) داخل المجموعات وبالتالي فإن: "فا" المحسوبة تساوي (22.71)أكبر من "فا" المجدولة (6.60) عند مستوى الدلالة (0.15) وبالتالي نستنتج أنها دالة إحصائيا وعليه فإنه توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى المستوى التعليمي وبالتالي فالفرضية قد تحققت.

3.9 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

نص الفرضية: توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى عامل الأقدمية.

ولإيجاد الفروق الموجودة بين العمال الإداريين تم استعمال طريقة "تحليل التباين" ، والنتائج مبينة في الجدول التالي:

(جدول رقم10: يبين الفروق بين العمال الإداريين في الالتزام التنظيمي ترجع إلى عامل الأقدمية).

المؤشرات الاحصائية / المتغير	متوسط المربعات	مجموع المربعات	درجة الحرية	"فا" المحسوبة	"فا" المجدولة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	80.11	721.43	9	0.43	3.70	0.87
داخل المجموعات	80.30	931.50	5			

تشير النتائج الإحصائية المبينة في الجدول رقم 10 أن متوسط المربعات الذي بين المجموعات يساوي (80.11) ومجموع المربعات يساوي (721.43) وأما داخل المجموعات فإن متوسط المربعات

يساوي(80.30) ومجموع المربعات يساوي (931.50) وتم الحصول على "فا" المحسوبة وهي (0.43) عند مستوى الدلالة (0.87) ودرجة الحرية (14) مابين المجموعات وداخل المجموعات وبالتالي فإن: "فا" المحسوبة تساوي (0.43) أصغر من "فا" المجدولة (3.70) عند مستوى الدلالة (0.87) وبالتالي نستنتج أنها غير دالة إحصائيا وعليه فإنه لا توجد فروق بين العمال الإداريين في التزامهم التنظيمي ترجع إلى عامل الأقدمية وبالتالي فالفرضية لم تتحقق.

4.9 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الثالثة:

- **نص الفرضية:** توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى المستوى التعليمي.

ولإيجاد الفروق الموجودة بين العمال الإداريين تم استعمال طريقة "تحليل التباين" ، والنتائج مبينة في الجدول التالي:

جدول رقم 11: يبين الفروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى المستوى التعليمي)

المؤشرات الاحصائية / المتغير	متوسط المربعات	مجموع المربعات	درجة الحرية	"فا" المحسوبة	"فا" المجدولة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	317.14	1585.71	5	6.43	6.60	0.29
داخل المجموعات	50	50	1			

تشير النتائج الإحصائية المبينة في الجدول أن متوسط المربعات الذي بين المجموعات يساوي (317.14) ومجموع المربعات يساوي (1585.71) وأما داخل المجموعات فإن متوسط المربعات يساوي (50) ومجموع المربعات يساوي (50) وتم الحصول على "فا" المحسوبة وهي (6.43) عند مستوى الدلالة (0.29) ودرجة الحرية (6) مابين المجموعات وداخل المجموعات وبالتالي فإن: "فا" المحسوبة تساوي 6.43 أصغر من "فا" المجدولة (6.60) عند مستوى الدلالة (0.29) وبالتالي نستنتج أنها غير دالة إحصائيا وعليه فإنه لا توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى المستوى التعليمي وبالتالي فالفرضية لم تتحقق.

5.9 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الجزئية الرابعة:

- **نص الفرضية:** توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى عامل الأقدمية.

ولإيجاد الفروق الموجودة بين العمال الإداريين تم استعمال طريقة "تحليل التباين" ، والنتائج مبينة في الجدول التالي:

(جدول جدول رقم 12: يبين الفروق بين العمال في الثقافة التنظيمية ترجع إلى عامل الأقدمية).

المؤشرات الاحصائية / المتغير	متوسط المربعات	مجموع المربعات	درجة الحرية	"فا" المحسوبة	"فا" المجدولة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	228.25	2967	13	0.35	4.70	0.88
داخل المجموعات	648	648	1			

تشير النتائج الإحصائية المبينة في الجدول جدول رقم 12 أن متوسط المربعات الذي بين المجموعات يساوي (228.25) ومجموع المربعات يساوي (2967) وأما داخل المجموعات فإن متوسط المربعات يساوي (648) ومجموع المربعات يساوي (648) وتم الحصول على "فا" المحسوبة وهي (0.35) عند مستوى الدلالة (0.88) ودرجة الحرية (14) مابين المجموعات وداخل المجموعات وبالتالي فإن: "فا" المحسوبة تساوي (0.35) أصغر من "فا" المجدولة (4.70) عند مستوى الدلالة (0.88) وبالتالي نستنتج أنها غير دالة إحصائيا وعليه فإنه لا توجد فروق بين العمال الإداريين في الثقافة التنظيمية ترجع إلى عامل الأقدمية وبالتالي فالفرضية لم تتحقق.

10 الاستنتاج العام:

تشكل هذه الدراسة إضافة إلى أدبيات الإدارة العامة بصفة عامة، وأدبيات السلوك التنظيمي بصفة خاصة بإلقائها المزيد من الضوء على الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي من خلال دراسة طبيعة العلاقة بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي، ومن شأن ذلك أن يضفي المزيد من الفهم على هذين المتغيرين، ويبدو هذا مهمًا على وجه الخصوص للأدبيات العربية التي يعوزها وجود دراسات تربط بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي.

وكذلك تسهم الدراسة الحالية في أدبيات هذا المجال بإظهارها أن هناك علاقة ايجابية طردية بين الثقافة التنظيمية والالتزام التنظيمي.

يبدو أن النتائج التي تقدمها هذه الدراسة مفيدة للإدارة العليا في قطاع التكوين المهني بالنظر إلى ما أظهرته هذه النتائج من دور الثقافة التنظيمية في التأثير على الالتزام التنظيمي، ومن ثم ينبغي للمديرين العمل على معرفة القيم السائدة في مراكز التكوين ، ومن ثم اتخاذ السياسات والإجراءات اللازمة التي تشجع قدر الإمكان على توفير هذه القيم بما يشعر الموظفين باهتمام المدراء بهم، وان يعمل المدراء على زيادة مستوى الالتزام التنظيمي .كما أنها تساعد المسؤولين في قطاع التكوين المهني من خلال إعطائهم مؤشرات عما يجري في مراكز التكوين ، إضافة إلى أنها تساعد في إنجاز وظائف الإدارة من تخطيط ورقابة وتنسيق واتخاذ القرارات.

ويمكن الاستفادة من نتائج الدراسة في معرفة القيم المنخفضة، والبحث عن أسباب انخفاضها، والعمل على وضع الخطط التي تساعد على تفعيلها .كما أنها توضح دور الثقافة التنظيمية في الالتزام التنظيمي من خلال العلاقة الايجابية الطردية القوية بينهما .كما أنها تعطي المديرين القدرة على التنبؤ بمستوى التزام الموظفين في المؤسسة عن طريق معرفة قيم العدل والكفاءة وفرق العمل، وبالتالي القدرة على التحكم في مستوى التزام موظفي الهيئة من خلال تفعيل هذه القيم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. **علي عبد الله ،(2002/21/20م) التحولات الاقتصادية وثقافة المؤسسة ، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول الاقتصاد الجزائري في الألفية الثالثة ، كلية العلوم الاقتصادية ، جامعة البليدة أيام البليدة ، الجزائر**
2. **زوليف مهدي حسن ، (1999) إدارة الأفراد في منظور كمي للعلاقات الإنسانية ، (د ط) ،بيت الأفكار الدولية عمان _الأردن،.**
3. **الثمالي ، عبدالله محمد ، علاقة الالتزام التنظيمي ببيئة العمل الداخلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.**
4. **القرشي ، سوزان محمد ، الولاء التنظيمي للموظفين الحكوميين في مدينة جدة ، رسالة ماجستير غير منشورة الرياض ، جتمعة الملك سعود، 1998.**
5. **العوفي محمد.(2005). الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالالتزام التنظيمي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.**
6. **الشلوي محمد. (2005). الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالانتماء التنظيمي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف للعلوم الأمنية ،الرياض.**
7. **أل سعود منصور.(2003). الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالسلوك القيادي في الادارة. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،الرياض**
8. **فالح نايف.(2001). الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالرضا الوظيفي في الأجهزة الأمنية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.**

9. آل حسن عبد العزيز.(2001). الثقافة التنظيمية وعلاقتها بفعالية التطوير التنظيمي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

10. القحطاني حسين. (2000). أثر الثقافة التنظيمية على كفاءة أداء موظفي الجمارك الملك عبد العزيز الدولي. رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

11. الطبلاني نجوى، (1996). تأثير الثقافة التنظيمية على الفاعلية التنظيمية. رسالة ماجستير في ادارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة عين شمس، القاهرة.

12. القحطاني حسين سعيد.(2000). أثر لثقافة التنظيمية على كفاءة أداء موظفي جمارك مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة. رسالة ماجستير غير منشورة الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، جدة.

المشكلات السلوكية عند الاطفال أسبابها و سبل علاجها.

د/ هلايلي يسمينة ـ جامعة باتنة 1 ـ الجزائر.

ملخص :

إن الحياة اليومية لعالم الأطفال مليئة بالمشكلات النفسية و السلوكية والتي في الغالب ما يمر بها معظم أو كل أطفال العالم،وتحتاج هذه المشاكل إلي الوعي بها والتعامل معها لتجنب حدوث اضطرابات سلوكية يمكن تشخيصها في مراحل نمو أخرى.

تعد الأسرة رحم المجتمع ، الذي يجد فيه الأبناء المناخ الفطري الملائم الذي يترعرعون فيه في طفولتهم وصولاً إلى البلوغ فى ظل تنشئة متوازنة خالية من الاضطرابات النفسية والمشكلات السلوكية.

وبما أن الطفل الأقل قدرة على مجابهة كل الظروف ، وهو الذي يحتاج إلى رعاية متعددة ويعتمد على غيره وخاصة أسرته وولديه في تلبية احتياجاته المادية والنفسية والتربوية، فكيف إذا تعرض إلى ضغوط كبيرة في حال غياب البيئة الطبيعية الملائمة لبناء شخصية متزنة سليمة و خالية من كل المشكلات التي من شأنها ان تعيق نموه الطبيعي كما يمكن أن نؤكد أن المشكلات السلوكية للأطفال إنما هي مشكلات ترجع في المقام الأول إلى ظروف غير مواتية وغير مناسبة يعيشها الأطفال، تعصف بصحتهم النفسية وتؤثر على سلوكياتهم.

لذا سوف يتم التطرق إلى موضوع المشكلات السلوكية عند الأطفال من حيث: تعريف المشكلات السلوكية و اسبابها و الاعتبارات التربوية في تدريس المضطربين سلوكيا ومحاولة تصنيف هذه المشكلات والتطرق الى مظاهرها العامة مع التأكيد على اهم الخدمات المقدمة للمضطربين سلوكيا.

الكلمات المفتاحية :الأطفال ،المشكلات السلوكية ،الصحة النفسية.

Abstract :

The daily life of the children's world is full of psychological and behavioral problems, which are often experienced by most or all of the world's children, and these problems need to be conscious and treated to avoid behavioral disorders that can be diagnosed in other stages of development.

The family is the womb of the society, in which children find the appropriate innate climate in which they grow up in their childhood and reach puberty in the context of balanced nurturing free from mental disorders and behavioral problems.

Since the child is least able to cope with all the circumstances, which requires multiple care and depends on others, especially his family and his children to meet the needs of physical,

psychological and educational, how to be subjected to great pressure in the absence of the natural environment suitable to build a balanced personality intact and free of all problems Which will hinder its natural growth. We can also stress that the behavioral problems of children are primarily problems To unfavorable and unfavorable conditions for children, which affect their mental health and affect their behavior Therefore, the issue of behavioral problems in children will be addressed in terms of: Definition of behavioral problems and their causes and educational considerations in the teaching of the disorderly behavior and try to classify these problems and to address their general manifestations with emphasis on the most important services provided to the behavioral disorder.
Keywords: children, behavioral problems, mental health.

مقدمة :

-تعتبر الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان ، ففيها تنمو قدرات الطفل حيث تتفتح مواهبه ، ويكون قابل بشكل كبير للتأثر والتوجيه والتشكيل ، ويكتسب الأطفال معظمهم الاتجاهات النفسية التي تكون مصدرا رئيسيا للذات،والتي تتحكم في سلوكهم في المراحل العمرية التالية.

-يري حلمي المليجي (2000)أنه غالبا ما يجتاز الأطفال مرحلة الطفولة بسلام إلا أن البعض قد يطرأ عليهم بعض المشكلات السلوكية التي تشكل مصدر ضيق لوالديهم ومربيهم ولهم، يطلق عليهم في هذه الحالة تعبير الأطفال المشكلين وهم الأطفال الذين نمت لديهم اتجاهات خاطئة نحو ما يحيط بهم نحو الأسرة أو المدرسة نتيجة لظروف معينة في الحياة، و هذا ما يمهد لضهور المشكلات السلوكية عندهم و التي يمكن اعتبارها استجابات تكيفيه خاطئة لمواقف الضغط النفسي التي يتعرض لها الطفل .وتظهر في إشكال متعددة تختلف باختلاف البيئة ودرجة النضج

-ويعتبر أول من أشار إلى الإضطرابات السلوكية في المدرسة وذلك ويكمان(Wichman) في عام(1928) ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الدراسات والأبحاث لتحديد حجم وأسباب الإضطرابات الإنفعالية والسلوكية (1978, Rubin & Ballow)

1-تعريف المشكلات السلوكية:

لا يوجد تعريف عام ومقبول للاضطرابات السلوكية ويعود السبب إلى جملة من العوامل هي:

-عدم وجود اتفاق واضح حول مفهوم الصحة النفسية

-وجود مشاكل في قياس المشكلات السلوكية

-تنوع الخلفيات النظرية و الأطر الفلسفية المستخدمة

-تباين التوقعات الاجتماعية الثقافية المتعلقة بالسلوك

-تباين الجهات و المؤسسات التي تصف الأطفال المضطربين وتخدمهم

-قد ترتبط المشكلات السلوكية بإعاقة أخرى خاصة في حالة التخلف العقلي أو صعوبات التعلم مما يجعل من الصعب تحديد السبب الرئيسي للمشكلات السلوكية **(جمال مثقال وآخرون، 2000، 14)**

و يمكن تعريفها كما يلي :

-سلوك غير سوي في درجة شدته وتكراره يسلكه الطفل نتيجة للتوترات النفسية التي قد تعيق مسار نموه وانحرافه عن معايير السلوك السوي

-كما تعرف المشكلات السلوكية "بأنها سلوك يتكرر عند الفرد وينطوي علي اضطراب وهو غير مرغوب فيه ويصعب التحكم به ويسبب اضطرابا في العمل المدرسي ويمثل سلوكا لاتوافقي"(**حسن مصطفي عبد المعطي،2001،14)**

-شكل من أشكال السلوك غير السوي، يصدر عن الفرد نتيجة وجود خلل في عملية التعليم وغالبا ما يكون ذلك على شكل تعزيز السلوك التكيفي وعدم تعزيز السلوك التكيفي **(خولة أحمد يحي، 2003، 162-163).**

-سلوك غير سوي في درجة شدته وتكراره يسلكه التلميذ،نتيجة التوترات النفسية والاحباطات التي يتعرض لها وليقدر علي مواجهتا ،فتشكل إعاقة في مسار نموه وانحراف عن معايير السلوك السوي تثير قلق وانتباه المحيطين به(**زكريا الشربيني،1994، 84)**

-فالمشكلات السلوكية إذن تعني جميع التصرفات والأفعال غير المرغوبة التي تصدر عن الطفل أو المراهق بصورة متكررة، ولا تتفق مع معايير السلوك السوي المتعارف عليه في البيئة الاجتماعية،والتي تنعكس على كفاءة الطفل أو المراهق الاجتماعية والنفسية.

2-أسباب المشكلات السلوكية:

إن الأسباب التي تؤدي إلى الاضطرابات السلوكية غير معروفة، فالأطفال أشخاص متميزون ولا تزال الدراسات العلمية حول الأسباب البيولوجية في بداية الطريق والتفاعلات التي تحدث للأطفال مع أسرهم والبيئة والمجتمع معقدة جدا، لدرجة أننا لا نستطيع تحديد سبب واحد مؤكد للاضطرابات السلوكية ومع ذلك نستطيع تحديد أربع مجالات يمكن أن تسبب الاضطرابات السلوكية وهي:

2-1المجال الجسمي والبيولوجي:

يتأثر السلوك بالعوامل الجينية والعوامل العصبية وكذلك البيوكيميائية أو بتلك العوامل مجتمعة ،ومن غير شك فإن هناك علاقة وثيقة بين جسم الانسان وسلوكه، كثيرا من الأطفال العاديين من غير المضطربين

لديهم عيوب بيولوجية خطيرة أما الأطفال من ذوي الاضطرابات البسيطة والمتوسطة فليس هناك ما يثبت وجود عوامل بيولوجية محددة مسؤولة عن مثل هذه الاضطرابات، وأما بالنسبة لذوي الاضطرابات الشديدة والشديدة جدا فإن هنالك أسبابا وعوامل بيولوجية لها مسؤولية مباشرة، ويمكن القول إن جميع الأطفال يولدون ولديهم محددات بيولوجية لسلوكهم ولأمزجتهم،و يمكن تغيير هذه السلوكات من خلال التنشئة الاجتماعية ،ويؤكد الباحثون على وجود منحنى بيولوجي لبعض الاضطرابات مثل فقدان التسمية والشره المرضي وكذلك وجود دور بيولوجي في العلاج مثلا لا يعرف إذا كان يوجد سبب بيولوجي لحالة الاكتئاب ولكن تلعب العلاجات المضادة للاكتئاب دورا هاما في البرنامج العلاجي.

2-2-مجال العائلة أو الأسرة:

-يعزي الأخصائيون (أخصائيو الصحة النفسية) أسباب الاضطرابات السلوكية في المقام الأول إلى علاقة الطفل بوالديه، حيث إن الأسرة ذات تأثير كبير على التطور النهائي المبكر للطفل إن معظم المشكلات السلوكية ترجع أصلا إلى التفاعل السلبي بين الطفل وأمه، أما الأبحاث التجريبية فقد أولت العلاقات الأسرية ومدى تأثير الوالدين على الطفل أهمية كبرى، فقد وجدو أن الأطفال ذوي المشكلات السلوكية(الشديدة والشديدة جدا)يعانون من عدم إتساق وتماسك في علاقاتهم مع والديهم للعائلة دور مهم في التطور الصحي للأطفال وبالرغم من ذلك فإن العلاقات والتفاعلات الإيجابية وإرتفاع نسبة التفاعلات السلبية وعدم الانتباه والاهتمام ووجود نماذج نسبية من قبل البالغين

2-3-مجال المدرسة:

-يضطرب بعض الأطفال حين التحاقهم بالمدرسة والبعض الأخر أثناء تواجدهم في البيئة المدرسة ويمكن لهؤلاء الأطفال أن يصبحوا بوضع أفضل أو اسوأ من جراء المعاملة التي يتعاملون بها داخل الصف.

-للمعلمين تأثير عظيم على الطلاب من خلال تفاعلهم معهم، حيث تؤثر توقعات المعلمين على الأسئلة التي يوجهونها للطلبة، وكذلك التعزيز الذي يقدمونه لهم وعدد مرات التفاعل مع الطلاب ونوعيته ، أو يزيدون من حدتها، فعدم مراعات الفروق الفردية قد يسبب في بعض الأحيان السلوكات المضطربة ويؤدي إلى ظهور استجابات عدوانية ،وتعتبر بعض البيئات التربوية غير مناسبة لبعض لأطفال وقد يلجأ بعض الطلبة إلى القيام بالسلوكات المضطربة لتغطية قضية أخرى مثل صعوبة التعلم وعلى المدرسين الفعالين تحليل علاقاتهم مع طلابهم، وكذلك البيئة التعليمية والانتباه الجيد المقصود إلى المشاكل الموجودة والمتوقع حدوثها.

2-4-مجال المجتمع:

قد يسبب المجتمع أو يساعد على ظهور الاضطرابات السلوكية والانفعالية وهنا تجدر الإشارة إلى الفقر الشديد الذي يعيش فيه بعض الأطفال وحالات سوء التغذية والعائلات المفككة الممزقة ، والحي العنيف كل هذا يمكن أن يؤدي أو يساعد على ظهور الاضطرابات **(خولة أحمد يحي، 200، 31-34)**

3-الاعتبارات التربوية في تدريس المضطربين سلوكيا:

يمكن تقسيمها كالتالي:

3-1-الاعتبارات التربوية في تدريس المضطربين سلوكيا بدرجة شديدة:

1. أن يتم التعلم بشكل فردي.
2. عدم مشاركة الطلاب في الصفوف العادية حتى يتعلموا بعض المهارات الأولية الضرورية.
3. وضع الأطفال في مدارس خاصة.
4. يجب أن يتميز مدرس هذه الفئة بالعطف والحنان وذلك لمساعدة هؤلاء الأطفال وأن يكون قادر على إستخدام إستراتيجيات تعديل السلوك.
5. يجب أن تحتوي مناهج هذه الفئة على المهارات الأساسية اليومية واللغة والمهارات الأكاديمية.
6. أن يتحلى المدرس بالصبر والمثابرة.

3-2-الاعتبارات التربوية عند تدريس المضطربين سلوكيا بدرجة بسيطة ومتوسطة:

1. الميل إلى تقليل إستخدام أسلوب العزل ويمكن إستخدام غرفة المصادر في تعليم هذه الفئة لبعض الوقت ودمجهم في الصفوف باقي الوقت.
2. مناهج الأطفال في الصفوف الخاصة يجب أن تكون موازية لمناهج الأطفال العادين بحيث يتم لتعليمهم القراءة والكتابة والحساب.
3. يجب أن يتخلى مدرس هذه الفئة بالصبر وتحمل المسؤولية.

3-3-الاعتبارات التربوية عند دمج الأطفال ذوي الإضطرابات في المدارس العادية:

1. على مدرس الأطفال العادين أن يسأل مدرس التربية الخاصة عن سلوك الطفل المضطرب ليكون توقعاته عنه.

2. أن يكون للمدرس توقعات خاصة عن سلوك الطفل وتحصيله.

3. أن يتعرف المدرس على الاتجاهات السلبية الموجودة عند الطفل من قبل البيئة الاجتماعية.

4. يجب أن يعلم الطفل في أول لقاء بينهما أن هناك معيار لسلوك يجب أن يحافظ عليه.

5. على المدرس أن يعلم الطفل عن ماهية الأشياء المسموح بها وغير المسوح بها.

6. يجب أن يكون هناك قواعد عامة للسلوك فعلى المدرس أن يطبق مبدأ الثواب والعقاب في حال ظهور السلوك غير مرغوب أو المرغوب **(عبد الرحمان عيسوى، 1972، 132)**

4-تصنيف المشكلات السلوكية:

يصعب ايجاد تصنيف واحد يتفق عليه المهتمون، حيث يتأثر التصنيف باختصاص المصنف:

أولا: تصنيفات منبثقة عن جهود لجان متخصصة:

1. تصنيف الدليل التشخيصي الأخصائي الثاني للأمراض العقلية(1968):

- ويشمل على ست أنواع محددة من الاضطرابات هي:
- **الحركات الزائدة:** النشاط الزائد، عدم الراحة قصر مدة الانتباه، القابلية لشروط الذهني
- **الانسحاب:** العزلة، الانفصال، الحساسة، الخجل، الجبن.
- **القلق الزائد:** القلق، الخوف، الاستجابة، الحركية المبالغ فيها.
- **الهروب:** ميل للهروب من المواقف الصعبة يصاحبه الجبن وعدم النضج والرفض
- **العدوان غير الاجتماعي:** عدم الطاعة، للمشاجرة، العدوان الجسمي أو اللفضي، الغريب.
- **جنوح الجماعة:** اكتساب قيم وسلوكات مجموعة الأقران الجانحين والتي تشمل على السرقة والهروب من المدرسة والبقاء خارج المنزل إلى وقت متأخر من الليل **(جمال مثقال قاسم، 2000، 73)**

2. تصنيف الدليل الشخصي الاحصائي الثالث المراجع للأمراض العقليةDSM-3R(1987)

- أورد الدليل محاور الاضطرابات السلوك كالأتي:

- **الاضطرابات المتخلقة النمو:** التخلف العقلي–صعوبات التعلم.
- **الاضطرابات المتعلقة بالسلوك:** الحركة الزائدة–العدوان–تشتت الانتباه التخريب–الكذب–السرقة–الانحرافات الجنسية
- **الاضطرابات المتعلقة بالقلق:** قلق الانفصال، القلق الاجتماعي–التغيب.
- **الاضطرابات المتعلقة بالظروف الصحية:** الهزال، النحافة المرخية، السمنة، التهم، التهام مواد غير صالحة للأكل.
- **الاضطرابات المتعلقة باللوازم الحركية:** مص الحركة، قضم الأضافر، خيط الرأس.
- **الاضطرابات المتعلقة بالاخراج:** التبول "الاإرادي الليلي والنهاري" التبرز.
- **الاضطربات المتعلقة بالكلام واللغة:** التهتهة–البكم–الحبسة الصوتية **(خالد عبد الرزاق السيد، 320،2001–321.)**

ثانيا: تصنيفات منبثقة عن جهود فردية:

1. تصنيف تلفورد وساوري1967 Telforde S AWERY

- **القلق المزمن:** وأعراضه تشمل على: التهيج وحدة الطباع، مشكلات تتعلق بالنوم والشهية إلى الطعام، الخوف، البكاء المتكرر، نقص الطاقة.
- **الرهاب:** مخاوف شديدة ليس لها أساس معقول وواضح كالخوف المرضي من المدرسة.
- الوسواس والسلوك القهري: أي الإشتغال الزائد بنفس الأفكار والرغبة القوية والمتكررة للسلوك بطريقة معينة.
- **الاستعاب من الواقع:** ويشمل:
- **الفصام:** الانفصال الشديد الواقع وعدم التنظيم ونفض التأثير والاستجابات الانفعالية المحرفة، ظهور الهلوسة والأوهام بشكل متكرر

- **التمركز الطفلي حول الذات:** الانفصال الشديد عن الواقع، القصور أو الاخفاق في تطوير علاقات انفعالية وعاطفية مع الأخرين، الترديد الألي للكلمات أو المقاطع التي ينطق بها الأخرون، الجمود الذي يتضح بمعارضة أي تغير في الحياة الروتينية الثبوت من خلال التكرار الرتيب للأفعال أو الأقوال.

- **التكوص:** وذلك بالعودة إلى أشكال من السلوك أقل نضجا كمص الأصابع، لتبول الليلي، الكلام الطفيلي...وتزداد مثل هذه الأشكال، أثناء التوتر أو التخفيض المفاجئ لأساليب التدعيم.

- **الأوهام وأحكام اليقظة:** وذلك عند حدوثها بشكل مفرط كوسيلة للهروب أو الانسحاب

- **العدوان العنيف:** الذي يتضمن أشكالا من السلوك الهدام والتخريبي، تكون موجهة نحو الأفراد أو الممتلكات وهذا غالبا نتيجة لمواقف الإحباط. **(جمال مثقال القاسم وأخرون، 2003، 86-88.)**

2. تصنيف كواي1972Quay:

- أجرى (ابترو كونولي Eptterl connelly) تجميعا للمظاهر السلوكية، التي يشتمل، على تصنيف كواي وذلك على النحو الأتي:

- **اضطرابات التصرف:** عدم التعاون، عدم الانضباط، نوبات من المزاج الحاد تخريب الممتلكات، السلبية، الأنانية، إلقاء اللوم على الآخرين،التململ، شرود الذهن، عدم الاغتباط، عدم الثقة بالنفس، عدم تحمل المسؤولية، استخدام ألفاظ نابية، المشاجرة، الضرب، التحدي وعدم الطاعة، سهولة الاستشارة، المجادلة.

- **اضطرابات الشخصية:** القلق، الخوف، التوتر، الاكتئاب، شدة الحساسية سهولة التهيج، الانسحاب، الانعزال، الصمت، الجبن، الشعور بالدونية وعدم القيمة.

- **عدم النضج:** قصر مدة الانتباه، ضعف التنافس، الاستسلام، سهولة الانقياد انشغال الباك، أحلام اليقظة، التحديق في الفضاء، ضعف التركيز، الكسل، النعاس.

- **الجنوح الاجتماعي:** الولاء لجماعة سيئة، العضوية في عصابة، الهروب من المدرسة السرقة مع الأخرين، التهرب من أداء الوجبات، البقاء خارج البيت لوقت متأخر من الليل.

3-تصنيف دريكزز وكاسل Drikers CGacell:

-قد ركزا في تصنيفهما على مترتبات السلوك المشكل على المعلم وذلك ضمن أربع أنماط هي:

- **جذب الانتباه:** القيام بسلوكات تضايق المعلم لغرض الاستحواذ على الانتباه
- **البحث عن السلطة والقوة:** الكذب، المعارضة، نوبات مزاجية، الصماء، رفض القيام بالعمل،.... فالمعلم هنا يشعر بالتهديد.
- **الانتقام:** المعاناة أحيانا من الاحباط الشديد، العدوانية على الأقران ، روح رياضية منخفضة، الحقد على الآخرين في حال الخسارة فالمعلم يشعر هنا أنه تأذى من سلوك التلميذ.
- **عدم الكفاءة:** الاستلام، التخلي عن النجاح، اليأس...فالمعلم يشعر أن لا حول ولا قوة له **(ماجد الخطايبة وأخرون، 2004، 115-116)**

3. تصنيف أحمد عكاشة1980:

- قدم تصنيفا المشكلات السلوكية لدى الأطفال ويشمل:
- **اضطرابات النمو:** الأرق، الكوابيس، الفزع الليلي، التجوال الليلي.
- **اضطرابات التغذية:** رفض الطعام، القيء، ألام بالمعدة والبطن
- **اضطرابات الكلام:** التلعثم، التهتهة، التأخر في الكلام.
- **اضطرابات الحركة:** النشاط الزائد، تشتت الانتباه بسرعة، مص الأصابع...
- **اضطرابات اجتماعية:** العدوانية، الهروب من المدرسة، السرقة، الكذب التبول اللاإرادي بالإضافة إلى نوعين أخرين هما العصاب والذهان. **(بسيوني السيد سليم وأخرون، 1896، 126-127)**

4. تصنيف محمد أيوب شحيمي1994:

- هو تصنيف خاص لمشكلات مرحلة الطفولة ويشمل:

- **الاضطرابات الانفعالية:** مخاوف الأطفال، المخاوف الليلية، اضطرابات النوم الأخرى (الأرق، كثرة النوم، المشي أثناء النوم، قفزات النوم أو النوم المروع)، مص الأصابع وقضم الأظافر، الربو، الخجل، الانطواء، اللامبالاة، الشرود الذهني، الشعور بالاضطهاد.

- **اضطرابات السلوك:** الغيرة، الكذب، السرقة، الغضب، فرط النشاط والحركة ،اضطرابات المزاج: الاكتئاب.

- **اضطرابات التغذية:** نقص التغذية عند الأطفال، الشهوة المقلوبة، القيء النفسي، الامساك، مشكلة الفطام التي تؤدي بالطفل، إلى معاوضات انتقامية كالعض ومص الأصابع والبكاء المستمر، سلس البول الليلي.

- **اضطرابات النطق:** التلعثم ،التأتأة، ، اللكنة، التردد في نطق الكلمة، الكلام التشنجي.

- **اضطرابات التكيف المدرسي:** وذلك في دور الحضانة، المدرسة الابتدائية، المرحلة الاعدادية، المرحلة الثانوية. **(موقف الهاشم صغر الحلبي، 2000، 265-335)**

5. تصنيف مريم سليم2003:

-ترى مريم سليم أن ذوي المشكلات السلوكية هم من أصعب التقدير المتدني للذات إذا يشغلون سلوكات دفاعية لمنع الأخرين من معرفة مدى القصور أو عدم المان الذي يشعرون به وتشمل هذه الأليات التي هي في صورتها مشكلات سلوكية:التمرد ، المقاومة، التعدي، الرد، الشك في الخرين، مضايقتهم أو تحقيرهم، الكذب الغش، توجيه اللوم للأخرين عند حدوث فشل أو خطأ، الفشل في تحمل، مسؤولية تصرفتهم الاستقواء على الأخرين وتهديدهم، الإنسحاب، الخجل، الإستغراق في أحلام اليقضة، إتباع أساليب الهروب بما فيها التأخر، والتغيب، تعاطي المسكرات والمخدرات **(مريم سليم،2003، 18)**

6. تصنيف عبد العزيز المعايطة ومحمد الجغيمان2005:

قد تطرقا في تصنيفهما إلى المشكلات الأتية:

6-1المشكلات السلوكية المدرسية ومظاهرها عند الطالب في المحيط المدرسي:

-سوء التكيف والتوافق المدرسي، إضطرابات الذاكرة (غياب الخبرات عن عالم الوعي وعدم القدرة على تذكرها أو تذكرها بشكل مشوش وناقص)، إضطرابات اللغة (عدم تمكن الطفل من إستيعاب المفردات

والربط بينها، تأخر الطفل عن إتقان مهارة اللغة وفق المحددات العمرية المقررة لمراحل النمو العام، الإعاقة الحركية في وصل وإخراج الحروف)،الكتابة باليد اليسرى، التبول اللاإرادي، قضم الأظافر، النرجسية المتضخمة، قلة النشاط أو الخمول، الإنفعالي.

6-2-المشكلات الصفية السلوكية:

-التسرب من المدرسة، الغياب المتكرر عن المدرسة، التأخر الصباحي عن المدرسة، الغش في الاختبارات وأداء الواجب، تخريب الأثاث المدرسي، ضرب الأقران أو وخزهم وأخذ ممتلكاتهم عنوة، السرقة وعدم الأمانة.

6-3-المشكلات الصفية التعليمية:

-ضعف الدافعية للدراسة، العادات الدراسية الخاطئة، عدم المشاركة الصفية، ضعف القدرة على اتباع التعليمات، الرسوب والاعادة.

6-4-المشكلات النفسية للمتعلم:

- ضعف الانتباه او التشتت، أحلام اليقظة، الاعتمادية الزائدة، القلق، الخوف، الاكتئاب وايذاء الذات، الخجل.

6-5-المشكلات الصفية الأكاديمية:

-عدم احضار الطالب الدفاتر والكتب والأدوات اللازمة، أداء الواجب المدرسي (تأخر بعض التلاميذ عن القيام بالواجب المدرسي، القيام به بصيغة غير كاملة أو دقيقة، الغش في أدائه، عدم القيام به على الاطلاق)، ضعف التحصيل، اختلاف الأسلوب الادراكي للتلميذ، ضعف القدرة على التركيز والمثابرة (**عبد العزيز المعايطة وأخرون،2005، 25-156**).

5-المظاهر الشائعة للمشكلات السلوكية :

تظهر المشكلات السلوكية والسلوكات غير السوية لدى الأطفال على أشكال متعددة

5-1-إضطرابات غرفة الصف:

تتمثل في السلوك الوقح وعدم الطاعة، والترد في الصف، ونوبات الغضب المؤقتة وارتفاع الأخرين والخروج من المقعد.

5-2-السلوكات غير الناضجة:

تتمثل في النشاط الزائد وتشتت الإنتباه والاندفاع والتمرد والاستهتار وأحلام اليقظة والصراع.

5-3-السلوكات الخطيرة:

تتمثل في القلق والتوتر والمخاوف المرضية وضعف تقدير الذات والاكتئاب والصمت الاختياري.

5-4-العادات المضطربة:

تتمثل في ضعف الأداء الأكاديمي والتبول اللاإرادي ومص الأصبع وقضم الأظافر وإضطرابات النطق.

5-5-الإضطرابات في العلاقة مع الزملاء:

تتمثل في العدوان وإصدار الأحكام العشوائية على الأشخاص والانسحاب والخجل والعزلة الإجتماعية.

5-6الإضطرابات في العلاقة مع المعلمين:

تتمثل في عدم القيام بالنشاط عندما يطلبه المعلم والمكتب والإعتمادية (**محمد أيوب تسحيمي ،1994، 163**)

6-الخدمات المقدمة للمضطربين سلوكيا:

تعتبر ظاهرة الاهتمام بالمضطربين سلوكيا ظاهرة حديثة نسبيا، حيث سلطت الأضواء في السنوات الأخيرة على ما أطلق عليه البرامج والخدمات المقدمة للمضطربين سلوكيا وظهر عدد من التوجيهات التي اهتمت بشكل مباشر بتقديم عدد من البدائل التربوية والنفسية والاجتماعية، وأحدث هذه التوجيهات ظهور نظان الخدمات الشاملة والمتكاملة المقدمة.

6-1-الخدمات التربوية:

-تعتبر من أهم الخدمات التي يجب تقديمها للأطفال المضطربين سلوكيا وذلك للأثار التي يتركها الاضطراب على قدرات الطلبة، التعليمية والتحصيلية وعلى معلم الصف العادي أن يكون مدربا على دمج الأطفال، المضطربين في المدرسة العادية سواء بوجود الخدمات الداعمة من شخص مدرب أم بدونه وفيما يلي أربع طرق يستطيع معلم الصف العادي من خلالها التدخل لوضع برامج مناسبة للمضطربين:

1. **الوقاية:** ربما تكون الوقاية من أكثر الوظائف الهامة بالنسبة للمعلم، بحيث يستطيع المعلم توفير جو مناسب من الصحة النفسية في الصف العادي تسوده الانتاجية والاستجابات المناسبة، بحيث يساعد الأطفال على التعامل مع القلق والإحباط والسلوك اللاتكيفي والعدوان، وتنخفض في هذه البرامج الحاجة لوجود متخصص لإجراء عملية التدخل.

2. **الاحالة:** يقوم المعلم بالتعرف على مشاعر الطلبة وانفعالاتهم، لاتخاذ أهم الاجراءات المناسبة للقيام بعملية الاحالة، بالإضافة لعملية القياس والتشخيص.

3. **الخطة التربوية الفردية:** يجب أن يكون المعلم قادرا على اتخاذ القرارات المناسبة لتعليم الطفل، والتي تشمل، اختيار البيئة المناسبة، والبرنامج العلاجي الملائم، مما يؤهله لوضع الخطة التربوية المناسبة لتعليم الطفل واشتقاق الأهداف التعليمية له.

4. **التعاون والتنسيق في تقديم الخدمات:** حيث يتعاون فريق من الأخصائيين في وضع الخطة التربوية بالإضافة للمعلم والأهل **(عبد العزيز المعايطة وأخرون، 2005، 134)**

6-2-خدمات الاحالة والتدخل: يبدأ المعلم على الأغلب عملية الاحالة التي تؤدي إلى إعطاء الطالب التصنيف كمضطرب، لذلك يسأل المعلم من قبل فريق المعالجة عن بعض المعلومات الأساسية المتعلقة به، وذلك لكتابة الخطة التربوية الفردية والتي تتضمن التحصيل الأكاديمي للطالب، والمهارات الاجتماعية والسلوكية وفيما يلي بعض الخطوات التي تساعد المعلم في أن يكون جزاءا من عملية الاحالة:

- التوثيق في السجلات حيث يجب على المعلم أن يكون قادرا على توثيق الملاحظات حول الطالب في الموقف الصفي، من حيث الاهتمامات والحاجات والقدرات لأن هذه المعلومات هامة للفريق الذي سيعمل مع الطفل.

- العرض على عملية الاحالة إذ يجب على المعلم أن يكون مدربا وواعيا لعملية الاحالة واجراءاتها المستخدمة في المدرسة والنظام التربوي والتي تتضمن الكشف والتقييم واختيار البيئة المناسبة للطفل، وتقيم البرامج المقدم للطفل المضطرب.

- عمل المعلم على حل المشكلات قبل أن يبدأ في وضع البرنامج العلاجي وذلك عن طريق التعرف على المعلومات التفصيلية عن الطفل.

- المشاركة الفعالة في عملية الكشف والتقييم حيث يكون المعلم عضوا فعالا في الفريق الذي يقوم بعملية الكشف وتقيم الطفل عن قرب في البرامج الصفية اليومية، كونه أكثر أعضاء الفريق اتصالا به.

- المشاركة الفعالة في كتابة الخطة التربوية فعلى المعلم أن يكون عضوا فعالا في الفريق الذي يضع الخطة التربوية، لأنه يسهم في وضع الأهداف التربوية والسلوكية للطفل **(مريم سليم، 2003، 25)**

6-3-الخدمات الداعمة المتخصصة: أحد التوجيهات الهامة في مجال التربية الخاصة هو التعاون والتنسيق الوثيق بين برامج التربية الخاصة وبرامج التربية العادية ، وهذا التوجيه يعني توفير خدمات داعمة في الصف العادي لتسهيل عمل المعلم ومساعدته على التعامل بفاعلية مع المشكلات التي تواجه هؤلاء الطلبة ومن أهم هذه الخدمات الداعمة:

1. خدمات التشخيص بحيث يكون في بعض الأحيان من الضروري وجود متخصصين بالنسبة للمعلم العادي لتزويده ببعض المعلومات عن التشخيص، والتي يمكن أن يستخدمها في وضع البرنامج التربوي، من خلال جمع البيانات عن السلوك والقيام بالقياس الرسمي وغير الرسمي لقدرات الطلبة.

2. خدمات الاستشارة الفنية وهنا يجب وضع ترتيب خاصة لمساعدة المعلم العادي في التعامل مع المشكلات السلوكية التي يظهرها الأطفال المضطربين في الصف.

3. تعدد طرق التدخل، منها طرق الارشاد التربوي والخطط العلاجية التي صممت لمساعدة الطفل المضطرب للبقاء في الصف العادي أطول وقت ممكن.

4. الخدمات الوسيطية حيث يعتبر معلم التربية الخاصة وسيطا بين خدمات المدرسة العادية والخدمات الأخرى التي يقدمها المجتمع للأطفال المضطربين.

6-4-الخدمات النفسية:

هناك عدد كبير من البرامج والخدمات النفسية المفيدة في اعادة تأهيل الأطفال المضطربين الذين يظهرون السلوك الفوضوي ومن هذه الخدمات:

6-4-1-العلاج النفسي: ويتم العلاج النفسي عن طريق الوسائل النفسية من خلال الاتصال المباشر بين المعالج والمريض، وهدفه تحسين التكيف عند الطفل المضطرب بواسطة تخفيض الأعراض المزعجة ومساعدة الطفل على التخلص من الصراعات والمشكلات الداخلية، وقد تم استخدام العلاج النفسي بشكل ناجح مع الأطفال المضطربين.

6-4-2-علاج الوالدين: يجد الطبيب نفسه أحيانا غير قادر على مساعدة الطفل المضطرب لسلبية الوالدين وعدم مساعدتهم له، وعدم تشجيعهم له، وقد يكون ذلك ناجما عن وجود مشكلات نفسية لدى الوالدين تمنعهم من المشاركة في البرامج العلاجية ،وفي هذه الحالة لابد من إشراك الوالدين في برنامج

علاجي فردي أو جماعي لأنه من المهم جدا أن يتجاوز الوالدان مشكلاتهما الخاصة قبل التعامل مع مشكلات أبنائهم.

6-4-3-العلاج النفسي الجماعي:

يوجد أساليب وطرق عديدة للعلاج النفسي الجماعي، وهي:

1. **الحوار الجماعي لحل المشكلات الشخصية والسلوكية و مجموعات لعب وتبادل الأدوار:**

ويعتمد نوع العلاج الجماعي على خبرة المعالج وتدريبه وحاجاته، ومميزات أعضاء المجموعة المشاركة.

2. **العلاج العائلي:** يتم التعامل مع العائلة كمجموعة واحدة، ويشجع كل عضو على التعبير عن مشاعره وأرائه حوله المشكلة المطروحة للبحث، ويكشف هذا العلاج عن العلاقات الأسرية المتوترة التي تسبب المشكلات السلوكية لدى الأطفال.

3. **العلاج المهني:** ويتم هذا النمط من العلاج عن طرق المشاركة الجماعية أو الفردية في النشاطات والمهمات اليدوية، أو من خلال التدريب المهني للحالة العاطفية للمريض وعمره، وحالته الجسدية واهتماماته وهنا يستفيد الفرد علاجيا عن طريق القيام بالنشاط.

6-5-الخدمات الطبية:

-تتضمن هذه الخدمات العناية بالأم الحمل قبل عملية الولادة وأثناءها وبعدها، واجراء الفحوصات الجسدية، والعقلية العامة، والمتخصصة، والتحليل الطبي، واعطاء العلاجات المناسبة تحت الاشراف الطبي، بالإضافة للعناية والوقاية للبصر والسمع، ويجب توفير هذه الخدمات بشكل أساسي في الحالات الطارئة.

6-6-الخدمات الاجتماعية:

-يوجد عدد من الخدمات الاجتماعية التي يجب توفيرها للأطفال المضطربين وعائلاتهم ومن هذه الخدمات تسهيلات السكن هذه الأخيرة تشمل على خدمات المصحات العقلية العامة والخاصة والمراكز النفسية المتخصصة، حيث تركز المعالجة السكنية على مفهوم البيئة العلاجية بالإضافة إلى الخدمات العائلية والخدمات العامة، وخدمات اعادة التأهيل المهني هذا الأخير الذي يتجسد هدفه في تطوير وتقيم أداء فاعليه المراكز الداخلية التي كانت تدار من قبل معلمين مختارين بعناية، يدعمهم مستشارون من مراكز الصحة العقلية.(**نايفة قطامي وأخر، 2002، 125-126**.)

خاتمة:

ان الكثير من المشكلات السلوكية التي تقف كعائق في وجه الطفل في تعلمه للكفايات أو الطرق التي يواجه بها متطلبات بيئته هي نتيجة للإستراتيجيات الخاطئة أو الأهداف غير الواضحة التي تم اتباعها في تعلمه و تعاملاته

و يمكن إرجاعها إلى عوامل مختلفة كالأسرة او داخل المدرسة أو خارجها كما ترجع إلى حاضر التلميذ أو ماضيه، أو هما معا، وهذا يتطلب اشتراك أكثر من جهة في بحث المشكلة والإلمام بجميع جوانبها قبل إصدار أحكام عليها وتعاون كل من يعنيهم الأمر، كالمدرس، المدير، الأسرة، الطبيب، المختصين وغيرهم.

إن أسلوب القدوة الحسنة يتربع على قمة الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية ، ذلك الأسلوب الناجح ، الذي يترجم الكلمات إلى مواقف ، ويحول العبارات إلى سلوكيات وأخلاق ، فتربي النفوس من خلاله تربية صحيحة ، لأن القدوة الصالحة لها أهمية كبيرة في تربية الفرد وتنشئته.

قائمة المراجع :

1. **بسيوني سيد سليم، مدى المعاناة من المشكلات النفسية لدى أطفال ما قبل المدرسة من الجنين، دراسة نفسية تصدر عن رابطة الأخصائيين المصريين، العدد الأول، المجلد 6.مصر**
2. **جمال مثقال قاسم وآخرون(2000)، الاضطرابات السلوكية، دار الصفاء، ط1 عمان.**
3. **جمال مثقال وآخرون(2000)، دار صفاء ، ط1. ، عمان**
4. **حسن مصطفي عبد المعطي(2001)، الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة،الأساليب والتشخيص والعلاج دار القاهرة،مصر**
5. **حلمي المليجي(2000)، علم النفس الاكلينكي، الطبعة الاولي، دار النهضة،مصر**
6. **خالد عبد الرزاق السيد (2001)، مشكلات الطفل السلوكية، دار المعارف الجامعية الاسكندرية، دط،مصر**
7. **خولة أحمد يحي(2003)، الاضطرابات السلوكية و الانفعالية ،كلية العلوم التربوية.الجامعة الاردنية.دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط2،الأردن.**
8. **عبد الرحمان عيساوي(1992)، علم النفس ومشكلات الفرد، شركة الاسكندرية للطباعة والنشر، ط1 ،مصر**
9. **عبد العزيز المعاطية وآخرون(2005)، ، المشكلات التربوية المعاصرة، دار الثقافة ،عمان للطباعة والنشر، بيروت.**
10. **ماجد الخطيبية وآخرون(2004)، ، التفاعل الصحفي، دار الشروق ، ط1 عمان**
11. **محمد أيوب الشحيمي (1994)، مشاكل الأطفال كيف نفهمها؟ المشكلات الانحرافات الطفولية وسبل علاجها، دار الفكر اللبناني ، ط1، بيروت**

12.مريم سليم (2003)، تقرير الذات والثقة بالنفس، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت

13.موفق هاشمي صفر الحليبي(2000)، ، الاضطرابات النفسية عند الأطفال المراهقين، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت

14.نايفة القطامي وآخرون(2002)، ، إدارة الصفوف، دار الفكر ، ط1، عمان

15.زكريا الشربيني(1994)،المشكلات النفسية عند الاطفا ل ،دار الفكر العربي ،القاهرة.

16. Rubin, Rosalyn & Ballow, Bruce.(1978). Prevalence of teacher identified behavior problems, Longitudinal study.

الأخلاق في اليهودية والمسيحية "قضايا ونماذج".

د/ للا عائشة عدنان ـ جامعة سيدي محمد بن عبد الله ـ فاس ـ المغرب.

ملخص :

أرسل الله عز وجل رسله وأنزل كتبه لتكون للعالمين سراجا منيرا، فدعوة الرسل عليهم السلام كانت مكتملة المناحي بحيث لم تقتصر على التوحيد والعبادة فقط، بل تجاوزتها إلى تربية الناس على الأخلاق الفاضلة وترك الرذيلة، وهذا الدستور الأخلاقي صاغته الكتب المقدسة على شكل أوامر ونواهي لبعث روح القيم الأخلاقية في النفوس البشرية، لبناء متجمع قوامه الأخلاق الدينية التي تؤدي إلى بعث روح الفضائل ونبذ الرذائل في أواسط المجتمعية.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، اليهود، النصارى.

ABSTRACT :

God sent his messengers and sent down his books to be a lamp to the worlds Munira, The call of the Apostles peace be upon them was so complete that it was not limited to monotheism and worship only, But exceeded it to educate people to virtuous morality and leave vice, This moral constitution was formulated by the Scriptures in the form of orders and prohibitions to instill the spirit of moral values in the human soul, To build a complex of religious ethics that lead to the spirit of virtues and the rejection of vices in the middle of the community.

مقدمة:

يعتبر مفهوم الأخلاق من بين المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها حياة الفرد والجماعة، بل هي قطب الرحى التي تقوم عليها أعمدة المجتمعات، فالله تعالى ميز الإنسان بالعقل عن سائر المخلوقات إذ بواسطته يتحلى بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وبه ويميز بين الخير والشر والأوامر والنواهي، فالرسالات السماوية كلها تدعو إلى مكارم الأخلاق، هدفها من ذلك سمو الإنسان إلى مراتب الفضيلة والترفع عن الرذائل والمنكرات ومحاربة الانحلال الأخلاقي الذي من شأنه القضاء على أخلاقية الإنسان، على اعتبار أن هذه القيم يجب أن تكون ثابتة في المجتمعات لا تتغير بتغير الظهور والأزمان.

ولهذا فإن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام تضمنت أصولاً كبرى على رأسها الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما تضمنت أيضا جوانب أخرى تتمثل في دعوة أقوامهم إلى التحلي بمكارم

الأخلاق وتزكية النفس وإصلاحها، فالرسالات السماوية تتسم بالموازنة الأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، لتحقق للإنسانية فلاح في الحال والفوز بالمآل.

ولأجل ما سبق ذكره جاءت هذه الدراسة لتكشف عن مفهوم الأخلاق عند كل من اليهود والنصارى، آملة أن أحقق الأهداف التالية: أولا: بيان أن الأخلاق الدينية قائمة على أسس متينة لا يمكن تغييرها مهما تبدلت الظروف والأحوال، لأن مصدرها إلهي، وهدفها هو رسم الطريق الأخلاقي لبني البشر، ثانيا: إظهار أن اليهودية والمسيحية رغم التحريف والتبديل الذي تعرضت له نصوصها إلا أننا نجد في ثناياها ما يشهد على مكارم الأخلاق وينهي عن الرذائل.

وعلى هذا الأساس فإن هذه المقالة التي بين أيدينا تحاول أن تجيب عن عدة **تساؤلات** يبقى أهمها: ما هي نظرت الديانة اليهودية والمسيحية إلى الأخلاق؟ وما هي نقط الاتفاق والاختلاف حول مفهوم الأخلاق في الديانتين؟ وإلى أي مدى بقيت نصوص التوراة والتلمود تشهد على مكارم الأخلاق وتنهى عن الرذائل؟.

واقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أقسمها إلى مقدمة ومحورين وخاتمة؛ **المحور الأول** خصصته للحديث عن الأخلاق في الديانة اليهودية، **والمحور الثاني** أفردته للحديث عن الأخلاق في الديان المسيحية، وأما **الخاتمة** سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المحور الأول: الأخلاق في الديانة اليهودية

1_ تعريف اليهودية

إن المتتبع للمعاجم اللغوية سيجد نفسه أمام عدد من المعاني، التي تشترك في تعريفها لكلمة "اليهودية" أو "يهودي" أو "هود"، فالمعنى الجامع لهذه الكلمات، هو: التوبة والرجوع إلى طريق الحق طبقا لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ**﴾[1]، أي: تبنا إليك[2]، واليهودية المقصود بها ملة اليهود.

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ): "هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد(...) والمُتَهَوِّد المُتَقَرِّبُ، والتَّهَوُّدُ: التوبةُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ. والهَوادَةُ: الحُرْمَةُ وَالسَّبَبُ، وهادَ إِذا رجَع مِنْ خَيْرٍ إِلى شَرٍّ أَو مِنْ شَرٍّ إِلى خَيْرٍ، وهادَ إِذا عُقِلَ؛ والتَّهْوِيدُ والتَّهْوادُ والتَّهَوُّدُ: الإِبْطاءُ فِي السَّيْر واللِّينُ

---

[1]- **سورة الأعراف**، الآية: 156.

[2]- **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص: 170.

والتَّرَقُّقُ. والتَّهْوِيدُ: المشيُ الرُّوَيْدُ مِثْلُ الدَّبيب وَنَحْوِه، وأَصله مِنَ الهَوادةِ. والتَّهْوِيدُ: السَّيْرُ الرَّفِيقُ؛ والهَوادَةُ: الصُّلْحُ والمَيْلُ. والتهوِيدُ والتَّهْوادُ: الصوتُ الضعيفُ اللَّيِّنُ الفاتِرُ. والتهوِيدُ: هَدْهَدةُ الريحِ فِي الرَّمْلِ ولِينُ صَوْتِهَا فِيهِ"[1].

وعرف فيروزآبادي(ت1205هـ) اليهودية بقوله: "الهَوَدُ، بالتَّحْرِيكِ: الأَسْنِمَةُ، وَقيل: أَصْلُ السَّنامِ، والهَوَدَةُ مُجْتَمَعُ السَّنامِ وقَحَدَتُه"[2].

على غرار هذه المعاني فإن لفظ اليهودية في اللغة، إذا أطلق دل على التوبة واللين والرجوع إلى الحق.

أما اليهودية اصطلاحا كما تصرح دائرة المعارف اليهودية "من الصعب جدا إعطاء تعريف واضح ومختصر للديانة اليهودية، بسبب كونها ليست دينا خالصا وبسيطا مؤسسا على عقائد مقبولة، مثل الديانة المسيحية والبوذية، لكنها ترتبط ارتباطا ملازما بالشعب اليهودي بكونه المستودع والحافظ للحقائق المملوكة من قبله للجنس البشري"[3].

وجاء تعريفها على لسان ف. بريكيل شاتون F .BRIQUE CHATONNET بأنها: "الديانة الحقيقة التي أوحى الله بها إلى موسى ومورست في الصحراء، لكن بني إسرائيل بعد غزوهم الأرض الموعودة تبنوا عبادات الكنعانيين، وأدخلت في الديانة ممارسات أجنبية، بسبب العلاقات التي كانت تعقدها الدولة الملكية مع دول الجوار"[4].

ويشير اليهود إلى عقيدتهم بكلمة «توراة»، أما مصطلح "«اليهودية» فيبدو أنه قد ظهر أثناء العصر الهيليني[5] للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم، وقد سكَّ هذا

---

[1] _ **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر بيروت، ط3، 1414 هـ، ج3، ص:440.

[2] _ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج9، ص:353.

[3] _ **The Jewish Encyclopedia** , ISIDORE SINGER, volume :7, page:359.

[4] _**Les relations entre les cites de la cote phénicienne et les royaumes d'Israel et de juda**, par : F .BRIQUEL– CHATONNET, Peeters P, Louvain– Belgique : 1992, page :292 .

[5]– بلاد اليونان: في اللغة اليونانية القديمة والمعاصرة باسم هيلاسhellasوهي تشمل شبه جزيرة البلقان والجزر المنتشرة في بحر إيجه، وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل آسيا الصغرى، وأطلق الإغريق على أنفسهم لفظHellenes أو الهلينيين، ولكن الرومان أطلقوا عليها اسمGraectوهو في الحقيقة اسم قبيلة هلينية نزحت من إقليم بيوتياBoeotia في شمال اليونان إلى جنوب إيطاليا، لكن سرعان ما أصبح الاسم الروماني هو الذي اشتهر به هذا الشعب في اللغات المعاصرة.

المصطلح فلافيوسيوسيفوس[1] Josephus Flavius ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا (مقابل «الهيلينية» أي عقيدة أهل هيلاس Hellas وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم). أما الأصل العبري «يهدوت» ، فيعود إلى العصور الوسطى"[2].

وعرفت اليهودية أيضا بأنها: "تسمية تطلق على كل من يعتقد في الديانة اليهودية ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشرائعها، فيهودي نسبة إلى اليهودية، كما أن مسيحي نسبة إلى المسيحية، ومسلم نسبة إلى الإسلام"[3].

يظهر مما تقدم أن اليهودية تطلق على جملة الشرائع التي يؤمن بها معتنقوا هذا الدين، وتُقسم هذه الشريعة إلى قسمين: الشريعة المكتوبة أي: **التّوراة** وتتضمن الأسفار الخمسة التي أنزلها الله تعالى على النبي موسى عليه السلام، والشريعة الشفوية أي: **التّلمود** وهو تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة.

أولا: الأخلاق عند اليهود من خلال التوراة

لقد أسهمت النصوص التشريعية المقدسة لدى اليهود في معرفة عقائدهم وعاداتهم وأخلاقهم المكونة للشخصية اليهودية، وهذا ما نستشفه بشكل جلي من الوصايا العشر[4]، فمن الوصية الأولى إلى

يُنظر الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، سيد أحمد علي الناصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1976م، ص: 8

[1]– فلافيوسيوسيفوس (37–100م): هو مؤرخ يهودي، وُلد في أورشليم وشهد خرابها ، ينحدر من عائلة كهنوتية، ألم باللغة اليونانية، عُينَ قائداً في الجليل خلال الحرب اليهودية التي اندلعت عام 66م، عُرف يوسيفوس كمؤرخ "الحرب اليهودية"، دوَّن "العصور اليهودية القديمة" في كتاب JewishAntiquities . يُنظر
http://www.freeorthodoxmind.org/2012/07/blog-post_05.html

[2]_ **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق مدينة نصر القاهرة، ط1، 1999م، ج13، ص:1.

[3]– **تاريخ الديانة اليهودية**، محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء القاهرة، ط1، 1998م، ص: 29.

[4]– **«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ.لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً.اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ**

الوصية الرابعة تنظم العلاقة بين العبد وخالقه (أي العبادات) حيث أمر بعدم الشرك بالله، والوصايا الأخرى بدأ من الوصية الخامسة تنظم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان (أي المعاملات) وذلك بدأ من إكرام الوالدين مرورا بتحريم القتل والزنا، وانتهاءا بالنهي عن السرقة، وشهادة الزور، واشتهاء ما للآخر، وفي هذا قال حبيب سعيد: "أما الأحكام الأدبية والخلقية فقد لخصتها الوصايا العشر في الفصل العشرين، ثم وردت مفصلة في الفصول التالية، وقد عرفت بكتب العهد، وتفرعت إلى وصايا وأحكام وقوانين بعضها شامل، وبعضها ذات صيغة خاصة وقد بوب أعلام الشريعة والفقه هذه الوصايا على التوالي وقد كانت أحكام الشريعة روحية وأدبية واجتماعية وتتضمن محبة الله ومحبة القريب"[1].

فهذه الوصايا التي ورد ذكرها في سفر الخروج وسفر التثنية ستكون اللبنة الأساسية لهذه الدراسة:

1- **النهي عن الشرك بالله:** إن الغاية من الرسالات السماوية التي أنزلها الله تبارك وتعالى على أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين، هي أن يعرف الناس أن لهذا الكون إلهاً واحداً مالك الملك، خالق كل شيء والقادر عليه، وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو الذي يجب أن يتوجه إليه بالعبادة دون غيره؛ لهذا الغرض بعث الله عز وجل أنبياءه، كل منهم يدعو إلى وحدانيته تعالى وتنزيهه، وأنه سبحانه وتعالى مخالف لكل المخلوقات.

فبعض نصوص اليهود تعترف أن الله تعالى هو الخالق لهذا الكون والمالك له والمدبر لكل ما فيه، وتقرر تفرده سبحانه وتعالى في ذلك، فهو الفاعل المطلق في الكون بالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة وما إلى ذلك؛ لكن في الوقت نفسه تظهر بعض النصوص تقدح في مقام الربوبية، وهذا راجع إلى التحريف والتغيير الذي طرأ على نصوص كتبهم المقدسة، فهذه النصوص تحمل في طياتها القدح في الربوبية، إذ الربوبية المطلقة تعني إفراد الله تعالى بالملك والتدبير لا شريك له في ذلك، كما تقتضي أيضا وصفه تعالى بخصائص الربوبية الكاملة، إذ لا يليق الاعتقاد بسلطة أي مخلوق مع الله عز وجل في الخلق والتدبير في ملكه.

وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ». يُنظر سفر الخروج (20: 2-18).

[1]- **المدخل إلى الكتاب المقدس،سعيد حبيب، ص:79.**

فسفر التكوين[1] يستهل حديثه في أول فصل من فصوله بإثبات صفة الخلق والتدبير لله سبحانه وتعالى: "**فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ، وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا**"[2]، ففي هذا النص دلالة صريحة على أن الله عز وجل هو خالق هذا الكون وما فيه.

ففي هذا النص أيضا دلالة على أن الديانة التي جاء بها النبي موسى عليه السلام ديانة توحيدية، تدعو إلى عبادة الله عز وجل وحده وتنزيهه عن كل النقائص والشوائب، التي تدخل العبد في شرك الربوبية، وقد وردت نصوص في سفر نحميا تقر أن الله هو الخالق والمدبر وبيده مقاليد السماوات والأرض، "**أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ، أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا، وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا، وَالْبِحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ الإِلهُ الَّذِي اخْتَرْتَ أَبْرَامَ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَجَعَلْتَ اسْمَهُ إِبْرَاهِيمَ**"[3].

ونجد أيضا نصوصا أخرى في ثنايا التوراة توجه التفرد إلى عبادة الله وحده لا شريك له "**الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ**"[4]، كما فرض وجوب طاعته في كل أمر قضاه: "**اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلهِكَ، إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ، وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ، وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، لِكَيْ**

---

[1]- يقع في خمسين إصحاحا، ويتحدث هذا سفر عن بدء الخلق، وقصة الخطيئة، وأبناء آدم ونوح، والطوفان، ومواليد سام بن نوح، وقصة سدوم وعمورة، ورحلة إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وما كان من أمر عيسو ويعقوب، أبناء يعقوب، وقصة يوسف، ويروي قصة تجمع بني إسرائيل في مصر؛ ويتخلل هذا السرد التاريخي أحداث تكشف عن طبيعة العلاقة بين الشعب والرب، وبين الشعب الإسرائيلي وغيره من الشعوب الأخرى. ويجمع هذا السفر بين موضوعين أساسيين هما: القصص وشجرة الأنساب؛ فالقصص التوراتية في هذا السفر تتميز بكونها تختلف باختلاف الأحداث، وشخصياتها، وزمان ومكان وقوعها، وتتباين من حيث الطول والقصر؛ فالجزء الأول من هذا السفر ذكرت فيه مجموعة من القصص تتعلق بآدم وحواء وقايين وهابيل ونوح، فهذا السرد يشمل أربع شخصيات رئيسية، هي: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، أو ما يمكن أن يطلق عليه قصص الآباء، وإذا أدرجنا قصة إسحاق في قصة يعقوب سنجد أنفسنا أمام ثلاث قصص أساسية على قدر كبير من الاستقلالية، لكن ما يجمعها جميعا هو شبكة العلاقات العائلية التي تعود في الأصل إلى عائلة واحدة،وتعاقب الأجيال؛ وفيما يتعلق بشجرة الأنساب التي تعتبر حسب بعض الدارسين إحدى أهم السمات المميزة لسفر التكوين؛ يُنظر:

Felix Garciz Lopez, **comment lire le pentateuque**, oip.cit, p66

[2]- **سفر التكوين** (1: 1-5).

[3]- **سفر نحميا** (9: 6- 7)، يُنظر أيضا **سفر المزامير** (33: 6- 8).

[4]- **سفر التثنية** (6: 13).

تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، لِكَيْ يُقِيمَ الرَّبُّ كَلاَمَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنِّي"[1]، ونهى عن السجود لغيره: "**إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ، وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلِّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ، وَأُخْبِرْتَ وَسَمِعْتَ وَفَحَصْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدٌ. قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرِجْ ذلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، الَّذِي فَعَلَ ذلِكَ الأَمْرَ الشِّرِّيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أَوِ الْمَرْأَةَ، وَارْجُمْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ"**[2].

كما جاءت نصوص تبين أن الطاعة والمحبة شرطان لصحة العبادة: "**اُنْظُرْ قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، بِمَا أَنِّي أَوْصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَنْمُوَ، وَيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا...**"[3]، وأما في الآخرة فقد جاء أن الإنسان يجزى عن أفعاله التي حصدها في دنياه: "**فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا**"[4].

إن هذه النصوص سجلت لنا عقيدة اليهود في توحيد الألوهية بإخلاص العبادة والتوجه إلى الله تعالى وحده لا شريك له، لكن في المقابل نجد نصوصا أخرى تنفي هذه الرؤية، وذلك بوقوعهم في الشرك، بعبادة معبودات أخرى وعديدة غير الله تعالى.

يظهر من التأمل في التوراة أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة في عقول اليهود، إذ صوروه في صورة مجسمة، كما تعددت آلهتهم حتى صارت بعدد المدن التي نزلوا فيها، وتنوعت هذه المعبودات حتى شملت الأحجار والأشجار، والشمس والقمر، والملائكة والبشر، وهذا كله راجع إلى تأثرهم بالأمم المجاورة لهم، بالإضافة إلى استعدادهم النفسي وقابليتهم للاستعباد وعبادة الأوثان.

بحيث أَلِفَ اليهود رؤية المصريين يعبدون العجل بعناية فائقة، وكان ينحت من الذهب ويتخذ صورة ثور صغير، فتأثر اليهود بهده العبادة وذلك لما صعد النبي موسى عليه السلام إلى الجبل لميقات ربه.

---

[1]- **سفر الملوك الأول** (2: 1-4).

[2]- **سفر التثنية** (17: 2-6).

[3]- **سفر التثنية** (30: 15 – 16)، **ينظر سفر المزامير**(2 : 11)، **ويُنظر سفر التثنية** (13: 4).

[4]- **سفر الجامعة** (12: 13 – 14)

وما لبث بنو إسرائيل أن اصطحبوا معهم النفسية الوثنية، وذلك بعد أن علا النبي موسى عليه السلام على فرعون وأخرج قوم بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء[1]، إذ ذهب النبي موسى عليه السلام لميقات ربه وعبدوا وراءه العجل احتجاجا منهم أنه قد تأخر في النزول من الجبل: "**وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا**"[2].

وجملة القول فإن دعوة التوحيد التي جاء بها النبي موسى عليه السلام قد تعرضت للتحريف، ولم تبق على صفائها ونقائها كما جاء بها في بدايتها، بل إن القوم انحرفوا عن العقيدة السليمة، فأشركوا بالله ووصفوه بصفات بشرية لا تليق بذاته العلية، وهذا يعكس الطبيعة اليهودية لأنها أقرب إلى المادية منها إلى الروحية، وأمْيَل إلى التجسيد منها إلى التجريد، وقد انعكست هذه الطبيعة على فكرتهم عن الله، بحيث لم يستطيعوا أن يتصوروه كائنا ساميا منزها عن المادة ولوازمها، وهذا ما تشير إليه كتبهم المقدسة في كثير من المواضع.

2_ **بر الوالدين:** إن الناظر في الكتب المقدسة لليهود سيجدها مليئة بالنصوص التي تحث على بر الوالدين والإحسان إليهما، بل وردت نصوص داخل الكتاب المقدس فيها فرض العقوبة على العاق لوالديه، ومن ذلك ما ورد في سفر الخروج، "**وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً...وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ**

---

[1]_ شبه جزيرة مثلثة الشكل، تقع على التخوم الشمالية للبحر الأحمر، يحدها خليج العقبة شرقا والسويس غربا وبادية التيه شمالا، يقع في جنوبها مجموعة جبال تعرف بجبل سيناء، جرت في سيناء عدة معارك بين فراعنة مصر وجماعات البدو الساميين، وعثر فيها على كتابات نبطية ترقى إلى بدايات العصر المسيحي، شكلت سيناء مرحلة من مراحل الهجرة العبرانية من مصر، فإن العبرانيين أقاموا مدة في صحراء سيناء، وتلقى فيها موسى الوحي الإلهي؛ وفي مطلع عصر التنسك المسيحي كانت جبال وصحراء سيناء مركزا مهما للأديرة وملاذا للعديد من النساك سماها المصريون «توشويت» والآشريون «مجان» والتوراة «حوريب». **يُنظر معجم الحضارات السامية**، هنري س عبودي، ص:521.

[2]– **سفر الخروج** (32: 1– 5).

أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً"[1]، وما يؤكد هذا أيضا ما جاء في سفر التثنية، "**أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ**"[2].

وقد وردت أحكام عديدة بشأن الابن المعاند لأبويه ومن ذلك ما ورد في سفر التثنية، "إِذَا كَانَ لِرَجُل ابْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلاَ لِقَوْلِ أُمِّهِ، وَيُؤَدِّبَانِهِ فَلاَ يَسْمَعُ لَهُمَا. يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ مَكَانِهِ، وَيَقُولاَنِ لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: ابْنُنَا هذَا مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِنَا، وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسِكِّيرٌ. فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِحِجَارَةٍ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ"[3].

وعلى الرغم من أن نصوص الكتاب المقدس تزخر بالوصايا على الوالدين إلا أنه في المقابل تعتبر حقوق الابن على الأب من الواجبات العظيمة التي يجب على الأب تأديتها على الوجه الأكمل، وقد حصرها علماء اليهود في عشرة بنود من بينها: "ختانه في اليوم الثامن[4]، النفقة عليه بالمأكل والملبس، تعليمه الأدب والدين كما جاء في التوراة، تعليمه قراءة وكتابه اللغة العبرية، تعليمه الرياضة، انتقاء زوجة مناسبة تصونه من الفساد، إن كان البكري فله مزيد من الإرث"[5].

إن بر الوالدين لا يمكن أن يقاس بالواجب الأخلاقي فحسب، بل إن إكرامهما يجب أن يعتبر واجبا دينيا، وهذا ما نستشفه في نصوص التوراة التي تنص على طاعة الوالدين، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك لما فرضت عقوبات قاسية على من يعقهما وصلت إلى درجة القتل.

3- النهي عن القتل: جاءت الشريعة اليهودية تحمل في طيات نصوصها تحريم القتل باعتبارها جريمة يعاقب فاعلها بالقتل ولكن هذا العقاب اختص فقط إذا قام اليهودي بقتل اليهودي، لأن الديانة اليهودية تعد قتل اليهودي جريمة كبرى عقوبتها الإعدام،"**وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ**"[6]، **فهذا النص يدل دلالة صريحة على تحريم قتل النفس، "ولكن من يطالع أسفار التوراة يجد**

---

[1]- سفر الخروج (20 : 15_17)

[2]- سفر التثنية (5: 16)

[3]- سفر التثنية (21: 18-21)

[4]- سفر اللاويين (12: 3).

[5]- الوصايا العشر اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، رشاد عبد الله شامي، ص:209-210.

[6]- سفر الخروج(23: 7).

في أحيان كثيرة أن حكم الشريعة نفسه ليس فقط أنه يسمح بقتل الإنسان، بل يأمر بقتل الإنسان"[1]، ولذلك يقول وول ديورانت عن هذه الوصية: "الوصية السادسة مبدأ مثالي صعب المنال، وذلك أننا لا نرى في كتاب ما نراه في أسفار العهد القديم من حديث التقتيل والتدمير، ففصول كلها ما بين وصف لمذابح وتناسل لتعويض آثارها"[2].

ويترتب على القتل العدوان عقوبة أخروية وهي العذاب يوم القيامة وعقوبة دنيوية، فالعقوبة الأخروية تكاد لا تذكر لأن الله تعالى –حسب زعم اليهود_ يجازي شعب إسرائيل على ذنوبه، بنقص ملكهم أو ضياع دولتهم أو ذهاب أوالهم، كما ورد في أسفار التوراة[3]، حيث سلط عليهم الرعب، ونقص ثمرات الأرض، ويذلون أمام عدوهم، وتمزق مملكتهم، أما العقوبة الدنيوية فتتمثل في الحدود أي القص من القاتل العمد، فلا يجوز العفو عنه، ولا تقبل الدية منه[4].

4- النهي عن الزنا: حرمت النصوص المقدسة العلاقات الجنسية بين الرجل وزوجة رجل آخر، وذلك لما تحتوي عليه من انحلال خلقي في المجتمع، فالزواج هو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة، والنهي عن الزنا يضفي على الزواج كل ما يستطيع الدين أن يضفي عليه من عون[5]، لكن إذا تقصينا النظر في نصوص التوراة نجد فيها أمر بالزنى ومن ذلك القبيل ما ورد في سفر هوشع، "**اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ**"[6].

على الرغم من أن التوراة جاءت بنصوص كثيرة تحرم الزنا ونكاح المحارم فقد انتشرت هذه الفواحش بين بني إسرائيل ولم يكن هناك من ينفذ الأحكام التشريعية بل وصل الأمر بالأحبار أن اتهموا الأنبياء بارتكاب الفواحش حتى يسهل لهم فعلها، ومن ذلك ما ورد بخصوص النبي لوط عليه السلام،

---

[1]- **الوصايا العشر اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام**، رشاد عبد الله الشامي، ص:214.

[2]- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران ونجيب محفوظ، تقديم محمد الدين صابر، دار الجيل بيروت، طبع سنة1408هـ/1988م، ج1، ص:376.

[3]- يُنظر **سفر التثنية** (21: 7-9)، **وسفر اللاويين** (18: 24-30).

[4]- **القتل والسرقة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، عناد نجر العجرفي العتيبي، ص:25-29.

[5]- قصة الحضارة، ول ديورانت، ج1، ص:377.

[6]- **هوشع** (1: 2)

"هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاًفَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا"[1].

وعلى الرغم من ورود النهي عن الزنا في نصوص التوراة[2] إلا أن الزنا كانت منتشرة بين اليهود "ويلوح أن اللواط لم ينقطع بعد تدمير سدوم وسمورة، لأن السوريات والمؤابياتوالمدينيات وغيرهم من النساء العزبات انتشرن في الطرق العامة، حيث كن يعشن في مواخير وخيام، ويجمعن بين الدعارة وبيع مختلف السلع الأخرى"[3].

فبعد تقديم هذه النظرة حول التذبذب الحاصل بين تحليل وتحريم الزنا، نجد نصوصا أخرى قننت هذا النهي وحددته في زنا الأقارب، أما إتاء الفاحشة مع غير اليهودية فلا بأس به ولا عقاب له، "إذا وقعت الجريمة بين إسرائيلي حر لأمة فلا يقتل هو، لأنه إسرائيلي حر فوق المسألة، ولا تقتل هي لأنها أمة جارية، لا تملك من أمر نفسها شيء، وإذا حدث الزنى مع امرأة الغريب فلا بأس وإذا حدث مع امرأة غير متزوجة فلا عقاب"[4].

وعليه فإن نصوص التوراة وإن نهت عن الزنا كسلوك غير أخلاقي إلا أننا نجد نصوصا أخرى تعرض طريق الدارس للكتاب المقدس تحدد هذا السلوك الفاحش الذي ينخر تماسك المجتمعات، بل نجد نصوصا صريحة ترمي صفوة الخلق بهذه الفاحشة.

5- **شهادة الزور**: تنهَّى اليهودي عن الشهادة على القريب حينما يكون شاهدا على الزور، والمقصود هنا بطبيعة الحال، الشهادة أمام المحكمة، والتي تقوم بدورها استنادا إلى الثقة التي تضعها في الشهود الدين حينما تنعدم الأدلة والقرائن، ويؤكدون أو ينقضون أقوال الخصماء، وبهذا يتيحون للحقيقة أن تخرج للنور"[5]، ومن النصوص التي وردت في هذا الشأن ما جاء في سفر التثنية: "**وَلاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ**"[6].

---

[1]- **سفر التكوين**(19: 30-33)

[2]- "لاَ تَزْنِ" **سفر الخروج**(20: 14)

[3]- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ج1، ص:378.

[4]- **جوهر الإيمان في صحيح الأديان**، صلاح الحجماوي، ط1، 1408هـ/1988م، ج1، ص:313-314.

[5]- **الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام**، رشاد عبد الله الشامي، ص:262.

[6]- **سفر التثنية** (5 : 20)

وفي تفسير هذا النص يقول هوستن سميث: "بالنسبة للكلام الذي يتكلم به الإنسان، يمكنك أن تخفي وتراوغ، ولكنك وقت يتطلب منك أن تقول الحقيقة بحيث أتى المتخاصمين إلى المحكمة، ففي مثل هذه المناسبات لا بد على القضاة أن يعرفوا ما حدث بالضبط، وهنا إذا كذبت رغم كونك تحت القسم بأن تخبر الحقيقة كاملة، فإن العقوبة ستكون قاسية"[1].

بالإضافة إلى هذا فقد حثت نصوص الكتاب المقدس على أخلاقيات أخرى تعتبر بمثابة دستور المجتمع يُحتكم إليه، كالحث على الرحمة بالعجزة والضعفاء، والعدل والمساواة على اعتبار أن هذه الصفات من الأخلاق السامية داخل المجتمع الواحد "لاَ تَشْتِمِ الأَصَمَّ، وَقُدَّامَ الأَعْمَى لاَ تَجْعَلْ مَعْثَرَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ. أَنَا الرَّبُّ. لاَ تَرْتَكِبُواجَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لاَ تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلاَ تَحْتَرِمْ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ"[2].

ثانيا: الأخلاق عند اليهود من خلال التلمود

يعتبر التلمود المصدر الثاني للتشريع اليهودي، وذلك لما امتاز به من صيانة حياة اليهود الدينية والأخلاقية فهو بمثابة الراية التي التفت حولها الجاليات اليهودية المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومنها فقد أسهم بدرجة كبيرة في تعريف الأجيال اللاحقة بتاريخ آبائهم وأجدادهم[3].

وبعد دراستنا للأخلاقيات التي يتضمنها التلمود وجدناها تتطرق إلى عدة اتجاهات مختلفة، الأمر الذي يطرح صعوبة الإحاطة بمختلف جوانبها، لدى سنحاول في هذا المقام أن نسلط الضوء على أخلاق اليهود مع الآخر المختلف معهم في العقيدة.

ومن بين المبادئ الأخلاقية الواردة في التلمود تنظم العلاقة بين البشر "أحب لأخيك ما تحب لنفسك"، وقد فسرها هليل هازقين بقوله: "ما تكرهه لنفسك لا تصنعه لغيرك"[4]، فهذا النص يحث على حب الآخر والتمني له ما يتمناه الفرد لنفسه، ومن مظاهر الأخلاقية التي خطها حاخامات اليهود وربيوهم في التلمود ما يلي:

---

[1]- **أديان العالم دراسة روحية تحليلية**، هوستن سمث، ترجمة سعد رستم، ص:358.

[2]- **سفر اللاويين** (19: 14-15)

[3]- **بنو إسرائيل**، بيومي مهران، ج3، ص:347-348.

[4]- **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، رشاد الشامي، المكتب المصري، القاهرة مصر، ب.ت، ص:187

الحث على الأخلاق الحسنة: إذ اشترطوا في دارس التوراة الأخلاق الحميدة، لأن التوراة حسب زعمهم "تقتنى إلى كل من يعرف مكانه، ويسعد بنصيبه، ويجعل أقواله سياجا، ولا ينسب الفضل لنفسه، ويكون محبوبا من الله، ومُحسبا لله، ومحبا للخلق، ومحبا للصدق، ومحبا للتوبيخ، ومحبا للاستقامة، والمبتعد عن التفاخر"[1]، فهذا النص يحث أيضا على التواضع وعدم التفاخر، "فالله يرضى عن خلقه عندما يتمثلوا فضيلة التواضع وخفض الذات"[2]، كما ينص أيضا على احترام الآخر ومن ذلك ما ورد في التلمود "من هو المحترم؟ من يحترم الخلق، حيث ورد لأنني أكرم الذين يكرمونني أما الذين يحتقرونني فيصغرون"[3].

ومن مظاهر الإحسان في التلمود الحث على أداء الصدقة، وضيافة الفقراء، يقول يوسف يوحنان رجل أورشليم: "ليكن بيتك مفتوحا على الرب، وليكن الفقراء كأبناء بيتك"[4]، وتأكيدا لهذا يقول ول ديورانت: "وكانت واجبات الضيافة تقدم بالمجان وبخاصة للعلماء الجائلين، وفي بعض الجماعات كان المسافرون اليهود، وإذا قدموا على بلد آواهم موظفون من الجماعات اليهودية في بيوت أفراد العائلة اليهودية، وزاد عدد الجمعيات الخيرية اليهودية زيادة كبيرة كلما تقدمت العصور الوسطى، فلم تكن هناك فقط كثير من المستشفيات، وملاجئ للأيتام وبيوت للفقراء والطاعنين في السن، بل كانت هناك أيضاً منظمات تؤدي أموال الفداء للمسجونين، وبائنات للعرائس الفقيرات، وأجور الأطباء للمرضى، وتعني بالأرامل المعدمات، وتدفن الموتى من غير أجر"[5].

لكن في مقابل هذا نجد اليهود يعتبر كل من يخالف اعتقاده ليس من طينة البشر وإنما يدخل في خانة الحيوانات .

un des principes de la morale jiuve, d'où d'écoule ensiute la régle de ses actes dans ses rapports avec le prochain, c'est que tous les autres hommes_quelque que cela puisse paraitre de prime abord_ne sont pour lui que des bêtes[6].

---

[1]– **ترجمة متن التلمود**،نزيقين، ترجمة مصطفى عبد المعبود، ج4، ص:327.

[2]– **التلمود كتاب اليهود المقدس**، أحمد أيبش، ص:268.

[3]– **ترجمة متن التلمود**، ترجمة مصطفى عبد المعبود، ج4، ص:317.

[4]– **نفسه**، ج4، ص:301.

[5]– **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ج14، ص:66-67.

[6] – **le jiufvoila l'ennemi**, Martinez, Nouvelle librairie parisienne, Paris–France, 1890, p :25.

بناءا على هذه العقيدة تضمن التلمود نصوصا ذات أبعاد عنصرية من خلال إعطاء اليهود مكانة خاصة لا يضاهيهم فيها أحد من الخلق، فهم وحدهم شعب الله ومختاروه، الأمر الذي حمل اليهود على التفكير بالتفوق والتعالي فوق غيرهم من الناس[1].

كما أن القتل والسرقة والزنا التي تعتبر من المحرمات في نصوص التوراة، تصبح في التلمود أخلاق مباحة مع الغير اليهودي ولا يعاقب عليها، ففي هذا يقول موسى بن ميمون: "حينما يقتل يهودي معتنقا جديدا للديانة اليهودية فإن المحكمة اليهودية لا يمكن أن تصدر حكما ضده، فالقانون لا ينظر إلا إلى قاتل القريب، لكن المهود ليس بقريب، فإدانة القاتل الإسرائيلي لغير اليهودي أو الجوى[2] على هذا الاعتبار ليس لها جدوى[3].

وعلى الرغم من تحريم الديانة اليهودية الزنا والدعارة في نصوص كثيرة من التوراة إلا أن التلمود لا يعتبر الزنا بامرأة من الأغيار سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة محرما، فالزنا بغير اليهودية حسب هذا الاتجاه مباح، في ذلك يقول إسرائيل شحاك Israël Shahak[4]: "لحمكهم كلحم الحمير وقدفهم المني كقدف الجياد، ولا فرق بين ما إذا كانت المرأة غير اليهودية متزوجة أو غير متزوجة، لأن مفهوم الزواج بالنسبة لليهود لا ينطبق عليها، وبناء عليه، فمفهوم الزنا لا ينطبق على اتصال يهودي بامرأة غير يهودية"[5].

---

[1]– **التلمود البابلي**، مركز دراسات الشرق الأوسط، ج1، ص:51.

[2]الجوى: كلمة عبرية معناها الشخص الذي لا ينتمي إلى اليهود، فهي تعني الهمجية بربري، وقد استعملت هذه الكلمة في الترجمة للدلالة على الأغيار، أي غير اليهود ويمثلون الشعوب الأخرى التي لا تنزل في مرتبة واحدة مع اليهود، ومن ثم تختلف الأحكام الشرعية في كل ما يتعلق بهم، فما يجوز لليهود لا يجوز للأغيار، وتطبيق الأحكام على الأغيار يختلف تماما تنفيذها على اليهود. **يُنظر أبحاث في الفكر اليهودي**، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق سوريا، ط2، 1423هـ/2006م، ص/109.

[3] –**le jiufvoila l'ennemi**, Martinez, Nouvelle librairie parisienne, p :26.

[4]– إسرائيل شحاك (28 أبريل 1933 – 2 يوليو 2001) هو إسرائيلي بولندي ولد في وارسو في بولندة، وهو من الناجين من الهولو كوست، عمل محاضرا في الكيمياء في الجامعة العبرية في القدس وهو رئيس سابق لأحد الجمعيات الإسرائيلية المعنية بحقوق الإنسان والحقوق المدنية، عرف بنقده الصريح للحكومة الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي بوجه العموم وأثارة كتاباته حول اليهودية الكثير من الجدل.

https://www.marefa.org/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%B4%D8%A7%D8%AD%D8%A7%D9%83

[5]– **التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة**، إسرائيل شحاك، ترجمة صالح علي سوداح، ص:138

أما بالنسبة لغير اليهود فالأمر مختلف، فقد جاء في التلمود: أنه إذا اتصل غير يهودي ببنت يهودية اتصالا جنسيا أو أفسد أخلاق امرأة يهودية أو أفسد سمعة غلام يهودي أو قابل مومسة يهودية ولم يدفع لها حق مقابلتها، وقع تحت طائلة العقاب؛ فعند امتناعه عن دفع حق المومسة يحصل منه حقها ثم يجلد، وعند إفساد أخلاق امرأة يهودية يرجم حتى الموت، أما إذا لوث سمعة غلام يأخذ منه ولي الغلام مبلغا من المال يستطيع المتعدي دفعه، ثم يضرب ويسرح به في الميادين ولكن المتعدي على بنت يهودية جزاءه القتل البطيء بشج رأسه نصفين وكل ذلك يجب أن يتم أمام غير اليهود حتى يتعظوا ولا يعودون إلى ارتكاب مثله[1].

وعلى ما تم ذكره يظهر أن الدستور الأخلاقي لدى اليهود يستمد أصوله من الوصايا العشر، التي تضمنت مجموعة من الأوامر والنواهي التي يجب على اليهودي أن يمتثل لها، كما أن للتلمود أيضا دورا كبيرا في تنظيم العلاقات بين اليهود مع بعضهم البعض، وبين اليهودي والآخر المخالف له عقيدة، فهذه العلاقات التي سطرها كتاب التلمود تنحصر في المحيط اليهودي مما يضفي عليها نوعا من العنصرية والتعصب.

المحور الثاني: الأخلاق في الديانة المسيحية

في البداية وقبل أن ننتقل إلى ثنايا البحث في هذا الموضوع الذي نحن بصدده لا بد لنا أن نعرج على تعريف الديانة المسيحية حتى يتسنى لنا الوقوف على مجمل معاني هذا المصطلح وما يحمله من دلالات .

المسيحية لغة: "مَسَحَ برأسه وتَمَسَّحَ بالأرض. ومَسَحَ الأرضَ مِساحَةً، أي ذَرَعَها. ومَسَحَ المرأة: جامعَها. ومَسَحَهُ بالسيف قطعه. وإذا أصاب المرفق طرف كركرة البعير فأدماه قيل: به حاز، وإن لم يدمه قيل: به ماسح؛ والمسحاء الأرض المستوية ذات حصى"[2]؛ وعرف ابن فارس المسيحية بقوله: المسح"فالميم والسين والحاء أصل صحيح، وهو إمرار الشيء على الشيء بسطا؛ والأمسح المكان المستوي كأنه قد مسح، والمسح يكون بالسيف أيضا على جهة الاستعارة. ومسح يده بالسيف: قطعها"[3].

ثم عرفها الزبيدي بقوله: "المَسْحُ، كالمَنْع: إمرارُكَ اليَدَ على الشّيْءِ السَّائِلِ أَو المُتَلطِّخِ لإذهابِه بذلك، كمَسْحِك رأْسَك من الماءِ وجَبِينَك من الرَّشْح(...) والمَسْح: أَنْ تَسيرَ الإبِل يَومَها، يُقَال مَسَحَت

[1]– **التلمود وأثره في تدمير البشرية والحضارة الإنسانية**، محمد محمود صبح دار النربين، 1900م، 50.

[2] _ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الفارابي (ت 393هـ)،ج1، ص:404.

[3] _ **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، ج5، ص:322.

الإبل الأَرْضَ يَومَها دَأْباً، أَي سارَتْ فِيهَا سَيراً شَديداً، ومَسْحُ الناقَة أَيضاً أَن تُتْعِبَها وتُدْبِرَهَا وتهزِلَهَا، كالتَّمْسيح"[1]؛ ومسَحَ الأرضَ: قاسها ليعلم مِساحتَها بالأمتار المربَّعة ونحوها وقسَّمها، حَدَّد أبعادَها مسحَ المهندسُ قطعةَ الأرض قبل بنائها[2]؛ ويقال تماسح الرّجلَانِ تَصَادقا أَو تبَايعا فتصافحا وَيُقَال الْتَقَوْا فتماسحوا تصافحوا[3].

وعليه فإن لفظ مسح إذا أطلق في اللغة دل على المنع، والاستواء، والقطع، والقياس.

أما المسيحية عند المسيحيين هي: "ديانة توحيدية إبراهيمية، لأنها تؤمن بإله واحد وتجعل من إبراهيم مركزا مهما في تقاليدها المشتركة مع اليهودية والإسلام، وسميت بالمسيحية من قبل الرسل والمسيحيين الأوائل نسبة إلى المسيح مؤسسها في أنطاكيا التركية سنة 49 ميلادية"[4].

وعرفها هنري س عبودي بأنها: "الديانة التي أسسها يسوع الناصري، وأول من أطلق هذه الكلمة هم وثنيو أنطاكية سموا بها أتباع يسوع وظلت هذه التسمية ملازمة لهم إلى يومنا هذا[5].

والنصرانية مدلول لفظي للمسيحية، وهي في الأصل نسبة إلى نصرانة قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنصرانية، والنصرانة كذلك واحدة النصارى[6]؛ والنصرانية هي دين النصارى، الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابه الإنجيل، ويطلق عليهم في القرآن الكريم النصارى، وأهل الكتاب وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم المسيحية[7].

وعليه فإن تعريف النصرانية هي الرسالة التي أُنزلت على النبي عيسى عليه السلام، مكمِّلة لرسالة النبي موسى عليه السلام، داعية إلى التوحيد الخالص مثلها في هذا كباقي الرسائل السماوية،

---

[1] _ **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، ج7، ص:118_12

[2] _ **معجم اللغة العربية المعاصرة**،أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ / 2008م، ج3، ص:2095.

[3] _ **المعجم الوسيط**،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ج2، ص:867.

[4] _ **الموجز في المذاهب والأديان، الهندوسية، الزراديشتية، اليهودية، المسيحية، الإسلام**، الأب صبري المقدسي، الناشر مكتب الأستاذ سركيس أغاجان، ط1، 2007م، ص:145.

[5] _ **معجم الحضارات السامية**، هنري س عبودي، ص:794.

[6] _ **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**، عبد القادر شيبة الحمد، شركة المدينة للطباعة والنشر جدة، ص:24.

[7] _ **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط1، 1418هـ/1997م، ص:121.

لكنها واجهة مقاومة واضطهاداً شديداً، مما أدى إلى امتداد الوثنية إليها، فابتعدت عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات الوثنية وفلسفات الغربية.

الأخلاق عند المسيحيين من خلال نصوصهم المقدسة

تكتسي الأناجيل مكانة خاصة لدى المسيحيين باعتبارها الدستور التي يحتكم إليه في فصل الخلاف، فكما هو معلوم أن الديانة المسيحية أقرت بما جاء في الشق الأول من الكتاب المقدس المسمى لديهم بالعهد القديم، على اعتبار أن كل من العهدين _ القديم والجديد_ يقران بالقانون الأخلاقي المنصوص عليه في الكتاب المقدس وفي هذا يقول أحمد شلبي: "كلا الناموسين يأمر بوجوب حفظ الوصايا القديمة التي تسلمها موسى من ربه"[1].

وقد ورد النهي عن القتل في نصوص العهد الجديد، من ضِمن وصايا النبي عيسى عليه السلام"**قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**"[2]، ولحفظ حياة الأفراد فقد تم فرض ثلاث عقوبات بالنسبة للقاتل؛ **أولها**: الإحالة إلى الناموس أي إرجاع الناس إلى شريعة موسى عليه السلام، لأن عيسى عليه السلام جاء متمما للأساس الذي وضعه النبي موسى عليه السلام، ولذا فإن الأصل عن التخاصم الرجوع إلى شريعة موسى عليه السلام، "وهذا مما جعل السلطة الدنيوية تستأثر بالأمر وتسن ما شاءت من قوانين حتى شاعت المقولة المنسوبة لعيسى، دع ما لقيصر وما لله لله"[3]، **ثانيها**: العفو على اعتبار أن ديانة النبي عيسى عليه السلام تتسم بالعفو حتى أنه يكاد لا يذكر عقوبة دنيوية، إلا من قبيل الإشارة إلى الأحكام السابقة[4].

وثالثها: العقوبة الأخروية وتتمثل في الحرمان من ملكوت الله كما جاء غلاطية: "**وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ**

---

[1]- **المسيحية**، أحمد شلبي، ص:231.

[2]- **إنجيل متى** (21: 18-19)؛ يُنظر **أيضا رومية** "لاَ تَزْنِ، لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ، لاَ تَشْتَهِ، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى، هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هذِهِ الْكَلِمَةِ: أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"(13: 9-10)

[3]- **القتل والسرقة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، عناد نجر العجر في العتيبي، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط1، 1419هـ/1998م، ص:79.

[4]- **نفسه**، ص:79.

الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ"[1]، يظهر من خلال هذا النص أن العقوبة الأخروية ليس فيها تهديد مخيف، ولا يوجد توعد بالعذاب.

بل إن المسيح عليه السلام ذهب إلى أبعد من ذلك فنهى عن التفكير في الإساءة على العموم، ورذل الغضب والبغض واحتقار الغير[2]، وما يؤكد هذا ما ورد في إنجيل متى: "**قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ**"[3]؛ ومن خصائص المسيحية كذلك أنها لم تأخذ بقضية القصاص كما في اليهودية، لأن المسيحية تدعو إلى مقابلة الخير بالشر، "**سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا، وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ، مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ**"[4].

ومن الفضائل الأخلاقية في الديانة المسيحية خلق المحبة؛ فهي حسب الفهم المسيحي، أصيلة المبنى حديثة المعنى، أي أنها قديمة من حيث الورود، جديدة من حيث المراد، وتأكيد هذا ما جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، وفيه ما يلي: "إن وصية المحبة قديمة لأنها وردت في العهد القديم (للاويين 19 : 18)[5] ، كما أنها وصية جديدة لأن الرب يسوع فسرها بطريقة جديدة تماما (يوحنا 13 : 34، 35)[6]"[7].

---

[1]- **غلاطية** (5: 19-21)

[2]- **المسيحية**، أحمد شلبي، ص:231.

[3]- **إنجيل متى** (5: 21-23).

[4]- **إنجيل متى** (5: 38-41).

[5]- لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ، سفر اللاويين:(19: 18).

[6] ـ وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ. يوحنا(13:34-35).

[7]ـ **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، وليم وهبة وآخرون، ماستر ميديا القاهرة، ط1: 1997، ص: 2722.

وللمحبة في المسيحية امتدادات أوسع وأشمل من أن تكون قاصرة على الأخ القريب فحسب، بل تعم الغريب البعيد، وتشمل العدو اللدود، فهي عامة لا تخص فئة دون أخرى؛ يذكر كريستيان نيسبن[1]، أنه إن كان العهد القديم يوصي بمحبة القريب، فإن هذه الوصية تأخذ في المسيح أبعادا هي، جذريا، جديدة، فيصبح هذا القريب كل إنسان ولو كان من الأمم والشعوب الأخرى، بل وإن كان من الأعداء الألداء[2]، وما يؤكد هذا ما ورد في إنجيل متى: "**سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ**"[3].

وقد استخلص سمير مرقس أن "المحبة هي جوهر الإيمان المسيحي، وهي الوصية الأولى والالتزام الأساسي لأي مسيحي، وعلى قاعدة المحبة تتبلور أفكار المرء وممارساته، وفعل المحبة الذي يمارسه الإنسان ينطلق في اتجاهين في علاقة جدلية: اتجاه نحو الله واتجاه نحو القريب/الآخر، فمن غير المنطقي أن يدعي أحد أنه يحب الله من غير أن يتجسد ذلك عمليا في سلوكه نحو الآخرين"[4].

وقد دعت العقيدة المسيحية إلى محبة الناس على اختلافهم وتنوعهم، فوحدة المحبة لا تعني إلغاء التميز والاختلاف، بل هي وحدة في تميز، كما ترى هذه العقيدة أن نموذج وحدة المحبة ومصدرها هو الله تعالى ذاته، والذي هو في ذاته محبة، والذي هو الوحدة المطلقة لأنها المحبة المطلقة. ومن ثم فهو سبحانه وتعالى المصدر والمرجع لكل علاقات الغيرية، لكل علاقة بآخر[5].

---

[1] ـ الأب د.كريستيان فان نيسبن: أستاذ الفلسفة في كلية الدراسات الإنسانية واللاهوتية بالقاهرة.

[2] – **مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية**، كريستيان فان نيسبن، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر دمشق، ط1، 2008م، ص: 85.

[3] – **إنجيل متى**(5: 38-48).

[4] ـ **مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية**، سمير مرقس، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص: 134

[5] ـ**مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية**، كريستيان فان نيسبن، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر دمشق، ط1، 2008م،: 88.

وهذا ما يؤكده سمير مرقس بقوله: "تأتي أهمية المحبة في المسيحية، من كونها ركنا جوهريا فيها؛ بسبب أن «الله» ذاته «محبة»؛ أي إن الله في المسيحية هو «الإله المحب»، ومتى ارتبطت الصفة: «المحبة» بالمطلق الكامل «الله»، اكتسبت طبيعة إطلاقية وتجلياتِها، فالمحبة الإلهية هي محبة لا حدود لها، ولا سقف لها؛ أي إنها مطلقة في فعلها وتجلياتها"[1].

فإذا كان الديانة المسيحية قائمة أساسا على عقيدة الخلاص، ومبدأ الفداء، فإن هذا الأخير أصله ومرجعه إلى المحبة، وإن قراءة في التقاليد والأدبيات المسيحية لتدفع إلى الاعتقاد بأن هذه المحبة قضية مركزية في ديانة يسوع، وأنها مسألة محورية فيها، وأنه "ما من مبدأ يوازي المحبة في المسيحية...فأهم تعريف لله في المسيحية هو أنه محبّة"[2]، وهي الخصيصة المميّزة للأخلاق المسيحية[3].

وعلى الرغم مما ذكر فإن ما يناقضه في الخطاب نفسه، وتعترضه اعتراضات عريضة جدا؛ فبعض التعاليم الأخلاقية التي جاءت بها الأناجيل لها ما ينقضها ويعارضها في الأناجيل نفسها.

خاتمة:

في ختام هذه المداخلة يمكنني حصر أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

إن الديانة اليهودية قننت دستورا أخلاقيا ينظم الحياة الاجتماعية لدى اليهود، لكن هذا النظام لا ينطبق إلا مع اليهودي مما يجعله قانونا لا يتعدى الجماعة اليهودية.

لقد جاءت الديانة المسيحية تحمل في كنهها بعض القيم الإنسانية التي غيبت في العهد القديم، جاعلة من خلق المحبة الفضيلة الأولى التي تقوم عليها المبادئ الأخلاقية، وهي القيمة الأساسية التي تنظم حياة الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

📖 **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

📖 **الكتاب المقدس نسخة العالم الجديد.**

📖 **أباطيل التوراة والعهد القديم مداخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، محمد علي البار، الدار الشامية، ط1، 1410هـ/1990م.

---

[1]-**مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية**، سمير مرقس، ص: 126.

[2]- **المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم**، جورج تامر، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الإصدار 1، 2011م ص: 33.

3 -**THE IDEA OF CHRISTIAN ETHICS**, James M.Gustafson; In Companion Encyclopedia of Theology, Peter Byrne & Leslie Houlden (Ed.), Routledge - London, 1st ed. 1995, p.695

- **أبحاث في الفكر اليهودي**، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق سوريا، ط2، 1423هـ/2006م.
- **أديان العالم دراسة روحية تحليلية**، هوستن سمث، ترجمة سعد رستم.
- **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**، عبد القادر شيبة الحمد، شركة المدينة للطباعة والنشر جدة.
- **الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر**، سيد أحمد علي الناصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1976م.
- **بني إسرائيل**، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- **تاريخ الديانة اليهودية**، محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء القاهرة، ط1، 1998م.
- **التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة**، إسرائيل شحاك، ترجمة صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1995م.
- **تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين الإشكالية والتقنين**، يوسف الكلام، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2009م.
- **ترجمة متن التلمود**،نزيقين، ترجمة مصطفى عبد المعبود، مكتبة النافذة، الحيزة مصر، ط1، 2007م.
- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، وليم وهبة وآخرون، ماستر ميديا–القاهرة، ط1: 1997.
- **تفسير الجلالين**، جلال الدين محمد أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
- **التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه**، أحمد أيبش، تقديم سهيل زكار، دار قتيبة للطباعة بيروت لبنان، الطبعة1، 1427هـ/2006م.

- **التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه**، أحمد أيبش، تقديم سهيل زكار، دار قتيبة للطباعة بيروت لبنان، الطبعة1، 1427هـ/2006م.

- **التلمود وأثره في تدمير البشرية والحضارة الإنسانية**، محمد محمود صبح دار النربين، 1900م.
- **التوراة الهروغليفية**، فؤاد حسنين، دار الكتاب العربي مصر، ب.ط، ب.ت.
- جوهر الإيمان في صحيح الأديان، صلاح الحجماوي، ط1، 1408هـ/1988م.
- **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة العلوم والحكم المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ.
- **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط1، 1418هـ/1997م.
- **الديانة اليهودية**، يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995م.

📖 **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري الفارابي تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/1987م.

📖 **القتل والسرقة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، عناد نجر العجر في العتيبي، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط1، 1419هـ/1998م.

📖 **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران ونجيب محفوظ، تقديم محمد الدين صابر، دار الجيل بيروت، طبع سنة1408هـ/1988م.

📖 **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر بيروت، ط3، 1414 هـ.

📖 **المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم**، جورج تامر، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الإصدار 1، 2011م.

📖 **معجم اللغة العربية المعاصرة**،أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ / 2008م.

📖 **المعجم الوسيط**،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.

📖 **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة النشر 1399هـ / 1979م.

📖 **مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية**، كريستيان فان نيسبن، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر دمشق، ط1، 2008م.

📖 **مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية**، سمير مرقس، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية.

📖 **مقارنة الأديان التوراة دراسة وتحليل**، محمد شلبي، مكتبة الفلاح، ط1، 1414هـ/ 1974م.

📖 **مقارنة الأديان اليهودية**، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1988م.

📖 **الموجز في المذاهب والأديان، الهندوسية، الزراديشتية، اليهودية، المسيحية، الإسلام**، الأب صبري المقدسي، الناشر مكتب الأستاذ سركيس أغاجان، ط1، 2007م.

📖 **موسوعة الأديان (الميسرة)**، أسعد السحمراني، دار النفائس، ط2، 1423هـ /2002م.

📖 **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، رشاد الشامي، المكتب المصري، القاهرة مصر، ب.ت.

📖 **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق مصر، ط1، 1999م.

📖 **الوصايا العشر اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام**، رشاد عبد الله شامي، دار الزهراء، طبع سنة1414هـ/1993م.

المراجع باللغات الأجنبية

- **Encyclopeadiajudaica**, second edition 2007 .
- Félix GARCIA LOPEZ ; **comment lire le pantateuquetradiut de l'espagnol par corinnelonoir**;editionlabor ET fidesGenévesiusse 2005.
- Jean-louis Ska: **Introduction à la lecture du pentatuque,** Lessius-bruxelles,2000.
- **le jiufvoila l'ennemi,** Martinez, Nouvelle librairie parisienne
- **le jiufvoila l'ennemi**, Martinez, Nouvelle librairie parisienne, Paris-France, 1890.
- **Les relations entre les cites de la cote phénicienne et les royaumes d'Israel et de juda**, par : F .BRIQUEL- CHATONNET, Peeters P, Louvain- Belgique : 1992.
- Neusner, Jacob: **The Way of Torah, Wadsworth Publishing Company, California,** Fifth Edition.
- **THE IDEA OF CHRISTIAN ETHICS**, James M.Gustafson; In Companion Encyclopedia of Theology, Peter Byrne & Leslie Houlden (Ed.), Routledge - London, 1st ed. 1995.
- **The Jewish Encyclopedia** , ISIDORE SINGER, volume :7.

مواقع إلكترونية

- https://www.marefa.org/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%B4%D8%A7%D8%AD%D8%A7%D9%83
- http://www.freeorthodoxmind.org/2012/07/blog-post_05.html

التأويل الفلسفي والإيديولوجي للاعقلانية عند جورج لوكاتش.

أ/ إسماعيل عكاك ـ جامعة خميس مليانة ـ الجزائر.

الملخص:

إن هذا المقال الذي يحمل عنوان " التأويل الفلسفي والإيديولوجي للاعقلانية عند جورج لوكاتش "يرتكز على ثلاثة نقاط أساسية:

1- يسعى إلى البرهنة على أن الهدف من تأليف لوكاتش لكتاب"تحطيم العقل" هو محاولته إضفاء طابع ديونطولوجي على الفكر، فالإضافة إلى سعيه لإبراز الأصول السوسيو-تاريخية لانزلاقات اللاعقلانيين.

2- ولم يكن الهدف من تطرقنا للفلسفات اللاعقلانية سوى التأكيد على أن اللاعقلانية ليست احتكارا على ألمانيا فقط. إن اللاعقلانية ليست ظاهرة مميزة لألمانيا فقط، ولكنها ظاهرة دولية. الواقعة الوحيدة المميزة هي أنه في ألمانيا اللاعقلانية ستصبح إيديولوجية للقوى السياسية الأكثر رجعية، وهذا ما لم يحدث في بقية الدول الأخرى.

3-إن لوكاتش ماركسي بما يكفي لكي يؤكد على أن المحصلة االكارثية النهائية لـ"تحطيم العقل"هذا أحدثته قوى سياسية مجذرة في الظروف الفعلية للتاريخ الألماني منذ الثورة الفرنسية.

الكلمات المفتاحية : اللاعقلانية، لوكاتش، تحطيم العقل، الهتلرية.

Résumé :

Notre article intitulé « **l'interprétation philosophique et idéologique de l'irrationalisme chez Georges lukacs** » est axé sur trois pointes essentielles :

1-Vise a démontré que le but de lukacs est d'entreprendre une sorte de déontologie de la pensée, en indiquant aussi les origines socio-historiques des dérapages irrationalistes.

2- Vise a démontré que l'irrationalisme n'est pas du tout un phénomène spécifiquement allemand, mais un phénomène international. Le seul fait est
Qu'en Allemagne l'irrationalisme est devenu l'idéologie des forces politiques les plus réactionnaires, ce qui na pas été le cas dans les autres pays.

3-Lukacs est assez marxiste pour affirmer que l'ultime conséquence catastrophique de cette « destruction de la raison » a été amenée par des forces politiques toujours présentes dans la véritable évolution d'histoire allemande depuis la révolution française.

مقدمة:

لعل أهم ما ميّز الأعمال الفلسفية التي ألفها الفيلسوف الماركسي الشهير جورج لوكاتش خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، هو ذلك الاهتمام الكبير الذي كرسه لإشكالية اللاعقلانية وعلاقتها بظهور الأنظمة السياسية الرجعية، وهذا ما تجلى من خلال كتابه الشهير"تحطيم العقل". هذا الكتاب الذي كان بمثابة حوصلة لمجموعة من الأبحاث والدراسات التي كان قد أنجزها لوكاتش سابقا. وهذا ما أشار إليه الأستاذ (نيكولا ترتوليان) N.Tertulien من خلاله قوله الآتي : " ففي عام 1933، وبعد فترة وجيزة من مغادرته لألمانيا الهتلرية، يستقر لوكاتش في الاتحاد السوفياتي في نفي طويل سيدوم اثنتا عشرة سنة، ويحرّر مخطوطة '' كيف وُلدت الفلسفة الفاشية في ألمانيا؟'' التي تحتوي في متنها العديد من الأفكار الموجّهة لكتاب «تحطيم العقل» (...) وأثناء الحرب العالمية الثانية، في 1941-1942، سيشرع لوكاتش في تحرير ثان لمؤلفه المعادي للفاشية، الذي حلّله هذه المرة بشكل مختلف، حول التعارض بين التقليد الكبير للنزعة الإنسانية الألمانية (تقليد غوته وهيجل) والتيارات المسّماة باللاعقلانية: هذه المخطوطة الثانية التي تحمل عنوان "كيف أصبحت ألمانيا مركز الإيديولوجية الرجعية؟" لم تُطبع هي أيضا أثناء حياة المؤلف. وقد أخذ فصل منها حرفيا في كتاب «تحطيم العقل» . وفقط في السنوات التي تلّت الحرب العالمية الثانية، في بداية الخمسينات، سيعطي لوكاتش أخيرا شكلا شبه نهائي لمشروعه الناضج منذ أمد طويل: لقد شدّت الولادة الكادحة لتحطيم العقل(...) الاهتمام بالقدر الذي سلطت فيه الضوء على وزن الظروف (المحدّد لالتزام المؤلّف العميق المعادي للفاشية) في بنية المؤلف."[1]

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإشكالية التي عالجها لوكاتش، قد تزامنت مع ظهور عدة أعمال فلسفية اهتمت بتسليط الضوء على هذه الإشكالية، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ولعل أهمها كتاب «سيكولوجية الجماهير في الفاشية» (1933) لـ (رايخ ويلهلم) Wilhelm Reich (1897-1957)،"الذي اعدّ وحرّر بشكل أساسي في ألمانيا، لكن طبعته الأولى نشرت عام 1933، في الدانمارك، أولا، كتأمل ساخن، وجدالي بشكل انفعالي، في الأحداث التاريخية. فبعد أن يسجل بذهول أن سبعة عشر مليونا من أصل واحد وثلاثون مليون ناخب حملوا بابتهاج هتلر إلى السلطة في سنة 1933،

[1] – نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش : تحطيم العقل (1954)، مقال في : معجم المؤلفات السياسية، تحت إشراف : ف.شاتليه، أ. دوهاميل، ا.بيزيه، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، (بيروت : المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1997)، ص. 922.

يطرح رايخ السؤال التالي: كيف استطاع هتلر فرض نفسه؟ كيف يمكن لشعب من سبعين مليونا من الأفراد المثقفين والعاملين أن يدع نفسه يُفتن بشخص مضطرب العقل بشكل واضح؟ تساؤل لن يكّف عن العودة إليه، ومن الممكن ملاحظة تسلّطه، أيضا، على الفكر السياسي المعاصر.

إن الأفق القريب لـ «سيكولوجية الجماهير في الفاشية» هو إذن، وقبل كل شيء،'' البنية الاقتصادية والإيديولوجية للمجتمع الألماني بين 1928-1933''، التي تسمح لـ(رايخ) بالتمييز بين الوظيفة النفسية الأصيلة للطبقات الوسطى وللبورجوازية الصغيرة في سياق تاريخي وثقافي محدّد. إن النازية هي التي تقدم النموذج والأمثلة الإيضاحية لمل يسّميه رايخ''بالفاشية'': قمع جنسي، أسرة استبدادية، نظرية عرقية تمثّل التكوين المكثف والحديث للصوفية ولما هو غير عقلاني...الخ."[1]

وفي السياق ذاته، يمكن الإشارة كذلك إلى مؤلف " أزمة الإنسانية الأوربية" (1936) لـ(هوسرل)Husserl(1859-1938). بالإضافة إلى أعمال(جورج بوليتزر)G.Politzer (1903-1942) التي تتمثل في : "فلسفة الأنوار والفكر الحديث"، "الفلسفة والأساطير"، "ما هي العقلانية؟"(1939)، بالإضافة إلى مؤلفاته التي شنّت هجوما عنيفًا ضد فلسفة برجسون(1938-1939). بحيث تطرق بوليتزر بإسهاب إلى مشكلة اللاعقلانية، والى بنيّتها الداخلية. وهذا ما تجلى من خلال قوله: " إن في الفلسفة العقلانية، التفكير يعني إعطاء الأولوية للعقل، أي التفكير العقلاني الذي يستند على المنهج العلمي(...) لكن ما هو الفكر التأملي؟ بكل بساطة هو العلم والعقل. أما الفكر الوجودي فهو كل ما ارتبط بالتصوف والأسطورة."[2] كما أشار بوليتزر إلى ذلك العداء الكبير الذي كنّه (كيركغارد) Kierkegaard (1813-1855) للديمقراطية والاشتراكية، والذي تجسد بصورة علانية في معارضته الشديدة لثوارت 1848، وهذا استنادًا على كتابات(جان فال)Jean Wahl (1889-1989) حول كيركغارد.[3]

كما خصّص (هنري لوفيفر)H.Lefbvre (1555-1999) كتابا مهما بعنوان"الوجودية" سنة1947، والذي حمل جدالا عنيفا ضد هيدجر، وبالخصوص سارتر. وقد تزامن صدور"تحطيم العقل" كذلك مع ظهور مؤلفات (أدورنو) Theodor Adorno (1903-1969)و(ماكس هوركايمر) Max Horkheimer (1895-1973)، التي طرحت مسألة التحطيم الذاتي للعقل، ولعل أهمها: جدل التنوير(1947)، أفول

---

[1] – روجيه، دادون، ويلهم رايخ : سيكولوجية الجماهير في الفاشية (1933)، مقال في معجم المؤلفات السياسية، تحت إشراف: ف.شاتليه، أ.دوهاميل، ا.بيزيه، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1،) ص.419.

[2] - Georges, Politzer, **Ecrits1 (la philosophie et mythes)**, textes réunis par Jacques Debouzy (Paris : édition sociales, 1973), p. 137.

[3] - Ibid., pp. 138-139.

العقل (1947)،Minima moralia(1951). كما يمكن الإشارة كذلك إلى مؤلف "أصول الشمولية" (1951) لـ (حنا أرندت) (1906-1975)Arendt Hannah من بين المؤلفات الفلسفية ذات الطابع السياسي المنشورة في هذه العقود الأخيرة، يبدي «تحطيم العقل» خصوصية كونه يصعّد أصول الفاشية الألمانية لتقليد فلسفي وإيديولوجي واسع يتمثل قاسمه المشترك في اللاعقلانية.[1] هذا الكتاب الذي قال عنه مؤلفه (جورج لوكاتش) في مقدمته: " ليس في زعم هذا الكتاب أن يكون تاريخا للفلسفة الرجعية بل ولا وجيزا عن تاريخ هذه الفلسفة. المؤلف يعلم جيدا أن اللاعقلانية، التي يصف هنا تطورها واتساعها باعتبارها الاتجاه المهيمن للفلسفة البورجوازية، لا تمثل سوى أحد الاتجاهات الجوهرية للفلسفة الرجعية البورجوازية. مع أنه لا توجد فلسفة رجعية بدون قسط ما من لاعقلانية(...) ولكن هذا التحديد الأول لا يكفي لتعريف موضوعنا بدقة. فداخل جملة الموضوعات التي فيها ينحبس، ليس تاريخا تفصيليا مستنفذا ويريد نفسه كاملا للاعقلانية، بل هو فقط دراسة تبرز الخط الرئيسي لتطور اللاعقلانية بتحليل مراحلها، لممثليها الأهم والأكثر نموذجية. هذا الخط السيد لابد أن يظهر بوصفه الجواب الرجعي الأكثر دلالة وفعالية على المعضلات التاريخية الكبرى التي طرحت منذ مئة وخمسين عاما. في الفلسفة أيضا ليس المهم استعدادات الذهن بل الوقائع، التعبير الموضوعي للأفكار وجدواها الضرورية تاريخيا. بهذا المعنى، جميع المفكرين هم، أمام التاريخ، مسؤولون عن المحتوى الموضوعي لفلسفتهم.

إن موضوع دراستنا سيكون إذا معرفة بأية سبل وصلت ألمانيا، على أرض الفلسفة إلى (هتلر) A. Hitler (1889-1945). إذا سنسعى إلى تبيان كيف مجرى الوقائع التاريخية ينعكس في الفلسفة وكيف استطاعت صياغات فلسفية، هي بذاتها انعكاسات مجردة لتطور واقعي ،أن تسّرع سير ألمانيا إلى الهتلرية."[2]

وكغيره من المؤلفات الفلسفية المثيرة للجدل، فقد أثار هذا الكتاب ردود فعل عديدة، فتراوحت بين النقد اللاذع والعنيف، أو الاعتراف بموضوعيته وجرأته الكبيرة في الطرح. وكل هذا نتج عنه تعدد التأويلات والقراءات بخصوص الإشكالية التي تعرض لها المؤلف، وإنْ كانت القراءات الإيديولوجية والفلسفية هي السائدة عموما. وعليه، "فإن قراءة مؤلف "تحطيم العقل" يمكن القيام بها على صعيد عدة مستويات : يمكننا اختبار مقدما الوجه الإيديولوجي الصارم للمؤلف :فقد عمل لوكاتش على شيطنة الوعي الفلسفي

---

[1]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش : تحطيم العقل (1954)، في : معجم المؤلفات السياسية، مرجع سبق ذكره، ص.920.

[2]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، ترجمة، إلياس مرقص، (بيروت : دار الحقيقة، 2198)، ص.12.

الألماني،والذي تجلى من خلال سعيه للبرهنة كيف انه انطلاقا من (شيلنغ)F.Schelling (1775-1854) و (ينجر) E. Jünger (1895-1998)، خضع الفكر الألماني بصفة متقدمة للاعقلانية والذي اكتسى طابعا حادا وعنيفا أكثر فأكثر. وكل هذا انقضى عليه ، بصفة حتمية، انتصار ديماغوجية الحزب الوطني الاشتراكي. وكان العنوان الأصلي الفرعي للكتاب « طريق اللاعقلانية من شيلنج إلى هتلر» بمثابة استفزاز كبير أدى إلى ترويع عدد كبير من قرائه، من(ارنست بلوخ)E.Bloch (1885-1977) وحتى (ميخائيل تونيسان) M.Theunissen. ولهذا اختفى هذا العنوان الفرعي من الطبعة النهائية لمؤلفات لوكاتش الصادرة عن دار نشر لوشترهاند[1]".(Luchterhand)

ولهذا، فإن الطابع الإيديولوجي للمؤلف، يتجلى من خلال ربط لوكاتش لظهور النازية في ألمانيا بذلك الدور الكبير الذي لعبته اللاعقلانية طوال مسار الفلسفة الألمانية، وهذا ابتدءا من الثورة الفرنسية. بحيث "يرفض المؤلف اعتبار الظاهرة الهتلرية حلقة مشؤومة أو اختلاجا عارضا في التاريخ الألماني؛ وحسب الأطروحة الأساسية لكتابه، لم يكن انبثاق النازية أمرا ممكنا من دون تطور سلبي طويل في التاريخ السياسي والإيديولوجي الألماني، الذي لعبت التيارات الفكرية اللاعقلانية في داخله دورا هاما."[2]

ولذلك فإنه يمكن اعتبار هذا الكتاب بمثابة محاكمة للتاريخ الألماني، هذا التاريخ الذي كرّس خصائص غير عادية طوال مساره. ولن تتجلى هذه الخصائص إلا بإجراء محاكمة سياسية وأخلاقية وفلسفية لهذا التاريخ. وهذا ما عبّر عنه لوكاتش بقوله: "... تلك هي وجهات النظر التي حدّدت طريقة معالجتنا الموضوع.الأمر الأول، خصوصا عند الاختيار، هو النشوء الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية لمنظومة من المنظومات. لقد أردنا كشف كل الأسلاف الإيديولوجيين لـ''رؤية العالم'' القومية – الاشتراكية(النازية)، حتى حين- في الظاهر، كانوا بعيدين عن الهتلرية، وحتى أولئك الذين- ذاتيا- لم يكن عندهم أبدا مثل هذه النوايا."[3]

ولكن هذه القراءة الإيديولوجية لمؤلف"تحطيم العقل" لا تعني بأن هذا المؤلف يحمل طابعا إيديولوجيا فقط، بل"إن الفلسفة توجد، طبعًا، في مركز هذا الكتاب: يحاول لوكاتش أن يثبت لدى مفكرين هامّين من القرن التاسع عشر، من أمثال شيلنج، و شوبنهاور(1788-1860) و كيركغارد وخاصة نيتشه، وجود

---

[1]- Nicolas, Tertulien, **La destruction de la raison, trente ans après**, in **L'homme et la société** (Revue international de recherche et de synthèse en science sociales), Vol. 79, N 79-82, (Paris : éd, Anthropos, 1986), p.107.

[2]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش : تحطيم العقل (1954)، في : معجم المؤلفات السياسية، مرجع سبق ذكره، ص.921.

[3]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص.12.

اتجاه واضح أكثر فأكثر نحو اللاعقلانية.هذا الاتجاه هو الذي خلق الشروط المؤاتية للانفجار اللاعقلاني في القرن العشرين(لدى شبنجلر(1880-1936)، كلاجز(1872-1952) أو ارنست يونجر،على سبيل المثال)، الذي ستكون النازية وريثته والمستفيدة منه."[1]

وكل هذا يعني أن مؤلف «تحطيم العقل» يمكن تأويله وقراءته قراءة فلسفية محضة. "فالمؤلف له وجه فلسفي أكثر صرامة، والذي نتج من إرادة لوكاتش في ممارسة نقد ضمني للفكر الذي يطلق عليه تسمية''اللاعقلاني''، وذلك بكشف عيوبه الداخلية والانزلاق الذي مثّله، وهذا إذا ربطنا ذلك بمتطلبات الصرامة والموضوعية. إن حجته ترتكز على أطروحته الأساسية التي ترى بأن الفكر الجدلي(جدل هيجل وماركس) يمثل النقطة الأكثر تقدما للفكر الفلسفي (فالعقل بالنسبة للوكاتش هو مرادف للفكر الجدلي)."[2] رغم أن هذا الطرح لا يعني إطلاقا أن لوكاتش ليس مؤيدا لذلك العقل التاريخي الذي نبع من العقلانية الديكارتية وفكر الأنوار. و هذا ما عبر عنه (ستانلي أرونوفيتز) Stanley Aronowitz(؟-؟) بقوله: "فإذا بدا جليا أن لوكاتش هو مؤيد للعقل المنبثق عن الديالكتيك الهيجلي، فهو مؤيد أيضا لذلك العقل المنبثق عن المفكرين الرئيسيين للأنوار، أي عن التنوير العلمي الذي كان هدفه تحرير الأفراد من قيود الدين، والتصوف، والرقابة التعسفية."[3]

وعلى العموم، فإن كل ما سبق ذكره ليس إلا تحليلا عاما لمؤلف «تحطيم العقل» .ولهذا سنكون مجبرين على التعمق أكثر في تحليل المزيد من الأطروحات الفلسفية والإيديولوجية التي تضمّنها هذا الكتاب. خاصة إذا علمنا طبيعة الأطروحة التي يدافع عنها لوكاتش، أي علاقة فلسفة شيلنج الأخيرة في رسم معالم الطريق نحو الهتلرية في ألمانيا. وهذا ما تجلى من خلال العنوان الأصلي الفرعي للكتاب '' طريق اللاعقلانية من شيلنج إلى هتلر''. لكن هذا بدا لبعض الباحثين والمفكرين بمثابة استفزاز كبير من طرف لوكاتش، بل وأصبح هذا العنوان مصدر ترويع لعدد كبير من قرائه، كما اشرنا سابقا. مما دفع لوكاتش إلى تمتين أطروحته بمزيد من الحقائق التاريخية والفلسفية حتى تلقى قبولا ومصداقية في أوساط القراء، وهذا ما تجلى من خلال تلك المقالات العديدة التي خصصها لهذا الموضوع فيما بعد.

---

[1]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش : تحطيم العقل (1954)، في : معجم المؤلفات السياسية، مرجع سبق ذكره، ص.921.

[2]- Nicolas, Tertulien, **La destruction de la raison trente après**, in **L'homme et la société**, OP.CIT., p.107.

[3] - Aronowitz, Stanley, **Georges Lukacs: destruction of reason**, in **G.Lukacs reconsidered: Critical essays politics, philosophy and Aesthetics**, Edited by: Michael.J.Thompson, (New York §London: Continuum, 2011), p.53.

ولعل إحدى الأطروحات الأساسية لهذا الكتاب ستكون أنه'' ليس هناك فلسفة بريئة''، خصوصا في علاقتها بمشكلتنا، وهذا على وجه التحديد بالمعنى الفلسفي: حسبما تنحاز مع أو ضد العقل، إن فلسفة من الفلسفات تقرر طبيعتها الفلسفية ودورها في تطور المجتمع. أولا لأن العقل نفسه لا يمكن أن يكون شيئا ما حياديا يحلق فوق الأحزاب والتطور الاجتماعي. فهو يعكس في كل لحظة درجة المعقولية واللامعقولية العيّانيتين لحالة اجتماعية ولاتجاه تطور هو يعبّر عنه بصورة مجردة ويستطيع بذلك عينه أن يسهل أو يوقف تقدمه.[1] ولذلك فإن الأطروحة التي مفادها عدم وجود تصور بريء للعالم من شأنها أن تلخص جيدا الفكرة الموجّهة لهذا الكتاب."هذا الكتاب الذي اعتبره بعض الباحثين بمثابة "كتاب كفاح"(livre de combat) ضد اللاعقلانية.[2] فحسب لوكاتش، فـ"إن مختلف مراحل اللاعقلانية تمثل الأجوبة التي تعطيها الرجعية عن معضلات صراع الطبقات- في محتواه، شكله، طريقته، بل أسلوبه نفسه، هذا الرد من الرجعية على التقدم الاجتماعي لا يقرره جدل خاص به، بل بالعكس يقرره الخصم الذي يرغم البورجوازية الرجعية على خوض القتال في شروط ما. هذا ما يجب اعتباره المبدأ الأساسي لتطور اللاعقلانية."[3] وهذا يعتبر دليلا قاطعا على أن الطرح اللوكاتشي للاعقلانية لم يخرج عن إطار تلك الأطروحات الماركسية الكلاسيكية التي كانت تربط كل الأزمات الاجتماعية والفلسفية بالصراع الطبقي.

ولكن هذا لا يعني مع ذلك أن اللاعقلانية – في حدود الإطار الاجتماعي المعرّف على النحو المذكور- لا تقدم أية وحدة فكرية. بالضبط بسبب الطابع الذي ذكرناه، إن المعضلات، معضلات الجوهر والطريقة، المطروحة عليها، تتماسك بشكل وثيق وتقدم طابع وحدة عميقة وملفتة للنظر."[4] وهذا معناه أن هناك نقاطا مشتركة تجمع بين معظم اللاعقلانيين، سواء ما تعلق بالمنهج أو الموضوع، وإنْ تفاوتت أوجه الشبه بين هذه الفلسفات اللاعقلانية من فلسفة إلى أخرى، وهذا حسب كل مرحلة تاريخية، وحسب درجة وطبيعة الصراع الطبقي السائد فيها. ولذلك فإن "عدم إعطاء أية قيمة للفهم والعقل، وتمجيد الحدس بلا حد أو قياس، والارتكاز على نظرية المعرفة الارستقراطية ورفض التقدم الاجتماعي، وخلق

---

[1]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص. 13.

[2]- N.Tertulien, **La destruction de la raison, trente ans après trente**, in **L'homme et la société**, OP.CIT., p. 107.

[3]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، مصدر سبق ذكره، ص. 16.

[4]- المصدر نفسه، ص.16.

الأساطير...الخ"[1]، فهذه المواضيع هي بمثابة قواسم مشتركة تشترك فيها العديد من الفلسفات اللاعقلانية.

إن لوكاتش حاول جاهدا، وباستمرار، أن يبرز بصورة واضحة، النقاط التي تجمع بين مواقف الفلاسفة فيما يتعلق بالواقع السوسيولوجي- التاريخي، وبين ركائز تفكيرهم. بحيث يمكن القول بصورة يقينية، بأن هذه الإرادة في إقامة رابطة دائمة بين الخيار السوسيو-سياسي للمفكر(...) وبين خطابه الفلسفي، قد منحها لوكاتش في مؤلفه "تحطيم العقل" مكانة مميزة في إطار ما يمكننا تسميته: بـ '' التأويل الاجتماعي والتاريخي للفكر الفلسفي ''. [2] مثل هذا التأويل سيسعى جاهدا للبرهنة على كيف أن تحّول الفكر نحو اللاعقلانية(النظرية الارستقراطية في المعرفة، النزعة الشكيّة اتجاه العلم والصلاحية الموضوعية لنتائجه، واللاأدرية، انتعاش الأساطير...الخ)حدث كانحراف واسع للفكر عن متطلباته الديالكتيكية الحقيقية. إن التعارض بين الديالكتيك واللاعقلانية يجوب أكثر جزء ذي طابع فلسفي من كتاب "تحطيم العقل".[3]

ومادام التعارض بين الجدل الهيجلي واللاعقلانية هو أحد موجّهات هذا الكتاب، فإن ذلك يدفعنا إلى التطرق إلى أولى بوادر ذلك التعارض الحاسم والصريح."وكل ما هنالك أن مشكلتنا، كسائر المشاكل التي من هذا النوع، ترجع في أصولها، إلى الفترة الناتجة عن الثورة الفرنسية. وبمعنى أعم، إنها مسالة صدام بين اتجاهين للفكر: أولهما الاتجاه الذي يسير من هيجل إلى ماركس، وثانيهما الاتجاه الذي يربط شيلنج(بدءا من 1804) بكيركغارد."[4] وكل هذا يبرز تلك العلاقة الوثيقة التي ربطت تطور مسار اللاعقلانية بأهم الأحداث التاريخية والسياسية التي وقعت في أوربا، وفي ألمانيا على وجه الخصوص."بالتأكيد ليس من قبيل الصدفة أن الشكل الأكثر تطورا، الشكل الأعلى للجدل المثالي، قد نما بالارتباط مع الثورة الفرنسية وبخاصة مع نتائجها الاجتماعية. الطابع التاريخي لهذا الجدل(...) كان عليه أن ينتظر الثورة الفرنسية كي يظهر بوصفه وعي طريقة ومنطقا منضجا، جوهريا في الجدل الهيجلي. فالقضية هنا ضرورة دفاع تاريخي وإنضاج أكثر تقدما لفكرة التقدم، مما يتجاوز كثيرا تصورات فلسفة الأنوار."[5]

---

[1]- Françoise, Bonardal, **L'irrationnel**, (Paris : P.U.F, 1er édition, 1996), p. 85.

[2]- N.Tertulien, **La destruction de la raison, trente ans après**, in L'homme et la société, OP.CIT., pp.107-108.

[3]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش : تحطيم العقل (1954)، في : معجم المؤلفات السياسية، مرجع سبق ذكره، ص.923.

[4]- جورج، لوكاتش، ماركسية أم وجودية ؟، مصدر سبق ذكره، ص ص.3-4.

[5]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص.14.

وبخصوص التعارض بين الجدل المثالي الهيجلي واللاعقلانية، فـ"إن أصول النقد المتعلقة باللاعقلانية تعود إلى المقدمة الشهيرة لـ »فينومينولوجيا الروح «،أين تناول هيجل جزءا من تلك الصورية الأحادية الشكل للحدس الذهني الشيلنغي. إن المواجهة بين شيلنج وهيجل أصبحت هي كذلك بمثابة المرحلة الأولى التي دلّت على ذلك الصراع الطويل الذي سيشمل موقفين فلسفيين متعارضين(...) والتي ستحدد ذلك المسار الطويل الذي انتمت إليه تيارات متعددة ضمن التاريخ الفلسفي الذي ميّز القرن العشرين(...) إن الأسلحة التي استعملت في المواجهة بين شيلنج وهيجل عبّرت عن اللحظة الأولى النموذجية(...) رغم أن لوكاتش أشار كذلك إلى أهمية النقد الذي وجّهه هيجل إلى (جاكوبي)H.Jacobi(1743-1819) ولنظريته في المعرفة المباشرة، وكذلك الدور الذي لعبه هجومه على السبينوزية(...) في بروز اللاعقلانية في الفكر الألماني، غير أن المواجهة بين شيلنج وهيجل مثّلت نقطة الانطلاق الحاسمة.[1]

ومادام نقد الجدل الهيجلي الموضوعي من طرف شيلنج وجاكوبي كان حاسما في تحديد مسار تطور اللاعقلانية، فإن ذلك قد مكّن لوكاتش من تحديد تعريف دقيق للاعقلانية من خلال قوله: "اللاعقلانية هي إجابة خاطئة عن مسالة صحيحة (صحيحة لأن الواقع نفسه هو الذي يثيرها) (...) اللاعقلانية هي الشكل الذي يتخذه فكر يهرب أمام جواب جدلي عن سؤال جدلي."[2] وهذا معناه أن اللاعقلانية تعارض كل طرح فلسفي يستند على الواقع الخارجي الموضوعي، وتعارض أيضا كل شكل من أشكال الفكر الجدلي.

ومادمنا قد أشرنا إلى أصول اللاعقلانية، فان ذلك سيقودنا للتطرق إلى مراحل تطورها. والتي يمكننا تصنيفها إلى حقبتين رئيسيتين: "فالحقبة الأولى الكبيرة في اللاعقلانية الحديثة ترى هكذا نمو الكفاح ضد المفهوم المثالي، الجدلي والتاريخي، للتقدم: إنها تمتد من شيلنج إلى كيركغارد، من الردة الإقطاعية ضد الثورة الفرنسية إلى مناهضة فكرة التقدم البورجوازية.

مع أيام جوان 1848، وأكثر أيضا مع كومونة باريس، البروليتاريا الباريسيّة تغيّر الموقف جذريا: من الآن فلسفة البروليتاريا التي هي المادية الجدلية والتاريخية ستكون هي الخصم الذي ستفعل خصائصه بصورة مقرّرة على تطور اللاعقلانية. هذه الحقبة الجديدة تجد في نيتشه ممثلها الأول والألمع. خلال هاتين المرحلتين تقاتل اللاعقلانية ضد الشكل الأعلى المعطى لفكرة التقدم في ذلك الزمن، ولكن بأسلحة

---

[1] - N.Tertulien, **La destruction de la raison, trente ans après**, in **L'homme et la société**, OP.CIT., pp.108-109.

[2] – جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الرابع، ترجمة، الياس مرقص، (بيروت : دار الحقيقة، الطبعة الأولى، 1982)، ص.27.

مختلفة كيفا، حتى من وجهة النظر الفلسفية المحضة، حسبما العدو الذي تتوجه إليه هو جدل مثالي بورجوازي أو جدل مادي، الفلسفة البروليتارية، الاشتراكية." [1]

وحسب إحدى أهم الأطروحات الرئيسية لمؤلف"تحطيم العقل"، فإن ألمانيا هي التي ستكون موطن اللاعقلانية الرئيسي، وهذا ابتدءا من شيلنج (1804) إلى غاية السوسيولوجيا الألمانية. رغم أن ذلك لا يمنع من التأكيد على تأثير الفلسفات اللاعقلانية الأخرى التي عرفت تطورا كبيرا في البلدان الأخرى خلال القرن التاسع عشر، وإن تفاوتت درجة التأثير من بلد إلى آخر. فالبرجماتية الأمريكية، مثلا، حملت في طياتها مبادئ وعناصر لاعقلانية، وهذا ما تجلى بوضوح في فلسفة (وليم جيمس)William James (1842-1910). وهذا ما ينطبق كذلك على ايطاليا، والتي عرفت ظهور عدة تيارات فلسفية لاعقلانية تجلّت بالخصوص في فلسفة (كروتشه) Benedetto Croce (1866-1952). ورغم أن فرنسا هي موطن الفلسفة العقلانية إلا أنها سرعان ما تأثرت بموجة اللاعقلانية التي ميزت القرن العشرين، وهذا ما تجلى في فلسفة (هنري برجسون) H.Bergson (1859-1941) ، وبالخصوص في منهجه الحدسي. "وإن (سوريل)G. Sörel (1847-1922) هو الذي أعاد تفسير الحدس البرجسوني بحيث أصبح نظرية للعمل السياسي. وقد اقترح سوريل لأن ينظم العمل السياسي على أساس أساطير مثيرة للعواطف. كان يفضل''صور المعارك'' على التجريدات المنطقية. وقال إنه لا شيء سوى الرؤيات الرفيعة في مقدورها أن تحرك الناس إلا بالمعارك الباسلة . فالعلم لا يستطيع أن يساعدنا كما أن النقاش الفكري لا جدوى منه، ومن ثم كان لزاما علينا أن نعتمد على''الحدس وحده'' في مقابل التحليل المتمعن فيه. وقد استجاب (موسوليني) B.Mussolini (1883-1945) لحرفية كلام سوريل، إنه يقول :" لقد خلقنا أسطورتنا. إن الأسطورة عقيدة، وهي شهوة. وليس من الضروري أن تكون حقيقة. أسطورتنا هي الأمة، أسطورتنا هي عظمة الأمة."

وقد تغلغلت البرجسونية في كافة أنحاء الفكر الفرنسي وأدت إلى شعور بعدم المسؤولية اتجاه المستقبل. مات القديم، فلندع المستقبل إذن يقودنا أينما يريد، إن اختيارنا اللاعقلي هو الذي سيقرر ذلك، حتى لو قرر كل منا السير في طرق متعارضة (...) لقد عمل برجسون على تدعيم الاتجاه السائد دائما في أوقات الغموض والخطر،اتجاه الخلط بين الشعور بالأشياء بشكل عميق وهو سهل، وبين التفكير الجدي فيها وهو عمل أكثر صعوبة إلى حد بعيد في عصر مثل عصرنا،عندما لا يستطيع إلا القليل من الناس أن يتبينوا العلامات المألوفة التي كانت تدلهم على الخط السير الأمين في القديم، نرى أن الخوف يولد الشهوة

[1]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص.14.

السياسية وعدم الاستقرار الوجداني. في مثل هذه الأزمنة، يقبل النبي المزيف بسهولة، ولا شيء إلا لأن عمليات التحرر الفكري التي تعود بالناس إلى الصحة قد توقفت تحت تأثير الفلسفات اللاعقلية."[1]

ولم يكن الهدف من تطرقنا لهذه الفلسفات اللاعقلانية سوى التأكيد على أن اللاعقلانية ليست احتكارا على ألمانيا فقط. "فاللاعقلانية ليست ظاهرة مميزة لألمانيا فقط، ولكنها ظاهرة دولية. الواقعة الوحيدة المميزة هي أنه في ألمانيا اللاعقلانية ستصبح إيديولوجية للقوى السياسية الأكثر رجعية، وهذا ما لم يحدث في بقية الدول الأخرى."[2] وقد عبر عن ذلك (جورج ليشنتهايم) G.Lichtheim (1912-3197 (بقوله : "... إن النتيجة النهائية الكارثية لـ »تحطيم العقل « تتمثل في استغلاله من طرف القوى السياسية التي برزت دائما خلا ل التطور الفعلي لتاريخ ألمانيا، منذ الثورة الفرنسية. بحيث خلال أي فترة حاسمة – 1933،1918،1871،1848،1789– فإن وعي المشاركين يتجلى ظهوره كعامل حاسم عندما يتكرس انتصار اللاعقل، فالقارئ يجد نفسه في النهاية أمام تناقض واضح تكتسيه ملامح جدلية شبه منعدمة."[3]

و الحال، لا تنفصل اللاعقلانية عن العقل، بل هي ملازمة له حين ينفصل عن أصله ويخون مبادئه (...) فهي لا تملك تاريخا خطيا متصاعدا، بل تبرز في كل مرحلة وفقا للمصلحة.[4]

وعموما، فإنه ورغم الصلة الوثيقة الموجودة بين برجسون و موسوليني، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، إلا أن ألمانيا تبقى موطن اللاعقلانية الرئيسي. وهذا ما عبر عنه لوكاتش بقوله: "إن ألمانيا القرنين التاسع عشر والعشرين تظل بلد اللاعقلانية ''الكلاسيكي'' الأرض التي فيها عرفت التطور الأكثر اتساعا، والتي فيها يمكن بالتالي دراستها بأكبر فائدة، تماما كما درس ماركس الرأسمالية في انجلترا."[5]

وإذا كانت الماركسية الأرثوذوكسية، و الستالينية بصفة خاصة، قد اختزلت تاريخ الفلسفة في الصراع بين المادية والمثالية، وما نتج عن ذلك من نظرة فلسفية دوغمائية، فإن لوكاتش بأطروحته الجديدة التي اختزلت تاريخ الفلسفة في الصراع بين تلك الصيغ الفلسفية العقلية، والصيغ الفلسفية اللاعقلية، أي الصراع بين العقل، و اللاعقل، بحيث يكون من خلال هذه الأطروحة قد خرج عن ذلك الإرث الماركسي

---

[1]– جون، لويس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة، أنور مالك، (بيروت : دار الحقيقة، الطبعة الرابعة، 1983)، ص ص.189.188.

[2] - Georges, Lukacs, **Entretiens avec G.Lukacs**, Par : Wolfgang abendoth et autres, Traduit de l'allemand par : Marcel Ollivier, (Paris : édition Françoise Maspero, 1969), p.39.

[3] - Georges, Lichtheim, **Lukacs**, Traduit par : Sylvie Dreyfus, (Paris : Edition Seghers, 1971), p. 179.

[4]– د/– عثمان، عفيف، وجوه العقل من الجدل إلى الهذيان، مقال في مجلة فلسفات معاصرة، العدد الثامن، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2010)، ص .84.

[5]– جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص .32.

الستاليني الذي أساء كثيرا للماركسية، وذلك بسبب دوغمائيته التي حنطت الماركسية في قوالب فكرية جامدة.

وهكذا نصل إلى الجانب الرئيسي من رؤية لوكاتش، فالمعركة هنا لا تدور بين المادية والمثالية، أو بين الوجودية والمادية الجدلية، إنما بين صيغ العقل، و اللاعقل، وسيادة الاتجاه الأخير يعني أن التركيب النظري للفلسفة الغربية لا يمكنه أن يطرح شيئا ذا بال، ويحاول لوكاتش أن يبين أن المادية الجدلية في صورتها الراهنة تقدم صورة العلم الكلي الذي يعتمد على قيم العقل، ويحد من الصراع المرير ضد قيم اللاعقل.[1]

وحتى تكون دراستنا وافية للاعقلانية، يجب الإشارة كذلك إلى أن مؤلف «تحطيم العقل» ينتمي لمرحلة ماركسية النضج لدى لوكاتش، تلك التي بدأت في بداية الثلاثينات، بعد الاتصال المثمر مع المخطوطات الاقتصادية لماركس. ولا يمكن للمؤلف أن يفهم بشكل حقيقي إلا بجمعه مع نظيره الايجابي، الكتاب عن «هيجل الشاب» ،الذي يعود تاريخ تحريره الرئيسي لسنوات 1937-1938: يدرس لوكاتش في هذا الكتاب ولادة الديالكتيك الهيجلي، ذاك الذي سيحتفل به باعتباره الشكل الأكثر اكتمالا للعقل، الذي بلغته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، والذي انطلاقا منه، سينّمي محاكمته ضد التراجع نحو اللاعقلانية، ومعه كنقاط انطلاق الحدس الذهني والفلسفة المتأخرة لشيلنج."[2] وهذا معناه" أن مؤلفي «هيجل الشاب» و «تحطيم العقل» يطرحان مشكلة مشتركة، والتي تتمثل في اللاعقلانية. فهما يعرضان وجهين لظاهرة واحدة: فالدراسات حول هيجل تشمل الوجه الايجابي، أما تحطيم العقل فيشمل الوجه السلبي. إن العناصر التي يضمها كلا المؤلفين تتعلق بمعركة واحدة : تلك التي انتهت مع هيجل إلى ''تجاوز اللاعقلانية''، وتلك التي انتهت إلى''تبرير اللاعقلانية''عند شيلنج. وخلفاؤهما هم، من جهة، ماركس، انجلز، ولينين، ومن جهة أخرى، نيتشه وهتلر."[3]

وهذا دليل قاطع على "أن لوكاتش يدحض اللاعقلانية- حدس، نخبة، أسطورة،..الخ- تحت لواء لينين وماركس وانجلز(وهيجل) وليس تحت لواء آخر(...) إن كتاب لوكاتش فلسفة لينينية جامعة، واحدة وحيدة (الدفاتر الفلسفية، المادية والتجريبية النقدية ،الخ، ولينين الأعمال السياسية) وتوحّد"المجتمع" و"المعرفة"،

---

[1]- البسطاويسي، علم الجمال عند لوكاتش، مرجع سبق ذكره، ص .90.

[2]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش: تحطيم العقل (1954)، في: معجم المؤلفات السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ص.921-922.

[3] - Ehrhard, Bahr, **La pensée de G.Lukacs**, Trad. Jean Lyon, (Toulouse : édition Edouard Privat, 1972), p.73.

تجمع الكفاح الاجتماعي والنقد الفلسفي المحايد، المستقل، المحض، أن صح التعبير (لا غنى عن هذا الوصف !). ولذا وليس لغيره،عند لوكاتش تكف الفلسفة عن كونها الفلسفة وحسب."[1]

ومادمنا قد اشرنا سابقا أن هذا الكتاب هو بمثابة محاكمة أخلاقية للتاريخ الألماني، فإن هدف لوكاتش من وراء تأليفه هو انه قد حاول إضفاء طابع ديونطولوجي(Dé ontologique) على الفكر، بالإضافة إلى سعيه لإبراز الأصول السوسيو- تاريخية لانزلاقات اللاعقلانيين."[2] وهذا ما تجلى بصورة بارزة من خلال تلك العبارة التي ختم بها مقدمة الكتاب بقوله: " نعتقد أن هذه الواقعة تؤلف إحدى الصفحات الأكثر عارا في تاريخ ألمانيا. ألم يكن إذا من الواجب دراستها بعناية، لكي يمنع الألمان، متغلبين جذريا على هذا الماضي، بقوة، رجوعه أو بقائه؟ إن شعب (دورر) Dürer (1471-1528) و(توماس منتزر)T.Münzer (1489-1529)، (غوته) Goethe (1749-1832) وكارل ماركس، عنده من الأشياء العظيمة في تاريخه ومن الآفاق العظيمة لمستقبله ما لا يترك أي سبب لأن يخشى تفسيرا لا رحمة فيه مع ماض خطر ومع الميراث المهدّد والضار الذي خلّفه هذا الماضي. بهذا المعنى المزدوج - الألماني والدولي- هذا الكتاب يريد أن يكون، للمثقفين الشرفاء، درسا وتنبيها."[3]

فلسفة الحياة وانبثاق إيديولوجية اليمين الألماني المتطرف

إن فلسفة الحياة، وكغيرها من التيارات الفلسفية اللاعقلانية، ومن خلال العناصر الجديدة التي أدخلتها على الجهاز المفهومي والمنهجي، فقد حاولت خلق مناخ فلسفي من شأنه أن يواكب المناخ الثقافي والسياسي السائد في ألمانيا آنذاك. وهذا ما عبر عنه (نيكولا ترتوليان) من خلال قوله : " إن تحطيم العقل يَعتبر (...) تنامي جمهور ''فلسفة الحياة'' عبر ما نشر في ألمانيا قبل النازية، قد حفز على نحو واسع قوة الشعارات الهتلرية. والى فلسفة الحياة هذه يعزو لوكاتش المسؤولية الكبرى في خلق البيئة الملائمة لنجاح القومية - الاشتراكية. لقد كان من الممكن للمفاهيم الأساسية لفلسفة الحياة أن تُستعمل، بفضل لاعقلانيتها الكامنة، من قِبَل مُنّظري اليمين الألماني المتطرف :لقد نزع القناع الأقنعة الإيديولوجية التي كانت تربط الكتابات السياسية والاجتماعية لليمين الألماني بتقليد فلسفة الحياة والنقد الرومانسي للرأسمالية، وذلك عبر تحليل تاريخي مُصَمَم جيدا. إن الحّط من قيمة العقل، الذي شُهّر به كشيء مميت، وتمجيد

---

[1]- الياس، مرقص، مدخل إلى كتاب "تحطيم العقل"، في: لوكاتش، تحطيم العقل، ترجمة، الياس مرقص،(بيروت، دار الحقيقة، 1982)، ص ص .8- 9.

[2]- N.Tertulien, **La destruction de la raison, trente ans après**, in **L'homme et la société**, OP.CIT., p.110.

[3]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص.32.

الحياة، كقوة ايجابية للغاية، وهُما الأطروحتان الأساسيتان لفلسفة الحياة، كان بالإمكان ربطهما بالتعارضات التي أنشئت بين الثقافة – الحضارة أو الجماعة (communauté)– المجتمع. وهي أطروحات مألوفة عند بعض نزعات الأدب الرومانسي المعادي للرأسمالية، وجرى تحويلها لاحقا من خلال ابتذالها إلى تعارض بين القيم الحيويّة للعرق الألماني وبين القيم المنحطة للديمقراطية الغربية :نظرية العروق لـ (شامبرين) S. Chamberlain. (1855–1927) الذي اعترف به النازيون دائما كرائد حقيقي لهم، وكذاك أنانة (solipsisme) الثقافات في نظرية ينجر (كتاب :"الشغيل:سيادة وشكل،المنشور في سنة 1932) ،إضافة إلى تمجيد الشكل الخارجي للعامل المعارض للعالم المنحطّ لليبرالية والروح البورجوازية، يندرج ضمن خط النسب نفسه (سبق لكتاب مثل البروسية والاشتراكية) لـ(شبنجلر)،المنشور سنة 1920، بمطالبته للبروسية بصفة الاشتراكية الحقيقية، أن استبق بطريقة ما النقد الديماغوجي للرأسمالية الذي طورته النازية)."[1]

الأنطولوجية الهيدجرية وزعزعة إيديولوجية الأمن

إن حالات اجتماعية متماثلة نسبيًا تُنتج بالضرورة تيارات فكر أو شعور متماثلة نسبيًا أيضا. قبل ثورة 1848، التي كانت حدثًا دوليا يهمّ كل أوربا، تفككت الفردية الرومانطيقية نهائيا. الفيلسوف الأهم للأزمة، لإفلاس هذه الفردية، الدانماركي سورن كيركغارد، صاغ بالشكل الأكثر أصالة فلسفة عدم الارتياح المُعانى آنذاك (...) من قِبل الفردية الرومانطيقية. يجب أن لا نستغرب إذا، في اللحظة التي فيها يبدأ يتجلّى انخفاض مشابه بنتيجة أنهم قبل سنوات عديدة من نشوب الأزمة يستشعرون بعض الأحداث في مستقبل مظلم، إذا المفكران الأكثر نبوغا في هذه الحقبة الجديدة، وهما هيدجر تلميذ هوسرل، وطبيب الأمراض العقلية السابق كارل ياسبرس، يجعلان نفسيهما بطلَي ميلاد جديد للفلسفة الكيركغاردية، بعد تكييفها مع العصر، بالطبع. بروتستانتية كيركغارد، الأرثوذكسية، إيمانه اللوثري الصارم بالكتاب المقدّس، كانا غير قابلين للاستخدام لحاجات الحاضر. بالمقابل، نقده للفلسفة الهيجلية – بوصفه نقدًا لكل طموح إلى موضوعية وكليّة الفكر العقليّ، لكل فكرة تقدّم في التاريخ –''فلسفة الوجودية'' المؤسسة على اليأس المطلق لذاتية متطرّفة ومعذّبة تبحث عن تبريرها بالضبط في جيشان هذا اليأس."[2]

---

[1]– نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش: تحطيم العقل (1954)، مقال في: معجم المؤلفات السياسية، مرجع سبق ذكره، ص. 923.

[2]– المصدر نفسه، ص. 78.

وكل هذا أدى إلى بروز شكل آخر من أشكال اللاعقلانية الرجعية، والذي يتمثل في الانطولوجيا الوجودية. هذه الأخيرة التي سبق وأن ظهرت معالمها الأولى من خلال وجودية كيركغارد، بحيث أن هذا الأخير قد كان له دور كبير– رفقة شوبنهاور– في ظهور البوادر الأولى التي عملت على مكافحة التيارات العقلية والتقدميّة

أجل، الحوادث لا تتكرّر أبدا بشكل ميكانيكي، بما في ذلك في تاريخ الفلسفة. النغم العاطفي والبشري الذي يرأس هذا الرفض لأي فعل مختلف جدًا بل ومتعارض عند شوبنهاور وعند هيدجر.عند هذا الأخير، لم يعد اليأس يترك، كما كانت الحال عند شوبنهاور، المكان حرّا للفرد من أجل تأمل ديني و استيطيقي (محرّر من هذا العالم).الآن بات الوجود الفردي كلّه مهدّدًا (...) يقينا ليس من قبيل الصدفة أن دعاية هتلر تنادي اليأس بلا انقطاع :حين تخاطب الجماهير الكادحة، تنادي اليأس الناجم عن حالتها الاجتماعية والاقتصادية. وحين القضية هي المثقفون، فإن هذا الجو من العدم ومن اليأس، الذي إلى حقيقته الذاتية يستند هيدجر، والذي هو يضعه في مفاهيم، يحوّله ويجليّه روحانيًا بالفلسفة، ويقدّسه بإعلانه (حقيقيا وأصيلا وغير زائف). إن هذا الجوّ هو الذي يوفّر الأرض الأنسب والأصلح للدعاية الهتلرية."[1]

وعليه، فإن الانطولوجيا الهيدجرية ،ومن خلال قيامها على ازدراء الفعل الاجتماعي والرفع من قيمة الذاتية، لم تكن موجّهة ضد الاشتراكية فقط، وإنما سعّت إلى خلق جوّ يناسب تطلعات النازيين الرامية لتكريس وضع سيكولوجي واجتماعي يسّهل تغلغل إيديولوجيتهم الجهنميّة وسط الجماهير، سواء باعتمادها على الأساليب الديماغوجية أو الأمنية. وهذا ما يفسر أن العديد من المقولات التي يقوم عليها مؤلف"الكينونة والزمان" لم يكن توظيفها في منأى عن التأويلات الإيديولوجية. ولعل أبرزها مقولتي''الأصالة''و''اللاأصالة'' التي تشكلان جوهر الانطولوجيا الهيدجرية. وهذا ما عبر عنه نيكولا ترتوليان بقوله :"وتبدو المماثلات أكثر تأثيرا عندما نلاحظ أن الاستلاب بفعل الـ ''هم'' (On) يجري تشبيهه بالوجود الهادئ والمطمئن الذي يرى نفسه مغلّفا بإغراءات العالم (يترافق الاستلاب مع الانغواء بشكل واضح). كما تتطابق الحركة المعاكسة الموجّهة نحو انتزاع الدزاين (Dasein)، مع القلق. ونجد هنا بوضوح معالم ارتسام قطبيّة الأصالة (l'authenticité) – اللاأصالة (l'inauthenticité) التي تخترق الكينونة والزمان، والكيفية التي طابق بها هيدجر طمأنة الوجود بعمليّة الاستلاب، بإضافة أسباب"''الخفّة'' ومذهب المتعة (الذي يعدّ الكائن المستمتع بين متعلّقات اللاأصالة) ليست عملية بريئة

[1]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، ج3، مصدر سبق ذكره، ص ص. 88-89.

على الصعيد الإيديولوجي. فهي سوف تتيح له لاحقا (نذكر هنا محاضرته عام 1929-1930 تحت عنوان"المفاهيم الأساسية للميتافيزيقا") أن يستخلص النتائج من الترابطات التاريخية الاجتماعية الأكثر دقّة، وذلك بمطابقة الأصالة بتحمل''قساوة وجاذبية''(la dureté et la pesanteur) الوجود. فالوجود المريح''البورجوازي'' هو مرادف لحجب الوجود الحقيقي (والحجب هو فعل يتكرّر كلازمة (...) في الكينونة والزمان ويعني وقوع الدزاين في السقوط). ونحن نفهم كيف أنّ التزام هيدجر بحركة سياسيّة مدعوّة بنظره إلى أن تجسّد أخذ''القساوة والجاذبية''على العاتق يندرج داخل الخطوط الداخليّة لفكره. وقد شدّد لوكاتش بحّق في كتابه"تحطيم العقل" على الدور الذي لعبته انتقادات مقولة''الأمن'' أثناء الصعود القوي لإيديولوجيات اليمين المتطرف."[1] والحال، إن هذا''الأمن'' هو مقولة الانسانوية الكلاسيكية في ألمانيا ((فيلهلم فون هومبولدت)w.V.Humboldt (1767-1835) هو أوّل من صاغها بوضوح دقيق): نتصوّر، والحالة هذه، عداء إيديولولوجييّ الفاشية المهيمنين اتجاه كل الحقبة الكلاسيكية. (ولنكتف بأن نشير، مرورًا، إلى أن وجودية هيدجر و ياسبرس هي أيضا أسهمت إسهاما كبيرا، على طريقتها، في زعزعة إيديولوجية''الأمن'').[2]

وكل هذا جعل لوكاتش يحكم على مؤلف هيدجر"الوجود والزمان"بأن محاجته فاسدة والاهتمام به يعود إلى أنه يُعبر عن الحالة الانفعالية التي سادت الفضاء الزمني الذي عاشته أوربا المتأزمة بسبب الحربين العالميتين.وهذا ما عبر عنه لوكاتش بقوله :"إنه [الوجود والزمان] مجرد وثيقة كاشفة عن العالم الفكري والعاطفي لطبقة اجتماعية ولعصر.إنه مناسب للمناخ البسيكولوجي للفئة المثقفة الراهنة بحيث أن تعسف أشباه المحاكمات العقلية التي يقوم عليها لا تتضح بسهولة ." [3]

لقد شكّلّ كتاب تحطيم العقل موضوعًا لانتقادات عديدة واعتراضات، من أدورنو إلى (كولاكوفسكي) L.Kolakowski (1927-2009) ، ومن مازينو مونتيناري (؟-؟)(أحد ناشري مؤلفات نيتشه) إلى لويس دومون (1911-1998) (لكي لا نذكر إلا بعض الأسماء من بين الخصوم الأكثر صراحة للكتاب) : لكن يجب ملاحظة أن الدحض نادرا ما وُجّه باسم تحليل نقدي دقيق ومتعمق، مثلما كان يتطلبه مؤلّف بمثل هذا الشمول. فبدون فحص مُفصّل للمؤلّف، ومن اجل بناء ذريعة مضادة ملائمة، من غير الممكن وضعه بشكل فعّال قيد التساؤل. ومن جهتنا، نظن بأن حجة لوكاتش، في بعض الحالات الدقيقة، كانت

---

[1]- نيكولا، ترتوليان، المواجهة بين الاستلاب والتحّرر لدى لوكاتش و هيدجر، مرجع سبق ذكره، ص. 85.

[2]- جورج، لوكاتش، تحطيم العقل، ج3، مصدر سبق ذكره، ص. 109.

[3]- جورج، لوكاتش، ماركسية أم وجودية ؟، مصدر سبق ذكره، ص. 73.

مؤسّسة على نوع من الانحراف عن فكر الفلاسفة الذين أخضعهم لنقده. إن وضع فكر بنيديتو كروتشه، على سبيل المثال، تحت شارة اللاعقلانية، يبدو لنا خطأ، ليس فقط لأننا نجهل معنى جداله ضد (جيوفاني جنتيل)(1555-1333)، وإنما أيضا لأن النشاط الفلسفي لكروتشه، الراسخ في تقاليد الفكر الهيجلي والكانطي، كان يخترقه النضال ضد اللاعقلانية، بما في ذلك نتائجها السياسية المشؤومة (أنظر، على سبيل المثال، ردود فعل كروتشه الحادة ضد شبنجلر، كلاغس، أو هيدجر). ويرتكب "تحطيم العقل" أيضًا الخطأ القاتل المتمثل بفهم الفينومينولوجيا لدى هوسرل بشكل حصري تقريبًا عبر الطريقة التي فَسّرها بها واستعملها مفكرون مثل ماكس شيلر أو مارتن هيدجر: اللاعقلانية الكامنة للحدس الجوهري (لدى هوسرل هي أطروحة قابلة جدًا للنقاش، والمقاربات التي أجراها لوكاتش بين هوسرل ودلتاي لم تأخذ، بما فيه الكفاية، بالحسبان معارضة هوسرل الشديدة لفلسفة الحياة، والرفض للاعقلانية في الكتابات الأخيرة تمّ تجاهلها تمامًا (وفقط في كتابه "مقدمة لانطولوجيا الكائن الاجتماعي"'' Prolégomènes à l'ontologie de l'être social''، المكتوب في عام 1970، أشار لوكاتش للنضال''البطولي'' لهوسرل ضد التشويهات اللاعقلانية لفلسفته).[1]

وحتى وان تميزت الأطروحة اللوكاتشية بالتحرّر من الدوغمائية التي ميّزت الأطروحة اللينينية حول اللاعقلانية، وذلك من خلال مقابلة لوكاتش لقيم العقل ضد قيم اللاعقل، عوض تضييق هذه المقابلة بين المادية والمثالية، ولكن تأويله لمعظم التيارات اللاعقلانية من خلال ربطها بالجدل والصراع الطبقي، جعل الأطروحة اللوكاتشية تنزلق في بعض المواقف نحو الطرح الدوغمائي.

إن تحطيم العقل، الكتاب المجادل فيه والقابل للجدل، بحسب بعض وجهات النظر، يبقى مع ذلك كتابًا مرجعيًا في الأدب النقدي لتاريخ الفكر الألماني وللأصول الفكرية للفاشية: ومما له دلالة أن النقد الذي طُوّر مؤخرًا في ألمانيا إزاء الاتجاهات المحافظة الجديدة، على سبيل المثال، من قبِل يورغن هابرماس، وجد بواعثًا وأفكارًا فصّلها منذ أكثر من ثلاثين سنة[2*] لوكاتش في "تحطيم العقل".[3]

وهذا ما يجيز لنا التحقّق من البنية المتينة لمؤلف تحطيم العقل، ومن الأهمية الكبيرة لأطروحته الأساسية. فقد صاغها لوكاتش في صياغة منطقية يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

---

[1]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش: تحطيم العقل (1954)،مرجع سبق ذكره، ص. 924.

[2*]تجدر الإشارة إلى أن هذه الفقرة مقتبسة من مقال كتبه نيكولا ترتوليان سنة 1986.

[3]- نيكولا، ترتوليان، جورج لوكاتش: تحطيم العقل (1954)، مرجع سبق ذكره، ص. 924.

– إنّ التاريخ الفكري والإيديولوجي– الذي أعقب الثورة الفرنسية – للبورجوازية ما هو إلا تعبير عن أجوبة ممثليها الرجعيين[البورجوازية] عن معضلات الصراع الطبقي، وقد شكلت التيارات الفلسفية اللاعقلانية حلقة مهمة في هذا التاريخ، إذن فهذه التيارات اللاعقلانية قد مثّلت الأجوبة التي أعطتها البورجوازية عن معضلات الصراع الطبقي.

– إنّ الظاهرة الهتلرية لم تنبثق من العدم، وإنما هي نتيجة تطور سلبي طويل ميّز التاريخ السياسي والفلسفي الألماني، وقد شكلّت التيارات الفلسفية اللاعقلانية حلقة مهمة في هذا التطور السلبي، إذن فقد ساهمت اللاعقلانية في انبثاق الظاهرة الهتلرية في ألمانيا.

ومادام الانزلاق نحو اللاعقلانية ما هو إلا تعبير عن أزمة البورجوازية فلسفة ونظاما، حسب التأويل اللوكاتشي، فإن ذلك من شأنه أن يدفعنا إلى التساؤل حول الأبعاد الفلسفية والإيديولوجية لخطاب ما بعد الحداثة. خاصة إذا علمنا أن أسس هذا الخطاب تقف ضد العقل والمنطق والإنسان والمعنى وضد رؤية الأشياء في علاقتها الجدلية مع الإنسان، وضد الكل وحدوده. فهل ما بعد الحداثة هي تعبير إيديولوجي عن وضع بورجوازي امبريالي في حالة انحطاط ؟ هل هي التعبير الروحي عن انحطاط التشكيلة الرأسمالية في عصرها الامبريالي؟. هذه الأسئلة التي نرجو أن تكون محل اهتمام من الباحثين مستقبلا.

وعلى العموم، فإن قيم العقل، النزعة الإنسانية، والاعتقاد بفكرة التقدم، هي كلها بمثابة قيم ثابتة عند لوكاتش. وأما الأطروحات التي تحاول الدفاع عن مواقف اللاعقلانيين، فليس لها ما يبررها،لأن أي تراجع عن القيم السالفة الذكر من شأنه أن يؤدي إلى انزلاقات فكرية خطيرة، بحيث ليس هناك موقف بريء في الفلسفة، كما يؤكد لوكاتش دائما.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر:

1/– باللغة العربية:

1– لوكاتش، جورج، تحطيم العقل، الجزء الأول، الثالث، والرابع، ترجمة، الياس مرقص، (بيروت: دار الحقيقة، الطبعة الأولى، 1982).

2– ماركسية أم وجودية ؟، ترجمة، جورج طرابيشي، (دمشق: دار اليقظة العربية، بدون تاريخ).

2/– باللغة الأجنبية:

1) –Georges, Lukacs, Entretien avec G.Lukacs, par: Wolfgang Abendoth et autres, Traduit de l'allemand par Marcel Ollivier, (Paris: Éditions Françoise Maspero, 1969).

المراجع :

1-/باللغة العربية :

1)- بسطاويسي محمد غانم، رمضان، علم الجمال عند لوكاتش، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991).

2)- لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة، أنور مالك، (بيروت: دار الحقيقة، الطبعة الرابعة، 1983).

3)- مرقص، الياس، مدخل إلى كتاب "تحطيم العقل"، في: لوكاتش، تحطيم العقل، ج1، ترجمة، الياس مرقص، (بيروت: دار الحقيقة، 1982).

2/- باللغة الأجنبية:

1) - Bahs, Ehrhard, La pensée de G.Lukacs, Trad. Jean Lyon, (Toulouse: Éditions Edouard Privat, 1972).

2) - Bonardal, Françoise, L'irrationnel, (Paris: P.U.F, 1er Édition, 1996).

3) - Lichtheim, Georges, Lukacs, traduit par Sylvie Dreyfus, (Paris : Éditions Seghers, 1971).

4) - Stanley, Aronowitz, G.Lukacs: Destruction of reason, in G.Lukacs reconsidered: critical essays politics, philosophy and Aesthetics, Edited by Michael.J.Thompson, (New York & London, Continuum, 2011).

5) - Georges, Politzer, Ecrits1 (la philosophie et mythes), textes réunis par Jacques Debouzy (Paris : édition sociales, 1973).

المجلات:

1/- باللغة العربية:

1)- ترتوليان، نيكولا، المواجهة بين الاستلاب والتحّرر لدى لوكاتش و هيدجر، مقال في مجلة فلسفات معاصرة (مجلة فصلية)، ترجمة، عدنان نجيب الدّين، العدد الأول، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008).

2)- د/ عفيف، عثمان، وجوه العقل من الجدل إلى الهذيان، مقال في مجلة فلسفات معاصرة، العدد الثامن، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2010).

2/- باللغة الأجنبية:

1) - Tertulien, Nicolas, **La destruction de la raison, trente ans après**, in **L'homme et la société** (Revue international de recherche et de synthèse en science sociales), Vol. 79, N°79-82 (Paris : Ed. Anthropos, 1986).

المعاجم :

1)- ترتوليان، نيكولا، جورج لوكاتش: تحطيم العقل (1954)، مقال في معجم المؤلفات السياسية، تحت إشراف: فرنسوا شاتليه، أ. دوهاميل، إ. بيزيه، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1997).

2)- دادون، روجيه، ويلهم رايخ: سيكولوجية الجماهير في الفاشية (1933)، مقال في معجم المؤلفات السياسية، تحت إشراف: فرنسوا شاتليه، أ. دوهاميل، إ. بيزيه، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط 1، 1997).

مداخل في الرمزية واشتغالاتها عند السيميائيين.

الباحثة/ رباب بن عياش ـ جامعة الجزائر3

bibaayache@hotmail.com

ملخص:

يحاول هذا البحث البسيط تسليط الضوء على واحد من المفاهيم المعقدة رغم تداولها على نطاق واسع في أكثر من مجال معرفي، إذ تحيل " الرمزية" على معان متعددة مثل كونها مذهبا في الأدب والفن، وارتباطها في الأنثروبولوجيا بثقافة الإنسان، كما نجدها في السيميولوجيا في ارتباطها بالرمز كعلامة، ومن هنا نتقفى أثر هذا المفهوم من خلال تمظهره السيميائي عند أشهر الباحثين في علم العلامات، أمثال دي سوسير، بيرس، كاسيرر، وصولا إلى اشتغالاته واستشفاف الرمزية الدلالية بالإضافة إلى اشتغالات الرمزية عموما والاشارة إلى الرمزية في الصورة ثم إلى الرمز الذاتي أو النفسي.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الرمزية، الرمزية الدلالية، السيميولوجيا.

Abstract :

This research seeks to shed light on one of the complicated concepts which is Symbolism. Although it's largely used in more than one cognitive field, the symbolism refers to different meanings; as a doctrine in literature and Arts. It is also related, in anthropology, to human culture. Besides, it exists in semiotic when it relates to symbol as a sign.Therefore; we are going to study closely the concept of Symbolism through its semiotic appearance according to well researchers like De Saussure, Peirce and Cassirer. Arriving at its framework and getting out the semantic symbolismand highlighting the symbolism in the image, and then the personal or psychological symbol.

Key words : symbolic, symbol, semiology, semantic symbolism

مقدمة:

إن قدرة الإنسان على التعامل بالرموز هو ما يميزه عن الحيوان فقد تفرّد عنه بسلوكه الرمزي وهذا ما أدّى بعلماء الأنتروبولوجيامثلا إلى الاهتمام بالرمز ودراسة الرموز، وبالتالي لا تعتبر الثقافة في النهاية إلا نسقا معقّدا من الرموز المختلفة، ولا نجد الرمز في الأنتروبولوجيا وحسب وإنما تعاملنا بها متعدّد ووجودها متنوع في مجالات معرفية مختلفة، كالأدب والفن، وتاريخ الأديان وعلم النفس، حتى أنه يوجد علم مستقل يعنى به يعرف بـ La symbologie.

من جهة أخرى نجد السيميولوجيا تعتبر الرمز علامة بما أنها تدرس العلامات داخل الحياة الاجتماعية بتعبير دي سوسير، وتثبيتا لأهمية الرمز وخصوصيته في حقل السيميولوجيا ارتأينا تقديم هذا البحث كخطوة تعريفية للرمز والرمزية السيميائية واشتغالها في حقل السيميولوجيا، ولهذا سوف نحاول تسليط الضوء على الرمز والرمزية في السيميولوجيا خصوصا، بالتركيز على الرمز عند السيميائيين وكذا رمزيته الدلالية، ولا يعنينا هنا أن نتناول الرمزية كمذهب وإنما نعرّج عليها فقط لنحصر دلالتها بشكل جيد في حقل السيميولوجيا، ومن هنا نبدأ بتعريف الرمزية والرمز لغويا واصطلاحا ثم نضبط مفهومهما عند السيميائيين.

1- مفهوم الرمزية

الرمزية لغة مصدر مشتق من فعل رَمز يَرمزُ رمزًا بمعنى أومأ وأشار، ورمز إلى أي أشار أو دلّ. والرمز يدل على الموضوع أو التعبير أو النشاط الإنساني الاجتماعي الذي يوحي بفكرة أو يشير إلى قيمة شيء ما اشارة مجردة ويحل محلها ويصبح ممثلا لها وبديلا عنها، إنه يستخدم استخداما مطردا ليمثل مجموعة من الأشياء أو نوعا من أنواع العلاقات الاجتماعية أو الفكرية او الروحية ويقال الرمز الاجتماعي حين يشترك فيه أفراد المجتمع كالرموز التي تمثلها الميثولوجيا والفولكلور والرموز الوطنية والقومية والإنسانية وغيرها. [1]

واصطلاحا يشير معجم المصطلحات الأدبية إلى أن الرمز هو:1) مصطلح متعدد السمات غير مستقر حيث يستحيل رسم كلّ مفارقا معناه. 2) علامة تحيل على موضوع وتسجله طبقا لقانون ما، 3) والرمز وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء.[2]

و"**الرمزي هو صفة للرمز**"[3] في مصطلحية بيرس، و**الرمزي** هو المنسوب إلى الرمز كالكتابة الرمزية أو التفكير الرمزي المبني على الصور الايحائية على خلاف التفكير المنطقي المبني على البنى المجردة.[4]

وقد عرّف معجم مصطلحات الأدب الرمز بما ملخصه أنه:" **كل ما يحلّ محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى شيئا ملموسا يحل محلّ المجرّد كرموز الرياضيات مثلا التي تشير إلى أعداد ذهنية...**"[5]

---

[1] عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: **المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009. ص 169.
[2] سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية**، دار الكتاب اللبناني بيروت، وسوشبريس الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى ، ص 101-102
[3] جيرارد دولودال، **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ص 37.
[4] زهير الخويلدي، **الأنظمة الرمزية ومطلب التواصل**، الحوار المتمدن، العدد 2876، نشر في http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=197620&r=0.2010/1/2
[5] فيليب سيرنج، **الرموز في الفن الأديان والحياة**، تر: عبد الهادي عبّاس، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1992. ص 6.

والرمز حسب ما أشار اليه قدور عبد الله ثاني، أي كلمة symbole كلمة يونانية مشتقة من كلمة sumbollem بمعنى مترابطة مع بعضها البعض، في البداية كانت sumbolow رمزا للتعريف على شيء كثير الاستعمال وهو وسام يحتفظ به شخصان، كل واحد لديه جزء يتوارث أبا عن جد، وبواسطته يتعرف على الأشخاص، الرمز يحمل معنى بحسب الكلمات أو المخططات أو رسوم أو حركات أو إشارات وبناء على هذه التفرعات يمكننا تقسيم الرموز إلى لغوية بصرية وثابتة والرموز الاجتماعية.[1]

ويعرف أندري لالاند الرمز في موسوعته الشهيرة قائلا:" علامة تعريف...أية علامة أو إشارة، خاتم، دمغة، شعار،...الخ

- هو يمثل شيئا آخر بموجب مطابقة نظيرية يقال على عنصر خوارزمي دقيق: الرموز العددية الجبرية، * وعلى كل علامة عينية تتنبه بنسبة طبيعية، إلى شيء غائب أو مستحيل الإدراك: الصولجان رمز الملكية.
- منظومة متواصلة من الأطراف أو الحدود التي يمثل كل منها عنصرا من منظومة أخرى: "الرمز هو مقارنة لا يعطى لنا منها سوى الحدّ الثاني وهو منظومة كنايات أو ثوريات متوالية"[2]

ووظيفة الرمز عنده هي دائما استثارة بعض حالات الوعي لذلك فإن الرموز نوعان: عقلية وهي متخصصة بإثارة الخيالات والأفكار وأخرى انفعالية ترمي إلى اثارة الانفعالات.

ويرى جون فيسك J.Fiske فيما يتعلق بالرمز: " **إنه عبارة عن نظام من العلامات حيث تكون القواعد والاتفاقات المشتركة بين أعضاء الثقافة الواحدة، والتي تستعمل من أجل توليد وسيرورة المعاني داخل هذه الثقافة**" [3]

- هذا وقد عرفت الرمزية في الفن التشكيلي والأدب كمذهب، كما نجد لها أثرا في مدرسة التحليل النفسي، أما في العمل الفني يربط تشارلز شادويك الرمز بأبعاد متعددة من المعنى، تتجلى في العمل الفنّي، إذ يستخدم الرمز كوسيط ليشير إلى الشيء بطريقة غير مباشرة وهذا ما يسميه رمزا.

ويقول: " **الرمز هو الخيط الذي يجمع هذه التراكمات من الصور والأخيلة التي تصنع جسما موضوعيا أو ما يمسيه (ت.سأليوت المعادل الموضوعي) الذي هو في النهاية لا يعادله إلا العمل الفني نفسه**" [4]

---

[1] قدور عبد الله ثاني، **سيميائية الصورة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.2005. ص 199.

[2] سعيد درويش، محمد محفل، عبد الله السيد، **الرمز والرمزية في الفن التشكيلي**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 29، العدد 1، 2013. ص 661.

[3] John fiske, **television culture**, first publihed by Mathuen and co, Ltd, London, 1987. P 4.

[4] سعيد درويش، مرجع سبق ذكره، الصفحة 661.

أي أن العمل الفني كله رمز، أو أنه عبارة عن كتلة رمزية، كتلة من الرموز تتجمع فيها الأخيلة والصور. وهذا المذهب يعبّر عن المعاني الخفية أو الضمنية والانطباعات النفسية عن طريق الايحاء والتلميح والدلالة غير المباشرة بدلا من الأسلوب التقريري المباشر، وذلك كي يشارك القارئ أو الناظر أو السامع في فهم الفكرة أو تكملتها أو الاضافة إليها من خياله، كما أن هذا الاصطلاح يتضمن أشكالا عديدة من أنماط السلوك، ومن عملية اعطاء معان لأشياء خاصة، بحيث يصبح في إمكان الجزء أن يعرب عن الكل ويعبّر عنه ويشير إليه. [1]

وجاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية أن **الرمزية** عبارة عن اتجاه في الأدب والفن نشأ في الأدب الفرنسي في ثمانينيات القرن التاسع عشر ...كما وضحت هذه الموسوعة المفهوم الجمالي والأساس الذي تقوم عليه الرمزية كما يأتي:" والمفهوم الجمالي الإيديولوجي للرمزية تلفيقي إلى أقصى حد . وهو يقوم على أساس من الأفلاطونية ومذهب كانط في الظاهرة والشيء في ذاته، والفلسفة الإرادية عند شوبنهاور ونيتشه وصوفية سولوفيوف" [2]

ولطالما استعملت الرموز في الفن للتعبير عن نشاط إنساني ثقافي، ولطالما كانت ضاربة في القِدم، إذ اعتبر النشاط الرمزي الأول فنيا بالدرجة الأولى، يعمل على إعادة ما هو بصري وملموس.

فاللوحات الزيتية تمثل الجانب البصري ويمثل النقش الجانب اللمسي للرموز، وهذا لا يمنع من أن يحمل العمل المنحوت طابعا وظيفيا من خلال تشكيل الحجارة والاستخدام العملي لها، وما تلبث أن تخرج من هذه الوظائف إلى الرمزية عندما يصبح الغرض منها جماليا.

التمثال الذي يصور شخصية ما يرتبط بدلالات نفسية لأنه يشير إلى رؤية موجودة في الخيال وكامنة فيه قبل أن تصبح منحوتة أي قبل أن تتجسد في طين أو حجر. وهذه المعرفة للأشياء تبنى في الخيال وتختزن في الذاكرة قبل أن تتجسد في شكلها المادي.

لقد ترك إنسان ما قبل التاريخ رموزا على جدران الكهوف، من ذلك رموز الطاسيلي، ويقدم باحثون أمثلة عديدة مثل ما وجد "في اسبانيا (التاميرا)، وفي فرنسا في منطقة الدوردون مثل كهف Font de gaume و Gargas على الضفة اليسرى لنهر الجارون التي وجد فيها صور الوعول والماعز الجبلي والثور البري، (البيزون)، والخنازير المتوحشة إلى جانب الأشكال الآدمية والأشباح ورسوم الأيدي كاملة وناقصة

[1] عبد الغنيعماد ، سوسيولوجيا الثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 169
[2] سعيد درويش، مرجع سبق ذكره، ص 663.

الأصابع ذات الدلالة السحرية والمرتبطة بالدين، مضافا إلى ذلك كله، الكائنات المركبة والمقنعة البشرية والحيوانية واستخدام الألوان المختلفة كالأحمر والأسود والأصفر والبني..." [1]

إن الرمزية في معناها العام والمبسط أيضا هي " **إحالة على وجود مجرّد تمكن من التخلص من الوجه المادي للعالم**"[2]

2- مفهوم الرمز عند السيميائيين:

يشير سعيد بن كراد إلى أنه من الصعب تحديد تعريف خاص بالرمز لأنه لا يحمل خصائصه في ذاته، فهو يمكن أن يكون شيئا مخصوصا ويمكن أن تتوسع دائرته ليشمل النشاط الإنساني برمته، ولكن بالإمكان دراسته من زاوية مراعاة المجالات المتنوعة التي تعاملت مع الرمز وحاولت من خلاله تفسير موضوعها وفهم حدوده.

وبالتالي يصبح تقديم تعريف خاص به غاية في الأهمية لكي يتم "الفصل بين الظاهرة الدلالية وبين التصنيفات الممكنة للمعاني التي تنتجها ظواهر تعبيرية مثل الأيقون والأمارة والإشارة والرمز. فهذه الظواهر تشكل إلى جانب الرمز، الأدوات الضرورية المؤدية إلى إنتاج الدلالات وتداولها".[3]فيصبح شغلنا الشاغل هو طبيعة الدلالة المنبثقة عن الظاهرة وليس مادتها وخصائصها في الوجود.

وبالتالي بعد أن استبعد الرموز الرياضية من التعريف المتوخى (لأنها تدرك فقط في علاقتها بالقواعد الإجرائية الخاصة بحساب ما، وبالتالي لا يدخل ضمن تبادلية اجتماعية تقوم على التقويم السلبي والايجابي، فهي لا يمكن أن تصنف الأحكام الاجتماعية ضمن المقبول أو المرفوض أو المسموح به) عمد إلى تقديم الاستعمالات الشائعة للرمز، والتي تتمثل في كونها تستند إلى صور تناظرية تربط بين وحدات مجردة وأخرى محسوسة، تنوب الثانية عن الأولى وتقوم مقامها.

وهو يعتبر أن "**جزء من معتقدات الكائن البشري وقناعاته ليست سوى تعبير رمزي عن تجارب لا يمكن الإحاطة بها من خلال تجليها المباشر، ذلك أنه كلما ازداد النشاط الرمزي تراجع الواقع**"[4]

فوجود الإنسان في هذا العالم، وما يمكن أن يتمخض عن سلوكاته من سيميائية بعيدا عن الوظائف النفعية لأعضائه مثل العين (التي لها وظيفة الرؤية مثل كائنات أخرى) إلا أن انزياحها عن هذه الوظيفة مثل الغمز يعطيها معنى سيميائيا داخل ثقافة معينة.

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] سعيد بن كراد، مسالك المعنى، **دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية**، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريا، 2006.ص 11.
[3] المرجع السابق، ص 159.
[4] المرجع السابق، ص 8.

والرمز كذلك في كتاب العلامة **لأمبرتو ايكو** عبارة عن "كيان تصويري أو غير تصويري يمثل من خلال خصائصه الشكلية أو من خلال طابعه العرفي حدثا أو قيمة أو حدسا أو هدفا، مثلا: الصليب "علامة الصليب" المنجل والمطرقة، جمجمة ميت، "علامات شعارية"، علامات البحرية شراع، شهب، مربع منحرف."[1]

1-2 الرمز عند كاسيرر: (فيلسوف ألماني- 1874-1945)

ينبع الرمز عند كاسيرر من فكرة أن العلاقة بين الإنسان وعالمه الخارجي غير مباشرة وأن الرابط بينهما ليس آليا وإنما يتمثل في الطريقة التي يصاغ بها الواقع صياغة ثقافية تبتعد فيه عن الأبعاد المادية نحو الوظيفة الرمزية.

فهو لا يخضع لجدلية المثير والاستجابة بشكل آلي وعفوي لأن هناك دوما بين المثير والاستجابة عملية فكرية بطيئة ومعقدة.

فالإنسان قد تلفع بالأشكال اللغوية والصور الفنية والرموز الأسطورية والشعائر الدينية حتى أصبح لا يرى شيئا ولا يعرف شيئا إلا بواسطة هذه الوسائل المصطنعة" وقد دفع هذا الأمر **كاسيرر** إلى رفض تعريف الكلاسيكيين للإنسان باعتباره حيوانا ناطقا فأبدل هذا الحد بحد آخر أكثر دقة وأكثر استيعابا لطبيعة الحياة الحضارية الإنسانية في ثرائها وتنوعها وهو الحد الذي يعتبر الإنسان "**حيوانا رامزا**"[2]

فبالنسبة إليه العلامات وبلورة الوظيفة الرمزية هو ما يميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، لذلك فإن اللغة والدين والأسطورة والخرافة وكل السلوكات الثقافية هي أشكال رمزية تتوسط بين الإنسان وعالمه الخارجي.

بحيث اعتبر السلوك الإنساني سلوكا رمزيا في جوهره:" **ولا يمكن للسلوك الرمزي أن يكون سوى إنساني، وبهذا المعنى فإن الثقافة ذاتها ليست سوى نسيج مركب من الأنظمة الرمزية على حد تعبير ليفي شتراوس**" [3]

حسبه يعيش في بعد جديد للواقع هو البعد الرمزي الذي يختلف عن البعد المادي، والذي لا يكتفي فيه بالإدراك وحسب وإنما يتجاوز ذلك إلى محاولة تحديد طبيعة الدلالات الموجودة ضمن هذا البعد، ولذلك فإن كاسيرر لم يعر اهتماما كبيرا لتعريف الرمز في ذاته بل اشتغل أكثر بالكيفية التي ينتج بها الإنسان معانيه من خلال منحه للأشياء دلالات معينة.

---

[1] أمبرتو إيكو، **العلامة تحليل المفهوم وتاريخه**، تر: سعيد بن كراد. الطبعة 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان. 2010. ص 37.
[2] فايزة يخلف، **مناهج التحليل السيميائي**، دار الخلدونية، 2012. ص 52.
[3] سعيد بن كراد، مرجع سبق ذكره، ص 162.

فكل ما يحيط بالإنسان وما يصدر عنه من تصرفات وأفعال ليست أشياء جامدة خالية من المعنى، بل هي إحالات رمزية على دلالات بالغة التنوع، ذلك أن "**المعنى لا يوجد في الشيء إنما هو حصيلة ما يودعه الإنسان هذه الأشياء من قيم ثقافية يشكل الذاكرة الإنسانية للكون**"[1]

بهدف بناء تصور يروم الإحاطة بالصورة الكلية للتجربة الإنسانية يقول كاسيرر:" **بدل الانخراط في البحث عن الشروط العامة التي تمكن الإنسان من التعرف على العالم، فإنه يبدو من الواجب حصر الأشكال الأساسية التي يفهم من خلالها الإنسان هذا العالم..**" [2]

فلسفة **كاسيرر** مستمدة من فلسفة كانط و لايبنتز فقد حاول أن يجد منطقة بينهما لكي يقدم فلسفته الخاصة، ولكنه فيفهمه للعالم المدرك أخذ بالمنطق الكانطي الذي يقول باختلاف الأشكال، مبدأ التباين، ولعل هذا المبدأ معمم في فلسفة الأشكال الرمزية.

ويعرفنا كاسيرر بالمقصود من الشكل الرمزي فيقول:" **نقصد بالشكل الرمزي الطاقة الكونية للذهن، التي تسمح بالتأليف بين محتوى دلالي ذهني مع علامة محسوسة متحققة، حيث ينسجم جوانيا مع هذه العلامة، وبهذا المعنى فإن اللغة والكون الأسطوري _الديني والفن تتمظهر كلها في أعيننا بوصفها أشكالا رمزية خاصة، إن الوعي لا يكتفي بتلقي الانطباعات الخارجية للظواهر فحسب ولكنه يعمد إلى وصل كل انطباع بنشاط حر للتعبير ويخصبه. إن عالم العلامات والصور التي تتخلق بنفسها تتجاوز ما نسميه الواقع الموضوعي للأشياء وهي تثبت نفسها أمام الواقع الموضوعي للأشياء باستقلاليتها الكلية وقوتها الأصلية**" والشكل الرمزي هو كل ما من شأنه تحويل المادة إلى دال [3]

على الرغم من الأهمية التي يحظى بها تعريف **كاسيرر** للرمز إلا أنه لا يمكننا الأخذ به في كل الحالات للتمييز بين الدلالات وتصنيفها وكذا لا يمكن اعتبار كل السلوكات الإنسانية رامزة أو ذات بعد ثقافي لأن هناك من السلوكات ما هو طبيعي.

2-2 العلامة اللسانية والرمز عند دي سوسير:

العلامة ذات صفة اعتباطية حيث تكون العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية متوافق عليها، كما هو الحال في اللسان أو اللغة، وقد فرّق بين العلامة والرّمز، معتبرا الرمز "**اشارة اتصالية تقوم على ركائز طبيعية مثل الدخان الذي يعني وجود النار**" [4]، وبالتالي فهو ينسب إلى الرمز الصفة التعليلية ومن أمثلة

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] عبد القادر فهيم شيباني، **فلسفة الأشكال الرمزية**، فلاديليا الثقافية، العدد الخامس، 2009.ص 72.
[3] المرجع السابق، ص 73.
[4] عبيدة صبطي، نجيب بخوش، **مدخل إلى السيميولوجيا**، ط1، دار الخلدونية، 2009. ، ص 95.

ذلك بعض اشارات المرور التي تحمل الصفة التعليلية مثل اشارة ممنوع مرور الشاحنات (اشارة المنع المتمثلة في الدائرة الحمراء ورسم الشاحنة)

فالرمز بالنسبة اليه في "اشتغاله ووجوده إحالة على سياقات ثقافية هي وحدها التي تجعل من هذه العلامة أو من هذا الشيء رمزا، وتنفي هذه الصفة عن علامة أخرى، و على النقيض من الرموز فالعلامات وثيقة الصلة بالاستعمالات وأي تغيير للسياق هو في واقع الأمر إحالة على مدلول لم يكن متوقعا في لحظة التمثيل الأولى وكما كان يقول فنغنشتاين لا وجود لعلامات هناك فقط استعمالات والاستعمالات هي سلسلة من السياقات التي تشير إليها الحاجات الإنسانية المتنوعة."[1]

وقع دي سوسير في تردد من أجل تسمية علامة أو رمز فالرمز ليس فارغا بالنسبة إليه فهو يشير إلى بقايا تعليلية في حين أن اللسان في جوهره ظاهرة اعتباطية وهذا ما جعله يطلق كلمة علامة على الوحدات اللسانية، فالميزان الذي يرمز للعدالة لا يمكن تعويضه بشيء آخر.

ولو أن دي سوسير أشار إلى وجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول تحمل بعض أجزاء العلامة الأيقونية أو المؤشرية.

العلامة تشير إلى شيء تحيل على التصور الذي نملكه عن شيء ما، بينما لا يسلم الرمز دلالاته بسهولة فهو من جهة، شيء محسوس له وجود في ذاته بعيدا عن أية دلالة (فالصليب شيء قبل أن يكون رمزا للمسيحية أو التضحية)، وهو مرتبط أيضا بثقافة معينة، أي بمجموعة بشرية تستعمله"[2]

وكما جاء في نظريات في الرمز في سياق الحديث عن أن الرمز لا يسلم دلالاته بسهولة أن **"للرمز تأويل مفتوح فردي وهو عاجز عن التمثيل المحض لشيء بعينه، فصار بذلك هو العبارة الرومانسية بلا منازع وسقط الدليل- ومعه المثل، لأنه توفيق بين دليل ورمز- إلى مرتبة دنيا"**[3]

فالرمز بهذا متعدد ومتفوق على العلامة أو كما جاء في الكتاب الدليل الذي سقط إلى مرتبة دنيا.

ويشير مجدي وهبة في قاموسه إلى قدرة الرمز على إنتاج دلالاته من خلال كل المحسنات البلاغية فهو يشمل كل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة.. وهو يميزه عن العلامة التي ترتبط في وجودها الأصلي بدلالة واحدة، فهي ليست سوى دلالة واحدة لا تقبل التنويع ولا يمكن أن تختلف من شخص إلى آخر مادام المجتمع قد تواضع عليها، فالمصباح الأحمر في الطريق له معنى قف ولا يحمل معنى آخر اما إذا وجد المصباح معلقا على أحد البيوت في مجتمعات أخرى فهو يدل على أنه بيت

---

[1] سعيد ين كراد، مرجع سبق ذكره، ص 163.
[2] المرجع السابق، ص 164.
[3] تيزفيتان تودوروف، **نظريات في الرمز**، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة 1، بيروت، 2012. ص9.

دعارة، "**فالمصباح الأحمر في الطريق تعارف الناس على أنه إشارة إلى معنى /قف/ وليس له معنى آخر، أما إذا علّق على باب بيت في بعض المجتمعات فيدل على أنه بيت دعارة، وبرغم اختلاف معناه بحسب المكان الذي يوجد فيه إلا أنه في كل مكان على حدة لا يعني سوى أمر واحد**" [1]. والمقصود هنا أنه يعني المنع أو التحذير أو الخطر، ففي كل الحالات فإن المعنى واحد أو بالأحرى الدلالة واحدة، ويناقش إيكو اعتباطية الرمز بقوله:"... إلا أن العرف ليس مرادفا للاعتباطية فبالإمكان العثور على أسباب متعددة تسمح لنا بربط الأحمر بفكرة الخطر، وربط مجموعة من الخطوط على وجه ورقة بجسم الإنسان. ومع ذلك فإن الصيغ الخاصة بالرابط الدلالي هي في جميع الحالات عرفية"[2]

"**والمعنى معطى من خلال تجلي العلامة ذاتها**"[3] ويقصد بهذا أن العلامة ليس بينها وبين معانيها سدّ أو مانع، فالوقوع هو الوقوع قبل أن نمنحه دلالات رمزية على وضع نفسي قد يشير إلى عاطفة (الوقوع في الحب) أو إلى ورطة (الوقوع في مأزق)، أما الرمز فهو شيء قبل أن يحمل دلالة أخرى، وبالتالي له وجود في ذاته مثل السيف الذي يعبّر عن العدل فهو شيء قبل أن يكون رمزا للعدل، ناهيك عن ارتباطه بثقافة معينة، إن هذه الطبيعة الممنوحة للرمز دفعت الباحثين إلى القول بطواعية الرمز المزدوجة للدلالة، أي "**تحويل الشيء من دلالته بذاته على ذاته إلى دلالته بذاته على غير ذاته**" [4]، ومن أمثلة ذلك النجمة الخماسية دلالة على أركان الإسلام وصورة الأسد تعبيرا عن مفهوم القوة، ومن شروط تحقق الرمز طواعيته لهذه الدلالة التي أسلفنا أنها مزدوجة، "**بعضها ذاتي بما ينبثق منه من طاقة تعبيرية أو ايحائية وبعضها موضوعي بما يتوفر لدى المتلقي من قابلية التمثل للرّبط بين الرمز وما يرمز اليه.**"[5]

وبالتالي فإن العلامة عند دي سوسير جوهرها الاصطلاح أي أنها عرفية، أما الرمز فهو يحتوي على بقايا تعليلية وبالتالي فهو منطقي.

إذا فالرمز والعلامة يتراوحان بين ما هو منطقي وعرفي، ولكن قد يتداخل هذان الوصفان، وقد تتقلص الحدود بينهما إلى غاية التميع بسبب العرف "إذ بما ينبني عليه من مبدأ الاصطلاح تنزاح الحواجز بين أصناف الدلالة ويغدو كل شيء في الكون دليلا بغيره أكثر مما هو دليل بذاته" [6]

---

[1] فيليب سيرنج، **الرموز في الفن والأديان والحياة**، تر: عبد الهادي عبّاس، الطبعة الأولى، دار دمشق، دمشق، 1992. ص 6

[2] أمبرتو إيكو، مرجع سبق ذكره، ص 49

[3] سعيد بن كراد، مسالك المعنى، ص 164.

[4] عبد السلام المسدّي، **اللسانيات وأسسها المعرفية**،الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،أوت 1986. ص 64.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] المرجع السابق، ص 66.

فالعلاقة مثلا بين لفظ الكلب وفكرة الوفاء في اللغة هي علاقة طبيعية ولكنها تتوطد بالاصطلاح أو العرف فلو استعملنا التشبيه لغير الكلب لما استقام لنا المعنى، وقس على ذلك من الأمثلة، وتبرز هنا سطوة العرف على العقل والمنطق.

وقد أشار دي سوسير في كتابه ***علم اللغة العام*** إلى سيادة صفة الاعتباطية على جميع الأنظمة الاشارية، إذ تعتمد كل وسيلة تعبيرية في جوهرها في النهاية على العرف، مثل تحية الصينيين فالقاعدة التي منحت لهذا الأسلوب هي التي تجعل المجتمع يستخدمها وليس القيمة الذاتية للإيماءة، ولو أن دي سوسير قد اعترض على اقتران لفظ الرمز(الذي غالبا ما يطلق على العلامة اللغوية) دائما مع الصفة الاعتباطية وهذا لأنه غير اعتباطي كليّا، فهو ليس لفظا فارغا، ومثال ذلك تعذّر استبدال رمز العدالة (الميزان) برمز آخر، حتى لو كان اعتباطا وذلك بسبب العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول.

"إن الإشارات الاعتباطية أفضل من غيرها في التعبير عن الهدف الأسمى لعملية التعبير بالإشارات وهذا يفسر لماذا تعدّ اللغة – وهي أكثر نظم التعبير تعقيدا– خير ممثل لنظام الاشارات، وبذلك يصبح علم اللغة النمط الأساس لجميع فروع علم الاشارات مع أن اللغة ليست سوى نظام واحد من أنظمة الاشارات"[1]

إلا أن هذا يخضع للنقاش والنقد لتسطو من جديد العرفية أو الاعتباطية على الرمز وحتى بالنسبة للكلمات المحاكية onomatopoeia " فهي قليلة العدد واختيارها يكون بصفة اعتباطية لأنها محاولات تقريبية تعتمد أيضا على العرف في محاكاة بعض الأصوات مثل bow-bow في الانجليزية، ouaoua في الفرنسية (نباح الكلب)، ثم إن هذه الكلمات ما إن تدخل اللغة حتى تصبح إلى حدّ ما خاضعة للتطور اللغوي الصوتي والصرفي إلى آخره، الذي تخضع له الكلمات الأخرى، ومثال ذلك كلمة pigeon (حمام) مشتقة من الصوت الذي يوحي به صوت الطائر وهذا دليل واضح أن هذه الكلمات تفقد شيئا من صفتها الأولى لكي تكسب الصفة العامة للإشارة اللغوية وهي صفة الاعتباطية (انعدام الصلة الطبيعية)."[2]

ويسري على ألفاظ التعجب النقد السابق، والدليل على عدم اعتباطيتها وكون رمزيتها موضع جدل وخلاف، هو تعدد واختلاف ألفاظ التعجب في اللغات المختلفة مثل aie بالفرنسية التي تقابلها ouch بالانجليزية.

وقد أشار أرسطو إلى اعتباطية الرمز (العلامة) عندما فرّق بين الدلائل التواطئية والطبيعية، فاللغة المتفق عليها تمثل رموزا بينما تحمل الأصوات الأخرى (أصوات الحيوانات مثلا) دلالات لا يفهمها إلا

[1] فردينان دي سوسير، **علم اللغة العام**، تر: يوئيل يوسف عزيز، الطبعة 3، دار آفاق عربية، بغداد.1985.ص 87.
[2] المرجع السابق، 1985. ص88

الحيوانات ذاتها ولكنها تبقى دلالات وليست رموزا كما في قوله:" **دلالة بالتواطؤ إذ ليس شيء منها اسما بالطبع بل لا يكون كذلك إلا متى ما صار رمزا، وذلك أن الأصوات غير المقطعة مثل أصوات الحيوانات، وإن دلت على شيء فليس الواحد منها مع ذلك اسما**"[1]

2-3 الرمز عند شارل سانديرس بيرس[2]

هو المعادل الحقيقي للعلامة عند دي سوسير، إذ يرى أن علاقة الرمز بمدلوله هي علاقة اعتباطية عرفية فقط، فالعلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة ويطلق عليها بيرس اسم العادات والقوانين وهي عنده أكثر العلامات تجريدا، وما يلاحظ في هذا المستوى أن العلاقة بين الدال والمدلول أو المشار إليه هي علاقة عرضية وغير معللة مثل البياض والسواد ودلالته على الحزن أو الفرح وهذا من الرموز التي تدرسها الأنثروبولوجيا.

فالعلامة الرمزية هي التي تفيد مدلولها بناء على اصطلاح بين جماعة من الناس ومثال على ذلك الحمامة البيضاء التي تحمل غصن الزيتون ترمز إلى السلام، وكذا إشارات المرور الضوئية وعلامة صح وخطأ وعلامات الموسيقى ومفردات اللغة ويمكن للعرض المسرحي حسب هذا المنظور أن يعتبر عرضا رمزيا في جملته لأن العرف هو الذي يجعل الجمهور يتقبل ما يقع على المسرح على أنه يمثل شيئا آخر[3]

والرمز يمثل القسم الأخير من ثلاثية بيرس (symbole)، "ويقوم الرمز كما في تفسير جاكوبسون لنظرية الفيلسوف الأمريكي على المجاورة المتواضع عليها contiguité instituée بينه وبين المدلول والمكتسبة بالتعلم، لذلك لا يحصل الرمز إلا بقاعدة تحدد علاقة المجاورة وهو لا يستلزم أدنى شبه أو علّية أو اتصال خارجي مع المدلول، من هذا القبيل العلامات اللغوية" [4]

إن تعريف الرمز بهذا الشكل يخرج من الاستعمال المتعارف عليه في الآداب والفنون ويبرر بيرس هذا الخروج بالعودة إلى المعنى الأصلي لكلمة symbol ففي اليونانية كانت هذه اللفظة تعني الشيء الذي يُلقى أو يُرمى، وبالتالي فهي تفيد عن طريق الاستعارة العقد أو الاتفاق، بهذا المعنى يقول أرسطو عن الاسم أنه رمز إذا توافر على مسألة التواضع" [5]

---

[1] تزفيتان تودوروف، مرجع سبق ذكره، ص 22.

[2] رائد الفكر الفلسفي الراغماتي (1839-1914)، عالم رياضيات وفيلسوف وعالم منطق واشتغل لسنوات داخل معمل كيمياء قبل أن يشتغل بالفلسفة، أجمع المختصون على أنه أعظم الفلاسفة الامريكيين قاطبة، واعتبرت دراسته في السيميوطيقا منجما غنيا لا ينفذ، وقد أثر بأعماله في المنطق الرياضي، كما عدّه البعض مؤسس المنطق الحديث.(من كتاب مدخل إلى السيميولوجيا، عبيدة صبطي وآخر، ص 72، الجزائر 2009.)

[3] عبيدة صبطي، مدخل إلى السيميولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص 102.

[4] عادل فاخوري، **تيارات في السيمياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، نوفمبر 1990. ص 27.

[5] فايزة يخلف، سيميائيات**الخطاب والصورة**،الطبعة1،دار النهضة، لبنان 2012. ص 25.

يقع الرمز ضمن نظرية للعلامات عند بيرس التي لا يمكن فصلها عن مجموع فلسفته، و"فلسفة بيرس التي تنطلق من الفلسفة الكانطية هي فلسفة التجربة المتصورة ضمن فكر العلوم الطبيعية، فكر المختبر... إنها استمرارية وواقعية وذرائعية"[1]

وهي تقوم على الظاهراتية والمنطق ، "إن ظاهرية بيرس لها كأصل ظاهرية كانط وليس ظاهرية هوسيل (هكذا)، ولكي يعطيها بيرس تمييزا عن ظاهرية كانط وهيجل فقد أعطاها اسم الفانيروسكوب phaniroscopie "[2]

والمنطق له ثلاثة فروع النحو النظري أو النحو الخالص الذي هو السيميوطيقا بالمعنى الدقيق، ثم المنطق بالمعنى الدقيق أو النقد، ثم البلاغة الخالصة أو الميتودوتيقا التي تتقابل على التوالي مع الأبعاد الثلاثة للعلامة، أبعاد الممثل والموضوع والمؤول.[3]

يقوم مفهوم العلامة عند بيرس على المقولات العامة أو المقولات المنطقية الفانيروسكوبية :كل ما هو حاضر في الروح سواء وجد له موافقا في الواقع أم لم يجد، يسمح بتقسيم الظواهر إلى ثلاثة عوالم تسمى: تصنيفات فانيروسكوبية، – عالم الممكنات: الأولانية ، – عالم الموجودات: الثانيانية، – عالم الضروريات: الثالثانية. ويمكن القول أن "**العالم يمثل أمامنا في مرحلة أولى على شكل أحاسيس ونوعيات مفصولة عن أي سياق زماني أو مكاني، وهذا ما يشكل مقولة الأولانية، ... وتشير هذه المقولة إلى الإمكان فقط فلا شيء يوحي بأن معطياتها قد تتحقق في واقعة ما، كما يسمى هذا العالم كذلك بعالم الأفكار أو الممكنات ويشترط في هذه الأفكار أو الممكنات أن تكون مبهمة**" [4]

وهذا يعرف بالأساس الظواهري الذي يقيم السيميوطيقا على محاولة تحليل مقولات الوجود الثلاث (الوجود، الكيف، الضرورة) ويهتم فيها بشتى أنواع الدليل وكيفيات تمظهره واشتغاله وآليات سيرورة فعله التي يراها كفيلة بأن تؤسس للنسق السيميوطيقي القادر على أن يفصح عن نفسه بطريقته وأدواته الخاصة"[5]

ومثال ذلك أن الحزن كشعور كان محتملا أو حالة محتملة أخذت في الظهور أو البروز لتأخذ وجودا فعليا مجسدا مرتبطا مع سلوكات معينة وهو ما يمثل مقولة الكيف والثانيانية أو ما يسمى بعالم الموضوعات وفيه يتحقق الحزن فعلا، كأن نقول فتاة حزينة، وأخيرا يتجلى الحزن باعتباره قانونا يسمح لنا

[1] جيرار دولودال،**السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة: عبد الرحمان بوعلي، الطبعة1، دار الحوار، سوريا، 2004. ص 20.
[2] المرجع السابق،، ص 23
[3] المرجع السابق، ص 24.
[4] عبيدة صبطي،**مدخل إلى السيميولوجيا**، مرجع سبق ذكره، ص 78.
[5] فايزة يخلف، **سيميائيات الخطاب والصورة**، مرجع سبق ذكره، ص 26.

بالتعرف على الواقعة مسبقا، أي عندما نتمكن من تأويل سلوك ما على أنه يدل على الحزن أو غير ذلك، وهذا ما يسمى بالثالثانية عند بيرس.

والعلامة تكون أولى عندما تحيل على نفسها، وتكون ثانية بالنسبة لموضوعها، وتكون ثالثة بالنسبة لمؤولها، ففي ذاتها تكون علامة وصفية أي إمكانية لعلامة وكعلامة ثانية تكون حقيقية رسم أو أثر، أي ستكون علامة فردية، وكعلامة ثالثة ستكون علامة عرفية، وبالنسبة لموضوعها ستكون إما أيقونة او مؤشرا أو رمزا، وبالنسبة لمؤولها لن تكون إلا فدليلا أي برهانا أي مؤولة باستدلال.

وتنقسم المقولات عند بيرس إلى 27 قسما يختزلها مبدأ تراتبية المقولات إلى 10 ، والرمز يقع في مرتبة "العلامة الفرعية الثالثة لبعد الموضوع تحيل على الموضوع الذي تشير إليه بفضل قانون، أو بفضل أفكار عامة مجتمعة كما يحدث في العادة، إن موضوع الرمز عام كما هو الرمز ولابد أن توجد في الموضوع حالات خاصة (متحققة) للشيء يشير إليها الرمز مهما كانت متخيلة فالرمز يستتبع إذا قرينة ما"[1] وأشار بيرس إلى الرمز المجرد abstract والرمز المميز Singular والفرق بينهما أن الأول يتميز بالطابع العام، أما الثاني فيكون منحدرا عن الرمز الذي يكون موضوعه فردا موجودا، بحيث لا يعني إلا الطبائع التي يملكها هذا الفرد.

إذا الرمز عند بيرس يتعارض مع الأيقونة والمؤشر، ويقصد الرمز إلى إثبات علاقة دائمة في ثقافة ما بين عنصرين، فإذا كانت الأيقونة اعادة الإنتاج عن طريق التحويل(حالة الصورة الشخصية، البورتريه التي تعيد إنتاج انطباع حسي على اللوحة) وإذا كان المؤشر يسمح بالاستدلال عن طريق الاستنتاج (الدخان بوصفه مؤشرا للنار) فإن الرمز يسلك طريق وضع اصطلاح ما، (الميزان بوصفه رمزا للعدالة).[2]

وبالنسبة إلى بيرس فإن العلاقة التي تربط بين الدال والمشار إليه "عرفية محض وغير معللة فلا يوجد بينهما تشابه أو صلة فيزيقية أو علاقة تجاور، يقول بيرس: " **الرمز هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة**"، يعتبر بيرس هذه العلامات هي العلامات الحقة وهي عنده أكثر العلامات تجريدا، ويطلق عليها بيرس في بعض الأحيان تسمية العادات أو القوانين وهي أقرب إلى الكليات منها إلى الحقائق المتحققة، ويمكن القول إن العلامات المفردة هي تجليات للرمز وليست الرمز نفسه [3]

---

[1] جيرار دولودال، مرجع سبق ذكره، ص 36.
[2] سيزا قاسم، **مدخل إلى السيميوطيقا**، الجزء 1، الطبعة 2، القاهرة 1986. ص 172.
[3] المرجع السابق، ص 34.

ومع هذا يمكن القول أن الباحثين يشيرون إلى وجود تداخل بين هذه الأصناف من العلامات المختلفة في وظائفها وفي علاقة عنصريها، فقد تحمل الأيقونة مظهرا رمزيا عرفيا على الرغم من التطابق أو علاقة التشابه التي تكون بين الدال والمدلول أو العلامة وموضوعها، فإنها يمكن أن تحمل بعدا رمزيا عرفيا كذلك الحال بالنسبة للرمز، (الميزان رمز العدالة) فقد نبه دي سوسير إلى وجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول تحمل بعض أجزاء العلامة الأيقونية أو المؤشرية (الدخان مؤشر للنار، علاقة استدلال أو استنتاج).

3- اشتغالات الرمزية

تشمل الرمزية كذلك بالإضافة إلى ما سبق ذكره، كل أنواع **المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة** بما تمتلكه هذه الأنواع من علاقات حاملة لدلالات آخذة في التعقيد بين الأشياء، فالإنسان عندما يحتاج إلى الألفاظ والتعابير لا يجدها جاهزة في اللغة، لذلك نراه يلجأ إلى المجاز وتحميل الألفاظ من الدلالات والمعاني ما لم توضع له أساسا ولعلّ السبب هو افتقار الإنسان إلى الألفاظ التي تعبّر عن مختلف المعاني التي يريدها، وأثبتت هذه الفرضية بالاعتماد على مقولة السكاكي ونظرته إلى المجاز وأهميته في إغناء الوظيفة التعبيرية.[1]

3-1 الرمزية في الصورة:

إن الحديث عن الرمزية في الصورة يمكن أن يتجلى في مجمل الدلالات الرمزية التي يمكن أن تظهر لنا والتي لها علاقة بالثقافة المشتركة، فالأمثلة التي ساقها غي غوتتي في كتابه "**الصورة المكونات والتأويل**" في الفصل المعنون من "الرمزي إلى السيميائي" لها علاقة وطيدة بالثقافتين المسيحية واليهودية، وقد ذهب في تحليله لبعض الصور (المتشابهة في الطرح) إلى حكاية طرد آدم وحواء من النعيم كونها مشتركة بين الثقافتين المسيحية واليهودية.

يقودنا هذا إلى استنتاج أن التحليل غالبا ما يأخذنا إلى ما هو رمزي، وخاصة أن التحليل عند الغرب يأخذ هذا الطابع، ويمكن أن نضرب مثالا على تحليل الصورة الاشهارية التي تظهر على شاشة الهاتف النقال "نوكيا" عند تشغيله مباشرة، وهي صورة لتلاقي يدين، والتي تم تحليلها على أنها محاكاة للوحة "خلق آدم" (اللوحة الشهيرة والدينية من قبل مايكل أنجلو بوناروتي، والتي تقع على سقف كنيسة سيستين في

[1] عبد القادر شرشار، **أهمية اللغة ووظائفها في عمليات التواصل، قراءة في كتاب مدخل إلى التحليل اللساني اللفظ –الدلالة-السياق للعربي**قلايلية ، مجلة إنسانيات، العدد 17-18 ماي-ديسمبر، 2002. ص ص 61-62.

الفاتيكان، تصوّر "فعل الخلق"، حسب تلك الديانة)، واشهار نوكيا يعيد إلى الذهن الله والسماء، ومعجزة الخلق وعبقرية مايكل أنجلو.[1]

لقد أشار غي غوتيي إلى ربط الصورة بما هو رمزي حتى لو كانت الصورة واقعية، إذ يمكن ايقاظ الرمزي أو إحالته والبحث في الدلالات الرمزية والتي تحيل على ثقافة ما أو بعد ديني ما.

فصورة كاتالوغ تظهر المرأة أمام شاطئ البحر مبللة بالماء تحيل على العلاقة بين المرأة والماء والتي تتحقق من خلال "الأسطورة الاغريقية الخاصة بولادة أفروديت والتي ألهمت الكثير من الفنانين الكبار في الغرب"[2]

إن ما هو رمزي يحيل دائما على ثقافة مشتركة وغالبا ما يكون دينيا، وقد قدّم الكاتب أمثلة كثيرة في هذا الصدد لها علاقة بالديانة المسيحية.

وتشير الباحثة **مارتين جولي** إلى أن التأويل هو ما يجعل الصورة طافحة بالمعاني، وهذا ما يحدث مع الصور الرمزية ذات البعد التعاقدي التي تروم التعبير عن مفاهيم مجردة، مثل السلام والحب، والجمال والحرية.

إن خاصية الرمز هنا هو قدرته على ألا يكون قابلا للتأويل، فصورة الحمامة يمكن فهمها على أنها صورة السلام، كما يمكن أن نراها على أنها مجرد صورة حمامة فقط.[3]

2-3 الرمزية الدلالية:

يمكن للرمزية أن تتمثل في الطابع الدلالي للرمز، وهو اغتناؤه عبر التاريخ بمعان عديدة، منها المعنى التماثلي: فالميزان الذي يزين قصر العدالة هو رمز للعدالة، وهنالك المعنى السيميائي: وذلك في استعمالنا للرمز في مجال المنطق والرياضيات.

كما أن هنالك مستوى آخر للرمز: هو **المستوى البلاغي المجازي الذي يستدعي التأويل**، وهكذا فإن للرمز دلالاته المتعددة التي حاول كاسيرر أن يبين بعض جوانبها.

"فالرمز عند آخرين كلمة محصورة في شيء ما يعبّر بطريقة مواربة وبلاغية عن شيء لا يمكن التعبير عنه بطريقة حرفية مباشرة، ولذلك فإن هنالك رموزا في الشعر لكن ليس في الكتابات العلمية".[4]

---

[1] Tsotra et al, **Marketing on the Internet,a semiotic analysis,** proceedings of the Tenth Americas conference on Information systems, New York August 2004. P 4215.

[2] غي غوتيي، **الصورة المكونات والتأويل**، ترجمة: سعيد بن كراد، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، 2012.ص 160.

[3] Martine Joly, **introduction à l'analyse de l'image**, armand colin, 2005.p105.

[4] غيرتزكليفورد، **تأويل الثقافات**، تر: محمد بدوي، الطبعة الاولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009. ص 227.

وعند آخرين غيرهم نجدها تستعمل للإشارة إلى أي شيء أو فعل أو حدث أو صفة أو علاقة تستخدم ناقلا لتصوّر أو مفهوم فالتصور يصبح هو معنى الرمز.[1]

وبهذا المفهوم يكون للرمزية منظومة خاصّة تسير وفقها، تختلف عن العلامة فهي تتميز بالانفتاح، كما يراها بول ريكور "**تقوم بتفجير اللغة على الآخر عوضا عن انكفائها على ذاتها.. إن هذا التفجير هو الإبلاغ والإبلاغ هو الكشف**"[2]

لا تنفصل مسألة الرمز والعلامة في فلسفة ريكور عن منطلقاته الفلسفية الأولى وخاصة مسألة الشرّ واقراره بأن الأنساق الفكرية غير قادرة على تقديم تفسير كاف لمسألة الشرّ، ونتيجة لذلك يلجأ الفكر الإنساني إلى لغة مختلفة وهي تحليل الرموز والأساطير، وبهذا تشكل الرموز لغة غير مباشرة غنية بالدلالة والمعاني ومفتوحة على الآفاق.

يقول ريكور: " أسمّي الرمز كل بنية دلالية أو معنى مباشر وأولي ولفظي ينبني أو يقوم علاوة على ذلك على معنى غير مباشر ثانوي مجازي لا يمكن أن يفهم إلا من خلال المعنى الأول"[3]

والرمزية إذا تقوم بعملية الكشف فسبب وجودها فتح تعدّد المعنى على غموض الذات، وبالنسبة لإيكو "**كل رمز هو علامة توحي بمعنى غير مباشر ومتخيّل**" [4]وفيها يظهر الشكل للمواد المحسوسة لأن ما هو رمزي يحيل على عملية إبداعية للدلالة والمعنى.

في التراث العربي يمكن القول أن الرمزية ارتكزت في العصر الجاهلي على ركنين اثنين هما الإيجاز والتعبير غير المباشر، وفي العصر الإسلامي تمثلت في القرآن الذي جمع بين الإيحاء والوضوح، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تمثّلت مظاهر الرمزية في الشعر والأسلوبية والإيجاز، من خلال استخدام صور التعبير غير المباشر من خلال التشبيهات والاستعارات والكنايات لتذكرنا بالرمزية الغربية، فهي تؤلّف بين الصور المتباعدة وتلمح العلاقات الخفية بين الأشياء وهذه الظاهرة خاصّة من خواص الغربية.

وفي النثر خاصة في الأدب العباسي اعتبر الترميز نتيجة للسياق الذي تميّز بالضغط الفكري والكبت السياسي والضيق الاقتصادي، فكان يستعمل الرمز للنجاة من الأذى.

---

[1] المرجع السابق، ص 228.

[2] الزواوي بغورة، **العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة**، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 35، يناير- مارس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.2007، ص 110.

[3] الزواوي بغورة، مرجع سبق ذكره، ص 120.

[4] أمبرتو ايكو، **التأويل بين السيميائيات والتفكيكية**، تر: سعيد بن كراد، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، 2004.ص 130.

ومن أمثلة الرمزية في النثر في العصر العباسي **كتاب كليلة ودمنة** ورسائل **إخوان الصفاء** والمقامات وألف ليلة وليلة[1].

عند الغرب بدأت الحركة الرمزية في أواخر القرن 19 وكان بودلير رائدا للرمزية في فرنسا، وبورا وفرلينوملارمي أشهر شعراء الرمزية.

كانت الرمزية لونا من ألوان الرومانسية وكان للرومانسية الألمانية والانجليزية أثر كبير في ظهورها بفرنسا، وبالمقارنة مع مواضيع الشعراء في الحب والرحيل، تميز الرمزيون بتوغلهم داخل حقل الفن وحده، وقصروا كشوفهم على نواحي الفكر والخيال.

ويمكن أن نجد بوادرها في الحركة الرومانتيكية التي ظهرت في القرن 18 ونجد ملامح الرمزية في كتابات نوفاليس مثلا Novalis الذي يرى أن الطبيعة رمز كبير وفسيح كما أن الرمز في آخر الأمر تمثيل لنوع آخر من الحقيقة ومن الواقع.[2]

تكون الكلمة أو الصورة رمزا حين توحي بشيء أكثر من معناها الواضح المباشر وبذلك يكون لها جانب أو مظهر (لاشعوري) يصعب تحديده أو تفسيره بدقة وجلاء.[3]

فماهية الرمزية تتلخص إذن في إدراك أن شيئا ما يقف بديلا عن شيء آخر أو يحلّ محلّه أو يمثله، بحيث تكون العلاقة بين الاثنين هي علاقة الملموس أو المشخص العياني بالمجرد، أو علاقة الخاص بالعام.

وذلك أن الرمز هو شيء له وجود حقيقي مشخّص ولكنه يرمز إلى فكرة أو معنى مثل الميزان الذي يرمز للعدالة.

وقد يكون الرمز أفعالا أو حركات أو إشارات وقد يكون شخصا وليس مجرد شيء مادي حي أو غير حي ويتم فهم الرمز بادراك الفكرة التي يرمز إليها، فالشيء المشار إليه بعلامة أبسط بكثير من الفكرة أو المعنى أو التصور المشار إليه برمز.

مدلول العلامة أبسط من مدلول الرمز، فعندما نصادف علامة حمراء في الطريق نفهم أنها للمنع أما اذا رأينا علما أحمر لدولة ما أو هيئة يصبح المدلول معقدا لأنه حينئذ يرتبط بإيديولوجيات معينة ويدل على نظام سياسي واقتصادي ويحمل مشاعر وعواطف وتصورات فكرية..[4]

---

[1] سيد أمير محود انوار، غلام رضا كلجين راد، الرمزية في الأدبين العربي والغربي، التراث الأدبي، السنة 2 العدد السادس، ص 71.
[2] أحمد أبو زيد، **الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي**، مجلة عالم الفكر، ، المجلد 16، العدد 3، وزارة الإعلام، ، الكويت.أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر 1985.ص9.
[3] المرجع السابق، ص 4.
[4] المرجع السابق، ص 5.

إن الرمزية تحمل دلالتها من خلال ما تظهره معانيها في اتساق مع مستعمليها، ونجد مثلا في مختلف أنواع الرموز يحتوي الموضوع الخارجي في ذاته ومنذ البدء على المعنى الذي وظف لتمثيله فهو ليس علامة اعتباطية ولا يستعمل كيفما اتفق، بل هي علامة تتضمن في خارجيتها بالذات مضمون التمثل الذي تظهره.[1]

وبإمكان اللغة امتلاك الآلية الرمزية للربط بين الرموز والأشياء فالكلمات ترمز كما تدل في نفس الوقت، إذ أن الاستعمال الملتوي للكلمات (بواسطة الاستعارات البلاغية) أو للجمل (بالتضمين والإيحاء) ليس شيئا آخر سوى الربط بين معنى حاضر (بفضل داله) ومعنى آخر غائب، وهذا ما يفسر القرابة التي من السهل ملاحظتها بين الوقائع الرمزية داخل اللغة وخارجها، وكذا إمكانية تصنيف الوقائع الرمزية غير اللفظية، إذا أردنا من خلال ألفاظ المجاز والاستعارة والتشبيه **والتهكم**.[2]

وبهذا **تعتبر السخرية والصورة الساخرة** عموما من الوقائع الرمزية والرمزيات المختلفة للأشياء والأحداث والأشخاص، وتعتبر الأنساق الرمزية ذات تأثير على الكائنات الإنسانية فالرمزيات هي التي تحركنا لتحقيق الإغراء والشعور بإحساس قوي والفوز بمشاركة الآخرين.

السلوك الرمزي العام وسيلة للاتصال، بشرط الانتماء إلى جماعة مشتركة، تكون فيها أوضاع متفق عليها، ويرى بيرس أنه توجد الوظيفة الأيقونية والاشارية والرمزية وهي لا تمثل أجناسا من العلامات ولكن وظائف، ولذا فإن التداخل بينها وارد، كما أنه لا وجود لأيقونة وإشارة خالصة.

إن الإنسان لديه تلك القدرة على إنشاء تمثيلات واستخدامها، فالتحول الرمزي لعناصر الواقع أو التجربة إلى مفاهيم هي العملية التي يتم بواسطتها اكتمال القدرة المعقلنة للفكر التي ليست مجرد انعكاس للعالم، فهو يمقول الواقع وفي هذه الوظيفة المنظمة يرتبط الفكر بشكل واسع باللسان..[3]

ويؤكد كارل يونغ على اعتباطية الرمز فهو يستمد قيمته من الاستخدام ومما اصطلح عليه المجتمع فالمجتمع هو الذي يضفي على الأشياء المادية معنى فتصبح رموزا.

وكان باخوفن يرى أن التاريخ امتداد للأسطورة ويظهر دور الأسطورة في هذا الصدد في أنها تعتبر في نظره أساسا لمعرفة الظروف والأوضاع التي كانت سائدة، في ذلك الماضي الأسطوري السحيق.

---

[1] محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، اللغة، سلسلة دفاتر فلسفية، الطبعة 4، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005.ص28.
[2] محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، مرجع سبق ذكره، ص 35.
[3] المرجع السابق، ص 67.

3-3 الرمز الذاتي أو النفسي، المتعلق بالفرد:

يثير الشيء الرامز في الذهن الحقيقة التي يمثلها، فيصبح سلوك الإنسان واندفاعه مرتبطا بالشيء نظرا للرمزية التي يحملها، مثل الموت في سبيل العلَم، والذي يعني الموت في سبيل الوطن ولكن يصبح العلَم هو الشيء الأكثر قداسة والذي يستدعي من الجندي مثلا استرداده من الأعداء والموت إن تطلب الأمر في سبيل استرداده.فكأن التعبيرات الجماعية عن احتياجات المجتمع وعن العواطف التي تنظم سلوك أعضائه تؤلف نسق الرموز التي يتمسك بها المجتمع باعتبارها أحد العناصر الأساسية في وحدة المجتمع وتضامنه[1].

يقول ليتش بأن الرمزية لغة سلوكية أول ما يميزها أن وحداتها الرمزية يكون لها معنى واحد مشترك، بين الفاعل والمتلقي، فإشارة شرطي المرور مفهومة لدى الجميع وبهذا تكون الرمزية ملكا عاما، ومصدرها ليس نفسيا أو من عوامل نفسية بل من قاعدة ثقافية، ذات طابع قانوني أو ديني.

ويرى آخر أن هدف الرمزية الخاصة هو التعبير عن الحالة العاطفية أو الانفعالية للفرد الذي يصدر عنه السلوك الذي نعتبره رمزا لهذه الحالة، بينما هدف الرمزية العامة هو تحقيق التواصل والاتصال بين أعضاء المجتمع.

خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الرمز في السيميولوجيا أو السيميائية له خصوصيته مقارنة بمجالات معرفية أخرى، فهو علامة ذات طبيعة خاصة، ترتكز على الاتفاق أو الاعتباطية سواء عند دي سيوسير أو بيرس، إذ نجده عند دي سوسير مرادفا للعلامة اللسانية التي تكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، وعلاقة الممثل مع المؤول علاقة اعتباطية كذلك في سيميائية بيرس، ويراه كاسيرر وسيطا بين الإنسان وعالمه الخارجي، إلى الدرجة التي جعلت من الرمز مكونا ضروريا لتمييز الإنسان عن غيره من الكائنات، ومن ذلك تتضح أهمية الرمزية المنبثقة عن فهمنا للرمز، والتي تشير إلى صيرورة استعمال الرمز، مما سمح لنا باستنتاج الرمزية الدلالية، واستعمال السخرية والتهكم كأفعال غير مباشرة تأخذ طابعا رمزيا كما أشار إلى ذلك تودوروف، وكل دلالة أو معنى مباشر يمكن أن يؤدي إلى معنى غير مباشر مجازي وثانوي لا يفهم إلا من خلال المعنى الأول حسب بول ريكور.

[1] أحمد أبو زيد، مرجع سبق ذكره، ص 16.

قائمة المراجع:

1- أبو زيد أحمد ،**الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي**، مجلة عالم الفكر، المجلد 16، العدد 3، وزارة الإعلام، الكويت. أكتوبر–نوفمبر–ديسمبر 1985.

2- انوار سيد أمير محود ، غلام رضا كلجين راد، الرمزية في الأدبين العربي والغربي، التراث الأدبي، السنة 2 العدد السادس. د.ت

3- ايكو أمبرتو ، **التأويل بين السيميائيات والتفكيكية**، تر: سعيد بن كراد، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، 2004.

4- إيكو أمبرتو ، **العلامة تحليل المفهوم وتاريخه**، تر: سعيد بن كراد. الطبعة 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان. 2010.

5- بغورة الزواوي، **العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة**، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 35، يناير– مارس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.2007

6- بن كراد سعيد،**مسالك المعنى، دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية**، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريا، 2006.

7- تودوروف تيزفيتان ، **نظريات في الرمز**، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة 1، بيروت، 2012.

8- الخويلدي زهير ، **الأنظمة الرمزية ومطلب التواصل**، الحوار المتمدن، العدد 2876، نشر في 2010/1/2. على الموقع http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=197620&r=0

9- درويش سعيد، محمد محفل، عبد الله السيد، **الرمز والرمزية في الفن التشكيلي**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 29، العدد 1، 2013.

10-دولودال جيرارد ، **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة: عبد الرحمان بوعلي، الطبعة الأولى، دار الحوار، سوريا، 2004.

11-دي سوسيرفردينان ، **علم اللغة العام**، تر: يوئيل يوسف عزيز، الطبعة 3، دار آفاق عربية، بغداد.1985.

12-سبيلا محمد، بنعبد العالي عبد السلام ، اللغة، سلسلة دفاتر فلسفية، الطبعة 4، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005.

13-شرشار عبد القادر، **أهمية اللغة ووظائفها في عمليات التواصل، قراءة في كتاب مدخل إلى التحليل اللساني اللفظ – الدلالة–السياق للعربي**قلايلية ، مجلة إنسانيات، العدد 17–18 ماي–ديسمبر، 2002.

14-شيباني عبد القادر فهيم ، **فلسفة الأشكال الرمزية**، فلاديليا الثقافية، العدد الخامس، 2009.

15-صبطي عبيدة، بخوشنجيب ، **مدخل إلى السيميولوجيا** ، ط1، دار الخلدونية، 2009.

16-عبد الله ثاني قدور، **سيميائية الصورة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.2005.

17-علوش سعيد ، **معجم المصطلحات الأدبية**، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني بيروت، وسوشبريس الدار البيضاء، المغرب. د.ت

18- عماد عبد الغني ، سوسيولوجيا الثقافة: **المفاهيم والاشكاليات من الحداثة إلى العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

19-غوتيي غي ، **الصورة المكونات والتأويل**، ترجمة: سعيد بن كراد، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، 2012.

20-فاخوري عادل ، **تيارات في السيمياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، نوفمبر 1990.

21-فيليب ، **الرموز في الفن الأديان والحياة**، تر: عبد الهادي عبّاس، الطبعة الأولى، دار دمشق، سيرنج دمشق، 1992.

22-قاسم سيزا ، **مدخل إلى السيميوطيقا**، الجزء 1، الطبعة 2، القاهرة 1986.

23-كليفوردغيرتز ، **تأويل الثقافات**، تر: محمد بدوي، الطبعة الاولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.

24-المسدّي عبد السلام ، **اللسانيات وأسسها المعرفية**، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، أوت 1986.

25-يخلف فايزة ، سيميائيات**الخطاب والصورة**،الطبعة1،دار النهضة، لبنان 2012.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- FiskeJohn, **television culture**, first publihed by Mathuen and co, Ltd, London, 1987. P 4.

2- JolyMartine, **introduction à l'analyse de l'image**, armand colin, 2005.p105.

3- Tsotraet al, Marketing on the Internet,asemioticanalysis, proceedings of the Tenth Americas conference on Information systems, New York August 2004. P 4215.

العقل السياسي العربي و" نظرية المؤمرة ".

د/ طيفوري رحماني بوزينة أحمد ـ جامعة علي لونيسي ـ البليدة 2 ـ الجزائر.

ملخص:

لا شك أن مفهوم " نظرية المؤامرة" قد مارس ولا يزال، دورا معوقا لتطور المجتمعات العربية وتلمس طرق خروجها من التأخر المديد الذي تقيم به. فقد ساهم هذا المفهوم من خلال تجلياته على العقل والفكر والممارسة، في إعاقة المجتمعات العربية عن الدخول في الحداثة ومواكبة العصر والإفادة من منتجاتها.

ومن خلال كل ما أثير من نقاش والجدال عن المفهوم "نظرية المؤامرة"، نحن بدورنا سنتناول في هذا البحث ابعاد المفهوم، وكيف استطاع ان يسيطر على العقل السياسي العربي؟ وماهي مخاطر هذا المفهوم على العقلية العربية؟

الكلمات المفتاحية: المؤامرة، العقل السياسي، المجتمع العربي، النقد الذاتي، الحداثة.

abstract :

No doubt that the concept of "conspiracy theory" has and continues to play an obstacle to evolution of Arabic communities and touching ways out of long delays that resides there. This concept has contributed through its manifestations on the mind, thought and practice in disability Arabic communities enter into modernity and keep up with the times and take advantage of their products. Through all the talk and raised controversy about the concept of "conspiracy theory", we're having in this research dimensions, and how to control the Arab political mind? What are the risks of this concept on the Arabic mentality ?

مقدمة:

غالبا ما يعزو العرب والمسلمون المآسي التي تحل بهم، إلى الأعداء في الخارج أي إلى الغرب المسيحي والصهيونية الدولية. ولا شك في ذلك أن دولا قوية وشركات اقتصادية هائلة تسعى إلى احتلال مواقع تضمن مصالحها في البلدان المتخلفة بالتدخل في شؤونها على نحو مباشر أو غير مباشر. فالمناورات والدسائس الأجنبية أمر واقع، ولا ريب. إلا أن ذلك لا يصلح لأن يكون تفسيرا دائما لكل شيء، لا سيما إن ذلك التدخل لا يمكن أن يحالفه النجاح إلا بفضل التأييد الذي يلقاه من البعض في الداخل لأن هذا الداخل قابل لنجاح مثل ذلك التدخل.

أن قصور نظرية التآمر تلك، رغم وجود أدلة والبراهين قاطعة عليها، يمكن في كونها تحول دون ممارسة النقد الذاتي، وهي ممارسة نادرة الوجود في العالم العربي الذي هو بداية الخلاص والسلامة.

إن إلقاء اللوم والتبعات على الخارج، تعني تبرئة المنظومة السياسية العربية من كل مسؤولية. والعالم عموما لا يجد غضاضة في التمسك بذلك الوهم، ولا يستغرب إذا لجأت هذه المنظومة السياسية في استخدام هذا الوهم واستغلوه إلى أقصى حدود الاستغلال. ورغم ذلك لا يقتصر هذا الوهم على الفكر العربي فحسب، بل حتى الأنظمة الديموقراطية لا تنجو من إغراء هذا الوهم، ففي الولايات المتحدة يسود الاعتقاد بان الأزمة الاقتصادية ناتجة عن المنافسة اليابانية غير المشروعة كما يسود الاعتقاد في البلدان المتقدمة الأوروبية ان تلك الأزمة سببها العمال المهاجرون. غير ان هذه الآراء في البلدان المتقدمة هي مجرد أراء بين أخرى كثيرة غيرها تناقضها، فالصحافة تحفل بمثل هذه الآراء التي تذكر على الدوام بالمسؤوليات الداخلية.

من خلال هذه الدراسة سيحاول الباحث قراءة بعض المحطات التاريخية ماضيا وحاضرا في تفسير للأحداث وتعليل للهزائم التي منيت بها الحضارة العربية الإسلامية، بوصفها نتيجة المؤامرات التي تعرض لها العرب والأطماع الأجنبية في السيطرة على الأراضي والموارد العربية. تحمل هذه الإحالة في تفسير التاريخ الى العوامل الخارجية اخطارا وأخطاء فكرية وسياسية، لا يمكن بالتأكيد إغفال دور المؤامرات الخارجية في صنع الأحداث الداخلية أو التأثير فيها، وهو أمر يشهد عليه التاريخ. لكن هذه الإحالة في العقل السياسي العربي توظف في تغييب المسؤولية الذاتية وعدم تشخيص الأسباب الحقيقية للعجز التي تسمح للمؤامرة بالمرور والنجاح.

مفهوم "نظرية المؤامرة":

تعتبر "نظرية المؤامرة" من النظريات التي أثرت في الشعوب بطريقة مباشرة او غير مباشرة، ومن بينها "نظرية المؤامرة"، والتي تعرف في الموسوعة العربية العالمية هي: "اتفاق بين شخصين أو أكثر للقيام بعمل ما ضد القانون، وقد يكون هذا العمل ضد الأشخاص العادين أو الاعتباريين (المؤسسات أو الهيئات) **(الموسوعة العربية العالمية 1999)**.

وكذلك تعرف "المؤامرة " في الموسوعة ويكيبيديا هي عدم تفسير الأمور حسب المعطيات الواقعية والمنطقية المتوفرة أو المستنتجة، وتفسيرها على أساس أنها من فعل شخص أو جهة منافسة تبقى دائما محصورة بفكرة يحملها معه في كل وقت **(موسوعة ويكيبيديا 2008)**.

ومفهوم "المؤامرة "مفهوم غامض يقتضي قدرا من التخمينات، ولذلك يقال انه ليس من المؤامرة تلك الاحداث الحقيقية الواضحة، وبالتالي هو مفهوم قديم قدم البشرية، وقد جاءت الكتب السماوية والآثار التاريخية تروي عن الأمم السابقة بعض حوادث التآمر.

والعالم العربي ليس استثناء حيث ظل يربط كل الاحداث الحاصلة بالمطامع الاستعمارية الأوروبية وبالمصالح الصهيونية الهادفة لإعاقة نهوض الدول العربية، والساعية للتحكم في حياة شعوبها. وتوجه الاتهامات عبر تلك النظرية عادة للقوى المتآمرة، وغالبا ما يتم رفض أي نقاش فيما يتعلق بإمكانية وجود بواعث ودوافع وخلفيات أخرى، داخلية كانت ام إقليمية، قد تكون أساسا لكل ما حدث، أو ان يتم تهوينها أو عدم اعتبارها امام حجم المؤامرة.

وأول بروز لمصطلح "نظرية المؤامرة "بمفهومه العام، كان في عام 1920م، ليتم تداوله بشكل أوسع منذ عام 1960م. ودخل المصطلح في ملحق قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية سنة 1997م.أما أين يترعرع هذا المفهوم ؟، يؤكد علماء الاجتماع السياسي أن بنية مفهوم المؤامرة يترعرع في المجتمعات المنعزلة او المعزولة، وتلك المجتمعات التي تضعف فيها القوة والمشاركة السياسية، وبين الاقوام الذين لا حول لهم ولا قوة. وهنا يقول حسن الخشن " إن من مفاعل عقدة المؤامرة المتحكمة في ذهنينا، ان نستغرق في قراءة واقعه وخططه وبرامجه، لأننا مسكونون بهاجس التآمر والخيانة، وهو ما يحجب عنا الواقع على حقيقته، إن علينا في داخل واقعنا الإسلامي ان لا نتحرك على أساس الهواجس وعقدة الخيانة وان لا نصدر الاحكام التكفيرية وفتاوي إباحة الدم على أساس النوايا والانطباعات الخاصة".

ولهذا أصبحت العقلية العربية المعاصرة، تؤمن بنظرية المؤامرة التي تريح من مشقة البحث عن الأسباب، وتغني عن نقد الذات، ومن عناء التفكير المنطقي في مجريات الأمور، وتغذي الشعور بأن العرب ضحايا لأعداء متآمرين لولاهم لكان وضعهم أفضل بكثير مما هو قاتم الآن، ولينحصر الاعتقاد في ان الغرب يتآمر على العرب ليسلبهم ثرواتهم ليكونوا متخفين، وليجعلهم مفعولا بهم بدلا من فاعلين، وليطعنهم في دينهم الذي هو اسمى ما يملكون.

و يمكن القول بأن المفهوم قد ظهر بوضوح في محيطنا العربي مع احتلال اليهود لفلسطين، و تواطؤ بعض المعنيين من العرب في تهيئة الظروف لهذا الاحتلال **(موفق صادق العطار2006، ص54)**، ثم زاد ظهوره بقوة مع هزيمة 1967م، و القول بان الأرض العربية التي جرت إضافتها الى الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام 1967م قد بيعت في تلك الحرب ، و ان هناك تواطؤ أيضا لحدوث ما حدث يأتي هذا الشعور بالتواطؤ من خلال ضعف أو قل إن شئت : انعدام الثقة بالمؤسسة السياسية ،كما مر نقاشه ، و النظر إليها من منطلقات فكرية لم تعن على أي نوع من أنواع التقارب بين القاعدة الشعبية و القمة السياسية. **(سعد جمعة 1968م، ص163-177)**

كانت هناك ولاتزال كتب كثيرة تحدثت عن هذه الادعاءات ومنها الكتاب الذي جاء على غلافه صورة زعيم عربي ينحدر مسرعا من مرتفع وقد ضم في يده كيسا من النقود. و يذكر المستشرق الألماني فريتس

شتيبات (1923- 2006م)،أن جمال عبد الناصر كان " في عام 1967م ضحية مؤامرة أمريكية إسرائيلية في سياق الحرب الباردة و الصراع العربي – الإسرائيلي. وبرأي شتيبات، لم يشأ عبد الناصر القيام بحرب في عام 1967م بل تحقيق مكاسب سياسية. لكن الاتحاد السوفياتي ورطه في حرب كان يعرف (أي الاتحاد السوفياتي) سلفا أنها ستكون كارثة على الزعيم المصري. كانت موسكو تعتقد أن عبد الناصر سيكون ضعيفا جدا بعد الهزيمة وأكثر انقيادا لها"(**عبد الرؤوف سنو2008، ص536**).

ويتبع هذا الهاجس ما قيل من أن جمال عبد الناصر مات مسموما، وأن حافظ الأسد تعرض لمؤامرة من قبل الموساد عند تشييعه لجنازة الملك حسين في الأردن، فقد كان المخبرون حاضرين في المناسبة، وكانوا يلبسون ساعات تقيس ضغط القلب. كل هذا لتضخيم قدرات المخابرات الإسرائيلية وإمكاناتها.

ثم توالى طرح المفهوم مع الاغتيالات السياسية مثل اغتيال الرئيس المصري الراحل أنور السادات الذي أظهر في نهاية عهده قدرا من الحدة في الخطاب إلى درجة الإفصاح في إحدى خطبه المتأخرة عن "لا سياسة في الدين و لا دين في السياسة "و إلى درجة التهديد ب"فرم" من يقف في طريقه، مما جعل المؤمنين بهاجس المؤامرة في كل شاردة وواردة يربطون بين هذه الحدة غير المسبوقة و حادثة اغتيال الرئيس. يقول غازي القصيبي :"لأنصار نظرية المؤامرة أن يبحثوا عن العلاقة ،إن كانت هناك علاقة ، بين انفعال السادات العلني و بين مصرعه الذي تم في ظروف مريبة جدا "(**غازي القصيبي 2006، ص70**).

"المؤامرة" وتفسير سيرورة التاريخ العربي:

تستحضر المؤامرة في تبرير انهيار الحضارة العربية الاسلامية بعد التوسع والازدهار الذي عرفته في القرون الوسطى. فالحقد الغربي على العرب والإسلام كان وراء الحروب الصلبية التي ساهمت في تدمير هذه الحضارة. ولكن يتجاهل العقل العربي ان الانهيار لم تقتصر عوامله على التدخلات الخارجية فقط، وانما يعود في أسبابه الرئيسية الى التناقضات والصرعات الداخلية على السلطة مما ساعد في إضعاف السلطة المركزية وبالتالي انحلالها. هذا إضافة الى تراجع الموارد وتقلصها مما أثر سلبا على الاقتصاد، وهي أمور أدت الى " هرم الدولة " وفق تعبير ابن خلدون وبالتالي إلى انهيارها.

للعقل " المؤامراتي" تفسيره الخاص للسيطرة الاستعمارية على المنطقة العربية. ولم يخف الاستعمار أهدافه التوسعية ماضيا وحاضرا، من أجل السيطرة على موارد المنطقة خاصة النفط منها، كما ان هذا الاستعمار اقام " دولة إسرائيل "في إطار مشروعه للهيمنة على المنطقة وأعاق مشاريع الوحدة العربية. لكن العقل العربي يغيب الأسباب التي شكلت دائما ولاتزال الممرات اللازمة لاختراق السيطرة الاستعمارية على المنطقة والقنوات الداخلية التي مكنتها من بسط نفوذها.

ولهذا جوبهت العلاقة العربية مع الغرب منذ مطلع القرن الماضي وحتى اليوم بتهمة المؤامرة. فقد طرح رواد النهضة أواخر القرن التاسع عشر ضرورة الاستفادة من علوم الغرب وحضارته، وشدد سائر الرواد على امتداد القرن العشرين على أهمية الدخول الى العصر عبر الثورة العلمية والتكنولوجية كأحد شروط تجاوز تخلفنا. وعلى رغم ان منجزات هذه الثورة باتت في هذا التقدم العلمي مؤامرة لا وظيفة لها سوى تدمير ثقافتنا وقيمنا وحتى ديننا، بل لا تتورع هذه الأصوات عن الإصرار على وجوب القطيعة مع الغرب **(خالد غزال2008، ص169)**.

و تفسير "المؤامراتي" لم يستخدم على مستوى الفكري فحسب ، بل على المستوى السياسي أيضا و هذا مع تكون النظام السياسي العربي في الخمسينيات من القرن الماضي ، و الذي اتخذت " المؤامرة "وظائف أيديولوجية و سياسية فباتت جزء من عقيدة السلطة، و صنفت كل الهزائم التي منيت بها الأنظمة العربية على انها حصيلة مؤامرة استعمارية ، فيما جرى تغييب العوامل الداخلية للهزائم .و بما ان هذه الهزائم فعل مؤامرة على الأنظمة القائمة وعلى حكامه ، بات الإصرار على عدم المس بالنظام و قيادته و الامتناع عن محاسبتهم افضل الوسائل لإجهاض هذه المؤامرة.

ولهذا وجدت الأنظمة العربية ضالتها في نظرية المؤمرة وسيلة لتكريس السلطة الفوقية ومنع أي تغيير، تحت حجة مجابهة المؤامرة الخارجية الاستعمارية، ومنها باتت المطالبة بالدعوة الى الحرية والديموقراطية والمساواة مطالب مشبوهة وتمس بالأمن القومي للدولة، لأن هذه المطالب تحول الاهتمام عن تجنيد القوى الشعبية للتصدي لهذه المؤامرة. اما المظاهرات والتحركات الساعية الى تحسين الأوضاع الاجتماعية فليست سوى مؤامرة هدفها تقسيم الشعب وزعزعة الوحدة الوطنية مما يستوجب التصدي لها. وينسحب منطق المؤامرة على العمل السياسي وحق الأحزاب في الممارسة السياسية، فيجري وسمها بالخطر لأنها تسمم أفكار الشعب بالمبادئ الهدامة المستوردة من الخارج.

لم يقتصر استخدام " أيديولوجيا المؤامرة "على الأنظمة العربية، بل كانت أيضا في صلب الخطاب السياسي للحركات الحزبية في العالم العربي. امتازت الحركات والأحزاب القومية واليسارية والدينية بقاسم مشترك فيما بينها ألا وهو غياب الديموقراطية عن هويتها الفكرية وعن ممارستها العملية على حد سواء. أدى هذا الغياب الى مسلكين يصبان في هدف واحد، يتناول الأول العلاقات الحزبية الداخلية حيث ينظر الى الاختلاف في الرأي أو معارضة القرارات الحزبية بمثابة تمرد تقف وراءه مؤامرة تستهدف وحدة الحزب والحركة، فيما يتصل المسلك الاخر بنظرة الأحزاب الى بعضها البعض، وهي نظرة تضمر كل واحدة منها وجود مؤامرة تهدف الى تقليص الموقع أو الإطاحة به **(بوحنية قوي، واخرون 2011، ص384)**.

هكذا صنفت الأحزاب القومية الدعوة الى الديموقراطية شرطا لتحقيق الوحدة العربية على انها مؤامرة قطرية تهدف الى منع تحقيق الوحدة. كما باتت كل مطالبة بنقاش عقلاني للصراع العربي الإسرائيلي وتعيين أسباب هزائم العرب ومحاسبة الذات على انها مؤامرة صهيونية – أمريكية تهدف الى نشر اليأس والإحباط في نفوس الجماهير. كما بات أي نقد للأحزاب اليسارية والاشتراكية مؤامرة يقودها اليمين والرجعية لمنع التغيير الثوري، أما الأحزاب والحركات الدينية فلا تجد حرجا في وصم كل دعوة الى حرية الاعتقاد والتدين ومنع الاكراه فيهما بمؤامرة ضد الدين ودعوة للعلمانية الملحدة. كما ترى هذه الحركات في سائر الأديان الأخرى خطرا يستوجب المحاربة.

العولمة والعرب و"نظرية المؤامرة":

أدت العولمة الى تعميق مأزق هذه الدعوات فجرى التعاطي مع هذا المفهوم على انه ذروة المؤامرة، ولم يكلف هذا العقل العربي نفسه قراءة العولمة موضوعيا بوصفها مرحلة متقدمة من التطور البشري تعبر عن ثورة الاتصالات والتكنولوجيا والاختراعات العلمية من دون ان يغفل الآثار السلبية التي تصاحب كل تطور وتقدم، ومن دون ان يتجاهل أيضا الاستغلال الأمريكي لهذه العولمة في فرض سيطرته العسكرية والاقتصادية. وبدلا من بحث عربي يتناول كيفية توظيف منتجات العولمة في نهضتنا وتطورنا **(عبد القادر حاتم 2005،ص 51)**، نحا قسم كبير من العقل العربي الى رمي العولمة بتهمة الغاء الذات العربية والهوية الثقافية والدينية والحاقها بالثقافة الغربية. وهنا يبتعد هذا العقل عن تفسير هشاشة " ذاتنا العربية "الخائفة دائما من الاحتكاك بالآخر، كما يصعب عليه تجرء على نقاش سلبيات العولمة ليمكن تفاديها.

ولكن الذين ينفون مفهوم المؤامرة لا يخرجون عن إثبات قيام جهد ما مرتب لأغراض معلومة لدى من يقومون بهذا الجهد المرتب، ويمكن أن يسمى هذا الجهد أي شيء سوى أن يسمى مؤمرة. وفي هذا مغالطة لفظية للذات وللمتلقي، لا تلغي وجود المفهوم وإن جرى التعبير عنه بألفاظ مختلفة. يقول جورج طرابيشي: "صحيح أن بعض الكتاب العرب باتوا يتحاشون استعمال لفظ المؤامرة منذ شهدت الثقافة العربية نوعا من التعرية النقدية لهذا المفهوم، ولكن منطق المؤامرة – وليس بالضرورة لفظها – هو الذي يمكن استقراءه من خلال المرادفة السائدة في الخطاب العربي المعاصر حول العولمة، بين العولمة والامبريالية بإطلاق، والامبريالية الأمريكية بتخصيص". **(جورج طرابيشي 2000، ص168 –174)**.

وهذا ما نلاحظه من خلال ممن ناقشوا مفهوم العولمة من منطلق فكري وثقافي يرفضون العولمة ويرون أنها ذات اتجاه واحد، وهي لا تعدو أن تكون تعبيرا ملطفا لمفهوم الهيمنة والامبريالية من طرف واحد، فمعظم هؤلاء المفكرين لم يستطيعوا الانعتاق من ان العولمة هي شكل جديد من أشكال مفهوم المؤامرة أو

لباس ملطف من ألبسة المفهوم، سواء أكان ذلك من منظور اقتصادي أم من منظور ثقافي، بحيث طفقنا نقرأ لمفكرين عرب و غير عرب تركيبات توحي بالهيمنة الغربية على بقية العالم، و إن بالعنف في أحيان كثيرة، حتى الثقافة نفسها لم تسلم من هذا العنف، فيتردد الآن في الأوساط الثقافية تركيبات مثل :"الاستعمار الثقافي "و "الهيمنة الثقافية "و " العنف الثقافي ".(**عبد الإله بلقزيز 2007،ص318**). بل يضيف هذا الأخير بالقول " ليس صحيحا أن العولمة الثقافية هي الانتقال من حقبة – ومن ظاهرة–الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، على نحو ما يدعي مسوقو فكرة العولمة الثقافية، بل إنها –بالتعريف – فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف –المسلح بالتقانة – فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة "(**نفس الرجع، ص515**). ومن هنا قامت الدعوة إلى رفض العولمة على اعتبار أنها لعبة مميتة أو مؤامرة تفضي إلى موت المثقف بل إلى قتله، وأن الحديث عن العولمة، على اعتبار أنها لباس من ألبسة المؤامرة هو حديث عن الموت والفناء والانتحار، كما ينقل جورج طرابيشي عن الطاهر لبيب. (**الطاهر لبيب 1999، ص 20-21**).

والعولمة كأي حادث يبرز من المفكرين منهم من يرى فيها لإنقاذ والخروج من المأزق الحضاري والفكري الراهن على العالم كله، بما فيها العالم العربي، ويرى آخرون أنها استعمار جديد بلباس جديد، ولن تخرج عن كونها تعبير عن منهج للهيمنة على العالم، بدليل أنها غالبا ذات اتجاه واحد، ولا تحفل بالمستهدف إلا من حيث كونه مستهدفا. والمؤكد أن لا أحد يستطيع الادعاء انه يملك حلا سحريا لتعديل صورة المستقبل، أو حتى يملك الرؤية الشاملة للخروج من المأزق الذي تمر به المجتمعات العربية. بل أكثر من ذلك، فإن محاولة الإجابة الشاملة على التحديات المطروحة هي جزء من تكريس الهوة والعمل على زيادتها خاصة أننا أصبحنا نعيش في عالم لا يحتمل الشمولية واليقين المطلق في أي من مجالاته. وفي هذا السياق، نستطيع القول: إن محاولة الإجابة عن أسئلة المستقبل بأدوات الماضي، هي شكل من الاستعصاء الذي لا يمكن الخروج منه، وهوما يعيد إنتاج الهوة بيننا وبين العالم. ومن جهة أخرى، فإن شيوع فكرة المؤامرة في الثقافة العربية يعود –في الغالب – إلى أن " العقلية العربية " عقلية اتكالية تراهن على الآخرين في تحقيق مصالحها، وعندما تفشل هذه المراهنات يجري الحديث عن " المؤامرة والخيانة". والخطورة تكمن في أن شيوع فكرة المؤامرة يؤدي إلى استمراء أغلب العرب لعب دور الضحية، وبالتالي عدم الاعتراف بالمسؤولية والركون إلى الإحباط واليأس بدعوى أن الجميع يتآمرون علينا. ويبدو أن الأنظمة السياسية العربية عموما، تعمق هذا التصور المريض في داخل ذهنية بعض أفراد مجتمعاتنا،

لتخفي من خلال ذلك نهبها لطاقات أوطانها، وزيادة سيطرتها على ثرواتها ومواردها التي تشكل قاعدة النهوض والتطور والتنمية.

والواضح أمامنا أن هناك حقيقتين يعايشهما الناس في مجتمعاتنا العربية حسب الكاتب نبيل علي صالح: أولاهما، الشعور العام بانعدام آفاق التغيير والإصلاح نتيجة السياسات الفوقية المشوهة التي طبقتها النخب السياسية والاقتصادية العربية المشوهة كذلك عبر العقود الماضية، والتي تحظى برضى المصالح والفساد والاستبداد السياسي والتخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه اجتماعنا السياسي (**عبد تركماني 2017، ص45**).

إن هذا النوع من الخطابات، الماضوية والمؤامراتية، يعجز عن تفسير تفشي الفقر والفساد وتهميش المجتمعات، أو تفسير ضعف العلاقات العربية البينية وتعثر مؤسسات العمل العربي المشترك. وهي تحاول أن تسطح حال الأزمة في التعاطي معها باعتبارها معطى طبيعيا وعاديا، في محاولة منها لحجب دور العوامل الذاتية في توطين الازمات وتفاقمها في العالم العربي.

مخاطر غياب الوعي النقدي الذاتي:

يترتب على غياب الوعي النقدي الذاتي آثار خطيرة، على رأسها نجاح الدول والمؤسسات التي يتمتع قادتها وأفرادها بقدر كاف من الوعي النقدي الذاتي، في السيطرة على الدول والمؤسسات التي يغيب عنها النقد الذاتي عن قادتها وأفرادها، والتاريخ مليئا بالشواهد منها:

صراع الغرب مع الدولة العثمانية، وكان كلما وصل إلى سدة الخلافة من يعي أبعد اللعبة السياسية يؤخر كيد الأعداء، كعبد الحميد الثاني الذي أدرك أبعاد كثير من تحركات القوى الخارجية، وكشف المطامع الأوروبية في دولة الخلافة، وتمكن بدهائه من بناء شبكة من التحالفات، وإشغال القوى المتصارعة فيما بينها مستخدما تناقضاتها وتضارب مصالحها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، بحيث أدى إلى تأخير سقوط الدولة، كما يرى كثير من دارسي التاريخ السياسي المعاصر.

وكان كلما وصل إلى سدة الحكم من يغيب عنده الوعي النقدي الذاتي المطلوب كلما تمكن العدو من الأمة ومقدراتها، ومن هؤلاء السلطان العثماني محمد رشاد الذي لم يحط علما حتى بحدود دولته وأقاليمها، ومما يروي –سماعا – في ذلك إن أحد مساعديه أبلغه أن الجيش العثماني وصل إلى (خان يونس) لمواجهة الإنكليز في مصر، فحسب الخليفة أن يونس هذا رجل يملك خانا واستضاف الجيش فيه، فأمر بإرسال برقية شكر باسمه ومكافأته على عمله النبيل، وفاته أن خان يونس هي إحدى مدن الخلافة في فلسطين. وبالتالي كلما وصلت شخصية هزيلة وضعيفة وغائبة الوعي النقدي الموضوعي كهذه ساهمت

في اضعاف الأمة إلى تمكن الغرب الأوروبي من تقويض الخلافة الإسلامية بكاملها. **(صلاح الدين رقة دان2002، ص49)**

ويمكن إجمال بعض الآثار المترتبة على غياب الوعي النقدي في تفسير سنن الحياة فيما يلي:

ـ عدم فهم اللغة السياسية التي يتخاطب بها الناس من حولنا، سواء على مستوى الألفاظ ومدلولها، أم على مستوى الأساليب وأبعادها، كمصطلحات: النظام الدولي والتطرف والأصولية ومقاومة الإرهاب واللوبي وصدام الحضارات والعولمة وغيرها من المفاهيم الأخرى.

ـ عدم القدرة على استقراء اتجاهات الأحداث في العالم.

ـ العجز على وضع الخطط المناسبة للتحرك.

ـ تنفيذ خطط القوى المعادية دون الشعور بذلك.

ـ الوقوع في تناقضات حول الخطوات المناسبة للمواجهة.

ـ السقوط في مصيدة الاختراق السياسي – الفكري مما يبلبل المسيرة.

ـ عدم الاستفادة من الفرص المتاحة ونقاط الضعف في حسم العدو السياسي.

ـ الانشغال بغير العدو الحقيقي والاشتباك مع التيارات الأخرى الموازية أو الحليفة المفترضة.

ـ فقدان الثقة بالعمل الشعبي المنظم كأداة صراع ضد الخصوم.

ـ ضياع الفرص المناسبة، مع عدم الانتباه إلى الخسائر الراهنة البعيدة المدى.

ولا يصح تبرير ذلك بأنه قدر الله، أو مؤامرة مدبرة من الخارج، وذلك فيما لو أصاب الإهمال أو تفويت الفرصة خيرا أو شرا. وكل ما ذكرناه آنفا ما هو إلا نماذج على الخسائر المترتبة على غياب الوعي السياسي النقدي.

الموقف من نظرية المؤامرة:

بالنظر الى كل ما تقدم، فإن الموقف الذي ينبغي اعتباره في تقديري، حيال نظرية المؤامرة، يمكن إيجازه على النحو التالي:

إن نظرية المؤامرة، افرزت وعيا سياسيا قاصرا للحدث، وانتجت فهما سطحيا للواقع. ففي الوقت الذي أسهمت في رسم خيوط المؤامرة وتداعياتها، وأسندت كل احداث ومتغيرات الواقع إليها، وكرست المفهوم، وفي نفس الوقت أغلقت كل المنافذ والسبل، التي يجب أن تسلك لمعرفة الأسباب الحقيقية لما يقع من أحداث، بهدف معالجة الأمر أو الحد من وطأته، وأن تصبح الامة العربية طرفا فاعلا يتحكم في الحدث المعاش، لا أن تكون هدفا حتميا له.

لقد أضحت نظرية المؤامرة بمثابة فلسفة وجدانية، أسهمت في تغيب الامة العربية عن التأثير الفاعل في مسرح الوقائع السياسية لعقود مضت، من خلال ما فرضته من ارتهان للفكر والذات في نطاق مشاريع التآمر، واعتقال لطاقات وابداعات العقل ضمن استراتيجيات الخصوم، ونكوص عن مجابهة التحديات ومحاولة تطويعها، فبدلا من أن تكون المؤامرة جانب تحفيزي يولد التحدي لمواجهتها والتغلب عليها، إذا بها تنقلب لتصبح جانب تثبيطي، يتم الركون إليه دون حراك في انتظار المنقذ.

إن المبالغة في اعتبار نظرية المؤامرة المسؤولة عن كل سوء يقع للأمة العربية، هو تسطيح لمجريات الأمور، ورؤية أحادية الجانب لما يحدث، وهو مخالف للتفكير الموضوعي والمنطقي ويعيق قدراتنا على التحليل العلمي لأسباب ما يجري في حياتنا، وبالتالي يمنعنا من التغيير والإصلاح والأخذ بأسباب النهوض. فالمؤامرة قائمة حقا ولا يمكن إنكارها، ولكن تلك المؤامرة ليست بذلك التهويل أو الشمولية، فهي محدودة النطاق والزمان والمكان والأثر، وتتطلب وجود مقومات وعوامل أساسية لنجاحها، فليس كل ما يتم التخطيط له يمكن أن يجد مجالا للتنفيذ.

إن هواجس المؤامرة في الحقيقة ممتدة بشكل كبير وأعمق وأوسع في عقولنا، راسخة في طريقة تفكيرنا وفي ثقافتنا وفي أسلوب حياتنا ومعاملاتنا، نحن من جعل تلك الهواجس والمخاوف تشل قدراتنا وتهيمن على افكارنا وعلى قراراتنا التي نتخذها، فسكنا بسببها، ولم نسعى للخروج من كل أزماتنا التي نعيشها اليوم واقعا مريرا، ضنا منا أن كل تلك الأزمات مفتعلة من دول الغرب، ليتم السيطرة علينا بها، ولا مناص لنا منها، ولا يمكننا مقاومتها أو ردها. فالمؤامرات لن يكون لها صدى أو تأثير، مالم تجد أجواء داعمة لها، وبيئة حاضنة للجهل والتخلف، وتجذر ملموس للفساد والمطامع. إن إرادة الشعوب أعظم من كل ما يمكن أن يحاك ضدها من مؤامرات ومكائد، إن كانت في بمستوى الوعي والتحديات التي تحيط بها، وبالمقدرة على كسر المؤامرة، وبالحرص على النهوض، وبالعمل الدؤوب الذي يمكنها من الانطلاق نحو الأفضل.

إن انحراف المنهجية في معالجة القضايا المعاشة، وتراكم اخطاءنا السياسية ،وتوسيع اختلافاتنا الفكرية وتباين مفاهيمنا الدينية ،وضعف العقيدة عند البعض و قصور الهمة لديهم ،ودونية الإرادة لتغيير ما في النفوس ،وغياب الحرص الوطني والشعور بالمسؤولية والميل لتكريس سطوة الجهوية و حكم القبيلة واستشراء التعنت والازدراء ،وانتشار ثقافة رفض الآخر واقصائه عن ممارسة دوره الإيجابي والتطاول عليه، وغيرها من الممارسات الفكرية والاجتماعية المعيبة ، قد يلعب كل ذلك دورا أكبر بكثير في احداث الضرر بنا ، من قدرة أي مؤامرة خارجية علينا.

خاتمة:

إن الخلاصة التي ينبغي التوصل إليها ، هي اننا لا ينبغي أن يفضي نقد المؤامرة الى إصدار صكوك البراءة على أحد الطرفين المهنيين بالمؤامرة المستهدف و المستهدف ، فكلا البراءتين لا تتماشيان مع و جود المفهوم ، بل و تناميه مع تنامي إمكانات المستهدف و تململ المستهدف ،و تململ المستهدف ليقظته و تنبهه و تصديه لما يحاك ضده " ما كنا نرغب في التعبير عنه و توضيحه هو التذكير بضرورة عدم المبالغة في اعتماد نظرية المؤامرة الى هذا الحد الذي يعزى كل الهزائم العربية الى عامل المؤامرة ، و ضرورة تبيان مدى خطأ الذهاب الى ذلك الحد عند توصيف كل هذه الهزائم و النكبات "(**علي بن إبراهيم النملة 2009،ص175**).

ربما كان هذا هو المنهج الوسط الذي يؤمن بالمفهوم من حيث المبدأ والقدرات البشرية على التآمر والدوافع لذلك، ولكنه في الوقت ذاته يضعه في مكانه الطبيعي من حيث المعالجة ، و اعتباره من تلك القضايا التي لا ينبغي ان تغفل ، دون إفراط في الاستسلام للمفهوم ،بحيث يصبح الناس أسرى لهذا المفهوم فتتعطل قدراتهم على التفكير ،و يصابون بالإحباط و اليأس، ودون تفريط في تغافله و تجاهله، وبالتالي تجاهل أثره على الأمة ، بحيث تصم الآذان والأذهان على حقائق واقعية تمليها أغراض مختلفة منها مصالح الآنية ،و منها الابعاد الثقافية و السياسية.

ونحن في العالم العربي نحتاج إلى المزيد من دراسة هذه الظاهرة، وآثارها العامة على الحاضر العالم العربي ومستقبله. وتحتاج إلى دراسات جادة ورصينة، وندوات عديدة على مستوى العالم العربي لتساعدنا في اتخاذ موقف موحد، وصياغة استراتيجية عربية قومية تمنحنا القدرة على التعامل الإيجابي مع ظاهرة العولمة التي تريد أن تسود وتهيمن على هذا العالم.

المراجع:

-مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، مج 30، الطبعة الثانية، الرياض، المؤسسة ،1999.

-موسوعة ويكيبيديا الحرة على الشبكة العنكبوتية تحت المصطلح (conspiracy theories)2008.

-موفق صادق العطا، نظرية المؤامرة أو هم أم الحقيقة؟ (الصوفية)، دمشق، دار الأوائل،2006.

-سعد جمعة، المؤامرة معركة المصير، بيروت، دار الكتاب العربي ،1968.

-عبد الرؤوف سنو، الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، بيروت، دار الفرات، 2007 ،2007.

-غازي عبد الرحمن القصيبي، أمريكا والسعودية، حملة إعلامية ام مواجهة سياسية؟ بيروت، المؤسسة العربية لدراسات والنشر ،2006.

-خالد غزال، المجتمعات العربية المأزومة وإعاقات الحداثة المركبة، بيروت، دار الطليعة ،2008.

-بوحنية قوي، واخرون، مفهوم الأحزاب الديموقراطية وواقع الأحزاب في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،2011.

-عبد القادر حاتم، العولمة مالها وما عليها، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب،2005

-جورج طرابيشي، من النهضة الى الردة، بيروت، دار الساقي ،2000.

-عبد الاله بلقزيز، العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ،2007.

-الطاهر لبيب، المثقف العربي وحتمية العولمة، الوفاق العربي، مج 2، عدد 2، جويلية 1999.

-عبد الله تركماني، مقدمات ربيع الثورات العربية ومآ لاته، سوريا، نون 4 للنشر للطباعة والتوزيع ،2017.

-صلاح الدين رقة دان، التخلف السياسي في الفكر السياسي الإسلامي، بيروت، دار النفائس ،2002.

-علي بن إبراهيم النملة، هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، الرياض، مكتب ملك فهد الوطنية أثناء للنشر ،2009.

سيكولوجية النمو والابستمولوجيا المعرفية عند بياجيه.

أ.د/ يوسف حديد
جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل ـ الجزائر.

أ/ نعيم بوعموشة
جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل ـ الجزائر.

ملخص:

يعتبر بياجيه أكبر عالم نفساني أهتم بدراسة نمو الطفل معرفيا وخصص لذلك فترات طويلة من حياته للتجريب والملاحظة على عينة من الأطفال ليضع نظريته في النمو المعرفي التي أحدثت ثورة في حقل السيكولوجيا المعرفية. ويعتبر بياجيه فيلسوف تجريبي فهو العالم الذي أخرج الفلسفة من دائرة التأمل والميتافيزيقيا وما وراء الطبيعة إلى حقل التجريب والملاحظة العلمية الدقيقة، كما أنه عمل على تأسيس الابستمولوجيا كعلم مستقل عن الفلسفة وفي المقابل عمل على ربط الابستمولوجيا بمختلف العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وفي هذا المقال سنتحدث عن بياجيه سيرته وأعماله وإسهاماته وجهوده في توظيف الابستمولوجيا المعرفية في ميدان علم النفس الطفل أو سيكولوجية النمو وتطبيقات نظريته في الحقل التربوي برؤية نقدية معاصرة.

الكلمات المفتاحية:سيكولوجية النمو، الابستمولوجيا المعرفية، علم النفس الطفل.

Abstract:

Piaget is the largest psychologist interested in studying the child's cognitive development and devoted long periods of his life to experimenting and observing a sample of children to develop his theory of cognitive development that revolutionized the field of cognitive psychology. Piaget is an experimental philosopher. He is the world who brought philosophy from the circle of meditation, metaphysics and beyond to the field of experimentation and scientific observation. He also worked on the establishment of epistemology as a science independent of philosophy. In contrast, he linked epistemology with various sciences such as psychology, sociology, and social development.

In this article, we will talk about Piaget's biography and his work, his contributions and his efforts in the application of cognitive epistemology in the field of child psychology or the psychology of growth and the application of his theory in the field of education with a contemporary critical vision.

Keywords: growth psychology, cognitive epistemology, child psychology.

مقدمـــة:

تعتبر نظرية بياجيه من أعظم النظريات التي حاولت أن تفسر النمو المعرفي عند الأطفال، كما أنها أكثر النظريات إسهاما في توضيح قدرة الأطفال على اكتساب المعرفة وذلك وفقا لمراحل النمو التي يمرون بها. وبياجيه أحد علماء النفس القلائل الذين قدموا نظرية متكاملة للنمو المعرفي، أو العمليات الفكرية.ويسمي بياجيه هذه النظرية بنظرية الابستمولوجيا التكوينية وهي تعنى بأصل وطبيعة المعرفة.

ونظرا لأهمية هذه النظرية لابد من الوقوف على وجهة نظر بياجيه في مسألة النمو، إذ يرى بياجيه أن هذا النهج محدد بأربعة عوامل هي النضج البيولوجي والتفاعل مع البيئة الطبيعية والتفاعل مع البيئة الاجتماعية والتوازن. أما بالنسبة لمراحل النمو المعرفي فقد حددها بياجيه في أربعة مراحل هي المرحلة الحسية الحركية ويحدث التعلم فيها بالأفعال والمعالجات اليدوية، ومرحلة ما قبل العمليات ويحدث فيها التعلم باللغة والرموز، ومرحلة العمليات المادية ويتطور فيها التفكير المنطقي المادي، ومرحلة العمليات المجردة ويتطور فيها التفكير المنطقي المجرد.

وينصب الاهتمام في هذه الدراسة على قضية التطور المعرفي ممثلة بأنواع التفكير التي تسود كل مرحلة من المراحل النمائية المتعاقبة للإنسان والتغيرات التي تتعرض لها.أو بعبارة أخرى إسهامات بياجيه وجهوده في توظيف الابستمولوجيا المعرفية في سيكولوجية النمو وتطبيقات نظريته في الحقل التربوي.

وتحقيقا لهذه الأهداف تم التطرق لبعض النقاط التي تخدم الموضوع من خلال المحاور الآتية:

- ما المقصود بالابستمولوجيا المعرفية أو التكوينية عند بياجيه؟
- ما مضمون نظرية بياجيه في النمو المعرفي ومراحلها؟
- ما هي أهم الإضافات والإسهامات التي قدمها بياجيه من خلال الابستمولوجيا المعرفية التكوينية للحقل التربوي؟

1-أهمية الدراسة وأهدافها:

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوعها، حيث تعد نظرية بياجيه في غاية الأهمية كونها من أوائل النظريات في مجال النمو العقلي، فهي من أكثر النظريات شمولية لتفسيرها للنمو العقلي عند الأطفال، كما أن بياجيه لم يقتصر على دراسة النمو في العمليات المعرفية فحسب، بل درس النمو الاجتماعي والانفعالي والأخلاقي واللغوي على اعتبار أن مظاهر النمو المختلفة مترابطة يؤثر كل منها بالآخر سلبا وإيجابا. أما بالنسبة لتطبيقات نظرية بياجيه التربوية فهي كثيرة من حيث اختيار الخبرات والمواد التعليمية المناسبة وأساليب واستراتيجيات تقديم هذه الخبرات ووسائل تقويمها.

ويسعى الباحثان من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على إسهامات وجهود جان بياجيه في توظيف الابستمولوجيا المعرفية في ميدان علم النفس الطفل أو سيكولوجية النمو وتطبيقات نظريته في الحقل التربويكهدف رئيس، كما تسعى إلى تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

- الكشف عن المقصود بالابستمولوجيا المعرفية أو التكوينية عند بياجيه.
- الكشف عن مضمون نظرية بياجيه في النمو المعرفي ومراحلها.
- الكشف عن أهم الإضافات والإسهامات التي قدمها بياجيه من خلال الابستمولوجيا المعرفية التكوينية للحقل التربوي.

2-نبذة عن حياة جان بياجيه وسيرته الذاتية:

يعد جان بياجيه واحدا من أكثر علماء النفس تأثيرا وإسهاما في القرن العشرين في مجال علم النفس ولاسيما في موضوع علم النفس المعرفي. "ولد جان بياجيه في نيوشتل بسويسرا في عام 1896 وقد كان في طفولته لا معا، ذا رغبة عالية في الاستطلاع، ويقظا لما يدور حوله دائما. نشر أول مقالة علمية له وهو في العاشرة من عمره حينما قام بدراسة طائر السنونو الذي كان يلاحظه في متنزه محلي. وعندما بلغ الحادية عشرة عمل مساعدا في مختبر المتحف التاريخي الوطني، وبالتالي أصبح خبيرا بالمتاحف وبقي كذلك حتى أوائل الخامسة عشرة من عمره. وفي الخامسة عشرة من عمره شغل وظيفة مسؤول في المتحف الايطالي بجنيف، ونال الشهادة الجامعية في سن الثامنة عشرة من جامعة نيوشاتل في المدينة التي كان يقيم بها، وعمل بعد ذلك موظفا كبيرا في جنيف، وبعد ثلاثة أعوام حصل على شهادة الدكتوراه في الأحياء"**(قطامي،2013، ص.ص171. 172)**.

"كتب بياجيه أول كتاب علم نفس تطوري في العام 1921، وقد تسلم جراء ذلك إدارة مركز جان جاك روسو للعلوم التربوية في جنيف واستمر في إدارته حتى عام 1971. نشر بياجيه ما يزيد عن عشرين بحثا في حقل علم الحيوان قبل أن يصل الحادية والعشرين من عمره، وأظهر عبقرية متميزة خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة. ومع دراسته للفلسفة طور اهتماما في نظرية المعرفة، التي تعنى في كيفية اكتساب المعرفة، ونظرا لخلفيته في دراسة الحيوان فقد طور اعتقادا بأنه يمكن استخدام المبادئ البيولوجية في فهم مشاكل نظرية المعرفة، وقد حاول تجسير العلاقة بين علم الأحياء ونظرية المعرفة مما أدىإلى دخوله مجال علم النفس"**(أبو جادو، 1998،ص92)**.

"أسهم بياجيه بعدد كبير من الكتب ضمنها خلاصة نظريته المعرفية وخبراته وملاحظاته وأبحاثه في سيكولوجية الطفل المعرفية، ويمكن تقسيم المؤلفات المنشورة إلى فترات عدة:

الفترة الأولى: تمتد هذه الفترة من عام 1920 إلى 1929، وقد أطلق عليها بياجيه مرحلة المراهقة الفكرية، إذ ركز فيما كتبه خلالها على النواحي اللفظية أكثر من الإجرائية والعملية، وأشهر هذه الكتب: اللغة والتفكير عند الطفل – الحكم والتفكير عند الطفل – مفهوم الطفل – النمو الخلقي عند الأطفال.

الفترة الثانية: تمتد هذه المرحلة المعرفية الإنتاجية لدى بياجيه من (1930–1939)، واهتم بياجيه خلالها بدراسة بناء ونمو وتطور ذكاء الطفل، ووظف قدراته على ملاحظة أطفاله الثلاثة مع تركيزه على افتراض مفاده حتى يتمكن أي باحث من فهم نظريته لابد من التعمق في الأسس البيولوجية التي انبثقت منها تلك النظرية وفيما تؤول إليه من نتائج معرفية. ومن أشهر الكتب التي ظهرت له في هذه الفترة: أصل الذكاء عندالأطفال– اللعب والأحلام والتقليد عند الأطفال– تركيب الأطفال للواقع.

الفترة الثالثة: وهي فترة النضج والشهرة، فقد اهتم في بداية الأربعينيات بدراسة قدرات الأطفال المعرفية والعقلية، والعوامل التي تساعدهم على فهم الواقع كما هو حقيقة، وطريق تطوير الأطفال للمفاهيم، وأساليب استيعاب مفاهيم الراشدين"**(قطامي،2013، ص.ص175. 176)**.

3–الابستمولوجيا المعرفية (التكوينية) عند بياجيه:

الابستمولوجيا هي "مبحث نقدي في مبادئ العلوم وفي الأصول المنطقية لهذه المبادئ. أو هي نظرية العلوم أو فلسفة العلوم أو دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية تؤدي إلى إبراز أساسها المنطقي وقيمتها الموضوعية"**(نفادي، أبو ريان، 2004، ص24)**. وتختلف الابستمولوجيا عن دراسة مناهج العلوم وطرق تدريسها من جهة والتي تعد قسم من المنطق التكويني، وعن دراسة تركيب القوانين العلمية من جهة ثانية والتي تعد قسم من الفلسفة الوصفية أو فلسفة التطور.

والابستمولوجيا كلمة مركبة من لفظتين ابستما**(épistémè)** وهو يعني العلم، لوغوس **(logos)** ويعني النظرية أو الدراسة. فتكون الابستمولوجيا إذن نظرية العلوم أو فلسفة العلوم أو دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية"**(شربل، 1986، ص81)**.

أما التكوين عند بياجيه فيرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم البنية الذي يخضع بدوره لمبادئ التحول والتطور: فالتكوين هو انتقال من الحالة (أ) إلى الحالة (ب)، التي ينبغي أن تكون أكثر تطورا وثباتا من الحالة (أ)، أيأنه يشكل مجموعة نظم تحددها التحولات والتطورات الحاصلة خلال مرحلة الانتقال من (أ) إلى (ب). وعلى هذا الأساس بالذات يحصل تطور الطفل فتتم عملية التكوين والبناء بشكل متداخل ومستمر إلى أن ينتقل الطفل من حالة البنية المترجرجة إلى حالة البنية المستقرة والثابتة"**(نفادي، أبو ريان، 2004، ص25)**.

وعليه فإن الابستمولوجيا التكوينية تسعى إلى توضيح المعرفة، والمعرفة العلمية بصفة خاصة وذلك استنادا إلى تاريخها، والى تكوينها الاجتماعي وإلى الأصول السيكولوجية للأفكار والعمليات التي تعتمد عليها بصفة خاصة. كما تأخذ الابستمولوجيا التكوينية في اعتبارها أيضا الصياغة المنطقية التي تنطبق على بنيات الفكر المتوازنة وعلى حالات معينة من التحولات التي ينتقل فيها الفكر في مراحل تطوره من مستوى إلى آخر.

"وتنقسم ابستمولوجيا بياجيه التكوينية إلى فرعين: يبحث الأول في مبادئ العلوم، ويهدف إلى تقويمها بغية تفسير التطور الفكري للإنسان وصولا إلى وضع رؤيا مستقبلية لهذا التطور. ويسمى هذا الفرع (علم تاريخ المعرفة) رغم كونه أقرب إلى الفلسفة منه إلى العلم في مفهومنا الحديث. أما الفرع الثاني فإنه يبحث في تطور المعارف عند الانسان الفرد مند الولادة وحتى بلوغه سن الرشد، ويهدف إلىأمرين:

الأول: تفسير لظواهر المعرفية، فإذا استخدم منهج العلوم التجريبية اندرج تحت عنوان علم النفس المعرفي، وإذا استخدم نتائج التشريح الدماغي والعصبي، يسمى عندئذ علم نفس الأعصاب.

والثاني: تحليل كيفية توصل الطفل إلى المعرفة، وتفسير عملية التطور الفكري ويسمى في هذه الحالة الابستمولوجيا التكوينية"(**نفادي، أبو ريان، 2004، ص26**).

وتجدر الإشارة إلى أن بياجيه قد تأثر بأعمال العديد من العلماء والفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني "ايمانوئيل كنت" والفيلسوف الانجليزي "تشارلز داروين" وكذلك بأفكار "جاك بابتست لامارك". حيث أظهر بياجيه اهتماما واسعا بما يعرف بنظرية المعرفة التي تعنى بتفسير الكيفية التي يتم من خلالها اكتساب المعرفة. وبذلك عمد بياجيه من خلال علم النفس إلى ردم الهوة ما بين علم الأحياء والفلسفة.

وتقوم افتراضات التطور المعرفي عند بياجيه على الأسس التي تبناها في صياغة نظريته كما يلي:

-يسير التطور المعرفي بشكل متدرج.

- يحدث التطور المعرفي بفعل عوامل الخبرة والنضج والاستعداد والتفاعل مع المواقف التي يواجهها الطفل في البيئة.

- تتفاوت معدلات التطور المعرفي بفعل عوامل وراثية وبيئية من مثل طبيعة الوراثة وطبيعة ثراء البيئة المحيطة وفقرها.

- تتطور المظاهر والعمليات المعرفية بنسب مختلفة.

- تتطور الأبنية المعرفية لدى الأطفال ضمن مراحل محددة حددها بياجيه بأربع مراحل.

- يتضمن التطور المعرفي تغيرا يطرأ على تفكير الطفل وعلى قدرته على الفهم، والتمثل، والاستيعاب، والتكيف والتوازن.

- يتحدد أسلوب الطفل المعرفي بالطريقة التي يتفاعل بها مع ما يواجهه من مواقف ومشكلات.
- يرتبط الاستعداد المعرفي للطفل بالمرحلة النمائية المرتبطة بسنين محددة.
- يتغير الاستعداد المعرفي بشكل منتظم مع النمو والتطور.
- ينمو الاستعداد المعرفي مع العمر.
- إن العمليات العقلية هي الأدوات الداخلية التي يستخدمها الطفل لإدراك وفهم العالم من حوله.
- يسعى الأطفال دوما لإدراك العالم من حولهم سواء توفرت الإمكانات الداخلية لديهم أم لم تتوفر.
- يعتبر التوازن المعرفي هدفا في التطور المعرفي لدى الطفل يسعى إليه ويحقق له الدافع المهم وهو الوصول إلى حالة تكيف وتطور.
- التعلم حالة خاصة من حالات التطور المعرفي.
- التطور عملية زيادة الوعي بالعلاقة بين الطفل والمادة والخبرات التي يواجهها.
- الإدراك الحسي موجه بعمليات عقلية مخططة وهادفة.
- التعلم عملية خلق عضوية فريدة في كل موقف لا عملية تراكم آلية ليس للفرد فيها خيار أو تدخل.
- إن الأخطاء التي تظهر لدى الأطفال خبرات مشوهة غير مكتملة، ومرتبطة بالمرحلة النمائية التطورية التي يمر بها الطفل، وتختص هذه الأخطاء بالتطور في مراحل تالية.
- التعلم مرادف للتمثل والاستيعاب وهو مبني على الفهم ويتطلب تنظيما ذاتيا نشطا.
- التعلم القائم على المعنى يتم عندما يحل الفرد تناقضا أو تعارضا بين التنبؤات والنتائج.
- التعلم القائم على المعنى يحدث عن طريق نفي أوإلغاء مستويات فهم مشوهة سابقة غير مكتملة.
- إن جميع أشكال النفي وإسقاط الخبرات المشوهة يبنيها الفرد ذاته وليس نتاجا آلياللتغذية الراجعة من البيئة".**(عدس وآخرون، 2009، ص.ص241. 242)**

وتجدر الإشارة هنا إلىأن مفهوم التعلم مفهوم غير مستعمل في كتابات بياجيه، ونقصد بالتعلم الخبرة التي يطورها الطفل والطالب نتيجة تفاعله مع المواقف أو المواد التي تقدم له، وما يحققه نتيجة هذا التفاعل نسميه خبرة، هذه الأخيرة تسهم في تطور المعرفة والأبنية المعرفية.

4-نظرية النمو المعرفي للطفل عند بياجيه:

قدم جان بياجيه نظرية هامة في النمو المعرفي، وقد استطاع أن يغير إدراك الناس وفهمهم لطبيعة النمو المعرفي لدى الأطفال أكثر من أي شخص آخر قبله. حيث يرى "جون فيليبس Philips J" إن النمو العقلي المعرفي تبعا لبياجيه "عبارة عن تغيرات في الأبنية المعرفية تحدث من خلال عمليتي التمثل

والمواءمة" ... ويرى بياجيه أن النمو العقلي المعرفي هو "نمو المعرفة عند الطفل خلال سنوات حياته المختلفة، وطريقة معرفته للعالم، وطريقة نمو الأفكار والمفاهيم لديه، وكذلك فهو اكتساب تدريجي للقدرة على التفكير باستخدام المنطق"(**غزال، 2010، ص96**).

كما يشير مصطلح النمو المعرفي "إلى التغيرات في تلك العمليات التي نقوم فيها للحصول على المعرفة ومن هذه العمليات الإحساس والإدراك والتصور والاحتفاظ والاستدعاء وحل المشكلات والاستدلال واللغة والتفكير، فنحن نقوم باستقبال المعلومات الحسية عن طريق الحواس ثم نحولها ونخزنها ومن ثم نستدعيها وقتما نشاء"(**النوايسة، القطاونة، 2010، ص94**).

ويميز بياجيه بين نوعين من المعرفة يمكن النظر إليهما على أنهما: معرفة مباشرة كما هو الحال في المعرفة الشكلية، ومعرفة غير مباشرة تعرف باسم معرفة الإجراء.

- **المعرفة الشكلية:** "هي معرفة مباشرة ترتبط بخصائص الأشياء والمثيرات بمعناها الحرفي ولا تنبع عن أية محاكمات عقلية يجريها الفرد حيال هذه الأشياء. ومثل هذه المعرفة عادة ما ترتبط بالشكل الذي تكون عليه الأشياء في العالم الخارجي"(**الزغول، 2003، ص216**).

- **المعرفة الإجرائية:** "وتنبع مثل هذه المعرفة من طبيعة المحاكمات والعمليات العقلية التي يجريها الفرد، فهي معرفة غير مباشرة ولا ترتبط بالأشياء بمعانيها الحرفية. إن مثل هذه المعرفة تقوم على الاستدلال والمحاكمة العقلية، وتعنى بالدرجة الأولى بالكيفية التي تتغير عليها الأشياء من حالة إلى حالة أخرى"(**الزغول، 2003، ص217**).

وقد أشار بياجيه إلى أن النمو المعرفي نتاج للمؤثرات البيئية، ونضج الدماغ والجهاز العصبي معا. وقد استخدم خمسة مصطلحات لوصف آلية النمو، وهي:

-**المخططات الذهنية (schemes):** وهي "صورة إجمالية ذهنية لحالة المعرفة الموجودة لدى الطفل تتمثل في تصنيف وتنظيم الخبرات الجديدة التي يدخلها الطفل في أبنيته الذهنية المعرفية، وهي طريقة يستخدمها الطفل في تمل العالم والأحداث بصورة ذهنية"(**أبو جادو، 1998، ص103**). وإن كان بياجيه نفسه لم يقدم التعريف الدقيق لهذا المفهوم، إلا أنه يمكن استنتاج معنى هذا المفهوم من كتاباته الكثيرة عنه، حيث عرفه بياجيه بأنه "عبارة عن تركيب عقلي يشير إلى مجموع أوإلى نوع من تتابع الأفعال المتشابهة، والتي تكون في النهاية وحدات تامة قوية ومحددة"(**النور، 2008، ص153**). فعلى سبيل المثال عندما يرى الأطفال شيئا ما يريدون الوصول إليه فإنهم يتعلمون كيفية الإمساك به، وبالتالي يشكلون السكيما المطلوبة في مثل هذا الموقف، وبتشكل سكيما جديدة وربطها بأخرى فإن الأطفال يتعلمون التكيف مع بيئتهم.

- **التكيف:** وهو "قدرة الكائن الحي على مقابلة الموضوعات والأشياء الخارجية بالسلوك المناسب، ويستمد الانسان هذه القدرة من عمليتي التمثل والمواءمة، ويرى بياجيه أن التكيف هو التوازن بينهما"(**النوايسة، القطاونة، 2010، ص85**). بمعنى أن التكيف هو نزعة فطرية تولد مع الانسان وتمكنه من التأقلم والتعايش مع البيئة. ويحدث التكيف من خلال عمليتين هما: التمثل والمواءمة.

- **التمثل:** هي "عملية تحويل أو تغيير ما يواجهه الطفل من أشكال معرفية أو أشياء تناسب أبنيته المعرفية الحاضرة أو تلاؤمها، فهي عملية يتم من خلالها تشويه الأشياء لكي تتناسب مع ما يوجد لديه من خبرات"(**القضاة، الترتوري، 2006، ص129**).أي بمعنى دمج المعلومات الجديدة المكتسبة بالمعلومات الموجودة سابقا من أجل الاستجابة لمثير جديد في البيئة. فعلى سبيل المثال الطفل الذي يرى الفراشة لأول مرة ربما يستخدم البنى المعرفية الموجودة لديه للتعامل مع هذه الخبرة بحيث يطلق عليها اسم عصفور، على اعتبار أن لديه بنية معرفية سابقة حول العصفور؛ أي أن الطفل هنا قد تمثل الفراشة، أي غير من خصائصها لتناسب الصورة الموجودة لديه والتي توحي له أن كل ما يطير عصفور.

- **المواءمة:** يشير مفهوم المواءمة عند بياجيه إلى "عملية تغيير أو مراجعة المخططات الذهنية(**schemes**) الموجودة لدى الفرد في ضوء الخبرات الجديدة. والمواءمة أو الاستيعاب هي نزعة الفرد لتغيير استجاباته كي تتناسب مع البيئة المحيطة، كأن يغير الفرد من تراكيبه العقلية ليواجه مطالب البيئة، وبعبارة أخرى أن يغير ما في نفسه ليتناسب مع المثير الجديد الذي يتعرض له"(**أبو جادو، 1998، ص104**). وعليه فإن المواءمة تعد عملية معاكسة للتمثل المعرفي؛ إذ يقوم الطفل بتغيير ما لديه من خبرات وأبنية معرفية لكي تتفق مع الحقيقة، فهي هذه العملية يقوم الطفل بتصحيح أفكاره ليأخذ صورة أكثر دقة وملائمة لطبيعة البناء المعرفي. ففي المثال السابق عندما يصحح الطفل قاموسه اللفظي ويحاول تعريف الفراشة بشكل دقيق فهو يقوم بالمواءمة، أي يتولد لديه معنى جديد فيقول ليس كل ما يطير عصفور.

وينظر بياجيه إلى هاتين العمليتين على أنهما متكاملتان، فكل واحدة منهما هي سبب في ظهور الأخرى ونتيجة لها في نفس الوقت، وعن طريقهما يستطيع الطفل أن يحقق التكيف مع بيئته.

- **التوازن:** وهو "عملية معرفية يتم فيها حفظ التوازن بين عمليتي التمثل والمواءمة في أثناء تفاعلهما معا. وهو عملية تنظيم ذاتية ومفهوم يرتبط بمفهوم التكيف. وتمثل حالة التوازن عملية دافعية ذاتية، فيها يحقق الطفل الانسجام والتوافق بين ما لديه من خبرات ومعرفة، وما يواجه من خبرات معرفية جديدة"(**عدس وآخرون، 2009، ص231**).

أما بالنسبة لمراحل النمو المعرفي فإن بياجيه يعتقد بأن الأطفال يمرون بنفس مراحل النمو المعرفي وبنفس الترتيب، حيث تمثل كل مرحلة شكلا متميزا في وظائفها. وقد حدد بياجيه أربعة مراحل للنمو المعرفي وهي: المرحلة الحس حركية، ما قبل العمليات، العمليات المادية، والعمليات الشكلية. وفيما يلي شرح لهذه المراحل كل منها على حدة:

-المرحلةالحس حركية (الولادة – السنتين):

وتمتد هذه المرحلة من الولادة وحتى نهاية السنة الثانية تقريبا، ويعتمد الطفل في هذه المرحلة على استخدام الحواس المتعددة والأفعال الحركية لاكتشاف العالم المحيط به والتعرف على الأشياء الموجودة فيه وفهمها. وتتكون هذه المرحلة من ست مراحل فرعية هي:

-الطورالأول: ويمتد من الولادة وحتى نهاية الشهر الأول، في هذه المرحلة يقوم الطفل بممارسة المنعكسات البسيطة التي ولدت معه مثل: المص، التلويح باليدين أو الرجلين.

- الطور الثاني: يمتد من بداية الشهر الثانيحتى نهاية الشهر الرابع، وفيه ينسق الطفل بين المنعكسات والاستجابات مثل: اتساق حركة اليد مع العين، الالتفات للصوت، الإمساك.

- الطور الثالث: يمتد من بداية الشهر الخامس حتى نهاية الشهر الثامن، وفيه ينمو لدى الطفل توقع نتائج الأشياء بما في ذلك أفعاله، والاهتمام بموضوعات العالم الخارجي.

- الطور الرابع: يمتد من بداية الشهر التاسع حتى نهاية الشهر الثالث عشر، وفيه يميز الطفل بين الوسائل والغايات مثلا: استعمال وسائل مناسبة للوصول إلى غاياته.

- الطور الخامس: من بداية الشهر الرابع عشر حتى نهاية الشهر الثامن عشر، وفيه يلجأ الطفل إلى التجريب والاكتشاف والتعديل في سلوكه مثلا: يسقط الأشياء ليراها تقع، يدفع شيء بالعصا.

- الطور السادس: ويمتد من نهاية الشهر الثامن عشر إلى نهاية السنة الثانية من العمر، وفيه تبدأ الاستجابة للأشياء والحوادث التي يلاحظها أمامه، والتفكير فيها، واختراع وسائل جديدة للوصول إلىأهداف معينة مثلا: يسحب شيء بعصا على الرغم من أنه لم يستعمل ذلك من قبل على الإطلاق.**(صالح، 2009، ص.ص 27. 28)**

وعموما يمكن تلخيص أهم خصائص المرحلة الحس حركية على النحو الآتي:

"-يعتمد الطفل على الاتصال الحسي المباشر والأفعال الحركية كأداة تفكير في هذا العالم.

- يكون الطفل كثير التمثل في هذه المرحلة العمرية نظرا لقلة خبراته.

- يلجأ الطفل إلى المحاكاة والتقليد والمحاولة والخطأ والعبث بالأشياء كأدوات لاكتساب المعرفة.

- يحقق الطفل التآزر الحس-حركي، ويصبح أكثر قدرة على السيطرة على أفعاله وحركاته.

– يدرك الطفل استقلالية جسمه عن البيئة المحيطة، إذ يتطور لديه الوعي بمفهوم الذات.

– يدرك الطفل ظاهرة بقاء أو ديمومة الأشياء.

– يتعرف الطفل على السبب والنتيجة من خلال ظاهرة التيقن التي من خلالها يكرر الطفل استجاباته للتأكد من أنها السبب في نتائج معينة.

– يكتسب الطفل بعض الرموز اللغوية ممثلا ذلك في اكتسابه لبعض المفردات اللغوية والتي في غالبها ترتبط بأسماء الأشياء أو تعبر عن حالات معينة".**(الزغول، 2003، ص.ص 224. 225)**

ويقترح بياجيه ما يلي لتطوير النمو العقلي عند أطفال هذه المرحلة:

"–توفير أشياء ذات أحجام وألوان وأشكال متنوعة ليلعب بها الأطفال الرضع في هذه المرحلة.

– السماح للأطفال باللعب والعبث بالأشياء الموجودة في بيئتهم، لأن ذلك سيساعدهم على النمو العقلي إلى أقصى حد ممكن.

– السماح للأطفال أن يلمسوا الأشياء ويدفعونها أو يجرونها ويعصرونها ويسقطوها على الأرض ويرموها ويضعوها في أفواههم، إذا كانت نظيفة، إلى غير ذلك من الأفعال التي تنمي لديهم الجوانب المعرفية والعقلية".**(العتوم وآخرون، 2005، ص58)**

–مرحلة ما قبل العمليات (من 2–7 سنوات):

مع نهاية المرحلة الحس حركية فإن الطفل يصبح قادرا على استخدام العديد من الصور الذهنية للأفعال، وتأتي هنا مرحلة تسمى ما قبل العمليات وتغطي مرحلة الطفولة المبكرة من سنتين إلى 7 سنوات، وتعرف أيضا باسم مرحلة التفكير التصوري. "وتسمى بمرحلة ما قبل العمليات لأن الطفل لا يكون قادرا على استخدام أوإجراء العمليات المعرفية بشكل واضح ومنظم بالرغم من تطور بعض المظاهر المعرفية لديه، فهي مرحلة انتقالية لا توجد فيها أية عمليات منطقية بصورة ناضجة، إذ لا يستطيع الطفل مثلا إدراك مفهوم الاحتفاظ أو مفهوم الفئة أو المقلوبية. وما تمتاز به هذه المرحلة أن تفكير الطفل يكون فيها انتقاليا تحويليا، ينتقل فيه من الخاص إلى الخاص، وليس تفكيرا استنباطيا ينتقل من العام إلى الخاص، ولا استقرائيا ينتقل من الخاص إلى العام"**(الزغول، 2003، ص225)**.

وتنقسم هذه المرحلة إلى الآتي:

"–طور ما قبل المفاهيم من 2–4 سنوات: ستطيع الطفل في هذا الطور القيام بعمليات التصنيف البسيطة حسب مظهر واحد كمظهر الطول مثلا.

– الطور الحدسي من 4–7 سنوات: يقوم الطفل في هذا الطور ببعض التصنيفات الأصعب حدسا، أي بدون قاعدة يعرفها، كما يبدأ الوعي التدريجي بثبات الخصائص أو ظاهرة الثبات، وعلى سبيل المثال إذا أعطي الطفل كرتين من المعجون يقرر أنهما يحتويان على نفس كمية المعجون، ولو غيرنا إحداهماإلى عصا فإن الطفل عندئذ يقرر أن الشكلان لا يحتويان على نفس كمية المعجون".**(العناني، 2008، ص115)**

وفيما يلي أهم خصائص هذه المرحلة:

"–اتساع دائرة النشاط اللغوي لدى الطفل من حيث زيادة عدد المفردات واستخدامها.

– الاسم يرتبط بالشيء في ضوء خصائص معينة بحيث يفقد هذا الشيء الاسم عندما تتغير خصائصه الظاهرية.

– استخداماته المتعددة للغة لا تشكل أداة تفكير يعتمد عليها، لأن تفكيره لا زال يعتمد على الإدراك الحسي والفعل الحركي والتمثيل الصوري.

– تزداد قدرة الطفل على المحاكاة والتقليد، ويبدأ في لعب الأدوار المختلفة من خلال محاكاتها.

– يمتاز تفكير الطفل في هذه المرحلة بأنه أحادي القطب، فالطفل يمكنه تصنيف وترتيب الأشياء وفق بعد واحد.

– يستطيع في هذه المرحلة أحياناإصدار بعض الأحكام الصحيحة، ولكنه في الوقت نفسه يفشل في تعديل مثل هذه الأحكام.

– لا يدرك الطفل مفهوم الاحتفاظ، والذي يعني أن الأشياء لا تتغير بتغير منظورها أو شكلها الخارجي.

– يمارس الطفل مفهوم الإحيائية وهي إسقاط صفة الحياة على الجمادات، فهو يعتقد أن الأشياء تحس وتسمع كما هو الحال عند الكائنات الحية.

– سيادة حالة التمركز حول الذات، فهو يعتقد أنه مركز لهذا الكون وأن كل شيء فيه موجود أصلا لخدمته.

– حكم الطفل على الأشياء والأفعال يعتمد على نتائجها وليس القصد أو النية التي تقف وراءها".
(النوايسة، القطاونة، 2010، ص.ص108. 109)

ومما سبق يمكن القول بأن الطفل في مرحلة ما قبل العمليات يحاول الإجابة على سؤال لماذا؟ بطريقة منطقية سليمة. فالطفل الذي يسقط أثناء سيره قد يلقي اللوم على الرصيف الذي يمشي عليه. وتفكير الطفل في هذه المرحلة محدودة في قضيتين هما:

"–الانتباه: حيث لا يستطيع الطفل تركيز انتباهه لفترة طويلة، وتزداد مدة الانتباه تدريجيا مع ازدياد النضج والعمر.

- الذاكرة: وهي عملية رئيسية في النمو المعرفي لدى الطفل، وتشمل على إعادة تذكر المعلومات من خلال الزمن، إذ لا تكون لدى الطفل ذاكرة جيدة للأحداث التي يمر بها، ويتصف أيضا بعدم القدرة على استرجاع الموقف إلى ما كان عليه والعودة إلى الشكل السابق".(**القضاة، الترتوري، 2006، ص.ص134. 135**)

-مرحلة العمليات الحسية أو التفكير المادي (من 7-12 سنة):

تمتد هذه المرحلة من بداية السنة الثامنة إلى نهاية السنة الحادية عشرة من العمر، وفيها يستطيع الطفل القيام بالعديد من العمليات المعرفية الحقيقية المرتبطة بالأشياء المادية التي يصادفها أو تلك التي خبرها في السابق. وتعتبر هذه المرحلة الأساسية الأولى في السنوات المدرسية، وبذلك تخضع الاستعدادات المعرفية لتغيرات كبيرة، لذلك يختلف تفكير الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة عن تفكيره بعد دخوله المدرسة.

وفيما يلي أهم خصائص هذه المرحلة:

"-تنمو لدى الطفل قدرات الترتيب والتصنيف والتبويب للأشياء ويصبح قادرا على التفكير فيها في ضوء أكثر من بعد.

- ينجح الطفل في عمل استنتاجات منطقية مرتبطة بالأشياء المادية.

- يطور الطفل مفهوم التعويض حيث يصبح قادرا على إدراك أن النقص في أحد أبعاد شيء ما يمكن تعويضه من خلال بعد آخر.

- نظرا لقدرة الطفل على التصنيف والترتيب والتسلسل فإنه يبدأ بتكوين المفاهيم المادية.

- يتطور مفهوم البقاء والاحتفاظ كتلة ووزنا وحجما.

- تلاشي حالة التمركز حول الذات، حيث يصبح الطفل أكثر تفهما لوجهات نظر الآخرين وأكثر توجها نحوهم.

- يطور الطفل ما يسمى بعملية الإغلاق والتي تعتبر إحدى قواعد الاستنتاج والتفكير المنطقي.

- يستطيع حل العديد من المشكلات ذات الارتباط المادي مستخدما العمليات المعرفية التي طورها كالاحتفاظ والمعكوسية والتعويض والإغلاق، كما يدرك مفهوم الزمن وينجح في التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل.

- يفشل الطفل في هذه المرحلة في عمل الاستدلالات والاستنتاجات اللفظية واكتشاف المغالطات المنطقية في العبارات اللغوية التي تقدم له.

– يستطيع التفكير في بعض الأسباب التي تؤدي إلى نتائج معينة، ولكن تفكيره يكون غير منهجي أو غير منظم".(**النوايسة، القطاونة، 2010، ص.ص111. 112**)

ورغم تقدم تفكير الطفل في هذه المرحلة مقارنة مع المراحل السابقة، غير أنه يعاني بعض الصعوبات التي تعيق التفكير السليم، ومن هذه الصعوبات:

"–ضعف القدرة على الوصول إلى استدلالات منطقية.

– ضعف قدرة الطفل على اكتشاف المغالطات المنطقية.

– عجزه عن التعامل مع الفروض التي تغاير الواقع".(**أبو جادو، 1998، ص101**)

–مرحلة التفكير المجرد (12–16 سنة):

تبدأ هذه المرحلة من سن الثانية عشرة وتمتد إلى السنوات اللاحقة، وتسمى بمرحلة العمليات الشكلية أو مرحلة التفكير المنطقي، ويتم في هذه المرحلة نمو المفاهيم والمبادئ التي يتم التعرض إليها في المراحل السابقة سواء كانت في نطاق المحسوس أو نطاق المجرد. وتختلف هذه المرحلة عن سابقاتها من المراحل من حيث طبيعة ونوعية العمليات المعرفية التي يستطيع الفرد القيام بها.

وتتميز هذه المرحلة بما يلي:

"–يدرك الفرد أن الطرق والوسائل في المرحلة السابقة غير كافية لحل مشاكله فيقل اعتماده عليها بمعالجة الأشياء المادية.

– تتوازن عمليتا التمثل والمواءمة ويصل الفرد إلى درجة عالية من التوازن.

– وجود التفكير الاستدلالي محك رئيس للدلالة على الوصول إلى التفكير المجرد.

– تطور القدرة على تخيل الاحتمالات قبل تقديم الحلول العلمية لهذا الموقف.

– يفكر فيما وراء الحاضر، ويركز على العلاقات أكثر من المحتوى، ويقل اعتماده على الحقائق والأشياء المادية.

– القدرة على وضع الفرضيات وفحصها وملاحظة النتائج ووضعها بأشكال منطقية.

– القدرة على التعامل مع الأشياء عن طريق العمليات المنطقية التركيبية، فهو قادر على تثبيت كل العوامل وتغيير أحدها لفحصه، وقادر على فهم التناسب وإدراك الأمور الهندسية.

– الانتقال من التمركز حول الذات إلى التفكير في العلاقات الاجتماعية المتبادلة وإدراك الأشياء من حيث علاقتها بنظام قيم الانسان".(**أبو جادو، 1998، ص.ص101. 102**)

5-إسهامات وإضافات بياجيه في الحقل التربوي

انطلاقا من معطيات نظرية بياجيه التي تؤكد على أن التعليم ليس شيئا يتم نقله عن طريق المعلم، لكنه شيء يأتي من المتعلم، أو أنه عملية اكتشاف تلقائي وأن الأطفال يستخدمون خبراتهم في بناء المعرفة لديهم، وأن التفاعل مع البيئتين المادية والاجتماعية ضروري لتحقيق النمو المعرفي. وسوف نتناول فيما يلي بعض المبادئ التربوية المستمدة من نظرية جان بياجيه:

"-إن توفير المواد المحسوسة في غرفة الصف، يعد أمرا أساسيا في تنظيم تعلم الأطفال، لما له من قيمة في اكتشاف طرق الأطفال في التفكير.

- ضرورة بناء مواقف تربوية تتسم بالتحدي المعقول لقدرات الأطفال المعرفية، بحيث لا تصل مواقف التحدي هذه إلى حد تعجيز الطلبة، وشعورهم بالتالي بالإحباط والفشل.

- لا ينسجم التفريق بين اللعب والعمل مع تفكير أطفال الصفوف الابتدائية الدنيا بوجه خاص، ولهذا لابد من توفير الألعاب التربوية وتطعيم الأنشطة التعليمية بروح اللعب التي تتمثل في الحرية والتلقائية والمتعة.

- يجب ألا نواجه الطفل بمشكلات تتطلب عمليات عقلية تتفوق كثيرا على مرحلة تطوره المعرفي، كما يجب أن نوفر له الفرصة لممارسة النشاطات التي يؤهله نموه المعرفي لممارستها.

- ضرورة الاستفادة من أخطاء الطلاب في بناء مواقف تعليمية، نتجاوز من خلالها جوانب الضعف في أدائهم.

- يجب ألا ننصت كمعلمين إلى ما نريد سماعه من الأطفال، بل نستمع إلى كل ما يقولون، ويجب ألا نلجأ إلى تأويلات قد تكون غير سليمة لما يقوله الأطفال مشوهين بذلك المعاني الحقيقية لديهم.

- يجب علينا ألا نصنف إجابات الأطفال عن أسئلتنا إلى إجابات صحيحة وأخرى خاطئة، لأن كثيرا مما نعتقده إجابات خاطئة، يعتبر صحيحا بالإشارة إلى الإطار المرجعي لتفكير الأطفال.

- إن إتاحة العديد من فرص التفاعل بين الطفل وبيئته الطبيعية أو الاجتماعية يساعد كثيرا على تطورهم المعرفي.

- تتأثر سرعة تقدم الطفل من مرحلة إلى أخرى بالعوامل الوراثية والعوامل البيئية وما يرتبط بها من عامل الخبرة الشخصية، وتشير الدراسات إلى وجود فروق بين أطفال العمر الواحد في نموهم المعرفي، قد تصل أحيانا إلى ثلاث أو أربع سنوات ويرى بعض العلماء أن الطفل لا يفكر بالمستوى نفسه أمام جميع المواقف.

– لا ينظر بياجيه إلى الطفل على أنه رجل صغير، لأن له طرائقه الخاصة في التفكير التي تميزه من مرحلة نمائية إلى مرحلة أخرى، فالأطفال يفكرون بطرائق خاصة بهم، ويقع الأطفال في أخطاء يصعب على الكبار التنبؤ بها.

– يلعب التفاعل مع الآخرين دورا تعليميا بارزا في المجال المعرفي والمجال الوجداني وفي المجال الاجتماعي.

– ينبغي أن يسير المتعلمون في هذا النسق من التسلسل والتتابع بحسب قدراتهم وسرعة كل منهم، وعلى التلميذ أن يلعب دورا فاعلا في تنظيم خطواته دون إكراه يتناقض مع استعداده للتعلم، ويشير ذلك إلى أهمية التعلم المفرد الذي يتيح لكل متعلم أن يتعلم بمفرده وبما يناسب ميوله واهتماماته. وبالتالي على المعلم أن يقوم هنا بدور الموجه والمنظم والمنشط والميسر.

– تتفاعل الخبرات الجديدة التي يتعرض لها التلميذ مع بناه المعرفية لاستثارة اهتمامه وتطوير قدرته على الفهم والاستيعاب، وينبغي أن تتواءم الخبرات الجديدة مع تلك التي سبق اكتسابها بشكل معقول.

– إن الوقوف على خصائص النمو المعرفي ومراحله، يمكن المعلم من تعرف طبيعة تفكير الأطفال في مراحل نموهم المختلفة، ويستطيع بالتالي أن يوجه انتباهه إلى الاستجابات المرتبطة بهذه المراحل، وأن يحدد أهدافه في ضوء السلوك المتوقع أداؤه في هذه المرحلة.

– لما كانت عملية النمو المعرفي، تقوم أساسا على إيجاد الوازن بين الطفل والبيئة، وهو أمر يستلزم التفاعل بين الطفل وما يحيط به، لذا لابد من وضع الطفل في بيئة نشطة وفاعلة، لتسهيل عملية التعلم، وممارسة أساليب الاكتشاف الذاتي للخبرة.

– تساعد مراحل النمو المعرفي وخصائص كل منها، مصممي المناهج على وضع مواد دراسية تتفق مع طبيعة العمليات العقلية لأطفال المراحل التعليمية المختلفة.

– توفر خصائص النمو المعرفي إمكانية وضع اختبارات تقيس مستوى النمو العقلي عند المتعلمين، بحيث تحل محل اختبارات الذكاء التقليدية، وتمكن المعلمين من الوقوف على مرحلة النمو المعرفي التي وصل إليها طلبتهم". **(أبو جادو، 1998، ص-ص 105-107)**

وانطلاقا مما سبق، فإن لنظرية بياجيه أهمية كبيرة من الوجهة التربوية إذ أن الوقوف على خصائص النمو المعرفي ومراحله يمكن المعلم من التعرف على طبيعة تفكير الطفل في مراحل نموه المختلفة، لذا يجب وضع الطفل في بيئة نشطة وفعالة لتسهيل التعلم وممارسة أساليب الاكتشاف الذاتي، كما أن مراحل النمو المعرفي وخصائصه تساعد مصممي المناهج على وضع مواد دراسية تتفق مع طبيعة العمليات العقلية للأطفال في المراحل التعليمية المختلفة.

خاتمــة:

تحتل دراسة تطور التفكير عند الانسان أو كيف يتعلم الانسان التفكير مكانة مرموقة ذات أهمية في سياق علم النفس وموضوعاته. إذ تعد نظرية بياجيه إحدى النظريات المعرفية النمائية لأنها تعنى بالكيفية التي تنمو من خلالهاالمعرفة لدى الفرد عبر مراحل نموه المتعددة، فهي تفترض أن إدراك الفرد لهذا العالم وأساليب تفكيره حياله تتغير من مرحلة عمرية إلى أخرى.والنمو المعرفي هو بمثابة تغيرات تحدث في الأنشطة العقلية مثل الانتباه، والإدراك، والتعلم، والتفكير، والتذكر، وتحدث هذه التغيرات بالتقدم في مراحل العمر المختلفة.

ومن الواضح أن بياجيه قد أثبت من خلال أعماله الفذة بأنه أعظم الباحثين النفسيين في هذا العصر، وأن نظريته في النمو المعرفي هي الأكثر شمولا وتكاملا، كونها فتحت آفاقا رحبة للبحث والاستقصاء.

قائمة المراجع:

-أبو جادو، صالح محمد علي. (1998). **علم النفس التربوي**، ط1، دار المسيرة، عمان.

-الزغول، عماد. (2003). **نظريات التعلم**، دار الشروق، عمان.

-شربل،موريس. (1986). **التطور المعرفي عند جان بياجيه**، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

-صالح، إبراهيم محمد. (2009). **علم النفس اللغوي والمعرفي**، ط1، دار البداية، عمان.

-العتوم، عدنان يوسف وآخرون. (2005). **علم النفس التربوي النظرية والتطبيق**، ط1، دار المسيرة، عمان.

-عدس، عبد الرحمن وآخرون. (2009). **علم النفس التربوي**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة.

-العناني، حنان عبد الحميد. (2008). **علم النفس التربوي**، ط4، دار صفاء، عمان، ط4.

-غزال، عبد الفتاح علي. (2010). **أسس النمو العقلي والمعرفي ونظرياته**، ماهي للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

-القضاة، محمد فرحان، والترتوري، محمد عوض (2006). **أساسيات علم النفس التربوي النظرية والتطبيق**، دار الحامد، عمان.

-قطامي، يوسف. (2013). **النظرية المعرفية في التعلم**، ط1، دار المسيرة، عمان.

-نفادي، السيد، وأبو ريان، محمد علي. (2004). **جان بياجيه الابستمولوجيا التكوينية**، دار التكوين، دمشق.

-النوايسة، أديب عبد الله، والقطاونة، إيمان طه (2010). **النمو اللغوي والمعرفي للطفل**، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان.

-النور، أحمد يعقوب (2008). **علم النفس التربوي**، دار الجنادرية، عمان.

Are they Grievance-rooted or Greed-kindled? Ethnic Conflicts across the Globe.

Dr/ DJALAL Mansour - Mila University Centre – Algeria.

Abstract :

It is indubitably counterfactual to argue that ethnic conflicts and all the almost ad infinitum resultant political, educational and not least social outcomes, dire and occasionally catastrophic though they are, are distinctive hallmarks of modern life. As far back as three thousand years gone by homo-sapiens did witness such facets of human conflicts. Pronunciation of the word *shibboleth*, which revealed what ethnic affiliations the speaker belonged to through his/her rendition of this word, did lead to the killing of virtually all surviving Euphraimites who wanted to cross over the fords of Jordan (captured by The Gileadites) leading up to their homeland. All those who pronounced this word with a recognizably divergent accent were killed on the spot. Ethnic conflicts did not, however, invariably crop up on account of linguistic reasons only; religious and, to a far lesser extent, cultural dimensions may likewise spark off the eruption of such conflicts. This paper of ours has sought out to give research-generated answers to the following key questions: 1) What are the most common factors that trigger off ethnic conflicts up and down the globe; 2) In which countries/continents do such conflicts continue to be rife; 3) What are the most lethal of ethnic-conflicts outcomes; 4) What are the various manifestations of ethnic conflicts in the educational sphere; and 5) What has been done/could be done to rid the world of all violence and animosity fuelled by such conflicts?

Key words: Ethnic Conflicts, linguistic, Social, Educational, Manifestations

النزاعات الإثنية في العالم:هل سببها كره دفين أم جشع مبين؟

ملخص:

من غير المعقول الادعاء أن الصراعات الإثنية وكل ما ينجم عنها من نتائج سياسية وتربوية واجتماعية التي تتسم بالكارثية و الفجائية في بعض الأحيان تمثل سمات مميزة للحياة العصرية. فقبل ثلاثة آلاف سنة شهدت البشرية مثل هذه الجوانب من الصراعات الإنسانية فنطق كلمة شيبوليث، الذي كشف عن الانتماءات الإثنية التي ينتمي إليها المتكلم أدى إلى قتل جميع الأوفرايميت الذين بقوا على قيد الحياة والذين أرادوا عبور مخاضات الأردن المؤدية إلى وطنهم الأم والتي استولت عليها قبيلة أخرى.غير أن الصراعات الإثنية لم تنجم عن أسباب لغوية فقط؛ فالدوافع الدينية، وبدرجة أقل بكثير الثقافية قد تؤدي إلى نشوب هذا الصنف من النزاعات. وقد سعت هذه الورقة البحثية لإعطاء إجابات وليدة البحوث و الدراسات الميدانية على الأسئلة الرئيسية التالية: 1) ما هي العوامل الأكثر شيوعا التي تؤدي إلى اندلاع نزاعات إثنية في العالم؛ (2) ما هي البلدان / القارات الذي تتفشى فيها هذه الصراعات؛ (3) ما هي

العواقب الأكبر وخامة والأكثر فتكا المنبثقة من النزاعات العرقية؛ (4) ما هي المظاهر المختلفة للصراعات الإثنيةفي المجال التعليمي؛ (5) ما الذي تم القيام به / يمكن القيام به لتخليص العالم من كل أعمال العنف والعداوة التي تغذيها هذه الصراعات؟

الكلمات المفتاحية: النزاعات الإثنية، اللغوية، الاجتماعية، التعليمية، المظاهر.

Introduction

Virtually allmembers of the human species go to extreme lengths to make sure that they and their dearest and nearest live peacefully without being constantly agitated and agonisedby ever-flowing waves of hatred and animosity. When coming together these two elements are alone fully capable of ruining people'stranquillity and turning all their peace-seeking plans upside down, to put it mildly. For keeping these at bay, the best tactic that human beings are recommended to cling steadfast onto is to be patient and contented with what they already possess since giving free reins to and bending to their greed (which is upon the whole impossible to satiate no matter what one has a their disposal) will bring about conflicts which will serve only to minimize their gains and devastate sources of happiness that they and their hardworking civilisation-erecting predecessors managed to secure for themselves and their families. Since conflicts come in all shapes and sizes, this article of ours has been, for convenience reasons, tailored to tackle only one facet of conflicts and namely ethnicity-fuelled conflicts. We have striven to put together a well-researched account about two major axes within the vast knowledge province of this admittedly vast-scoped discipline: some of the principal causes that lie behind the materialization of these conflicts along with some of the resolutions that have proven over the years to palliate the detrimental effects of this vile phenomenon that is not only fe in the developing world but its atrocities are also readily visible within the frontiers of the developed countries as well. We have, in the same vein, attempted to address some of the measures that could be put in place for trying to ward off the resurgence of ethnic conflicts.

1. What is Ethnicity?

Brass[(1)]defines ethnicity as, 'The subjective, symbolic or emblematic use by a group people of any aspect of culture in order to create internal cohesion and differentiate themselves from other groups' (p. 19).This definition is, in our view, valid in the sense that cultural norms adhered to are overt indicators that mark out a given group as being conspicuously divergent from other groups within the borders of the same society. Contrary to what this academic said, we would contend that these manifestations have come to be associated with a given group for the consistency observed not because the group has intended ever since its infancy stages of formation to use. The group has turned out to be what it is out of sheer passage of time. To the above ethnicity-forming factor,Dush and Saltarelli[(2)]append other equally pertinent constituents, such as common descent, birth and

[1]Brass, P. (1991). Ethnicity and nationalism: Theory and comparison. New delhi: Sage.

[2]Dush, K. D., &Saltarelli, D. (eds.). (2000). The two faces of education in ethnic conflicts: Towards a peacebuilding education for children. Siena: ArtiGrafiche.

kinship. Ethnic affiliation can likewise be related to phonotypic characteristics such as skin colour.

2. EthnicConflicts Statistics

The statistics that will be sketched out shortly below do pinpoint one crucial yet hugely alarming fact;ethnic conflicts have not ceased to grow both in scope and intensity and not least the ever-expanding plurality of variables underpinning their occurrence. The latter part of the 1970s did witness the emergence of 18 intra-state language-fuelled conflicts and 19 religious-fuelled ones. Most of these conflicts were not violent ones, though. Just a couple of years down the line, precisely in 1983, not fewer than 76 states across the globe lived amidst cut-throat opposition launched by minority groups, whereas other 38 had minority group grievances-expression without any accompanying aggressive opposition movements (out of the opposing groups 41 resorted to deploying violent means as an outward communication of their expressively desperate needs)[1].

Just twelve years later, the then already vile and gloomy picture the world scene witnessed grew into a truly unbearably lethal one indeed. According to a report furnished by Darby[2], in 1996 alone the number of destructive armed conflicts grew in numbers and atrocity: 74 conflicts erupted out which 19 triggered off the death of nearly 1000 people, children and women included.

3. Primary Root-causes of Ethnic Conflicts

It is just borderline insensible to assert that ethnic conflicts do emanate from a finite set of immediately recognizable factors or that under certain circumstances only one factor could be blamed for the eruption of ethnic conflicts. As the following discussion unfolds, it will be made gradually patently clear that such assumptions are at best groundless and at worst potentially misleadingly simplistic. Although this socio-political economic phenomenon is by no means at an embryonic stage, it behoves us to argue that given the inconclusive evidence furnished by the scholars in the field, more needs to be done for guaranteeing a fuller, more mature comprehension of the ins and outs of this phenomenon.

3.1 Homogenization Policies and the Rise of Ethnic-conflicts

The world has known a remarkable increase in the volume of conflicts after the WW2. This is could be partly ascribable to the changing policies adopted by European countries. In other words, before the WW2, many communities were freeto live together without havingto mingle with other communities within the same state. After WW2 many drastic changes came to the forefront, homogenization and centralisation policies started to emerge.These groups were practising all their traditions and cultural norms literally without the interference of their governments. The dual of effect of expansion of means of transport and the mass media started to jeopardize the serenely calm atmosphere that these people relished, and the dominant culturalnorms of the dominant leading group started to manifest overly outward imposition upon the lives of the indigenous peoples. These homogenization policies have not only striven to bring about unity into the state's cultural and linguistic composition; according

[1]Kidran, M., & Segal, R. (1984).The new state of the world atlas. London: Pluto Press.

[2]Darby, J. (1997). Scorpions in a battle: Conflicting cultures in Northern Ireland. London: Minority Right Group.

to de Verennes[1], even the religious belonging of people has also been subjected to the homogenization process.This has happened even in the most liberal of the Western countries such as France and the United States. To use his own words, 'Even secular states like the United States and France are not 'Religion Neutral' since in the case of both these countries Christian holy days such as Easter and Christmas are designated by law as public holidays, whereas no holy days of any other religious tradition are' (p. 14). De Verennes[2] goes on to argue that even Australia which is, on the face of it, rated to be a secular society and a multicultural state, it, like France and the US, cannot be legitimately considered remotely neutral in terms of what languages it favours and what cultures it tolerates and nurtures. For the former, the government's almost only language is English, some languages of the indigenous communities are taught at a vanishingly small number of schools in the country. The minority-group language classes are typically taught towards the end of the school day.

3.2 Primordial Institutional Political and Economic Roots of Conflicts

Blagojevic[3]contends that ethnic conflicts cannot be sensibly ascribable to only one cause. For this political sciences scholar, ethnicity-driven conflicts can be related to the interplay of four different variables, namely primordial, institutional, political entrepreneurs and competition over resources. In the chart (reproduced verbatim below) she attempted to lay out a salient picture of the four divergent approaches whose pioneers tried to furnish adequate explanations to the variables that might bring about ethnic conflicts:

[1]De Varennes. F. (2011).Language ethnic conflicts and international law. Treatise and Documents Journal of Ethnic Studies, 66, 8-35.

[2]De Varennes. F. (2011).Language ethnic conflicts and international law. Treatise and Documents Journal of Ethnic Studies, 66, 8-35.

[3]Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

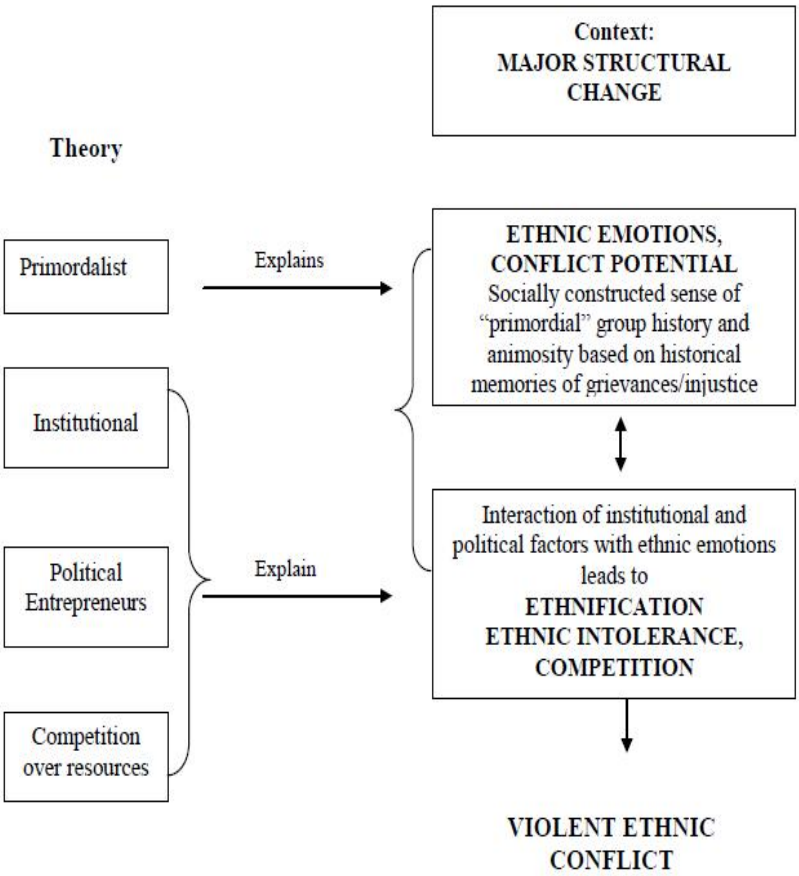

Blagojevic[1](p.5)

Primordial roots of ethnic conflicts imply that inter-ethnic division does not have to be interpretable in terms of what has transpired in the political social agenda at the present time. Conflicts go back centuries ago: all the facets of disagreement that broke out in the near or far past, all aspects of injustices one ethnic group truly physically experienced or just emotionally lived through, might actually turn out to be one of the most salient root causes of present-day conflicts. Due to the existence of kinship ties that demarcate social groups as being distinctively different and as sharing some idiosyncratic hallmarks that mark them out as unique groups, conflicts might ensue when these group feel endangered or their lawful rights taken away from them. This is an attempt to spell out the rather opaque convictions expressed by Mohammadzadeh[2]a social sciences expert, as he asserted, 'The primordialist account relies on a concept of kinship relationships holding between members of an ethnic group' (p. 158).These twoafore-cited scholars are not alone in putting ethnic conflict emergence down to historically-grounded reasons nor are they the only ones to tackle this issue: Carment and James[3]do overtly argue along the same reasoning lines, 'Popular appeal to dormant but long-

[1]Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

[2]Mohammadzadeh, H. (2016). The causes of ethnic conflict in multi-ethnic societies. World Scientific News, (42), 156-166.

[3]Carment, D., & James, P. (2000).Explaining third-party intervention in ethnic conflict: theory and evidence. Nations and Nationalism 6 (2), 2000, 173-202.

held ethnic grievances results in seemingly irrational escalation of conflict' (p. 175). For these co-authors, hatred that did accumulate over the years and has been absent in the social scene, has not actually died away: it was just in a latent state inside the ethnic groups' hearts and souls. This demonstrates that past disagreements have not been properly resolved and unity of orientation and purpose has never been established or else no such appeal to past animosity would surface. This, when viewed from a different perspective, would entail that unless terminal solutions are brought about by virtue of painstakingly meticulous resolutions of ethnic conflicts, no one would be remotely certain that no comparable even more atrocious conflicts would re-emerge in the future.

This primordialist approach to the elucidation of the prime causes of ethnic animosity might be construed to imply that under certain circumstances ethnic conflicts might arise not owing to any breaches on the part of one the ethnic groups, predominantly the majority group, of some agreed-upon social or economic maxims,. History could be returnedto solely as a point of reference as Ahmed[(1)]tries to spell out in the following statement, 'History is employed to buttress ethnic and religious polemics and, more importantly, to reclaim and re-construct ethnic identity… Honour, identity and the media, the past and the future, the rise of what is called fundamentalism or revivalism all relate to the historical reference points' (p. 20).

Blagojevic[(2)]**,** towards her delineation of this approach's defining hallmarks, goes as far as to argue, rightly to our mind, that this view implies 'hopelessness'. Indeed, sticking to the persuasion that such conflicts are history-borne and that we cannot remake history would only lead to downright defeatism and close all possible pathways for bringing resolutions into conflict-stricken areas up and down the globe. Ahmed[(313)]lends undivided support to this contention as he argues that, 'Only backward societies cling to the past' (p. 6).

Blagojevic[(4)]states that institutional practices are likewise bound to lead to instability or chaos. This author gives, amongst an array of other examples, the impact institutional powers might have on the potential eruption of conflicts. To her, because communists suppressed even the very expression of ethnic conflicts, the collapse of the communist regimes in some countries has led to the surfacing of ethnic conflicts. The same holds equally true in post-colonial countries. Since most colonising powers deployed divide and rule policies for the solidification of their governmental systems; the gaining of independence by many states has led to the resurgence of ethnic conflicts. In democratic states, the scene is entirely different: due to the cooperation amongst ethnic groups fostered by truly democratic nations in the world, in such countries the likelihood of emergence of ethnic conflict is vanishingly rare.

---

[1]Ahmed, S. A. (1995). Ethnic cleansing: A metaphor of our time. Ethnic and Racial Studies, 18(1), 1-20.

[2]Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

[3]Ahmed, S. A. (1995). Ethnic cleansing: A metaphor of our time. Ethnic and Racial Studies, 18(1), 1-20.

[4]Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

The third major cause of conflicts relates to politicians themselves, whom Blagojevic[1]chooses to label political entrepreneurs. For the sake of fulfilling their own needs, politicians may adopt conflict-arousing strategies. The interwoven relationship between the institutional factor introduced above and the current one are very apparent indeed. Framed differently, no such politicians can deploy ethnic-based disagreement tactics to suit their own needs at the expense of state stability unless the state wherein they happen to function has very fragile regulations wherewith to ban such malpractices. About this state-of-affairs, Blagojevic[2]wrote:

> The political entrepreneurs approach to explaining the causes of ethnic conflict is closely related to the institutional approach. Politicians who use ethnicity to their advantage can successfully operate only within those institutional arrangements that support/allow such practice or are unable to prevent it. The success of political entrepreneurs in mobilizing ethnic groups into violent conflict depends on the strength of the existing state institutions. (p. 10)

The last factor to which ethnic conflicts could be attributable relates to competition over resources. This factor is mostly prone to come into the scene when the state resources haveremarkably dwindled away. It is fair to argue that the poorer the country, the more robust its institutional systems should become and the more tactics whereby to dwarf the attempts of some greedy opportunistic politicians to mobilize ethnic groups should be implemented. Other authorities do argue that it is not always shrinkage of resources that customarily spark off ethnic conflicts: unbalanced access to wealth may equally be a robust incentive for the materialization of such strife[3]**.**According to Imoh[4]**,**ethnic conflicts can be ascribed to deprivation whether it be economic, political or social although he seems to underscore the fact that it is economic deprivation per se which is the biggest factor underlying the eruption of conflicts:

> Warri in Delta State, Nigeria, though a relatively homogenous settlement in terms of its geography, has a multilinguistic,multi-ethnic, multi-religious and multicultural population. Even though the city is often referred to asan oil city, a majority of the people in the area have not been assimilated into the mainstream of nationalsocioeconomic development. While a majority of the people have been assimilated in needs, aspirations andcapabilities, through formal and informal education, they are nonetheless denied a significant share of theattainments and dividends of the oil wealth. (p. 49)[5]

---

[1]Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

[2]Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

[3] Deutsch, K. (1979). Tides among nations. New York: The Free Press.

[4]Imoh, G. (2013). Mass media management of the inter-ethnic conflict in Warri Delta State, Nigeria: An evaluative study. New Media and Mass Communication, 17, 49-58.

[5]Imoh, G. (2013). Mass media management of the inter-ethnic conflict in Warri Delta State, Nigeria: An evaluative study. New Media and Mass Communication, 17, 49-58.

3.3 Education Policies and Ethnic Conflicts

Although the schooling system may, at first glance, appear not to have the remotest involvement with the all too subtle issue of ethnic-driven conflicts, whether intentionally or otherwise, governmental bodies may implement educational systems that serve, at least peripherally, to entrench already burning inter-ethnic divisions. In their attempt to reduce heterogeneity within their territories, some countries took resource to education systems and institutions for this end presumably assuming that no unpleasant outcome would eventually crop up. Coulby[(1)]maintains that examples of school-related homogenization practices may pertain to their usage of only one 'canon of national literature' and one language. A very patently obvious case in point is that of Albanians and Serbs in Kosovo. As the Albanians strove to regain some of their rights, the Serbs, amidst their endeavours to extinguish the Alban's efforts, targeted the schooling system as a rich terrain wherein they could fulfil, at least minimally, a portion of their plans. In other words, they imposed a schooling system where no or little room was left for the Alban's language and culture to surface. Many experts, Coulby[(2)]contends, concur that the strife that eventually broke out in the region could be immediately ascribable to this practice.

At this terminal juncture of the review, it is highly critical that we re-accentuate that although all the explanatory pathways adhered to by the aforementioned scholars and others that our papers has not incorporated are by no means all-inclusive in and of themselves. Notwithstanding the robust line of argumentation adopted by such authorities, each appears to fallaciously assert that only their explanations are endorsed by reality; a closer scrutiny of the conflict-stricken areas dynamics would furnish far more decoding avenues than those put forth by proponents of one single approach. This contention of ours is shared by Willians[(3)]as he affirms:

> …because each of them focuses on a one-dimensional perception of ethnic identity, their explanations of the origin of ethnic identity and its role in ethnic conflict appear over simplistic making the theory incapable of comprehensive and meaningful analyses. The implication is that ethnic conflict resolution remains lopsided and in some cases practically impossible because our narrative frame our response and informs the course of action taken to prevent or resolve these conflicts. A narrow focus on a single dimension will continue to produce ineffective intervention or post conflict peace building strategies that are insensitive to other significant factors. A framework that incorporates grievance, greed, weak states, breakdown of security, ethnic geography, intergroup policies, elite politics, unequal economic distribution systems, historical processes and other socio-political factors. (p. 149-50)

---

[1]Coulby, D. (1997). Educational responses to diversity within the States. In D Coulby et al. (eds.) Intercultural education: World yearbook of education. London: Kogan Page.

[2]Coulby, D. (1997). Educational responses to diversity within the States. In D Coulby et al. (eds.) Intercultural education: World yearbook of education. London: Kogan Page.

[3]Willians, D. U. (2015). How useful are the main existing theories of ethnic conflict? Academic Journal of Interdisciplinary Studies, 4 (1), 147-51.

4. Ethnic Conflicts Resolution Pathways

The more diverse causes a given detrimental social phenomenon has, the more results it is prone to give rise to and; by implication, the tougher the task of setting things right becomes. This applies perfectly well to the spectre phenomenon discussed in this paper. As should have been abundantly clear by now, owing to the multidimensional roots and incentives that lie behind the materialisation of ethnic strife and due to the indecisiveness besieging which factors are widely recognized as being of primary relevance to the explanation of emergence of such conflicts, it is only fair to argue that aspiring to get quick fixes is a veritable myth. We will, none the less, in the upcoming discussion try and throw some illuminating light upon some of the most workable cures that have withstood the test of time and proven their efficacy for at least alleviating ethnic tensions.

4.1 The Mitigating Power of Reconciliation

Reconciliation could be viewed as one of the most tried and tested means whereby peace and stability could be regained in conflict-torn societies.Reconciliation is the process of bringing back harmony and togetherness into the lives of the opposing parties. For this process to be possible, the opposing groups have to be furnished with sufficiently enough grounding for them to forgive and forget, as it were. No such endeavours are likely to generate favourable outcomes unless, as Blagojevic[(1)]points out, the element of justice is present.Blagojevic[(2)]puts forth that justice falls into two clear-cutsets:retributive (punitive) justice and restorative justice.

Blagojevic[(3)]argues that reconciliation as a fertile means to establishing solid platforms for accomplishing remarkable reduction in inter-ethnic tension is itself not a uni-lateral process. She decomposes this process into four sub-categories:

I. Reconciliation through interethnic dialogue/exchange;
II. Reconciliation through economic transformation;
III. Reconciliation through political transformation; and
IV. Reconciliation through institutional building.(p. 39)

What is uppermost in this reconciliation-type distinction is thatdialogue is the first move towards arriving at extinguishing resentment and hatred which are at the heart of conflict-fuelling variables. For this first step to be a success, the people bringing the opposing parties into the negotiation table should be equipped with heightened awareness as to how to coax members, particularly leading ones, of the conflicting parties to listen attentively and bear with one another till the end phase of the entirety of the negotiation procedure is reached.

4.2 Education and Inter-ethnic Group Tolerance

Padilla and Ruiz[(1)]assert that since people's perceptions and stances towards ethnicity get shaped early on in a person's life span, it is imperative that tolerance of plurality vis-à-vis

[1]Blogojevic, B. (2004). Ethnic conflicts and post-colonial development peacebuilding in ethnically divided societies. (Doctoral Dissertation).

[2]Blogojevic, B. (2004). Ethnic conflicts and post-colonial development peacebuilding in ethnically divided societies. (Doctoral Dissertation).

[3]Blogojevic, B. (2004). Ethnic conflicts and post-colonial development peacebuilding in ethnically divided societies. (Doctoral Dissertation).

ethnic belonging gets taught in early childhood. Carment and James[2]argue along nearly parallel reasoning lines through maintaining that psycho-analysts entertain the belief that positive and negatives attitudes towards life's multi-tiered components get established via child-parent-(caregiver)-relationships channel. It is unquestionably crucial that not only children but also parents and caregivers, the suppliers of beliefs and persuasions about life, receive their fair share of education on ethnic issues.

4.3 Foreign Aid Moderation of Ethnic Conflicts

Extra-state powers are also important agents in the tough process of resoling or at least moderating ethnic conflicts or so the belief Esman[3]adheres to. These agents, he refers to as donorsor development assistance agencies such as the World Bank,are prone to be confronted face to face with a rather worrying dilemma. After all, not all donation efforts are guaranteed to be invariably beneficial to the recipientsthereof per se.The context gets all the more sensitive when the targeted recipients happen to be living under socially restless, straining conditions as is typical of ethnic-conflicts-stricken communities.Esman[4]contends that if interventions are to be constructively conducted, ameticulous scrutiny of the idiosyncrasies of the targeted region should be carried out before plunging into the unknown and compounding matters instead of reducing the gravity thereof. To use his own words, 'If development assistance agencies are to address the conflict potential of ethnic pluralism constructively, they must recognize that there are no standard formulas for managing ethnic conflicts and thus context conditions the effectiveness of the intervention. The agencies must equip themselves with as much reliable information about a host country's ethnic dynamics and relations as they routinely gather about local economic conditions' (p.v)[5].

4.4 Mass Media: APotential Conflict-resolution Pathway

People who truly want to resolve ethnicity-related conflicts can take full recourse to the various organs of mass media. However, no hasty approach should be adopted because after all the mass media programmes, when/if not properly devised, may end up entrenching the animosity rather than alleviating the pain and strain inflicted upon the conflicting parties. For this reason alone, Gamble and Gamble[6]emphasise that such great caution should be present before any measures are taken up by mass media producers. The co-authors stress that heightened sense of responsibility and media-ethics should be set in place before anything is done lest the situation becomes all the more dire. According to these scholars, the mass media should use all measures possible for turning the tension-stricken conflicts into cooperation-seeking ones.

---

[1]Padilla, A. M., & Ruiz, R. A. (1974). Latino mental health: A review of the literature. National Institute of Mental Health. Rockville: Md.

[2]Carment, D., & James, P. (2000).Explaining third-party intervention in ethnic conflict: theory and evidence. Nations and Nationalism 6 (2), 2000, 173-202.

[3]Esmam, M. J. (1997). Can foreign aid moderate ethnic conflicts? Peaceworks, 13.

[4]Esmam, M. J. (1997). Can foreign aid moderate ethnic conflicts? Peaceworks, 13.

[5]Esmam, M. J. (1997). Can foreign aid moderate ethnic conflicts? Peaceworks, 13.

[6] Gamble, T. K., & Gamble M. (1996). Communication works. New York: McGraw

The mass media should, likewise, always aspire to construct programmes wherein solutions to the conflicts are spelt out and such means should under no circumstances mark one group out as being the victim and the other one as being the right-holder: every effort and care should, in a similar vein, be taken to ensure that the conflicting parties perceive the possibility of negotiation and compromise as a gateway to harmonious living which will most assuredly be to the advantage of not only the present generation but to the future ones as well.

Conclusion

Members of the homo-sapiens species are endowed with a congenital disposition of peace-cherishing, peace-seeking, peace-spreading and peace-maintaining. Under some circumstances, where greed and non-contention with the amount of wordly possessions one has at their disposal are not kept a tight rein on, a segment of such peace-soaked predispositions gets subsumed and even morphed into by socio-economic and/or educational aspirations. Such aspirations, when given free rein to and allowed to set in motion one's attainments, may spark off inter-human conflicts because, after all, if one is not sufficiently pleased with what there is he/she will resort even to some ghastly means to satiate one's hunger and thirst for power and distinction. In this article we have sought out to approach the ever so entangled theme of ethnic conflicts, intrastate conflicts more specifically, from a range of perspectives. The chief factors that may lie behind the breaking out of such conflicts have been spelt out. We have, likewise, endeavoured to shed light on some of the most tangibly applicable measures to put in place for tackling such forms of detrimental human animosity. Of course, there certainly is not such a one-way-fits-all policy of sustainable peace-building in conflict-beaten zones; in this article we tried to throw some enlightening light on a number of the tactics and procedures that have proven to play at least the role of conflict-moderation means.

Notwithstanding the line of reasoning adhered to, we remain wholly convinced that the best practice for handling conflicts is through sowing grains of love, care and compassion for one another. After all, we all have one common descent: Our Father is Adam and our Mother is Eve. Is not life already a cut-throat competition for more comfortable, strain-free living? The number of ailments inflicted upon this universe is beyond computation, to put it mildly. Is not this enough of an impetus for us all to join hands and work together towards alleviating the pain and agony of disease-stricken people across the globe? Adding the ever so atrocious, counter-prosperity and tranquillity element of conflict, whether they be ethnically-motivated or otherwise, will indubitably bring about colossal destruction and serve to erase all formerly laboriously-accomplished victories against agony and unrest in the world. No one could turn a deaf ear to the ear-piercingly shrill voices of children, be they ours or those of our fellow human beings, who are perpetually traumatised by the choking horrors of ethnic-conflicts. Let us all be fully cognizant to the fact that we all recognize as being a calamity to us all: if childhood gets torn asunder by incessant conflicts, no remedy could be put in place to reverse the damage that such vile life-style would eventually engender. The best policy and the best remedy is to abstain from being so unbearably greedy and start thinking constructively; violence generates nothing but despicable disfigurement of our societies. Let us be equipped with the craft and art of good-listenership and handle our disagreements with patience and calmness lest the world becomes irrevocably infested with terror where no-one could enjoy a continuoushour of decent sleeping or therapeutic playing with one's little ones for a quarter thereof!

References

Ahmed, S. A. (1995). Ethnic cleansing: A metaphor of our time. Ethnic and Racial Studies, 18(1), 1-20., 3 (1), 1-25.

Blogojevic, B. (2004). Ethnic conflicts and post-colonial development peacebuilding in ethnically divided societies. (Doctoral Dissertation).

Blagojevic, B. (2009). Causes of ethnic conflicts: A conceptual framework. Journal of Global Change and Governance, 3 (1), 1-25.

Brass, P. (1991). Ethnicity and nationalism: Theory and comparison. New Delhi: Sage.

Carment, D., & James, P. (2000).Explaining third-party intervention in ethnic conflict: theory and evidence. Nations and Nationalism 6 (2), 2000, 173-202.

Coulby, D. (1997). Educational responses to diversity within the States. In D Coulby et al. (eds.) Intercultural education: World yearbook of education. London: Kogan Page.

Darby, J. (1997). Scorpions in a battle: Conflicting cultures in Northern Ireland. London: Minority Right Group.

Deutsch, K. (1979). Tides among nations. New York: The Free Press.

De Varennes. F. (2011).Language ethnic conflicts and international law. Treatise and Documents Journal of Ethnic Studies, 66, 8-35.

Dush, K. D., &Saltarelli, D. (eds.). (2000). The two faces of education in ethnic conflicts: Towards a peacebuilding education for children. Siena: ArtiGrafiche.

Esmam, M. J. (1997). Can foreign aid moderate ethnic conflicts? Peaceworks, 13.

Gamble, T. K., & Gamble M. (1996). Communication works. New York: McGraw,

Imoh, G. (2013). Mass media management of the inter-ethnic conflict in Warri Delta State, Nigeria: An evaluative study. New Media and Mass Communication, 17, 49-58.

Kidran, M., & Segal, R. (1984).The new state of the world atlas. London: Pluto Press.

Mohammadzadeh, H. (2016). The causes of ethnic conflict in multi-ethnic societies. World Scientific News, (42), 156-166.

Padilla, A. M., & Ruiz, R. A. (1974). Latino mental health: A review of the literature. National Institute of Mental Health. Rockville: Md.

Willians, D. U. (2015). How useful are the main existing theories of ethnic conflict? Academic Journal of Interdisciplinary Studies, 4 (1), 147-51.

METHODOLOGIE DE LA RECHERCHE QUALITATIVE EN SCIENCE DE L'INFORMATION ET DE LA COMMUNICATION : QUALITE, PRINCIPES ET PRATIQUES

Chercheur/ Berkoune kahina - Université Abderrahmane Mira – Bejaia.

Résumé :

La recherche qualitative met l'accent sur la collecte de données principalement verbales plutôt que des données qui peuvent être mesurés. L'objectif principal d'une recherche qualitative est de fournir une description complète et détaillée du sujet de recherche. Il est généralement de nature plus exploratoire. Cet article vise à démontrer la qualité, les principes (éthiques) et pratiques de la méthode qualitative dans les études de science de l'information et de la communication(SIC). Pour la qualité on va argumentés les critères de la recherche qualitative pour bien cerné les points forts et les points faible de cette recherche dans la science de l'information et la communication avec une critique constructive dans le domaine en utilisant des exemples illustratifs qui vont mettre en exergue la réalité de la méthode qualitative dans les études médiatiques , sans oublier de faire le point sur l'opposition entre approche qualitative et approche quantitative; quant aux principes et techniques l'article mettra en avant la réalisation d'une étude qualitative(de la planification à la valorisation des résultats) des thématiques qui concernent le champs communicationnel, qui rentre dans le cadre d'un processus de l'élaboration d'une recherche qualitative basant sur l'éthique scientifique.

Mots clés : méthodologie de recherche, recherche scientifique, recherche qualitative, étude communicationnelle, information et communication.

ملخص:

يركز البحث الكيفي على جمع البيانات اللفظية في المقام الأول بدلا من البيانات التي يمكن قياسها. الغرض الرئيسي من البحث الكيفي هو تقديم وصف كامل ومفصل لموضوع البحث. وعادة ما يكون ذو طبيعة استكشافية. يهدف هذا المقال إلى إظهار الجودة والمبادئ (الأخلاقية) للطريقة الكيفية في دراسات علوم الإعلام والاتصال.فمن جانب الجودة سنقوم من خلال هذا المقال بمناقشة معايير البحث الكيفي لتحديد نقاط القوة والضعف في البحوث الكيفية لعلوم الإعلام والاتصال مع النقد البناء في هذا المجال باستخدام أمثلة توضيحية، التي ستسلط الضوء على واقع الطريقة الكيفية في الدراسات الإعلامية، دون أن ننسى تقييم العلاقة بين المقاربة النوعية والمقاربة الكمية ؛ أما بالنسبة للمبادئ والتقنيات، فإن هذا المقال سيتناول الطريقة التي تستعمل لتأسيس دراسة كيفية (من التخطيط إلى تقييم النتائج) فيما يخص الموضوعات التي تتعلق بمجال الاتصال، والتي تأتي في إطار عملية إعداد البحث الكيفي القائم على الأخلاق العلمية.

الكلمات المفتاحية: منهجية البحث،البحث العلمي، البحث الكيفي، الدراسة الاتصالية، إعلام واتصال.

Introduction :

Le choix de la méthode de recherche est crucial pour les conclusions possibles à propos d'un phénomène, la sélection d'une méthode de recherche doit être en adéquation avec les dispositions du chercheur (le temps, l'argent, la faisabilité, l'éthique et l'aptitude à une mesure correcte du phénomène), et pour cette communication j'ai choisie de faire une quête générale et détaillé sur la recherche qualitative qui donne un aperçu du comportement et des perceptions des gens et permet d'étudier leurs opinions sur un sujet particulier, de façon plus approfondie que dans un sondage. Elle génère des idées et des hypothèses pouvant contribuer à comprendre comment une question est perçue par la population cible et permet de définir ou cerner les options liées à cette question ; les discussions en groupe et les entrevues individuelles en profondeur représentent les techniques qualitatives les plus fréquentes. Comparativement aux techniques d'investigation sur la base de sondage, la recherche qualitative n'a pas recours à un questionnaire fermé. Le chercheur dispose d'une certaine latitude pour adapter le guide de discussion ou le guide d'entrevue selon les réponses et les expériences individuelles des participants. Le chercheur peut ainsi éliminer des secteurs de questions qui ne génèrent pas beaucoup d'informations utiles et ajouter ceux qui sont plus prometteurs.

Le choix de la méthode qualitative dépend de plusieurs facteurs liés à la méthodologie utilisée comme les questions de recherche, généralités et détails, la recherche sur les écrits existants, considération et pratique, collecte de connaissances…, entre autre les études qualitative sont réalisés dans les situation complexes, pour déterminer les variables pertinentes pour une étude quantitative, pour approfondir les corrélations inattendues d'une étude quantitative et si la recherche porte sur des pensées ou de l'expérience ; l'importance dans chaque recherche en général et dans la recherche qualitative en particulier c'est que le chercheur connaisse les chemins de l'éthique en utilisant une structure rigoureuse montrant le sérieux de sa recherche scientifique. Dans cette intervention je vais mettre en avant les fondements, les procédés et les vertus de l'approche qualitative en science de l'information et de la communication, c'est pour cela cette communication vise à répondre sur la question principale suivante :

Quels apports de scientificité de l'approche qualitative dans les études communicationnelle ?

A partir de cette question principale dérive trois questions secondaires qui sont comme suit :

1. Quels sont les critères de scientificité en recherche qualitative dans les études communicationnelle ?
2. Quelles principales techniques de l'approche qualitative dans les sujets communicationnelle ?
3. Quelle pratique éthique pour la méthode qualitative dans les études communicationnelles ?

1- Les critères de scientificité en recherche qualitative dans les études communicationnelle

La recherche qualitative remonte aux années 1920[1] les anthropologues et les sociologues ont été les premiers à mener des recherches sur des phénomènes humains dans les environnements naturels et d'un point de vu holistique, depuis les années 1950 le marketing utilise les techniques de recueil de données spécifique à la recherche qualitative comme les entretiens et les focus groups (groupe de discussion). C'est à partir des années 1990 que les chercheurs en santé ce sont approprié les méthodes qualitatives. Le terme MESH (Medical Subject Headings Thesaurus international servant de base d'interrogation dans Medline) de recherche qualitative est apparu dans Medline (base de données bibliographique regroupant la littérature relative aux sciences biologiques et biomédicales) en 2003[2] . Pour la science de l'information et de la communication(SIC) la méthode qualitative est parvenue avec l'apparition de cette science qui revient au 20 éme siècle (discipline récente) ou l'approche qualitative est largement dominante[3] . Il est vrai que jusqu'aux années 60 les chercheurs qui s'intéressaient au sujet de la communication étaient des psychologues, des sociologues, des mathématiciens ou des politologues venus afin de tester une partie de leurs théories dans le champ communicationnel, alors que dans les dernières décennies la situation a changé et la majorité des idées sont engendrées par les chercheurs en communication. Ainsi la dépendance d'autres champs a graduellement disparu, et le carrefour communicationnel est devenu une discipline bien établie, rigoureuse avec des départements universitaire, des programmes doctoraux, des traditions de recherche, des revues et organisations scientifiques[4]

La recherche qualitative est parfois définie en référence ou en opposition à la recherche quantitative En réalité, il n'y a pas opposition mais complémentarité entre les deux, car elles n'explorent pas les mêmes champs de la connaissance. La recherche qualitative ne cherche pas à quantifier ou à mesurer, elle consiste le plus souvent à recueillir des données verbales[5].

Selon Hammersley (1989), la démarche qualitative utilise des formes de cueillette de données telles que des entrevues, des observations, plutôt que des mesures quantitatives ou des analyses statistiques[6]

« La valeur d'une recherche scientifique est en grande partie dépendante de l'habileté du chercheur à démontrer la crédibilité de ses découvertes. »[1]

---

[1] Van ROYEN. P : Cours d'introduction à la recherche qualitative, institut médecine tropicale de Bruxelles, décembre 2007, sans page.

[2] Isabel AUBIN- AUGER, Alain MERDER, Laurence BAUMANN et autres : Introduction à la recherche qualitative, la revue française de médecine générale, volume 19, N° 84, 2008, p143.

[3] Françoise BERNARD et Robert –Vincent JOULE : Le pluralisme méthodologique en science de l'information et de la communication a l'épreuve de la « communication engageante », question de communication, mis en ligne le 10 mai 2012, consulté le 06 septembre 2018.URL : https://journals.openedition.org/questionsdecommunication/4647

[4] Judith LAZAR: La science de la communication, édition DAHLAB, deuxième édition corrigée, Algérie,1993, pp (3-4).

[5] Isabel AUBIN-AUGER, Alain MERDER, Laurence BAUMANN et autres, op.cit, p143.

[6] Marc L. Pelletier et Marthe Deniers, Recherche qualitative, recherche quantitative: Expressions injustifiées, revue des sciences de l'éducation, vol xx, N° 04, p758.

Les critères d'évaluation de la « scientificité» de la recherche qualitative sont diversement décrits. Les avis sur la question sont très contrastés. Certains sont partisans de l'utilisation des mêmes critères que ceux de la recherche quantitative, d'autres s'y opposent formellement arguant que les concepts sont trop différents[2]

Par contre, le chercheur partisan de l'approche qualitative n'essaie pas d'abord de quantifier les phénomènes observés afin d'établir des corrélations. Il tente plutôt de saisir la réalité telle que la vivent les sujets avec lesquels il est en contact; il s'efforce de comprendre la réalité en essayant de pénétrer à l'intérieur de l'univers observé. Le premier exemple qui vient à l'esprit est celui de l'ethnologue qui, pour faire avancer les connaissances scientifiques sur les structures familiales des aborigènes, décide de passer deux années chez ces personnes et de vivre comme elles. Le travailleur social voulant obtenir des informations valables et scientifiques sur les conditions de vie des chambreurs chômeurs du centre-ville procède un peu de la même façon, en passant le plus de temps possible avec ces personnes et en les interrogeant en profondeur d'une façon ouverte, sans faire appel à un questionnaire structuré et inflexible[3]. Il en est de même pour les chercheurs en science de l'information et de la communication qui veulent savoir le rôle de la communication événementielle dans les agences de communication, il s'agit pour ces chercheurs en communication et relation publiques de déterminer la valeur de la communication événementielle comme étant une communication qui se base sur l'échange d'informations entre un émetteur et un récepteur dans le but d'informer , de se positionner , de mobiliser ou de créer des relations[4]

La communication événementielle est indispensable pour la création d'une identité forte de l'entreprise, en effet cette communication est utile pour les entreprises qui veulent faire face à une forte détermination de leur image, notamment pour ceux qui ont compris l'intérêt de communiquer à travers un événement[5] .

Les quelques exemples qui viennent d'être donnés n'épuisent pas toutes les possibilités de recherche qu'offre l'approche qualitative dans le champ communicationnel à savoir la technique de l'approche utilisé.

La recherche qualitative se caractérise par deux choses : elle cherche à comprendre comment les acteurs pensent, parlent et agissent, et elle le fait en rapport avec un contexte ou une

---

[1] Drapeau M, Les critères de scientificité en recherche qualitative. Pratiques psychologiques, 2004;10:79-86.

[2] Isabel AUBIN-AUGER, Alain MERDER, Laurence BAUMANN et autres, op.cit, p145.

[3] Yves Poisson, L'approche qualitative et l'approche quantitative dans les recherches en éducation, Revue des sciences de l'éducation, Volume 9, N° 3, 1983, p371.

[4] Sonia MALIHI et Linda SAHALI, « Le rôle de la communication événementielle dans les agences de communication cas pratique : les agences de communications Etoile bleu, Alliance pub, Etablissement Boudraa Genet service, Bejaia », université Abderrahmane Mira, faculté des sciences humaines et sociales, département des sciences humaines, mémoire de fin de cycle en vue de l'obtention du diplôme de master en science de l'information et de la communication, option communication et relation publiques, 2018, p04.

[5] Radia BDHOUCHE et Celia BOUAKEUR, « Le rôle de la communication événementielle dans l'amélioration de l'image de marque de l'entreprise cas d'étude : SARL IFRI », université Abderrahmane Mira, faculté des sciences humaines et sociales, département des sciences humaines, mémoire de fin de cycle en vue de l'obtention du diplôme de master en science de l'information et de la communication, option communication et relation publiques, 2018, p10.

situation[1]. La recherche qualitative a donc un rapport particulier à la théorie : elle vise à la généralisation analytique et non à la généralisation statistique, elle cherche à mettre en évidence des mécanismes qui peuvent jouer différemment selon les contextes et les situations, elle doit faire un usage systématique du raisonnement contrefactuel et des hypothèses rivales plausibles dans l'analyse théorique[2]

Au bout du compte, le point le plus important est la rigueur à tous les niveaux, de la méthode à la présentation des résultats, en passant par l'analyse complexe des données. La validité interne consiste à vérifier si les données recueillies représentent la réalité. Une des façons d'y parvenir est de recourir à la technique de triangulation des sources et des méthodes. La triangulation permet de comparer les résultats obtenus à partir d'au moins deux techniques de recueil de données (exemple : entretiens et observations), ou plus simplement d'au moins deux sources de données (exemple : entretiens avec étudiants et enseignants). Les résultats de l'analyse sont soumis aux acteurs qui ont participé à la recherche pour les corroborer[3]

La validité externe consiste à généraliser les observations recueillies à d'autres objets ou contextes. Pour ce faire, l'échantillon utilisé doit être ciblé et représentatif de la problématique. Sa description la plus exacte et précise possible est souhaitable lorsque les travaux qualitatifs sont publiés ou présentés en congrès[4]. Une recherche qualitative bien menée va conduire effectivement à l'obtention de connaissances tout-à-fait valables, sérieuses et objectives. C'était l'opinion de Mills (1959) qui, il y a déjà plusieurs années, mettait les chercheurs en garde contre ceux qu'il appelait les « empiristes abstraits » qui pontifient et ne jurent que par leurs statistiques[5]

Certains auteurs soutiendront, par exemple, que l'approche qualitative en recherche convient mieux au développement des connaissances alors que les recherches d'inspiration quantitative seraient plus appropriées pour valider et pour généraliser les connaissances acquises par une recherche de type qualitatif. C'est l'idée que Gage (1978) développe lorsqu'il écrit qu'au-delà de la détente entre l'approche qualitative et l'approche quantitative, il faut plutôt envisager une meilleure exploitation des résultats obtenus par l'une ou l'autre approche. Il est important de signaler que la recherche qualitative et la recherche quantitative existent dans des contextes différents: le contexte de la découverte et celui de la justification. Le chercheur qualitatif peut découvrir de nouveaux phénomènes ou de nouvelles relations entre des phénomènes; il peut ainsi créer de nouvelles hypothèses. Le chercheur quantitatif est cependant mieux placé pour tester, valider ou justifier des hypothèses[6]

Parmi les critères de scientificité en recherche qualitative dans les études communicationnelle on cite :

- L'individu dans son environnement : recueil de données (témoignages et interprétations, des interlocuteurs) en respectant leurs propres cadres de référence ;

[1] Hervé Dumez, Qu'est-ce que la recherche qualitative ? Le Libellio d'Aegis, volume 7, N° 4, Hiver 2011, p48.
[2] Hervé Dumez op.cit, p 52.
[3] Isabel AUBIN-AUGER, Alain MERDER, Laurence BAUMANN et autres, op.cit, p145.
[4] Ibid., p145.
[5] Yves Poisson, op.cit, p372.
[6] Yves Poisson, op.cit ,p 376.

- Approche approfondie et de « longue durée » : degré de profondeur des éléments recueillis permettant une analyse fine ;
- Enquête sur un petit nombre de cas : Suffisant si échantillon caractéristique de la population étudiée ;
- Les données numériques ne sont pas privilégiées[1]
- La posture du chercheur : appréhension du phénomène étudié sans à priori normatif, relation de confiance auprès du public, enquêté (travailler avec la population), dimension éthique ;
- L'entretien est une rencontre : Interaction interviewer/interviewé va décider du déroulement de l'entretien[2]

L'opposition entre approche quantitative et approche qualitative peut être reprise sous un autre angle que le simple traitement de données chiffrées, Andrew Abbott (1992) a mis en évidence le fait que, dans la présentation des modèles, les auteurs procédaient souvent par « pseudo-narrations », c'est-à-dire que les sujets de la narration étaient les variables elles-mêmes ; la narration réelle, quant à elle, n'apparaissait que quand les auteurs repéraient des données qui semblaient contredire le modèle. Autrement dit, dans les approches quantitatives, l'accent est mis sur les variables, et les acteurs n'apparaissent vraiment que quand les variables ne parviennent pas à expliquer un phénomène. Dans les approches qualitatives, l'accent doit être mis sur les acteurs et non sur les variables. Ce point paraît évident et ne l'est pourtant pas. La recherche qualitative suppose que l'on *voie* acteurs penser, parler, agir et interagir, coopérer et s'affronter. Si l'on ne perçoit les actions quotidiennes, répétitives, les routines, et, au contraire, la créativité de l'agir, si l'on ne voit les évolutions, les déplacements, les ruptures dans les pratiques (problème de la narration), la recherche qualitative perd tout son sens. C'est tout cela que recouvre la notion de compréhension. Or, bien des recherches qualitatives présentent des faiblesses de cet ordre : les descriptions sont sèches et désincarnées, les acteurs, l'action, les routines et la créativité en sont étrangement absents, seules des entités abstraites paraissant agir, tout semblant resté pareil ou tout semblant changer, la reproduction ou l'innovation étant partout, donc nulle part, sans que l'on comprenne ce qui change sur le fond de ce qui demeure[3]. il n'est pas rare d'abreuvé de données et d'analyses et que, pourtant, à aucun moment on n'a *vu* les acteurs penser et interagir. C'est que la visée compréhensive de la démarche a été perdue. Ce sont les « descriptions riches » et les explications pleines de sens répondant à des questions du type « Comment ? » et « pourquoi ? » qui doivent caractériser cette visée[4]

Les acteurs pensant, parlant et interagissant sont étudiés dans un contexte ou en situation. Cette dernière notion a été mise en avant par Popper. La notion de contexte qui la recouvre

[1] Sarah DUJONCQUOY et Matthieu MECHAIN : L'étude qualitative étude sur l'accès à la vaccination anti-HPV chez les adolescentes en situation précaire à risque, publier le 16 septembre 2009, consulté le 09 septembre 2018, pp (8-9) sur le site internet :
medphar.univ-poitiers.fr/santepub/images/staff_2009/090916_quali.pdf

[2] Ibid. p10.

[3] Hervé Dumez, op.cit, p49.

[4] ROBERT K, YIN, Application of case Study Research, Thousand Oaks (CA), sage publication, 3 ed, 2012, p5.

partiellement l'a été par exemple par Yin (2012), lorsqu'il définit ainsi l'étude de cas qui est pour lui une forme de recherche qualitative[1]

Une analyse d'acteur et d'action vaut dans certains contextes et non dans d'autres, une pratique a un sens dans certains contextes et peut revêtir d'autres sens dans d'autres contextes. Donc, la recherche qualitative se caractérise par une visée compréhensive, qui se donne pour objectif de comprendre l'action dans un contexte ou en situation. Son objectivité repose sur des « *multiple sources of evidence* » plusieurs sources de preuves. On en compte traditionnellement six :

- L'observation directe ;
- Entretient ;
- Records Enregistrements d'archives [les notes prises par le chercheur] ;
- Les documents ;
- Observation participante ;
- Artefacts physiques (par exemple, téléchargements informatiques du travail des employés)[2]

C'est notamment l'hétérogénéité des sources empiriques dans la recherche qualitative qui en garantit l'objectivité : elle permet en effet la triangulation, c'est-à-dire le fait que des analyses fondées sur un type de données peuvent être confirmées par l'analyse de données obtenues de manière indépendante. Mais elle exige du chercheur, peut-on préciser, un travail particulier : il faut mettre en série ces différents types de données (on ne peut rien faire de quelques données hétéroclites et trop disjointes) et développer des outils pour rapprocher les données entre elles. Ce double travail de mise en série et de rapprochement synoptique des données renvoie à la construction des templates[3]

[1] Ibid. p4.
[2] ROBERT K, YIN op.cit, P10.
[3] Hervé Dumez, op.cit, p50.

2- Principales techniques de l'approche qualitative dans les sujets communicationnelle

La phase de conception de l'étude est une étape essentielle pour la qualité de l'étude en effet pensé, discuté et formalisé pendant cette étape, et permet de détailler la méthodologie qui sera appliquée. Des questions comme « Comment poser les questions pour atteindre les objectifs » ou « Comment sélectionner les individus » devront trouver des réponses[1].

Dans le champ des sciences de l'information et de la communication (SIC), il est devenu habituel de considérer que les chercheurs mettent en œuvre un pluralisme méthodologique ; une position régulièrement affirmée, notamment dans la littérature grise (mémoires et thèses). En fait, comme nous le montrerons, ce pluralisme s'exerce dans un cadre particulier où l'approche qualitative est largement dominante. Le plus souvent, elle est requalifiée d'« approche compréhensive » et enrichie, depuis quelques années, par l'apport de disciplines comme l'ethnographie et l'anthropologie. Bien évidemment, la question de la méthodologie est associée à d'autres, de nature épistémologique, qui se rejoignent dans l'interrogation suivante : comment les chercheurs produisent/ construisent-ils les connaissances ? Ce point appelle observation : de nombreux travaux en SIC s'inscrivent dans une perspective « herméneutique », dans la mesure où la question de l'interprétation est centrale. Celle-ci porte sur des matériaux d'enquêtes principalement étayées par des entretiens et, de plus en plus, sur des données relevant de l'observation participante. Cette dernière méthode place au cœur de L'investigation la subjectivité du chercheur qui peut choisir un ou plusieurs rôles en fonction des objectifs qu'il s'est fixés[2]

Plusieurs techniques de collecte de données qualitatives existent :

• Les entretiens, qui peuvent être individuels (ou face-à-face) ou collectifs,

• Les observations, qui peuvent être participantes, systématiques ou flottantes.

Entretiens et observations suivent des méthodologies définies de collecte et d'analyse des données, dont la mise en œuvre et le respect participent à la fiabilité des données.

Des données peuvent également être collectées lors de temps informels (lors de discussions individuelles ou en groupe). Ces données viendront alimenter une réflexion, serviront d'illustrations à certaines observations, ou confirmeront des tendances observées. Toutefois, ce pool de données fera rarement l'objet d'une analyse qualitative en tant que telle. Il est cependant toujours pertinent de consigner dans un cahier ou dans un fichier de votre ordinateur les remarques des différents acteurs rencontrés, afin de ne pas perdre de matière.

Par ailleurs, les techniques (méthodes) qualitatives se complètent et se combinent, tant dans les manières de faire (tout entretien a une composante observationnelle : gestes, postures, intonations ; toute observation a une composante langagière), que dans l'analyse des données (triangulation)[3]

---

[1] Aude Brus, **Comment réaliser une étude qualitative/ quantitative ? De la planification à la valorisation des résultats, guide méthodologique,** Direction des Opérations et des Ressources Techniques, Février 2017, p137.

[2] Françoise Bernard et Robert-Vincent Joule, Le pluralisme méthodologique en sciences de l'information et de la communication a l'épreuve de la « communication engageante », question de communication, édition électronique, France, 30 juin 2005, p186.

[3] Ibid. pp (137-138).

- ✓ Les entretiens individuels : C'est le dialogue formel entre un enquêteur et une personne choisie spécifiquement pour une discussion sur un sujet défini qui permet de collecter les données, ceci dans un temps imparti. Analyser et comprendre un événement, une expérience, une situation ou encore une pratique ou des représentations – présents ou passés .Un entretien qualitatif ne peut pas durer moins de 15/20 minutes Si c'est le cas, il faut vérifier :

• la pertinence et la compréhension de l'amorce de l'entretien ou des questions proposées,
• l'environnement dans lequel a été réalisé l'entretien (le moment, le lieu, l'entourage n'étaient peut-être pas propices),
• la qualité du travail réalisé par l'enquêteur.

En effet, 15 minutes couvrent le temps de se présenter, d'expliquer l'étude, d'instaurer un climat de confiance et de commencer une discussion avec quelqu'un, mais ne peuvent en aucun cas inclure des échanges en profondeur.

Il existe deux types d'entretiens individuels qualitatifs :

1. Les entretiens ouverts : l'approche est alors non directive, l'enquêteur et la personne interviewée ont un maximum de liberté dans leurs échanges. L'intervieweur amorce tous les entretiens de la même manière, formulant une question de départ qui permettra de lancer l'entretien. La conversation suit son cours, en fonction du discours de l'interviewé et des attentes de l'intervieweur.
2. Les entretiens semi-directifs : une série de thèmes qui devra systématiquement être abordée dans tous les entretiens est définie à l'avance. L'enquêteur commence les entretiens de manière similaire, et relance les discussions sur les thèmes attendus dans l'ordre qui semble le plus opportun, en fonction du cours des échanges avec le participant.

Équipe mobilisée par entretien : Un intervieweur et un traducteur (quand nécessaire).
Nombre de participants par entretien : 1.
Outil de collecte et matériel : Un guide d'entretien, un support pour la prise de notes, un enregistreur vocal (si possible). Durée d'un entretien : 40 minutes à 2 heures[1]

[1] Aude BRUCE, op.cit, pp(137-139).

Les forces et faiblesses des entretiens individuels	
Forces des entretiens individuels	**Faiblesse/ points de vigilance**
• Réalisés sur un effectif restreint, donc demandent moins de ressources humaines pour la collecte • Offrent un espace sécurisé et adapté (physique et temporel) qui favorise l'échange et une certaine liberté de parole • Permettent d'accéder aux discours de populations plus vulnérables, plus difficiles d'accès ou avec un niveau d'alphabétisation peu élevé • Permettent d'aborder des sujets jugés sensibles ou délicats dans un contexte donné (exemple : les violences sexuelles lors de conflit)	• Coûteux en temps, notamment pour la transcription et l'analyse • Également chronophage pour les personnes interviewées • La sélection des individus doit être diversifiée afin de ne pas limiter les angles de vue en privilégiant un profil, un réseau, ou une association par exemple • Techniques qui mobilisent des compétences pour lancer, relancer, clôturer des échanges, et ce sans orienter ou biaiser ; cet exercice peut encore se complexifier si un interprète participe et accompagne l'intervieweur
• Permettent d'avoir accès à des informations fines, issues de récits détaillés d'un phénomène, d'une expérience, d'une situation • Permettent une analyse plus complète, plus profonde • Quand ils sont réalisés par téléphone ou Skype, permettent d'inclure des informations provenant d'individus vivant en zones éloignées ou isolées, non accessibles pour des raisons de sécurité, par exemple	• Basés sur du déclaratif : la personne raconte l'histoire qu'elle veut ; il peut donc y avoir des écarts entre ce qui est dit et ce qui est fait dans la réalité • Sans une analyse sérieuse des données collectées, il peut être facile de tomber dans la surinterprétation, la mésinterprétation ou une généralisation inappropriée : quelques témoignages ne reflètent pas une culture entière ! • Les représentations/ stratégies doivent être analysées dans un espace, un contexte.

Source : **Aude Bruce(2017), Comment réaliser une étude qualitative/ quantitative ? De la planification à la valorisation des résultats, guide méthodologique, Direction des Opérations et des Ressources Techniques p 137.**

- ✓ Entretiens collectif (groupe de discussion) : on peut mener un entretien avec plus d'une personne à la fois, mais le groupe de discussion s'éloigne quelque peu de l'entretien de groupe: il s'agirait plutôt d'une discussion de groupe entre 6 à 10 personnes choisies dans la mesure où elles possèdent une certaine connaissance de la

problématique à l'étude. Comme l'illustre l'étude de cas ci-dessous, le débat est stimulé grâce à une brève liste de thèmes.

Les groupes de discussion constituent une méthode extrêmement efficace de recueillir des données sur un sujet que l'on connaît mal; ces groupes sont également très utiles pour solliciter des observations sur les résultats de certaines recherches. Dans une étude d'évaluation thématique, il est souhaitable de mener plusieurs groupes de discussion avec les représentants de différents groupes, et ce non seulement pour s'assurer que les vues d'un groupe particulier ne lui sont pas spécifiques, mais aussi pour faire en sorte que la question soit explorée de divers points de vue[1]

- ✓ Il n'est pas conseillé de faire de l'observation la méthode unique utilisée dans une étude d'évaluation thématique: en effet, la plupart des projets de recherche qui recueillent des données en recourant à la méthode de l'observation font également appel à d'autres méthodes. Il existe diverses façons d'observer une situation donnée: en tant que participant (de l'intérieur), en tant qu'observateur (de l'extérieur — c'est la petite souris qui observe), ou d'un lieu situé entre les deux (participant-observateur). Par exemple, l'évaluation de la qualité de communication interne entre les cadres de l'organisation publique, pourrait faire place à l'observation des interactions des cadres dans la salle de réunion en suivant les méthodes ci-dessous:

a) Dans le cadre de l'observation-participation, le chercheur est — ou fait semblant d'être — un participant. Cette observation cachée pose toutefois des questions éthiques ;

b) Dans le cas d'un observateur, les enquêtés sont informés que le chercheur est là pour noter leurs réactions;

c) Un exemple de participant-observateur dans ce scénario est celui du chercheur qui participe à la séance d'une manière ou d'une autre mais qui dit aux enquêtés qu'il est également là pour observer leurs réactions[2]

3- Pratique éthique pour la méthode qualitative dans les études communicationnelles

Il convient immédiatement de définir, ne serait-ce que succinctement ce que nous entendons par éthique. D'abord, cette dernière doit être comprise comme une branche spécifique de la philosophie, branche qui a pour objectif général d'interroger les systèmes de valeurs en usage. « L'éthique relève du domaine de la philosophie qui se préoccupe des valeurs qui guident les conduites et les comportements humains. Fondée sur des principes moraux, l'éthique concerne essentiellement la détermination des principes qui distinguent le bien et le mal, le bon du mauvais, le vrai du faux; elle concerne aussi le sens qu'on donne à ces termes et à ceux qui renvoient aux principes de justice, d'équité et d'intégrité »[3]

L'éthique n'est pas application d'un système prescriptif mais réflexion critique notamment sur les morales et leur héritage. Par conséquent, on constate de nos jours une véritable

[1] Office des nations unies contre la drogue et le crime, Etude d'évaluation thématique : approche qualitative de la collecte de données, programme mondial d'évaluation de l'abus de drogue(GAP), Module 6 du référentiel, new York, 2004, pp (6-7).

[2] Office des nations unies contre la drogue et le crime, op.cit, p139.

[3] Harrisson, D : L'éthique et la recherche sociale. Dans T. Karsenti & L, 2000, p36.

prolifération des éthiques « locales »,« situées », prolifération qui se vérifie entre autres dans le pullulement des éthiques appliquées en contexte de pratique professionnelle[1]

Avant d'aborder la question de l'éthique en recherche qualitative, nous souhaitons ici apporter quelques indications d'ordre plus général. Elles concernent en quelque sorte le minimum requis en éthique dans la conduite d'une recherche scientifique. D'abord, disons d'emblée que nous définissons l'éthique en recherche scientifique comme étant l'ensemble des valeurs et des finalités qui fondent et qui légitiment le métier de chercheur. Plus spécifiquement, la problématique de l'éthique dans le domaine de la recherche porte habituellement sur deux dimensions du travail du chercheur. Dans une large mesure ce sont essentiellement ces deux dimensions qui font l'objet d'interrogations de la part des comités d'éthique de la recherche des universités. En premier lieu, l'éthique aborde la question des conduites du chercheur tant dans ses comportements que dans ses attitudes[2].

Ce vaste domaine peut porter tant sur le refus de mener des recherches qui auraient comme conséquence de mettre la vie de la population danger que sur le souci de ne pas falsifier les résultats obtenus. Cela concerne aussi l'adoption par le chercheur d'une conduite la plus objective possible vis-à-vis les savoirs (par exemple, en accordant tout le crédit qu'ils méritent aux résultats d'une équipe concurrente).Il s'agit donc de la dimension du travail du chercheur qui concerne les implications du projet pour la communauté ou la société en général. L'autre dimension du travail du chercheur concerne le respect des personnes (les sujets) en lien avec le processus même de la recherche et les procédures de cueillette de données. Il s'agit ici d'identifier et d'adopter des manières de faire et de dire qui respectent les sujets humains participent à la recherche[3]

Ce qui vient d'être dit peut aussi se résumer dans certains principes fondamentaux qui guideront le rapport du chercheur aux sujets participants. En nous référant à Van Der Maren (1999) nous pouvons en identifier trois qui sont vraiment indispensables :

- Le consentement libre et éclairé;
- Le respect de la dignité du sujet;
- Le respect de la vie privée et de la confidentialité[4]

En définitive, comme le souligne pertinemment Harrisson : « De nos jours, le jugement éthique repose sur l'équilibre des conséquences du processus de recherche pour les sujets humains quant aux bénéfices et aux risques pour les sujets. L'intégrité humaine est le concept central dans l'évaluation des risques »[5]

---

[1] Stéphane Martineau, L'éthique en recherche qualitative : quelques pistes de réflexion, Actes du colloque recherche qualitative: Les questions de l'heure, Association pour la recherche qualitative, hors série, N° 5, 2007, P72.

[2] Connolly, P: *Ethical Principles for Researching Vulnerable Groups.* University of Ulster. Office of the first Minister and Deputy First Minister, 2003, sans page.

[3] Stéphane Martineau, op.cit, p74.

[4] Van der Maren, J.-M : La recherche appliquée en pédagogie. Des modèles pour l'enseignement, De Boeck, Bruxelles, 1999, sans page.

[5] Harrisson, D, op.cit, p39.

Néanmoins, on comprendra que, bien qu'il s'agisse là d'éléments incontournables et primordiaux dans la conduite d'une recherche, ces deux dimensions du travail (les conduites du chercheur et le respect des sujets) ne saurait épuiser le questionnement éthique du chercheur et ce, notamment en ce qui concerne les recherches en sciences humaines et sociales menées au moyen d'approches qualitatives[1]

Deux chercheurs, Guillemin et Gillam (2004), ont établit une distinction qui à nos yeux peut être fort stimulante pour notre réflexion. Selon ces auteurs, la recherche est traversée par deux types d'éthiques: les éthiques des procédures (*Procedural ethics)* et les éthiques de la pratique *(Ethics in practice).* Les premières concernent les mesures mises en place pour respecter les droits des sujets, leur éviter des désagréments, gérer les événements non souhaités. Les secondes concernent les dilemmes éthiques qui peuvent survenir au jour le jour dans la recherche qualitative (*Ethically important moments*).Les auteurs soutiennent que si les éthiques des procédures font relativement bien comprises, étudiées et cernées (ce sont elles qui font l'objet des questionnements des comités d'éthiques de la recherche), les éthiques de la pratique, par contre, sont pour ainsi dire laissés dans l'entre deux de la conscience des chercheurs. En effet, les dilemmes du terrain en matière de relation intersubjective ne sont que très rarement enseignés dans la formation des chercheurs en science de l'information et de la communication. Ils sont d'ailleurs peu souvent abordés dans les écrits spécialisés. Force est pourtant de constater, comme nous le verrons plus loin, que ces dilemmes éthiques vécus dans la pratique sont susceptibles de se présenter d'autant plus souvent que l'on use d'approches qualitatives[2]

Nous pensons notamment au fait qu'en recherche qualitative, il y a généralement coprésence du chercheur et des sujets sur le terrain. En cela, il y a nécessairement relation intersubjective de proximité. L'Autre accueille le chercheur, lui donne de son temps, lui accorde sa confiance quand ce n'est pas qu'il le prend carrément chez lui (comme cela peut arriver dans certains terrains ethnographiques). Les approches qualitatives sont donc tout entières construites autour d'un rapport de proximité entre le chercheur et le sujet[3].

La qualité de la relation qui s'établit entre le chercheur et les sujets communicationnelle est garante, dans une large mesure, de la validité des « données ». En effet, les données recueillies par entrevues ou observations ne sauraient, par exemple, être valables si le sujet observé ment ou fait semblant. Par raisons épistémologiques nous entendons que la recherche qualitative, dans son ensemble, appelle une certaine posture « constructiviste » où le savoir naît du dialogue, de la co-construction et de la prise en compte des représentations des acteurs qui ne sont pas vus comme des « idiots culturels »[4]

La dimension éthique de la recherche en science de l'information et de la communication dépasse largement le rapport au sujet sur le terrain et englobe aussi les questions des finalités de la recherche, de l'usage et de la propriété des savoirs. Ces questions font peu l'objet de débat et tout se passe comme si, en ces temps de postmodernisme et de néo-libéralisme, un consensus mou s'était fait pour ne pas ouvrir la boîte de Pandore que semble être devenue

[1] Stéphane Martineau, op.cit, p75.
[2] Guillemin, M. & Gillam, L, Ethics, reflexivity and «ethically important moments», Research Qualitative Inquiry, volume10, N°02, 2004, pp(261-280).
[3] Caratini, S : Les non-dits de l'anthropologie, PUF, Paris, 2004, sans page.
[4] Stéphane Martineau, op.cit, p76.

l'interrogation sur le rôle social de la science, rôle qui irait au-delà de celui dans lequel on la confine trop souvent à savoir celui d'aide à la gestion des problèmes sociaux .Dans un monde qui est revenu des grands récits d'émancipation tel le marxisme (et pour cause), il y a peu de place pour la remise à l'ordre du jour de l'examen du rôle critique du chercheur en science de l'information et de la communication (autre que celle de simple consommateurs) face au discours de la science[1].

En effet, parce que la recherche qualitative peut être vue essentiellement comme un « art de la rencontre »[2], elle navigue constamment dans les contradictions :

- Prendre la parole pour donner la parole ;
- Donner la parole sans perdre la parole.

Le chercheur développe son discours sur la base des sujets des participants et cette rencontre des discours n'est pas sans risque[3] que l'on ou l'autre vole la parole ou la voit dévoyée. Sachant que le chercheur dispose en général du dernier mot et qu'il possède aussi les organes et les réseaux pour diffuser son discours, il nous apparaît primordial qu'il réfléchisse à ce pouvoir que le savoir lui confère[4].

En quelque sorte, on pourrait dire que l'éthique en recherche qualitative – en tant que pratique scientifique, que pédagogie et qu'action citoyenne – se pose à trois niveaux qui s'interpénètrent:

- Macro-éthiques (la recherche qualitative dans les enjeux sociaux);
- Méso-éthiques (la recherche qualitative et les comités d'éthiques);
- Micro-éthiques (la recherche qualitative et la pratique du terrain dans la rencontre des sujets)[5]

✓ Le niveau des macro-éthiques renvoie aux enjeux et défis de la place et de l'usage des savoirs de la recherche dans la société. Pour qui et pour quoi travaille la recherche ? C'est à ce niveau que la recherche peut penser son rôle social et assumer sa dimension normative à savoir être porteuse d'un discours de changement[6].

✓ Le niveau des méso-éthiques implique les questionnements qui sont ceux, plus classiques, de la conduite d'une recherche avec des sujets humains (le consentement libre et éclairé, l'anonymat, la confidentialité, la notion de risque minimal, etc.) et qui font l'objet de l'évaluation des comité d'éthique de la recherche des universités et instituts de recherche et pour lequel le Conseil de recherches en sciences humaines du Canada (CRSH), le Conseil de recherches médicales du Canada (CRM) et le Conseil de recherches en sciences naturelles et en génie du Canada (CRSNG) ont émis une politique en 1998[7]

---

[1] Ibid. p77.

[2] Jeffrey, D : Le chercheur itinérant, son éthique de la rencontre et les critères de validation de sa production scientifique. Recherches qualitatives. Hors Série, N°01, 2004, pp(115-127).

[3] Caratini, S , op.cit, sans page .

[4] Stéphane Martineau, op.cit, p77.

[5] Guillemin, M. & Gillam, L, op.cit, pp(261-280).

[6] Freitag, M : L'oubli de la société. Pour une théorie critique de la postmodernité, PUL, Québec, 2002, sans page.

[7] Stéphane Martineau, op.cit, p78.

- ✓ Le niveau des micro-éthiques est celui de la vie quotidienne du chercheur sur le terrain en interaction avec les sujets. C'est le niveau des rapports intersubjectifs que présente bien[1] et pour lequel Guillemin et Gillam (2004) déplorent que les chercheurs ne soient pas assez formés. Les micro-éthiques renvoient à une éthique du dialogue, de la rencontre, de l'attention, une éthique qui est moins normative (donc prescriptive) que réflexive en ce sens qu'elle se veut écoute et ouverture non seulement à ce que vit autrui mais aussi à ce que je vis moi-même et à ce que nous vivons ensemble dans le cadre de nos interactions[2].

Conclusion :

Les méthodes qualitatives ne génèrent pas de données statistiques et les résultats ne peuvent être extrapolés à l'ensemble de la population, étant donné que l'échantillon de la recherche n'est pas représentatif ou n'a pas été nécessairement prélevé au hasard. C'est pour cette raison que les données qualitatives sont relativement peu concluantes au plan statistique et qu'elles ne devraient être utilisées à titre de pourcentages ou de chiffres que dans une approche de quantification des informations qualitatives. Il ne faut pas pour autant sous-estimer l'utilité de la recherche qualitative. Un modérateur ou un intervieweur qualifié peut solliciter de l'information et des idées valables en posant des questions supplémentaires sur la façon dont les participants se situent par rapport à une question ou traitent l'information qui leur est fournie.

L'apport de scientificité de l'approche qualitative se repose fondamentalement sur le postulat d'après lequel on peut accéder à une compréhension interne, et c'est ce qui rend possible une compréhension du comportement humain supérieure à celle qu'offre une étude de surface qui passe par les méthodes quantitatives. De plus, la méthode qualitative permet au chercheur de coller de près aux données et par là de développer, à partir des données elles-mêmes, des schèmes explicatifs qui sont plus analytiques et mieux articulés sur la réalité. Dans la recherche qualitative, la théorie survient souvent après l'observation, à partir d'une extrapolation issue des événements eux-mêmes. Le chercheur n'a pas comme point de départ des modèles, des théories, des hypothèses, mais plutôt une certaine compréhension des interactions et des faits quotidiens qui seront examinés en regard de modèles ou de traitements plus généraux. C'est habituellement à partir d'une interprétation du monde passant par la perspective des sujets observés qu'est dégagée la signification de la réalité lorsque l'on se sert d'une approche qualitative en recherche. Or, c'est précisément sur ces points qu'il y a opposition entre les principes des méthodes quantitatives et ceux des méthodes qualitatives. Beaucoup de chercheurs en communication jugent l'approche quantitative insuffisante pour répondre aux besoins actuels. La recherche en communication, pour eux, devrait faire plus souvent appel à une approche méthodologique où il y a compréhension profonde entre les sujets observés et les sujets qui observent[3].

---

[1] Caratini, S, op.cit, sans page.
[2] Guillemin, M. & Gillam, L, op.cit, pp (261-280).
[3] Yves poisson, op.cit, p 373.

Listes des références

1- AUBIN- AUGER Isabel, MERDER Alain, BAUMANN Laurence et autres : Introduction à la recherche qualitative, la revue française de médecine générale, volume 19, N° 84, 2008.
2- BERNARD Françoise et JOULE Robert- Vincent : Le pluralisme méthodologique en science de l'information et de la communication a l'épreuve de la « communication engageante », question de communication, mis en ligne le 10 mai 2012, consulté le 06 septembre 2018.URL : https://journals.openedition.org/questionsdecommunication/4647
3- BDHOUCHE Radia et BOUAKEUR Celia, « Le rôle de la communication événementielle dans l'amélioration de l'image de marque de l'entreprise cas d'étude : SARL IFRI », université Abderrahmane Mira, faculté des sciences humaines et sociales, département des sciences humaines, mémoire de fin de cycle en vue de l'obtention du diplôme de master en science de l'information et de la communication, option communication et relation publiques, 2018.
4- Brus Aude, Comment réaliser une étude qualitative/ quantitative ? De la planification à la valorisation des résultats, guide méthodologique, Direction des Opérations et des Ressources Techniques, Février 2017.
5- Dumez Hervé, Qu'est-ce que la recherche qualitative ? Le Libellio d'Aegis, volume 7, N° 4, Hiver 2011.
6- DUJONCQUOY Sarah et MECHAIN Matthieu : L'étude qualitative étude sur l'accès à la vaccination anti-HPV chez les adolescentes en situation précaire à risque, publier le 16 septembre 2009, consulté le 09 septembre 2018, sur le site internet : medphar.univ-poitiers.fr/santepub/images/staff_2009/090916_quali.pdf
7- D, Harrisson : L'éthique et la recherche sociale. Dans T. Karsenti & L, 2000.
8- Der Maren Van, J.-M : La recherche appliquée en pédagogie. Des modèles pour l'enseignement, De Boeck, Bruxelles, 1999.
9- D, Jeffry : Le chercheur itinérant, son éthique de la rencontre et les critères de validation de sa production scientifique. Recherches qualitatives. Hors Série, N°01, 2004.
10- LAZAR Judith: La science de la communication, édition DAHLAB, deuxième édition corrigée, Algérie,1993.
11- M , Drapeau, Les critères de scientificité en recherche qualitative. Pratiques psychologiques, 2004.
12- MALIHI Sonia et SAHALI Linda, « Le rôle de la communication événementielle dans les agences de communication cas pratique : les agences de communications Etoile bleu, Alliance pub, Etablissement Boudraa Genet service, Bejaia », université Abderrahmane Mira, faculté des sciences humaines et sociales, département des sciences humaines, mémoire de fin de cycle en vue de l'obtention du diplôme de master en science de l'information et de la communication, option communication et relation publiques, 2018.
13- Martineau Stéphane, L'éthique en recherche qualitative : quelques pistes de réflexion, Actes du colloque recherche qualitative: Les questions de l'heure, Association pour la recherche qualitative, hors série, N° 5, 2007.
14- M, Freitag, : L'oubli de la société. Pour une théorie critique de la postmodernité, PUL, Québec, 2002.
15- Pelletier Marc L et Deniers Marthe, Recherche qualitative, recherche quantitative: Expressions injustifiées, revue des sciences de l'éducation, vol xx, N° 04, sans date.
16- M, Guillemin & L,Gillam, Ethics, reflexivity and «Ethically important moments», Research Qualitative Inquiry, volume10, N°02, 2004.

17- Poisson Yves, L'approche qualitative et l'approche quantitative dans les recherches en éducation, Revue des sciences de l'éducation, Volume 9, N° 3, 1983.
18- P, Connolly: Ethical Principles for Researching Vulnerable Groups. University of Ulster. Office of the first Minister and Deputy First Minister, 2003.
19- Office des nations unies contre la drogue et le crime, Etude d'évaluation thématique : approche qualitative de la collecte de données, programme mondial d'évaluation de l'abus de drogue(GAP), Module 6 du référentiel, new York, 2004.
20- ROYEN. P Van : Cours d'introduction à la recherche qualitative, institut médecine tropicale de Bruxelles, décembre 2007.
21- S. Caratini : Les non-dits de l'anthropologie, PUF, Paris, 2004.
22- Yin, ROBERT K, Application of case Study Research, Thousand Oaks (CA), sage publication, 3 ed, 2012.

المركز الجامعي آفلو

ص ب 603